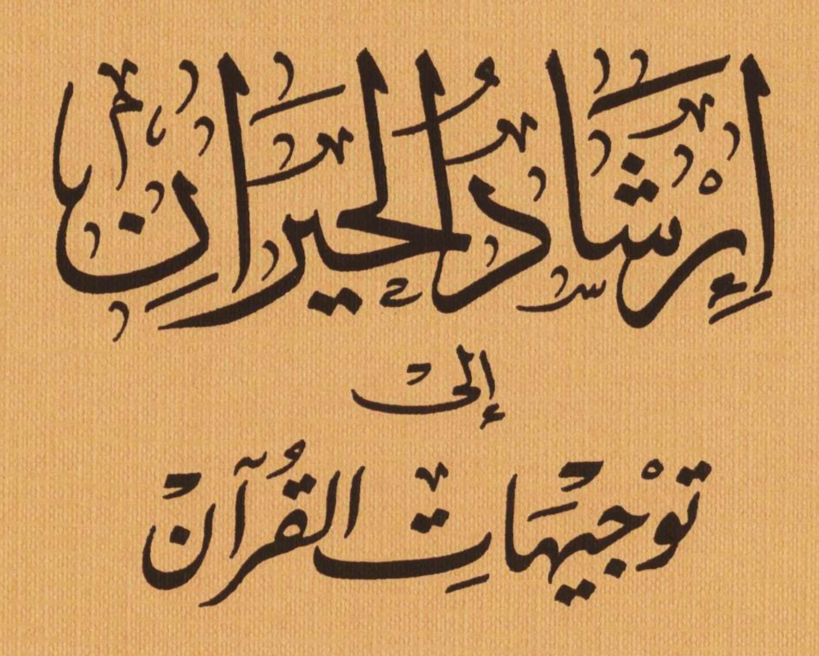
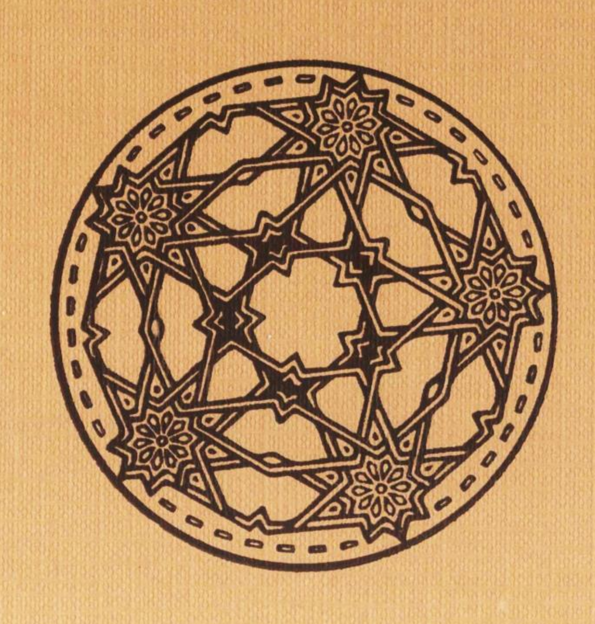


بقلم

فضيلة الشيخ

أحمد عبد السلام أبو مزيريق



دار المدار الإسلامي


إرشاد الحيران
إلى
توجيهات القرآن

إرشاد الحيران

إلى

توجيهات القرآن

12

بقلم

فضيلة الشيخ

أحمد عبد السلام أبو مزيريق

دار المدار الإسلامي

إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن 12/1

الشيخ أحمد عبد السلام أبو مزيريق

الطبعة الأولى
كانون الثاني/يناير/أي النار 2011 إفرنجي

موضوع الكتاب تفسير قرآني
تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي
الحجم 17 × 24 سم
التجليد فنّي

ردمك **ISBN** 9959-29-182-0
(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2003/5680

دار المدار الإسلامي
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،
هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 89 39 93 3 961 +
05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +
ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان
بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية
زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى
هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقال** 463 45 21 91 218 +
بريد إلكتروني: **oeabooks@yahoo.com**

7 ـ أظهر ما في سورة التغابن، بيان الفرق بين المؤمن والكافر وَمَا بينهما من الاختلاف والتباين



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (4) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6) * زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8)

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحًا نُّكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (10) مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11)
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (12) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ (13) * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ
وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا
وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (14) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ
وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16) إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض. . له الملك**﴾: الحكم والسلطان والتصرف في جميع الأكْوَان. وله الحمد المستحق لجميع المحامد بما أفاض من الإنعام والإحسان. وهو على كل شيء قدير. . هو الذي خلقكم: الله وحده خلقكم خلقاً بديعاً حاوياً لجميع مبادىء الكمالات العلمية والعملية ومع هذا. . ﴿**فمنكم كافر**﴾: منكر ومكذب وجاحد بكل مقتضيات الإيمان. . ﴿**ومنكم مؤمن**﴾ معترف ومصدق بكل مقومات الإيمان والإسلام والإحسان!. ﴿**والله بما تعملون بصير. .**﴾ فيجازيكم بذلك. . فاختاروا منه ما يُحْدِيكم من الإيمان والطاعة، وإياكم وما يُرديكم من الكفر والعصيان. ﴿**خلق السماوات والأرض بالحق**﴾: خلقهما بالقدرة التامة والحكمة البالغة بلا خلل ولا نقصان!. ﴿**وصوّركم فأحسن صوركم**﴾: خصكم بأبدع الجمال في الجسم وأحسن البيان في النطق باللسان!. ﴿**وإليه المصير**﴾: يوم يرجع إليه كلُّ إنسان!. ﴿**يعلم ما في السماوات والأرض. . ويعلم ما تسرون وما تعلنون. . والله عليم بذات الصدور. .**﴾ فيُجازي المُسِيءَ بالسوء، والمحسن بالإحسان. ﴿**ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبلُ؟!. . فذاقوا وبال أمرهم**﴾: الخطاب لكفار مكة. والنبأ: الخبر المهم الذي يقتضي التنبُّؤ به قبل وقوعه. والذين كفروا من قبل: كل من كفر قبل قريش. . والوبال: النقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور.

وأمرهم: كفرُهم. وهذا الوبال حل عليهم في الدنيا. . ﴿**ولهم**﴾ في الآخرة ﴿**عذابٌ أليمٌ. .**﴾ ﴿**ذلك**﴾: حصل ذلك بـ ـ سبب ـ أنه: الشأن والحال. ﴿**كانت تأتيهم رسلهم بالبينات**﴾: بالآيات الواضحات بالدلائل والمعجزات. . ﴿**فقالوا: أبشر يهدوننا؟!. . فكفروا**﴾: بها. . ﴿**وتولوا**﴾: أعرضوا عنها. . ﴿**واستغنى الله. . والله غني حميد. .**﴾ ﴿**زعم الذين كفروا: أن لن يبعثوا. .**﴾ الزعم: ادعاء العلم. ويقصد به الظن الموهوم الذي ليست فيه رائحة دليل. والرد على هذا الزعم: ﴿**قل: بلى**﴾: ليس الأمر كما تدعون. . ﴿**وربي لتبعثن. . ثم لتنبؤن بما عملتم. . وذلك على الله يسير. . فآمنوا بالله ورسوله. . والنور الذي أنزلنا**﴾: القرآن الكريم. ﴿**والله بما تعملون خبير. . يوم يجمعكم ليوم الجمع. . ذلك يوم التغابن**﴾: يُغبن

فيه الكافر لخسارته الكاملة فتظهر عليه الحسرة والندامة على ضياع ما عمل هباء!. **﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً نكفر عنه سيئاته وندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً. . ذلك الفوز العظيم. . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها. . وبئس المصير.﴾ ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله. . ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾**: تخفّ وطأة المصيبة على المؤمن لعلمه بأن الله مقدرها عليه اختباراً لا انتقاماً فتهون وتعود عليه أجراً وأمناً وسلاماً! **﴿والله بكل شيء عليم. . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾**: خطاب موجه إلى أهل مكة. . **﴿فإن توليتم فإنما على رسولنا﴾** ـ محمد ـ **﴿البلاغ المبين. .﴾** وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه. . **﴿الله لا إله إلا هو. . وعلى الله فليتوكل المؤمنون. .﴾** فلا يفوضون أمرهم إلى أحد إلا إلى الله. **﴿يا أيها الذين آمنوا. . إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم﴾**: إن بعض الأزواج والأولاد مخالفون لطبيعة الزوج والأب. . فلا بد أن يراعي المؤمن هذا الخلاف.

ويعلم سببه وحاله ومآله. . **﴿فاحذروهم. .﴾** حتى لا يحصل ما يسوء للجميع. . **﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم. .﴾** فهذا هو وسيلة الخلاص من مأزق الاختلاف. . **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾**: اختبار وامتحان، ولا ينجح فيه إلا أهل الإيمان. . **﴿والله عنده أجر عظيم. . فاتقوا الله ما استطعتم. . واسمعوا. . وأطيعوا. . وأنفقوا. .﴾** وأتوا **﴿خيراً لأنفسكم﴾**. **﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. .﴾ ﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم. . والله شكور﴾**: يقابل بالحسنة أضعافها. . **﴿حليم﴾**: لا يعاجل بالعقوبة على التقصير وارتكاب الذنوب واقترافها. **﴿عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم. .﴾**

مبحث الإعراب

﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾: تقدم إعراب مثل هذا في سورة الجمعة. **﴿له﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿الملك﴾** مبتدَأ مؤخر. **﴿وله الحمد﴾** معطوف على ما قبله. وهو مثله في الإعراب. **﴿وهو﴾** في محل رفع مبتدَأ. **﴿على كل﴾** متعلق بالخبر الآتي. **﴿شيء﴾** مضاف إلى كل. **﴿قدير﴾** خبر المبتدإِ. والجملة معطوفة على ما قبلها. **﴿هو﴾** في محل رفع مبتدَأ. **﴿الذي﴾** في

محل رفع خبره. والجملة بيانية. ﴿**خلقكم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الذي. والجملة صلة الموصول. ﴿**فمنكم**﴾ من تبعيضية في محل رفع مبتدَأ. ﴿**كافر**﴾ خبر المبتدإِ. والجملة مفصلة لما سبقها بالفاء. ﴿**ومنكم مؤمن**﴾ معطوف على ما قبله. مثله في الإعراب. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة وما. ﴿**بصير**﴾ خبر المبتدإِ. وجملة والله بما تعملون بصير تذييلية. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**السماوات**﴾ مفعول به. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بمحذوف حال من السماوات. ﴿**وصوركم**﴾ معطوف على خلق. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**فأحسن**﴾ فعل ماض مرتب بالفاء على صوركم. ﴿**صوركم**﴾ مفعول به. ﴿**وإليه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**المصير**﴾ مبتدَأ مؤخر. والجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به ﴿**في السماوات**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**ويعلم ما**﴾ معطوف على يعلم ما. . ﴿**تسرون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**وما تعلنون**﴾ معطوف على ما تسرون. مثله في الإعراب. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**عليم**﴾ خبره. ﴿**بذات**﴾ متعلق بعليم. ﴿**الصدور**﴾ مضاف إلى ذات. والجملة تذييل. ﴿**ألم يأتكم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم. والضمير المتصل به مفعول. والهمزة للاستفهام. ﴿**نبأ**﴾ فاعل. ﴿**الذين**﴾ في محل جر مضاف إلى نبأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بكفروا. ﴿**فذاقوا وبال**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة تعقيب على الذين كفروا من قبل. ﴿**أمرهم**﴾ مضاف إلى وبال. ﴿**ولهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدَأ مؤخر. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. والجملة معطوفة على «فذاقوا وبال أمرهم». ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**بأنه**﴾ أن واسمها. ﴿**كانت**﴾ فعل ماض ناقص. واسم كان ضمير يعود على الحال المذكورة. ﴿**تأتيهم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**رسلهم**﴾ فاعل تأتي. ﴿**بالبينات**﴾ متعلق بتأتي. وجملة تأتيهم رسلهم خبر كان. وجملة كانت تأتيهم خبر أنّ. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ـ ذلك ـ أي: ذلك كائن بسبب إتيان الرسل إياهم بالبينات. ﴿**فقالوا:**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**أبشر**﴾ فاعل بفعل

مقدر. . ﴿**يهدوننا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. . ﴿**فكفروا**﴾ فعل وفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**وتولوا**﴾ معطوف على كفروا. ﴿**واستغنى الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة معطوفة على «فكفروا. .». ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**غني حميد**﴾ خَبَرانِ للمبتدإ. والجملة تذييل. ﴿**زعم الذين**﴾ فعل وفاعل. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**أن لن يبعثوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل منفي بلن. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب سد مسد مفعولي زعم. أي: زعم الذين كفروا عدم بعثهم للحساب يوم القيامة. ﴿**قل. . بلى**﴾ نفي لما نفوه ونَفْي النفي إثبات. ﴿**وربي**﴾ قسم مؤكد لما قبله. ﴿**لتبعثن**﴾ فعل مضارع مؤكد باللام ونون التوكيد. وجملة الفعل ونائب الفاعل المحذوف جواب القسم.

﴿**ثم لتنبؤن**﴾ معطوف على ما قبله زيادة في التأكيد. ﴿**بما**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عملتم**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. والجمل في قوله: بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم مقول القول. ﴿**وذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. والواو للعطف. ﴿**على الله**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**يسير**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**فآمنوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. والفاء فاء الفصيحة. أي: إذا كان الأمر كذلك فآمنوا ﴿**بالله**﴾ متعلق بآمنوا. ﴿**ورسوله**﴾ معطوف على الله. ﴿**والنور**﴾ كذلك. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت للنور. ﴿**أنزلنا**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**بما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة ما. ﴿**خبير**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**يوم**﴾ متعلق بقوله: لتنبؤنّ. . ﴿**يجمعكم**﴾ فعل مضارع. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**ليوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الجمع**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**يوم**﴾ خبره. ﴿**التغابن**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يؤمن**﴾ فعل الشرط مجزوم بالسكون. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**بالله**﴾ متعلق بيؤمن. ﴿**ويعمل**﴾ معطوف على يؤمن. ﴿**صالحاً**﴾ مفعول به. ﴿**نكفر**﴾ جواب الشرط مجزوم بالسكون. والفاعل نحن. ﴿**عنه**﴾ متعلق بنكفّر. ﴿**سيآته**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. . ﴿**وندخله**﴾ معطوف على نكفر. والضمير فيه مفعول أول. والفاعل نحن. ﴿**جنات**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل. ﴿**خالدين**﴾ حال من الضمير المفعول في ندخله. . ﴿**فيها**﴾ متعلق بخالدين. وكذلك ﴿**أبداً**﴾. وجملة تجري من تحتها

الأنهار نعت لجنات. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**الفوز**﴾ خبره. ﴿**العظيم**﴾ نعت للفوز. ﴿**والذين**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وكذبوا**﴾ معطوف على كفروا. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدَأ ثانٍ. ﴿**أصحاب**﴾ خبره. ﴿**النار**﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿**خالدين فيها**﴾ مثل خالدين السابقة. وجملة المبتدإ الثاني وخبره خبرُ المبتدإ الأول. وجملة والذين كفروا الخ.. معطوفة على الجمل التي سبقتها. ﴿**وبئس المصير**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ما أصاب**﴾ فعل ماض منفي بما. ﴿**من مصيبة**﴾ فاعل مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿**إلا بإذن**﴾ متعلق بأصاب.. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى إذن.

﴿**ومن يؤمن**﴾ نظير ما سبق. ﴿**بالله**﴾ متعلق بيؤمن. ﴿**يهد**﴾ جواب الشرط مجزوم بحذف الياء. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**قلبه**﴾ مفعول به. ﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**بكل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عليم**﴾ خبر المبتدإِ. والجملة تذييل. ﴿**وأطيعوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**الله**﴾ معمول أطيعوا. ﴿**وأطيعوا الرسول**﴾ معطوف على ما قبله.. ﴿**فإن توليتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط وفاء التعقيب. ﴿**فإنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**على رسولنا**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**البلاغ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**المبين**﴾ نعت للبلاغ. وجملة فإنما على رسولنا البلاغ المبين جواب شرط إنْ. والفاء رابط. ﴿**الله**﴾ مبتدَأ. ﴿**لا إله**﴾ لا واسمها. ﴿**إلا هو**﴾ خبرها. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**وعلى الله**﴾ متعلق بقوله ﴿**فليتوكل المؤمنون**﴾ فعل وفاعل. والفعل مجزوم بلام الأمر. والفاء للتعقيب. ﴿**يا أيها الذين آمنوا.. إن من أزواجكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**وأولادكم**﴾ معطوف على أزواجكم. ﴿**عدواً**﴾ اسم إنّ مؤخر. ﴿**لكم**﴾ متعلق بـ «عدواً». ﴿**فاحذروهم**﴾ أمر موجه إلى الذين آمنوا والفاء للتعقيب. ﴿**وإن تعفوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه إن الشرطية الجازمة. ﴿**وتصفحوا.. وتغفروا**﴾ معطوفان على تعفوا. ﴿**فإنّ الله**﴾ إن واسمها. ﴿**غفور رحيم**﴾ خبرها. والجملة نائب مناب جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**إنما**﴾ مثل ما سبق في قوله: إنما على رسولنا البلاغ المبين. ﴿**أموالكم**﴾ مبتدأ. ﴿**وأولادكم**﴾ معطوف على أموالكم. ﴿**فتنة**﴾ خبر المبتدإِ. ﴿**والله**﴾ مبتدأ أول. ﴿**عنده**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أجر**﴾ مبتدَأ ثان مؤخر. ﴿**عظيم**﴾ نعت لأجر. وجملة المبتدإ الثاني وخبره خبر المبتدإ الأول. ﴿**فاتقوا**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**الله**﴾ معمول اتقوا. والفاء

للتعقيب. ﴿**ما**﴾ مصدرية ظرفية. ﴿**استطعتم**﴾ فعل وفاعل. وما دخلت عليه في تأويل مصدر مضاف إلى المصدر متعلق باتقوا. والتقدير: اتقوا الله مدة استطاعتكم. ﴿**واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا**﴾ معطوفات على اتقوا.

﴿**خيراً**﴾ مفعول بفعل محذوف معطوف مثل ما سبقه. أي: وأتوا خيراً. ﴿**لأنفسكم**﴾ متعلق بـ «خيراً». ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يوق**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بحذف حرف الألف. ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**شح**﴾ مفعول به. ﴿**نفسه**﴾ مضاف إلى شح. ﴿**فأولئك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**المفلحون**﴾ خبر المبتدإ. وجملة المبتدإ والخبر جواب شرط مَنْ. والفاء رابط. ﴿**إن تقرضوا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إن الشرطية الجازمة. ﴿**قرضاً**﴾ اسم مصدر ومفعول مطلق. ﴿**حسناً**﴾ نعت له. ﴿**يضاعفه**﴾ جواب الشرط مجزوم بالسكون. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**لكم**﴾ متعلق بيضاعفه. ﴿**ويغفر لكم**﴾ معطوف على «يضاعفه لكم» ﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**شكور حليم**﴾ خبران. والجملة تذييل. ﴿**عالم**﴾ خبر لمبتدإ مقدر: هو عالم. ﴿**الغيب**﴾ مضاف إلى اسم الفاعل. ﴿**والشهادة**﴾ معطوف على الغيب. ﴿**العزيز الحكيم**﴾ خبر ثان وثالث.

مبحث الأسلوب البلاغي

وجه اتصال هذه السورة بما قبلها أن الله سبحانه ذكر هناك حال المنافقين وخاطب بعدُ المؤمنين.. فذكر هنا تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر.. ثم في آخر السورة السابقة ﴿**لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**﴾ وفي آخر هذه السورة ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ ويأتي في هذه السورة نموذج من الكافرين والمؤمنين في خطاب مباشر للعرب الذين هم محور الكلام بعد ذكر أهل الكتاب والمنافقين منهم ومن العرب من أول سورة الحديد إلى آخر سورة المنافقون. وهي السورة الثانية التي يأتي التسبيح فيها بالفعل المضارع دلالة على الاستمرار: ﴿**يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض..**﴾ وقد أتى التسبيح في سورتي الحديد والحشر بالماضي.. وفي سورة الإسراء بالمصدر ـ سبحان ـ؛ ليشمل الاشتقاق الكامل: سبّح يسبح سبحان. ولما كان المصدر هو أصل الاشتقاق جاء ذكره أولاً، ونهاية الاشتقاق فعل الأمر «يسبّحْ». وسيأتي في سورة الأعلى. ﴿**له**

الملك﴾: في هذه الجملة حصر الملك والحكم والسلطان والتصرف لله الذي يسبح له كل ما في السماوات وما في الأرض!.. **﴿وله الحمد﴾**: المالك لكل شيء يستحق الحمدَ وحده من كل شيء. **﴿وهو على كل شيء قدير﴾**: تذييل مقرر لمضمون ما سبقه.. **﴿هو الذي خلقكم﴾**: أنشأكم على كيفية الاختيار الكامل بين الكفر والإيمان.. **﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن..﴾** فالنص يبين حقيقة الإنسان التي تقتضي أن يكون مؤمناً لا كافراً..

ففي النص توبيخ وتقريع لكل كافر من بني الإنسان!!.. فجملة **﴿والله بما تعملون بصير﴾** تذييل مقرر لمضمون ما يقتضيه الكفر من الوعيد الشديد، وما يقتضيه الإيمان من الوعد المفيد. **﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾**: كلام مستأنف يقرر في نفس السامع الحقيقة الأولى في بناء الكون.. كما يقرر حقيقة ثانية يلمسها المخاطب في كيانه: **﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾**!.. فهي صورة يجتمع فيها الجمال إلى الكمال!.. ثم يقرر النص حقيقة ثالثة: **﴿وإليه المصير..﴾** فليستعد المؤمن لهذا المصير الذي يقتضي الحذر من التقصير!: **﴿يعلم ما في السماوات والأرض.. ويعلم ما تسرون وما تعلنون.. والله عليم بذات الصدور..﴾** فكل جملة من هذه الجمل الثلاث أخص مما قبلها.. فعلم الله بما في ذات الصدور أخص من علمه بما يسرون وما يعلنون. وعلمه بما يسرون وما يعلنون أخص من علمه بما في السماوات والأرض.. ففي الآيات الثلاث هذه تذكرة للإنسان، وتبصرة للمؤمن ليعيش بها مدركاً لحقيقة وجوده ووجود الكون كله، وصلته بخالقه، وأدبه مع ربه. وخشيته وتقواه، في كل حركة وفي كل اتجاه. **﴿ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل؟!.. فذاقوا وبال أمرهم..﴾** توجيه الاستفهام إلى المخاطبين من كفار مكة تذكير لهم بمصائر الغابرين من المكذبين المعترضين على بشرية الرسل؛ كما كان كفار مكة يكذبون ويعترضون على بشرية الرسول محمد ﷺ ويكفرون بما جاءهم به من البينات. ويضيف النص إلى المعروف من مآلهم في الدنيا ما ينتظرهم هنالك في الآخرة: **﴿ولهم عذاب أليم﴾**!!.. ثم يكشف عن السبب الذي استحقوا به ما نالهم وما ينتظرهم: **﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات.. فقالوا: أبشر يهدوننا﴾**؟!.. فمن هذا حصل ما حصل لهم من نكال الدنيا والآخرة: **﴿فكفروا وتولوا..﴾** فأصابهم ما أصابهم!!.. فليس لله حاجة في إيمانهم: **﴿واستغنى الله.. والله غني حميد..﴾**

فهذا نبأ الذين كفروا من قبل.. فذاقوا وبال أمرهم.. وهذا سبب ما ذاقوا وما ينتظرهم.. فكيف يكذب بعد هذا النبإ مكذبون جدد؟!.. أَلِيَلْقُوا مصيراً كذلك المصير؟!.. ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا**﴾: بيان لموقف الذين كفروا من أمر البعث؛ وفي مقدمتهم كفار مكة.. فيوجه الله تعالى رسوله إلى توكيد أمر البعث بأوثق توكيد؛ وهو أن يَحْلِفَ بربه. وليس بعد قسم الرسول بربه توكيد: ﴿**قل: بلى وربي لتبعثن.. ثم لتنبؤنّ بما عملتم!!.. وذلك على الله يسير**﴾!!..

ثم في ظل هذا التوكيد الوثيق يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله والنور الذي أنزله مع رسوله: ﴿**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا..**﴾ فإذا كان الأمر كذلك: آمنوا بالله ورسوله محمد.. والنور الذي أنزلنا القرآن الموضح لكل شيء.. وجملة ﴿**والله بما تعملون خبير**﴾ تذييل مقرر لما قبله من الأمر، موجب للامتثال به بالوعد والوعيد. وذكر اسم الله فيه لتربية المهابة، وتأكيد استقلال الجملة. وبعد هذه الدعوة يعود السياق إلى استكمال مشهد البعث الذي أكده لهم أوثق توكيد: ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن..**﴾ ففي مشهد من هذا الجمع يكون التغابن!. والتغابن مفاعلة من الغبن. وهو تصوير لما يقع من فوز المؤمنين بالنعيم، وحرمان الكافرين من هذا النعيم.. ثم صيرورتهم إلى الجحيم!.. فهذا تغابن بهذا المعنى المصور المتحرك. ثم يفسر هذا التغابن؛ ويبين مَنْ هو المغبون ومَنْ هو الفائز: ﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً نكفر عنه سيئاته وندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.. ذلك الفوز العظيم.. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير**﴾. وقبل أن يكمل النص نداءه إليهم بالإيمان يقرر قاعدة من قواعد التصور الإيماني في القدر، وفي أثر الإيمان بالله في هداية القلب: ﴿**ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله.. ومن يؤمن بالله يهد قلبه.. والله بكل شيء عليم..**﴾ ثم يتابع السياق دعوة المخاطبين إلى الإيمان.. فيدعوهم إلى طاعة الله وطاعة الرسول: ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول.. فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين..**﴾ فجملة فإنما على رسولنا البلاغ المبين، تعليل للجواب المقدر. وإظهار الرسول مضافاً إلى نون العظمة ـ رسولنا ـ في مقام إضماره.. لتشريف الرسول.. والإشعار بمدار الحكم، الذي هو كون وظيفته مَحْضَ البلاغ.. ولزيادة تشنيع التولي عنه.. ثم يختم السياق هذا المقطع بتقرير حقيقة الوحدانية التي ينكرونها

ويكذبونها.. ويقرر شأن المؤمنين بالله في تعاملهم مع الله: ﴿**الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون..**﴾.

وبهذه الآية يدخل السياق في خطاب المؤمنين.. فهي وصلة بين ما مضى من السورة وما يجيء: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم.. فاحذروهم..**﴾ فهذا تحذير وتنبيه للمؤمن إلى أن من الأزواج والأولاد من يكون مخالفاً.. فهو يشير إلى حقيقة عميقة في النفس البشرية. ويمس وشائج متشابكة دقيقة في التركيب العاطفي.. فمن هذا اقتضت هذه الحال المعقدة المتشابكة التحذير من الله تعالى لإنارة اليقظة في قلوب الذين آمنوا، والحذر من تسلل هذه المشاعر وضغط هذه المؤثرات.. فجُمَلُ ﴿**وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم**﴾ تحريض على التغلب على ما تُثيره مخالفة الأزواج والأولاد.. ثم كرر السياق هذا التحذير في صورة أخرى من فتنة الأموال والأولاد: ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة..**﴾ فهو اختبار ينبغي التنبيه عليه.. حتى تكون الأموال والأولاد معينة للمؤمن في الصلاح والسداد.. فمن هذا يلوح السياق لما عند الله ممن هو خير من الأموال والأولاد: ﴿**والله عنده أجر عظيم**﴾!.. ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم.. واسمعوا.. وأطيعوا.. وأنفقوا.. خيراً لأنفسكم.. ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون..**﴾ فهذه الأوامر تعقيب على ما سبق من التحذير والتحريض.. ثم تكون النتيجة بعد هذا: ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون!.. ثم يمضي السياق في إغراء المؤمنين بالبذل وتَحْبِيبِهم في الإنفاق.. فيسمى إنفاقهم قرضاً لله: ﴿**إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم**﴾!.. ثم يُختم الكلام ويربط بأول آية من آيات سورة الحديد. وهي أول هذه السور التي سبح الله فيها ويُسبح: ﴿**عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم**﴾!.. فما أوقع هذا الختام! وما أبلغ هذا الربط بالبدء والختام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**﴾: موضوع هذه السورة موضوع واحد.. وهو بيان الفرق بين المؤمن والكافر؛ وبيان وصف كل واحد منهما وموقفه.. فالمقطع الأول في بداية السورة يستهدف بناء التصور الإيماني الكوني؛ وعرض حقيقة الصلة بين الخالق

ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا الكون الذي خلقه.. فهذا التصور الكوني الإيماني هو أدق وأوسع تصور عرفه المؤمنون في تاريخ العقيدة.. فهذا متّفِق مع طبيعة الرسالة ومهمتها الأخيرة؛ ومع الرشد البشري الذي جاءت هذه الرسالة لتخاطبه وتوجهه، وتنشيء فيه هذا التصور الشامل الكامل بكل مقتضياته وفروعه وآثاره.. فكل ما في السماوات والأرض متوجه إلى ربه مسبح بحمده. والله مالك كل شيء.. والله محمود بذاته ممجد من مخلوقاته.. وهو على كل شيء قدير.. فهي القدرة المطلقة التي لا تتقيد بقيد.. فهذا التصور لقدرة الله تعالى، وتسبيح كل شيء له، وتوجه الوجود إليه بالحمد.. هو طرف من ذلك التصور الإيماني الكبير..

واللمسة الثانية في صميم القلب الإنساني، الذي يقف في خضم الوجود المؤمن المسبح بحمد الله. يقف هذا الإنسان مؤمناً تارة، وكافراً تارة أخرى!. وهو وحده الذي يقف هذا الموقف الفريد: ﴿**هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن..**﴾ فعن إرادة الله تعالى وعن قدرته صدر هذا الإنسان.. وأُودع إمكان الاتجاه إلى الكفر وإمكان الاتجاه إلى الإيمان.. وتميز بهذا الاستعداد المزدوج من بين خلق الله.. ونيطَتْ به أمانة الإيمان بحكم هذا الاستعداد.. فهي أمانة ضخمة وتبعة هائلة!.. ولكن الله كرم هذا المخلوق فأودعه القدرة على التمييز. والقدرة على الاختيار.. وأمده بعد ذلك بالميزان الذي يزن به عمله ويقيس به اتجاهه.. وهو الدّين الذي نزّله الله على رسله.. فأعانه بهذا كله على حمل هذه الأمانة.. فلم يظلمه شيئاً!.. والله بما تعملون بصير.. فهو رقيب على هذا الإنسان فيما يعمل.. يصير بحقيقة نيته واتجاهه.. فليعمل إذنْ وليحذر هذا الرقيب البصير. وهذا التصور لحقيقة الإنسان وموقفه هو طرف من التصور الإسلامي الواضح المستقيم لموقف الإنسان في هذا الوجود، واستعداداته وتبعاته أمام الله خالق الوجود. واللمسة الثالثة تشير إلى الحق الأصيل الكامن في طبيعة الوجود، الذي تقوم به السماوات والأرض؛ كما تشير إلى صنعة الله المبدعة في كيان المخلوق الإنساني.. وتقرر رجعة الجميع إلى الله في نهاية المطاف: ﴿**خلق السماوات والأرض بالحق، وصوركم فأحسن صوركم، وإليه المصير..**﴾ فاستقرار هذه الحقيقة في حس المؤمن يمنحه الطمأنينة والثقة في الحق الذي يقوم عليه دينه، ويقوم عليه الوجود من حوله.. والحقيقة الثانية تشعر الإنسان المؤمن بكرامته على الله وبفضل الله عليه في تحسين صورته: صورته الخِلْقِية وصورته الشعورية..

فالإنسان هو أكمل الأحياء في الأرض من ناحية تكوينه الجثماني، كما أنه أرقاها من ناحية تكوينه الشعوري واستعداداته الروحية ذات الأسرار العجيبة! . . فمن هذه الأسرار وكلت إليه خلافة الأرض.

وفي النهاية: إليه المصير! . . واللمسة الرابعة في هذا المقطع هي تصوير العلم الإلهي المحيط بكل شيء، المطلع على سر الإنسان وعلانيته، وعلى ما هو أخفى من السر: ﴿**يعلم ما في السماوات والأرض، ويعلم ما تسرون وما تعلنون، والله عليم بذات الصدور. .**﴾ فاستقرار هذه الحقيقة في القلب المؤمن يفيده المعرفة بربه. . فيعرفه بحقيقته، ويمنحه جانباً من التصور الإيماني الكوني. . ويؤثّر في مشاعره واتجاهاته. . فيحيا حياة الشاعر بأنه مكشوف كله لعين الله. . فليس له سر يخفى على الله. . وليس له نية غائرة في الضمير لا يراها الله، وهو العليم بذات الصدور. والمقطع الثاني في السورة يُذكّر بمصير الغابرين من المكذبين بالرسل والبينات المعترضين على بشرية الرسل؛ كما كان المشركون يكذبون ويعترضون على بشرية الرسول «محمد» ﷺ ويكفرون بما جاءهم به من البينات: ﴿**ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل؟! . . فذاقوا وبال أمرهم. .**﴾ فالخطاب هنا أولاً لمشركي مكة. . فهو تذكير لهم بعاقبة المكذبين، وتحذير لهم من مثل هذه العاقبة. . ثم يضيف النص إلى المعروف من مآلهم في الدنيا ما ينتظرهم في الآخرة: ﴿**ولهم عذاب أليم**﴾! . . ثم يكشف عن السبب الذي استحقوا به ما نالهم وما ينتظرهم: ﴿**ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات. . فقالوا: أبشر يهدوننا**﴾؟! . . فهذا هو الاعتراض ذاته الذي يعترضه المشركون على الرسول. . واعترضه قوم صالح. . «فقالوا: أبشراً منا واحداً نتبعه؟! . .» فهو اعتراض ناشىء عن الجهل بطبيعة الرسالة، وكونها منهجاً إلَهياً للبشر. . فلا بد أن تتمثل واقعياً في بشر يحيا بها، ويكون بشخصه ترجماناً لها. . فيصوغ الآخرون أنفسهم على مثاله بقدر ما يستطيعون. . فلا ينعزل الرسول عنهم بجنسه. . فيتعذر أن يجدوا للرسالة صورة واقعية يحاولون تحقيقها في ذوات أنفسهم، وفي حياتهم ومعاشهم. . وناشىء كذلك من الجهل بطبيعة الإنسان ذاته ورفعة حقيقته بحيث يتلقى رسالة السماء ويبلغها بدون حاجة إلى أن يحملها إلى الناس ملَك؛ كما كانوا يقترحون. .

ففي الإنسان تلك النفخة من روح الله، وهي تهيئة لاستقبال الرسالة من الله،

وأدائها كاملة كما تلقاها من الملإ الأعلى. وهي كرامة للجنس البشري كله لا يرفضها إلا جاهل بقدر هذا الإنسان عند الله.. وناشىء في النهاية من التعنت والاستكبار الكاذب عن اتباع رسول من البشر!.. فكأنّ في هذا إغضاء من قيمة هؤلاء الجهال المتكبرين!.. فجائز في عرفهم أن يتبعوا رسولاً من خلق آخَر غير جنسهم بلا غضاضة!. أما أن يتبعوا واحداً منهم فهي في نظرهم حطّة وقلة قيمة!. ومن هذا كفروا وتولوا معرضين عن الرسل وما معهم من البينات. ووقفت في صدورهم هذه الكبرياء وذلك الجهل.. فاختاروا لأنفسهم الشرك والكفر: ﴿**فكفروا وتولّوا.. واستغنى الله..**﴾ فاستغنى الله عنهم وعن إيمانهم وعن طاعتهم. وما هو بمحتاج إلى شيء منهم ولا من غيرهم، ولا بمحتاج أصلاً: ﴿**والله غني حميد..**﴾ والمقطع الثالث بقية للمقطع الثاني يحكي تكذيب الذين كفروا بالبعث. وظاهر أن الذين كفروا هم المشركون الذين كان الرسول يواجههم بالدعوة.. وفيه توجيه للرسول أن يؤكد لهم أمر البعث توكيداً وثيقاً. وتصويراً لمشهد القيامة ومصير المكذبين والمصدقين فيه.. ودعوة لهم إلى الإيمان والطاعة ورد كل شيء لله فيما يقع لهم في الحياة: ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا..**﴾ منذ البدء يسمى النصُّ مقالةَ الذين كفروا عن عدم البعث زَعْماً...

فيقضي بكذبه من أول لفظ في حكايته.. ثم يوجه الرسول إلى توكيد أمر البعث بأوثق توكيد؛ وهو أن يحلف بربه. وليس بعد قسم الرسول بربه توكيد: ﴿**قل: بلى.. وربي لتبعثن!.. ثم لتنبؤنّ بما عملتم..**﴾ فليس شيء منه بمتروك. والله أعلم منهم بعملهم.. حتى لينبئهم به يوم القيامة!: ﴿**وذلك على الله يسير**﴾. وفي ظل هذا التوكيد الوثيق يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله والنور الذي أنزله مع رسوله: ﴿**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا..**﴾ فهو هذا القرآن. وهو نور في حقيقته.. وهو نور في آثاره إذ يثير القلب.. فيشرق بذاته، ويبصر الحقيقة الكامنة فيه: هو ذاته!.. ويعقب على دعوتهم إلى الإيمان بما يشعرهم أنهم مكشوفون لعين الله لا يخفى عليه منهم شيء: ﴿**والله بما تعملون خبير**﴾. وبعد هذه الدعوة يعود إلى استكمال مشهد البعث الذي أكده لهم أوثق توكيد: ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع، ذلك يوم التغابن..**﴾ فما أنه يوم الجمع فلأنّ جميع الخلائق من إنس وجن وملائكة يجتمعون فيه وعددهم لا يعلمه إلا الله.. وفي مشهد من هذا الجمع يكون التغابن..

فهو تصوير لما يقع في هذا اليوم من فوز المؤمنين بالتنعيم.. وخسارة الكافرين ومصيرهم إلى الجحيم.. ثم يفسر السياق هذا التغابن العظيم: ﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً نكفر عنه سيئاته وندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، ذلك الفوز العظيم. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها، وبئس المصير**﴾!.. ﴿**ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله؛ ومن يؤمن بالله يهد قلبه**﴾: هذا جانب ضخم من التصور الإيماني الذي ينشئه الإسلام في ضمير المؤمن.. فيحسّ يدَ الله في كل حدث، ويرى يدَ الله في كل حركة، ويطمئن قلبه لما يصيبه من الضراء ومن السراء، يصبر للأولى ويشكر للثانية. وفي الحديث المتفق عليه: «عجباً للمؤمن! لا يقضي الله قضاء إلا كان خيراً له. إن أصابته ضراء صبر.. فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر.. فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن». ومن ثَمّ يكون التعقيب عليها: ﴿**والله بكل شيء عليم..**﴾ فهي هداية إلى شيء من علم الله، يمنحه لمن يهديه حين يصح إيمانه.. فيستحق إزاحة الحجب وكشف الأسرار بمقدار. ويتابع النص دعوتهم إلى الإيمان.. فيدعوهم إلى طاعة الله وطاعة الرسول: ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول.. فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين..**﴾ فقد عرض عليهم من قبل مصير الذين تَوَلّوْا.. وهنا يقرر لهم أن الرسول مبلغ.. فإذا بلّغ فقد أدى الأمانة، ونهض بالواجب، وأقام الحجة.. وبقي ما ينتظرهم هم من المعصية والتولي مما ذُكّروا به منذ قليل.. ثم يختم هذا المقطع بتقرير حقيقة الوحدانية التي ينكرونها ويكذبونها.. ويقرر شأن المؤمنين بالله في تعاملهم مع الله: ﴿**الله لا إله إلا هو، وعلى الله فليتوكل المؤمنون..**﴾ فحقيقة التوحيد هي أساس التصور الإيماني كله. ومقتضاه أن يكون التوكل عليه وحده.. فهذا هو أثر التصور الإيماني في القلوب. وفي النهاية يوجه السياق الخطابَ إلى المؤمنين يحذرهم فتنة الأزواج والأولاد والأموال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم.. فاحذروهم، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم. إنما أموالكم وأولادكم فتنة..**﴾ فهذا التحذير والتنبيه إلى أن من الأزواج والأولاد من يكون عدواً.. فالأزواج والأولاد قد يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله.. فيكونون دافعاً للتقصير في تبعات الإيمان.. فيكونون عدواً له؛ لأنهم صدوه عن الخير.. أو قد يكونون في طريق غير طريقه، ويعجز هو عن المفاصلة بينه

وبينهم.. فتحصل المخالفة الطبيعية بين الإنسان والإنسان!.. فهذه وتلك مما يقع في حياة المؤمن في كل آنٍ!.

وإن التحذير والتنبيه في هذه الأمور لضرورة يُقَدِّرَها من خلق قلوب الناس وأودعها هذه المشاعر لتكفكف نفسها عن التمادي والإفراط.. وهي تعلم أن هذه الوشائج الحبيبة قد تفعل بها ما يفعل العدو. ومن ثَمّ يلوح لها النص بما عند الله بعد التحذير من فتنة الأموال والأولاد: ﴿**والله عنده أجر عظيم**..﴾ ويهتف للذين آمنوا بتقوى الله في حدود الطاقة والاستطاعة وبالسمع والطاعة: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا**..﴾ ثم يهيب بهم إلى الإنفاق: ﴿**وأنفقوا خيراً لأنفسكم**..﴾ فهم ينفقون ويفعلون الخير لأنفسهم.. فيجعل ما ينفقونه كأنّه نفقة مباشرة لذواتهم، ويعدها الخير لهم حين يفعلون.. ثم يريهم شح النفس بلاء ملازماً.. فالسعيد السعيد من يخلص منه ويُوقاه؛ والوقاية منه فضل من الله: ﴿**ومن يوق شح نفسه، فأولئك هم المفلحون**..﴾ ثم يمضي في إغرائهم بالبذل وتحبيبهم في الإنفاق.. فيسمى إنفاقهم قرضاً لله. ﴿**إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور رحيم**..﴾ فمن ذا الذي لا يربح هذه الفرصة التي يقرض فيها مولاه؟!.. وهو يأخذ القرض.. فيضاعفه ويغفر به، ويشكر المقرض، ويحلم عليه حين يقصر في شكره وهو الله!. ويختم السياق هذه الجولة بعد هذا الإيقاع العجيب بأسماء الله التي بها الاطلاع والرقابة على القلوب: ﴿**عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم**..﴾ فكل شيء مكشوف لعلم الله.. وكل شيء خاضع لسلطانه.. وكل شيء مُدبَّر بحكمته.. لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

8 - أظهر ما في سورة الطلاق حكم الطلاق وما يتعلق به من عدة ورضاع وإنفاق



النص

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا (1) فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا (2) وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا (3)

ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**يا أيها النبئ**﴾: نداء بالخطاب إلى النبئ محمد ﷺ، ﴿**إذا طلقتم النساء**﴾: الخطاب موجَه إلى المؤمنين والمعنى: إذا أردتم تطليق أزواجكم وعزمتم عليه ﴿**فطلقوهن لعدتهن**﴾: مستقبلات لها؛ بأن يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع.. ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن. وهذا هو الطلاق السني. ﴿**وأحصوا العدة**﴾: اضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة قروء.. ﴿**واتقوا الله ربكم**﴾: اجعلوا بينكم وبين مخالفة أمر ربكم وقاية تمنعون بها أنفسكم من المحذور! ﴿**لا تخرجوهن من بيوتهن**﴾: لا تخرج المرأة المطلقة طلاقاً رجعياً قهراً من البيت الذي كانت تسكنه قبل الطلاق. وهو بيت الزوجية. ﴿**ولا يخرجن**﴾: لا يخرجن بإرادتهن دون قهر.. ﴿**إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**﴾: إذا حصل من بقائها في بيت الزوجية ضرر منها بيّن واضح فليس لها حق في البقاء. ﴿**وتلك حدود الله**﴾: وهذه الأحكام حدود الله الفاصلة بين المشروع والممنوع.

﴿**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه.. لا تدري**﴾: لا تعلم أيها المخاطب حكمة هذه الأحكام: ﴿**لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً..**﴾ فهذا الأمر الذي يحدثه الله في نفس المطلق هو الندم على ما فعل والرجوع عنه إلى ما كان عليه الأمر من قبل.. ﴿**فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف**﴾: فإذا وصلت المطلقة وقربت من انتهاء عدتها فالزوج بالخيار في إمساكها بمعروف أو طلاقها بمعروف بأن يحسن إذا أمسك وأن يَفِيَ بحقها إذا فارق. ﴿**وأشهدوا ذوي عدل منكم**﴾: ويشهد على هذا ـ الإمساك والفراق ـ شاهدان عدلان من المسلمين.. حتى تنضبط الأمور وتستقيم: ﴿**وأقيموا الشهادة لله..**﴾ فالأمر هنا موجه إلى الشهود؛ بأن يقيموا شهادتهم خالصة لله دون غرض آخر.. ﴿**ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾: هذه قاعدة عامة مهمة جاءت متداخلة في هذه الأحكام التي ذكرت في هذه السورة تحرض على ما فيها من خير، وتحذر عما فيها من ضرر.. فالمعنى: ومن يتق الله بامتثال أمره واجتناب نهيه في كل ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجاً ومخلصاً من كل ما يصيبه من ضرر.. ويرزقه من حيث لا

يدري: كيف حضر؟!.. **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**: التقوى مدخل التوكل. والتوكل: تفويض الأمر إلى الله بعد مراقبته وتقواه! **﴿إن الله بالغ أمره﴾**: يفعل ما يشاء فيما حكم به وقضاه: **﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً..﴾** **﴿واللائى يئسن من المحيض من نسائكم - إن ارتبتم - فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن﴾**: عدة اليائس من الحيض لكبر أو لصغر ثلاثة أشهر قمرية.. **﴿وأولات الأحمال أجلُهن أن يضعن حملهن﴾**: والمرأة الحامل عدتها وضع حملها.. ولو بمدّة قصيرة بعد الطلاق أو الموت. **﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾**: كرر الشرط حثاً على أمر التقوى بما فيها وما إليها من فوائد ومنافع: **﴿ذلك أمر الله أنزله إليكم.. ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾**: كرر الشرط للمرة الثالثة خلاصة للتقوى ابتداء وختاماً.. **﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾**: تسكن الزوجة المطلقة طلاقاً رجعياً حيث يسكن زوجها كيف كانت حاله.. **﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾**: يُنْهَى الأزواج المطلقون عن مضار المطلقة ومضايقتها لتخرج من بيت الزوج. **﴿وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾**: حكم نفقة المطلقة الحامل يستمر حتى تضع حملها مع السكنى.. **﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾**: زيادة على السكنى والنفقة أجرة الرضاع.. **﴿وأتمروا بينكم بمعروف﴾**: تشاوروا فيما بينكم من أمر الرضاع بمعروف دون عنت وتضييق..

﴿وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾: وإن تعاسرتم في أمر الرضاع فسترضع له أخرى غير أمه.. **﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾**: قدر النفقة قدر جهد الزوج: إن كان موسراً فلينفق على قدره.. **﴿ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾** على قدر حاله!: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها.. سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾**: تطييب لخاطر الفقير.. فالفقر لا يدوم؛ كما أن الغنى قد يعقبه الفقر.. **﴿وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً.. فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً: أعد الله لهم عذاباً شديداً﴾**!!.. فهذا وعيد شديد وتهديد خطير لكل من يعرض عن الإسلام عتواً واستكباراً من كل قرية وفي كل مكان وزمان.. **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم!!﴾** **﴿فاتقوا الله يا أولى الألباب﴾**: اتقوا الله في أمره ونهيه يا أصحاب العقول الراجحة: **﴿الذين آمنوا.. قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾**: رسولاً..

فالذكر الذي أنزله الله ذكر لكم أيها المؤمنون! والرسول الذي أرسل إليكم شرف وأيُّ شرف؟!. . ﴿**يتلو عليكم آيات الله مبينات**﴾: آيات الذكر الواضحة الدالة على الفوز والنجاح والفلاح: ﴿**ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور. . ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، قد أحسن الله له رزقاً**﴾: هذا وعد لمن عمل بشريعة الله وأقام حدود الله واستقام على منهج الله، مقابل الوعيد الذي وعد به المعرضون المستكبرون الخارجون عن حدود الله الرافضون لأحكام الله. . ﴿**الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن**﴾: السماوات السبع من عالم الغيب. . والأرض من عالم الشهادة. والله سبحانه وتعالى ربط بين السماوات والأرض برباط الوحي المنزل من الله: ﴿**لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً. . .**﴾.

مبحث الإعراب

﴿**يا أيها النبئ**﴾ النبئ نعت لأي باعتبار لفظها. ﴿**إذا طلقتم النساء**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إذا الشرطية. ﴿**فطلقوهن**﴾ أمر موجه إلى النبي والمؤمنين. . وضمير النسوة المتصل بالفعل مفعول به، والجملة جواب شرط إذا. ﴿**لعدتهن**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وأحصوا**﴾ أمر معطوف على الأمر السابق. ﴿**العدة**﴾ مفعول به. ﴿**واتقوا**﴾ أمر كذلك. . ﴿**الله**﴾ معمول الأمر. ﴿**ربكم**﴾ نعت لله. ﴿**لا تخرجوهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**من بيوتهن**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ولا يخرجن**﴾ فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم بلا. . ونون النسوة في محل رفع فاعل. ﴿**إلا أن يأتين**﴾ فعل وفاعل. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بلا يخرجن. والتقدير: ولا يخرجن في أي حال من الأحوال إلا في حال إتيانهن ﴿**بفاحشة**﴾ متعلق بيأتين. ﴿**مبينة**﴾ نعت لفاحشة ﴿**وتلك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**حدود**﴾ خبره. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى حدود. ﴿**ومن يتعد**﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف الألف فعل الشرط. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**حدود**﴾ مفعول به. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى حدود. ﴿**فقد ظلم**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**نفسه**﴾ مفعول به. وجملة فقد ظلم نفسه جواب شرط مَنْ.

والفاء رابط لوجود قَدْ. ﴿**لا تدري**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير المخاطب. والجملة مستأنفة. ﴿**لعل الله**﴾ لعل واسمها. ﴿**يحدث**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة خبر لعل. وجملة لعل واسمها وخبرها في محل نصب مفعول ﴿**لا تدري**﴾ ﴿**بعد**﴾ متعلق بيحدث. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى بعد. ﴿**أمراً**﴾ مفعول به. ﴿**فإذا بلغن أجلهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول. فعل شرط إذا. والفاء للتعقيب. ﴿**فأمسكوهن**﴾ جملة الأمر جواب شرط إذا. ﴿**بمعروف**﴾ متعلق بالأمر قبله. ﴿**أو فارقوهن بمعروف**﴾ معطوف على الأمر قبله. وهو مثله في الإعراب. ﴿**وأشهدوا**﴾ معطوف على ما قبله من الأمر بالإمساك أو الفراق. ﴿**ذوي**﴾ مفعول به منصوب بالياء. ﴿**عدل**﴾ مضاف إلى ذوي. ﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف حال من ذوي عدل. ﴿**وأقيموا**﴾ أمر موجه إلى الشهود. ﴿**الشهادة**﴾ مفعول به. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف حال من الشهادة. ﴿**ذلكم**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**يوعظ**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول.

﴿**به**﴾ متعلق به. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول نائب الفاعل. ﴿**كان**﴾ فعل ماض ناقص. واسمها ضمير يعود على مَنْ. ﴿**يؤمن**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. والجملة خبر كان. وجملة كان يؤمن صلة الموصول. ﴿**بالله**﴾ متعلق بيؤمن. ﴿**واليوم**﴾ معطوف على الله. ﴿**الآخر**﴾ نعت ليوم. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يتّق**﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف الياء. والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**الله**﴾ معمول يتق. ﴿**يجعل**﴾ جواب الشرط مجزوم بالسكون. والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. ﴿**له**﴾ متعلق بيجعل. ﴿**مخرجاً**﴾ مفعول به. ﴿**ويرزقه**﴾ معطوف على يجعل. والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من حيث**﴾ متعلق بيرزقه. ﴿**لا يحتسب**﴾ فعل مضارع منفي بلا. والفاعل ضمير يعود على من. وجملة لا يحتسب مضاف إلى حيث. ﴿**ومن يتوكل**﴾ معطوف على من يتق. . ﴿**على الله**﴾ متعلق بيتوكل. ﴿**فهو**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**حسبه**﴾ خبره. والجملة جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**إن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**بالغ**﴾ خبر إنّ. ﴿**أمرَه**﴾ مفعول باسم الفاعل. ﴿**قد جعل الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**لكل**﴾ متعلق بجعل. ﴿**شيءٍ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قدراً**﴾ مفعول به. ﴿**واللائى**﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدَأ. ﴿**يئسن**﴾ فعل وفاعل. والجملة صلة الموصول. ﴿**من المحيض من نسائكم**﴾ متعلقان بيئسْن. ﴿**إن ارتبتم**﴾ جملة

شرطية. وجوابها محذوف. وهي جملة معترضة لا محل لها من الإعراب. ﴿**فعدتهن**﴾ مبتدأ. ﴿**ثلاثة**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أشهر**﴾ مضاف إلى ثلاثة. والجملة من المبتدإ والخبر خبر المبتدإ ـ اللائى ـ وقرنت بالفاء لشبهها بالشرط. ﴿**واللائى.. لم يحضن**﴾ مبني على السكون في محل جزم بلم. ونون النسوة فاعل. وجملة لم يحضن صلة اللائى. والخبر محذوف يدل عليه قوله: فعدتهن ثلاثة أشهر.. ﴿**وأولات**﴾ مبتدَأ. ﴿**الأحمال**﴾ مضاف إلى أولات. ﴿**أجلهن**﴾ مبتدَأ ثانٍ. ﴿**أن يضعن حملهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه أن المصدرية. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع خبر المبتدإ الثاني. والمبتدَأ الثاني وخبره خبر المبتدإِ الأول ـ أولاتُ ـ. ﴿**ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً**﴾: مثل ومن يتق الله يجعل له مخرجاً في الإعراب. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**أمر**﴾ خبره.

﴿**الله**﴾ مضاف إلى أمر. ﴿**أنزله**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة بيان. ﴿**إليكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته**﴾: مثل ما سبق.. ﴿**ويعظم**﴾ معطوف على يكفرْ. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**له**﴾ متعلق بيعظم. ﴿**أجراً**﴾ مفعول به ﴿**أسكنوهن**﴾ أمر موجه إلى المطلقين. والضمير المتصل بالفعل العائد على الإناث مفعول. ﴿**من حيث**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**سكنتم**﴾ فعل وفاعل. والجملة مضافة إلى حيث. ﴿**من وجدكم**﴾ بدل من حيث سكنتم. ﴿**ولا تضاروهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النهي الجازم. معطوف على الأمر. ﴿**لتضيقوا**﴾ فعل وفاعل. والفعل مؤول مع أن بمصدر مجرور بلام التعليل متعلق بالفعل المنهي عنه. ﴿**عليهن**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وإن كن**﴾ كان واسمها. ﴿**أولات**﴾ خبرها. ﴿**حمل**﴾ مضاف إلى أولات. وكن أولات حمل فعل شرط إنْ. ﴿**فأنفقوا**﴾ جملة الأمر جواب شرط إنْ. والفاء رابط. ﴿**عليهن**﴾ متعلق بأنفقوا. ﴿**حتى يضعن حملهن**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفعل مؤول مع أن بمصدر مجرور بحتى متعلق بأنفقوا. أي: أنفقوا عليهن إلى وضع حملهن. ﴿**فإن أرضعن**﴾ فعل فاعل. دخلت عليه إن الشرطية. ﴿**لكم**﴾ متعلق بأرضعن. ﴿**فآتوهن**﴾ جواب شرط إنْ. ﴿**أجورهن**﴾ مفعول به. ﴿**وأتمروا**﴾ معطوف على آتوهن. ﴿**بينكم بمعروف**﴾ متعلقان بأتمروا. ﴿**وإن تعاسرتم**﴾ جملة شرطية معطوفة على ما قبلها. ﴿**فسترضع**﴾ فعل مضارع قرن بالسين والفاء. ﴿**له**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أخرى**﴾

فاعل. والجملة جواب الشرط. ﴿**لينفق**﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. ﴿**ذو**﴾ فاعل مرفوع بالواو. ﴿**سعة**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**من سعته**﴾ متعلق بينفق. ﴿**ومن قدر**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. فعل شرط مَنْ. ﴿**عليه**﴾ متعلق بقدر، ﴿**رزقه**﴾ نائب فاعل قُدر. ﴿**فلينفق**﴾ جواب شرط مَنْ. ﴿**مما**﴾ متعلق بينفق. ﴿**آتاه**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**لا يكلف الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**نفساً**﴾ مفعول به. ﴿**إلا ما**﴾ في محل نصب مفعول. ﴿**آتاها**﴾ صلة ما. ﴿**سيجعل الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بعد**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**عُسْرٍ**﴾ مضاف إلى بعد.

﴿**يسراً**﴾ مفعول به. ﴿**وكأين**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**من قرية**﴾ بيان لكأيّن. ﴿**عتت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على قرية. والجملة خبر المبتدإ. ﴿**عن أمر**﴾ متعلق بعتت. ﴿**ربها**﴾ مضاف إلى أمر. ﴿**ورسله**﴾ معطوف على ربها. ﴿**فحاسبناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**حساباً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**شديداً**﴾ نعت له. ﴿**وعذبناها عذاباً نكراً**﴾ معطوف على حاسبناها حساباً شديداً. وهو مثله في الإعراب. ﴿**فذاقت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على قرية. ﴿**وبال**﴾ مفعول به. ﴿**أمرها**﴾ مضاف إلى وبال. والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**وكان عاقبة**﴾ كان واسمها. ﴿**أمرها**﴾ مضاف إلى عاقبة. ﴿**خسراً**﴾ خبر كان. ﴿**أعد الله**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعد. ﴿**عذاباً**﴾ مفعول به. ﴿**شديداً**﴾ نعت له. ﴿**فاتقوا**﴾ أمر موجه إلى المنادى بعدُ. ﴿**الله**﴾ معمول اتقوا. ﴿**يا أولى**﴾ منادى منصوب بالياء. ﴿**الألباب**﴾ مضاف إلى أولى. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب عطف بيان لأولى الألباب. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**قد أنزل الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**إليكم**﴾ متعلق بأنزل. ﴿**ذكراً**﴾ مفعول به، ﴿**رسولاً**﴾ بدل من «ذكراً». ﴿**يتلوا**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على «رسولاً». ﴿**عليكم**﴾ متعلق بيتلو ﴿**آيات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى آيات. ﴿**مبينات**﴾ حال من الآيات. وجملة يتلو عليكم.. نعت لـ «رسولاً». ﴿**ليخرج**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام. والفاعل ضمير يعود على الرسول. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بيتلو. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**آمنوا.. وعملوا الصالحات**﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على صلة الموصول. ﴿**من الظلمات إلى النور**﴾

متعلقان بيخرج. ﴿**ومن يؤمن بالله**﴾ جملة شرطية تقدم مثلها في سورة التغابن. ﴿**ويعمل صالحاً**﴾ معطوف على فعل الشرط. ﴿**ندخله**﴾ جواب الشرط. ﴿**جنات**﴾ مفعول ثانٍ: ﴿**تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً**﴾ معلوم إعراب هذه الجملة مما سبق في سورة التغابن.

﴿**قد أحسن الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. والجملة حال أخرى من الضمير المنصوب في نُدخله. ﴿**له**﴾ متعلق بأحسن. ﴿**رزقاً**﴾ مفعول به. ﴿**الله**﴾ مبتدَأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبره. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على الله. والجملة صلة الذي. ﴿**سبع**﴾ مفعول به. ﴿**سماوات**﴾ مضاف إلى سبع. ﴿**ومن الأرض**﴾ متعلق بفعل مقدر.. ﴿**مثلهن**﴾ مفعول بالفعل المقدر. والجملة معطوفة على خلق سبع سماوات. ﴿**يتنزل الأمر**﴾ فعل وفاعل. والجملة بيان لما قبلها.. ﴿**لتعلموا**﴾ فعل وفاعل. واللام داخلة على مصدر مؤول مع أن المقدرة بعد اللام متعلق بيتنزل. ﴿**أن الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شئ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قدير**﴾ خبر أنّ. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب بالفعل قبله. ﴿**وأن الله.. قد أحاط**﴾ فعل ماض مُحقَّق بقد. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**بكل شيء**﴾ متعلق بأحاط. ﴿**علماً**﴾ منصوب على التمييز. والجملة خبر أنّ. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب معطوف على ما قبله. أي لتعلموا قدرة الله وعلمَه الشامل والمحيط بكل شيء وعلى كل شيء.

مبحث الأسلوب البلاغي

وجه ارتباط هذه السورة بآخر السورة السابقة أن الله سبحانه ذكر الأزواج في آخر السورة السابقة وأن بعضها قد تكون عدواً لزوجها لمخالفتها له طبعاً أو سلوكاً.. فيؤدي هذا إلى الطلاق ذكر سبحانه في هذه السورة الطلاق وما يتعلق به من الرضاعة والإنفاق للأزواج والأولاد.. ﴿**يا أيها النبئ إذا طلقتم النساء.. فطلقوهن لعدتهن**﴾: في هذا النداء تخصيص بالنبئ؛ لأنه الآمر بهذا الحكم من طريق الوحي.. فجاء التعميم في قوله تعالى: ﴿**إذا طلقتم النساء...**﴾ الخ. فتخصيص النداء بالنبئ أوّلاً مع عموم الخطاب لأمته؛ لتشريفه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإظهار جلالة منصبه!؛ وتحقيق أنه المخاطب حقيقة؛ ودخولهم في

الخطاب بطريق استتباعه وتغليبه عليهم.. فيوحي هذا النسق من التعبير بما وراءه. وهو إثارة الاهتمام وتصوير الجدّيّة.. فهو أمر ذو بال، ينادي الله نبيئه بشخصه ليلقي إليه فيه بأمره؛ كيما يبلغه لمن وراءه..

﴿**وأحصوا العدّة**﴾: في هذا الأمر الضبط الدقيق الذي يوحي بأهميته، بمراقبة الله له، ومطالبة أصحابه بالدقة فيه: ﴿**واتقوا الله ربكم**..﴾ ففي وصفه تعالى بربوبيته للمخاطبين تأكيد للأمر، ومبالغة في إيجاب الاتقاء. ﴿**لا تخرجوهن من بيوتهن**﴾: هذا أول تنبيه.. وأول تحذير من عدم إخراج المطلقات من بيوتهن قسراً. وإضافة البيوت إليهن وهي لأزواجهن لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنّها أملاكهنّ.. فلا «يُخرجن «قهراً..» ﴿**ولا يخرجن**﴾ بإرادتهن.. ﴿**إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**﴾: استثناء من حكم النهي المتقدم.. فحين يحصل منهن ضرر للزوج أو لأسرته.. فلا فائدة من سكناهن حينئذٍ.. ذلك أن الحكمة من بقاء المطلقة في بيت الزوج هي إتاحة الفرصة للرجعة.. فأما حين يحصل منها أذى فلا فائدة من البقاء ولا قيمة للرجعة.. ﴿**وتلك حدود الله**﴾: وهذا هو التحذير الثاني.. فالحارس لهذا الحكم هو الله تعالى.. فأي شخص إذن يتعرّض لحد يحرسه الله؟!: ﴿**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه.. لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً**﴾: استئناف مسوق لتعليل مضمون ما قبله. والخطاب هنا بطريق الالتفات للمتعدي حدود الله لمزيد الاهتمام.. فإنك لا تدري أيها المتعدي عاقبة الأمر؛ لعل الله يُحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي أمراً يقتضي خلاف ما فعلته.. فيبدل الله بِبُغْضِها محبة، وبالإعراض عنها إقبالاً إليها.. ﴿**فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف**﴾: يترتب على إحصاء العدة معرفة قرب نهايتها.. فعندئذ: إما إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان. وفي حالتي الرجعة أو الفراق تطلب الشهادة على هذه وذاك: ﴿**وأشهدوا ذوي عدل منكم**..﴾ ثم عقب بيان الحكم تجئ اللمسات والتوجيهات تترى وأقيموا الشهادة لله.. ﴿**ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.. ومن يتق الله يجعل له مخرجاً.. ويرزقه من حيث لا يحتسب.. ومن يتوكل على الله فهو حسبه.. إن الله بالغ أمره.. قد جعل الله لكل شيء قدراً**..﴾ فبهذه اللمسات المحركة لضمير المؤمن الذي يراقب الله في جميع تصرفاته ومقدراته يعلم أن الأمر جد والتلاعب به خطير!. ثم بين حد العدة وأقسامها: ﴿**واللائى يئسن من المحيض من نسائكم**

ـ **إن ارتبتم ـ فعدتهن ثلاثة أشهر. . واللائى لم يحضن. .﴾** فالمرأة الكبيرة اليائسة من الحيض. . والبنت الصغيرة قبل البلوغ أو المرأة التي لا يأتيها الحيض لعاهة أو خلقة عدتهن ثلاثة أشهر قمرية. . **﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾**: والحامل نهاية عدتها وضع حملها ولو لحظة بعد الطلاق أو الوفاة. . فهذا هو الحكم. .

ثم تجيء اللمسات والتعقيبات: **﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً. . ذلك أمر الله أنزله إليكم. . ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً. .﴾** فالأولى تيسير للأمور. . والثانية تكفير للسيئات وإعظام للأجر بعد التكفير!. وبين هذه وتلك جملة معترضة: **﴿ذلك أمر الله أنزله إليكم. .﴾** فهي لمسة الجد والانتباه إلى مصدر الأمر!. **﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجدكم﴾**: هذا هو البيان الأخير لتفصيل مسألة الإقامة في البيوت. . فالمأمور به أن يكون حسب مقدرتهم. . فلا تضييق عليهن قصد مضرتهن. . فالحكم واضح: **﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن. . وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن. .﴾** ثم فصل مسألة الرضاعة: **﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن. .﴾** فهذا منتهى المراعاة للأم في هذا الحكم. . ثم في الوقت ذاته أمر للأب والأم أن يتشاورَا بينهما بالمعروف في شأن هذا الوليد: **﴿وأتمروا بينكم بمعروف. .﴾** فهذه هي المباشرة التي يدعوهما الله إليها ـ فأما إذا تعاسرا ولم يتفقا فهذا حكمه: **﴿وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى. .﴾** ثم يفصل الأمر في قدر النفقة: **﴿لينفق ذو سعة من سعته. . ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله: لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها. .﴾** ثم تأتي لمسة الإرضاء وإفساح الرجاء للاثنين على السواء: **﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً. .﴾** فإذا انتهى السياق من هذا كله ساق العبرة الأخيرة في مصير الذين عَتَوْا عن أمر ربهم ورسله. . فلم يسمعوا ولم يستجيبوا: **﴿وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله. . فحاسبناها حساباً شديداً، وعذبناها عذاباً نكراً. . فذاقت وبال أمرها، وكان عاقبة أمرها خسراً: أعد الله لهم عذاباً شديداً﴾**!. . ففي هذا الكلام إطناب يقتضيه السياق؛ لإطالة المشهد وتفصيل خطواته ومراحله. . فهي طريقة من طرق الأسلوب القرآني في تعميق الأثر في الحس وإطالة مكثه في الأعصاب!. . ثم بعد مواجهة هذا الإنذار ومشاهده الطويلة يهتف النص بأولى الألباب الذين آمنوا: **﴿فاتقوا الله يا أولى الألباب: الذين آمنوا. .﴾** فيهتف بهم ليتقوا الله الذي

أنزل لهم الذكر: ﴿**قد أنزل الله إليكم ذكراً: رسولاً، يتلو عليكم آيات الله مبينات؛ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور**﴾!!..

ففي هذا النص لَفْتَةٌ مبدعة عميقة صادقة ذات دلائل متنوعة: أولاً ـ إن هذا الذكر الذي جاء من عند الله، جاء إلى الناس من خلال شخصية الرسول محمد ﷺ؛ حتى لكأنّ الذكر نفذ إليهم مباشرة بذاته، لم تحجب شخصية الرسول شيئاً من حقيقته.. ثانياً ـ هو أن شخصية الرسول قد استحالت ذكراً.. فهي صورة مجسمة لهذا الذكر صُنِعَتْ به.. فصارت هو.. فهو ترجمة حية لحقيقة القرآن.. فكذلك كان الرسول، وهكذا وصفته عائشة ـ رضي الله عنها ـ حين قالت: «كان خلقه القرآن» ثم فوق نعمة الذكر والنور والهداية والصلاح وعد كريم بنعيم الجنات وما فيها من رزق يفوق حسنه كل رزق: ﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، قد أحسن الله له رزقاً**﴾!.. فهكذا يلمس النص نقطة الرزق مرة أخرى.. فيهون بهذا النص من رزق الأرض إلى جانب رزق الآخرة في الجنة بعدما وعد في المقطع الأول بسعة رزق الأرض أيضاً.. وفي الختام يجيء هذا الإيقاع الكوني الهائل.. فيربط موضوع السورة وتشريعاته وتوجيهاتها بقدَر الله وقُدْرة الله وعلم الله في المجال الكوني العريض: ﴿**الله الذي خلق سبع سماوات، ومن الأرض مثلهن، يتنزل الأمر بينهن؛ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً**﴾!. وفي هذا الكلام براعة حسن الختام.. فالله الذي شرع هذه الأحكام قدير وعليم على كل شيء وبكل شيء فلا يخْفَى عليه شيء من عمل الأنام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**يا أيها النبئ إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن، وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم..**﴾: فهذه سورة الطلاق يبين الله فيها أحكامه.. ويفصل فيها الحالات التي لم تفصل في غير هذه السورة. ويقف الإنسان مدهوشاً أمام هذه السورة، وهي تتناول أحكام هذه الحالة ومتخلفاتها؛ وهي تحشد للأمر هذا الحشد العجيب من الترغيب والترهيب، والتعقيب على كل حكم.. فهذا الحكم أول ما يوجه يوجّه إلى النبئ.. فهو أمر ذو بال: ينادي الله نبيئه بشخصه ليلقي إليه فيه بأمره؛ كما يبلغه لمن وراءه..

فأول حكم يتعلق بالطلاق أن يكون طلاقاً في طهر لم توطأ فيه المراد طلاقها. . ثم بعد ذلك إحصاء زمن العدة حسبما بين في القرآن الكريم: ثلاثة قروء للتي تحيض. وثلاثة أشهر لليائس والصغيرة. ووضع الحمل للحامل. واتقوا الله ربكم: تعقيب فيه تحذير وترهيب من مخالفة هذا الحكم. . ثم يأتي حكم آخر قد يغفل عنه الشخص المطلق في غمرة الانفعال الطارىء المؤقّت: ﴿**لا تخرجوهن من بيوتهن**﴾! . . فالحكمة من إبقاء المطلقة في بيت الزوجية ـ الذي هو حق لها؛ كما هو حق له ـ إتاحة الفرصة للرجعة، واستثارة عواطف المودة. . حيث تكون الزوجة بعيدة بحكم الطلاق، قريبة من العين. . فلو خرجت من البيت لسمعت كلاماً ورأت حالاً يزيد من نفرة الطرفين، والبعد عن مسببات الألفة والمودة! . . ﴿**ولا يخرجن. .**﴾ فالحكم في هذا كما يشمل الأزواج يشمل الزوجات. . ﴿**إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. .**﴾ فهذا الاستثناء لا بد منه؛ في حالة انحراف الزوجة انحرافاً بيناً. . فلا يتحمل منها هذا. . ﴿**وتلك حدود الله**﴾: في هذا تحذير وترهيب! . . ﴿**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه. . لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً**﴾: كلام فيه رجاء وأمل في مستقبل من يقف عند حدود الله فلا يتعداها. . ومن يعمل بهذه التوجيهات ويسير على مقتضاها. ويريد الله أن تستقر هذه التوجيهات في نفوس المؤمنين؛ ليظل تطلعهم إلى ما يحدثه الله من الأمر متجدداً ودائماً. . ولتظل أبواب الأمل في تغيير الأوضاع مفتوحة دائمة. . ولتظل نفوسهم متحركة بالأمل. . لا تغلق المنافذ، ولا تعيش في سجن الحاضر. واللحظة التالية قد تحمل ما ليس في الحسبان. ﴿**لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً. . فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف**﴾: فهذه هي المرحلة الثانية وهذا هو حكمها. وبلوغ الأجل آخر فترة العدة. وللزوج ما دامت المطلقة لم تخرج من العدة ـ على آجالها المختلفة التي سبق بيانها ـ أن يراجعها. . فتعود إلى عصمته بمجرد مراجعتها ـ وهذا هو إمساكها ـ أو أن يدع العدة تمضي. . فتبين منه ولا تحل له إلا بعقد جديد كالزوجة الجديدة. وسواء راجع أم فارق. . فهو مأمور بالمعروف فيهما منهي عن المضارة بالرجعة. . كذلك هو منهي عن المضارة في الفراق. . وفي حالتي الرجعة أو الفراق تطلب الشهادة على هذه وذاك: ﴿**وأشهدوا ذوي عدل منكم. .**﴾ شهادة اثنين من العدول المسلمين الأحرار، قطعاً للريبة. . فقد يعلم الناس بالطلاق ولا يعلمون بالرجعة. .

فتثور شكوك وتُقال أقاويل.. فالإسلام يريد النصاعة والطهارة في هذه العلاقات وفي ضمائر الناس وألسنتهم على السواء..

ثم عقب بيان الحكم تجيء اللمسات والتوجيهات تترى: ﴿**وأقيموا الشهادة لله..**﴾ فالقضية قضية الله، والشهادة فيها لله، هو يأمر بها، وهو يراقب استقامتها، وهو يجزي عليها؛ والتعامل فيها مع الله، لا مع الزوج ولا الزوجة ولا الناس!.. ﴿**ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾: المخاطبون بهذه الأحكام هم المؤمنون المعتقدون الموقنون باليوم الآخر.. فهو يقول لهم: إنه يعظهم بما هو من شأنهم.. فإذا صدقوا الإيمان به، وباليوم الآخر فهم إذنْ يستعظون ويعتبرون.. فهذا هو محك إيمانهم، وهذا هو مقياس دعواهم في الإيمان!.. ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾: هذا تقرير عام وحقيقة دائمة.. ولكن علاقتها هنا بأحكام الطلاق توحي بدقة انطباقها وتحققها عندما يتقي المتقون الله في هذا الشأن بصفة خاصة. فالتلاعب فيه مجاله واسع، لا يقف دونه إلا تقوى الله القوي القادر!: ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه.. إن الله بالغ أمره..**﴾ فالتوكل على الله توكل على قدرة القادر وقوة القاهر الفعال لما يريد البالغ ما يشاء. والنص عام. والمقصود به هو إنشاء التصور الإيماني الصحيح في القلب بالنسبة لإرادة الله وقدره.. ولكن وروده هنا بمناسبة أحكام الطلاق له إيحاؤه في هذا المجال وأثره. ﴿**قد جعل الله لكل شيء قدراً**﴾: فكل شيء مقدر بمقداره وبزمانه وبمكانه وبملابساته وبنتائجه وأسبابه.. فليس شيء مصادفة، وليس شيء جزافاً!.. فهي حقيقة ضخمة يقوم عليها جانب كبير من التصور الإيماني.. فذكر هذه الحقيقة الكلية هنا يربط بها ما قدره الله من الطلاق وفترته، والعدة ووقتها، والشهادة وإقامتها. ويطبع هذه الأحكام بطابع السُّنَّة الإلهية النافذة، والناموس الكلي العام، ويوقع في الحسّ أن الأمر جدّ من جدّ.. ﴿**واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ـ إن ارتبتم ـ فعدتهن ثلاثة أشهر، واللائي لم يحضن.. وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**﴾: وهذا تحديد لمدة العدة لغير ذوات الحيض. يشمل اللواتي انقطع حيضهن، واللاتي لم يحضن بعدُ لصغر أو لعِلة.. فقد تقدم في سورة البقرة مدة عدة التي تحيض وهي ثلاثة قروء ـ أطهار عند محققي الفقهاء ـ فأما التي انقطع حيضها لكبر السن والتي لم تحض أصلاً فكان حكمها موضع لبس.. فجاءت هذه الآية تبين وتنفي اللبس والشك؛ وتحدد ثلاثة

أشهر.. أما الحوامل فجعل عدتهن هي الوضع طال الزمن أم قصر.. فسواء كانت عدة طلاق أو عدة وفاة. هذا هو الحكم.. ثم تجيء اللمسات والتعقيبات: ﴿**ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً..**﴾ فاليسر في الأمر غاية ما يرجوه إنسان.. وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبد من عباده..

﴿**ذلك أمر الله أنزله إليكم**﴾: هذه لمسة أخرى في جانب آخر: لمسة الجد والانتباه إلى مصدر الأمر.. فقد أنزله الله. أنزله إلى المؤمنين به.. فطاعته تحقيق لمعنى الإيمان، ولحقيقة الصلة بينهم وبين الله.. ثم عودة ثالثة إلى التقوى التي يدق عليها دقًّا متواصلاً في هذا المجال: ﴿**ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً..**﴾ فهذا هو الفيض المغري والعرض المثير.. وهو حكم عام ووعد شامل.. ولكنه يخلع على موضوع الطلاق ظلاله؛ ويغمر القلب بالشعور بالله وفضله العميم.. ﴿**أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم.. ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن**﴾: المأمور به هنا هو أن يسكنوهن مما يجدون هم من سكنى؛ لا أقل مما هم عليه في سكناهم، وما يستطيعونه حسب مقدرتهم وغناهم.. غير عامدين إلى مضارتهن؛ سواء بالتضييق عليهن في مسحة المسكن أو مستواه أو بالمعاملة فيه.. ﴿**وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن**﴾: وخص ذوات الأحمال بذكر النفقة ـ مع وجوب النفقة لكل معتدة ـ لتوهم أن طول مدة الحمل يحدد زمن الإنفاق ببعضه دون بقيته، أو بزيادة عنه إذا قصرت مدته.. فأوجب النفقة حتى الوضع. وهو موعد انتهاء العدة لزيادة الإيضاح التشريعي. ثم فصل السياق مسألة الرضاعة: ﴿**فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن..**﴾ فلم يجعلها واجباً على الأم دون مقابل.. فما دامت ترضع الطفل المشترك بينهما، فمن حقها أن تنال أجراً على رضاعته تستعين به على حياتها وعلى إدرار اللبن للصغير. وهذا منتهى المراعاة للأم في هذه الشريعة. ﴿**وأتمروا بينكم بمعروف**﴾: فهذا أمر للأب والأم أن يأتمرا ويتشاورا بينهما بالمعروف في شأن هذا الوليد، ورائدُهما مصلحته. وهو أمانة بينهما.. فلا يكون فشلهما في حياتهما الزوجية نكبة على الصغير البريء.. فأما إذا تعاسرا ولم يتفقا بشأن الرضاعة وأجرها.. فالطفل مكفول الحقوق: ﴿**وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى..**﴾ فلا اعتراض من الأم، ولا تعطيل لحق الطفل في الرضاعة بسبب تعاسرهما بعد فشلهما..

ثم يفصل النصُّ الأمرَ في قدر النفقة: ﴿**لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر**

عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله.. لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها..﴾ فهو اليسر والتعاون والعدل.. فلا يجورُ هو، ولا تتعنّت هي.. فمن وسع الله عليه رزقه فلينفق عن سعة.. سواء في السكن أو في نفقة المعيشة أو في أجر الرضاعة. ومن ضيق عليه في الرزق فليس عليه من حرج.. فالله لا يطالب أحداً أن ينفق إلا في حدود ما آتاه.. ثم تأتي لمسة الإرضاء وإفساح الرجاء للإثنين على السواء: **﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً..﴾** فالأمر منوط بالله في الفرج بعد الضيق واليسر بعد العسر.. فأولى لهما إذنْ أن يعقدا بالله الأمر كله، وأن يتجها إليه الأمر كله، وأن يراقباه ويتقياه؛ والأمر كله إليه. وإلى هنا يكون الشأن قد تناول سائر أحكام الطلاق ومتخلفاته، وتتبع كل أثر من آثاره.. حتى انتهى إلى حل واضح؛ ولم يدع من البيت المتهدم أنقاضاً ولا غباراً يملأ النفوس ويغشى القلوب؛ ولم يترك بعده عقابيل غير مستريحة بعلاج، ولا قلاقل تثير الاضطراب. وكذلك يكون قد عالج جميع الوساوس والهواجس التي تثور في القلوب.. فتمنعها من السماحة والتيسير والتجمل للأمور.. فأبعد أشباح الفقر والضيق وضياع الأموال من نفس الزوج؛ إذا هو أسكن وأنفق ووسع على مطلقته أو مرضعة ولده.. وكذلك المطلقة إذا رضيت بنفقة المطلق المعسر.. فهذا العلاج الشامل الكامل، وهذه اللمسات المؤثرة العميقة، وهذا التوكيد الوثيق المتكرر.. هذا كله هي الضمانات الوحيدة في هذه المسألة لتنفيذ الشريعة المقررة.. فليس هناك ضابط إلا حساسية الضمائر وتقوى القلوب. وإن كلا الزوجين ليملك مكايدة صاحبه حتى تنفقىء مرارته إذا كانت الحواجز هي فقط حواجز القانون.. فقد نجد في كتب الفقه المتعلقة بالأحوال الشخصية بعض الثغرات التي تكون هدفاً للشقاق والنزاع وطول الخصومات بين الزوجين المتخاصمين.. فما سببه إلا تطويل المسائل والبعد بها عن مصدرها الأصلي الصميم، وهو القرآن الكريم!.. فإذا انتهى السياق من هذا كله بين مصير الذين عتوا وانحرفوا وخرجوا عن هذا المنهج السليم، وما سيلقونه من هوان وضياع في الدنيا، وفي الآخرة العذاب الأليم: **﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً.. فذاقت وبال أمرها، وكان عاقبة أمرها خسراً. أعد الله لهم عذاباً شديداً..﴾**

فالقارىء والسامع كل منهما يقف لحظة أمام هذا الإنذار والتهديد والتحذير الشديد.. فيعلم علم اليقين أن الله أخذ القرى واحدة بعد واحدة كلما عتت عن

أمر ربها ورسله.. فيعلم أن هذا التحذير يساق هنا بمناسبة الطلاق وأحكامه.. فيرتبط الطلاق وحكمه بهذه السنّة الكلية.. فيوحي هذا الارتباط أن أمر الطلاق ليس أمر أسرة أو أزواج.. إنما هو أمر الأمة المسلمة كلها.. فهي المسؤولة عن هذا الأمر. وهي المسؤولة فيه عن شريعة الله.. فمخالفتها عن أمر الله فيه ـ أو مخالفتها عن أمر الله في غيره من أحكام هذا النظام أو هذا المنهج الإلهي المتكامل للحياة ـ هي عتو عن أمر الله، لا يؤاخذ به الأفراد الذين يرتكبونه.. إنما تؤاخذ به القرية أو الأمة التي تقع فيها المخالفة، والتي تنحرف في تنظيم حياتها عن نهج الله وأمره.. فقد جاء هذا الدين ليطاع، وليُنفّذ كله، وليهيمن على الحياة كلها.. فمن عتا عن أمر الله فيه ـ ولو كان هذا في أحوال الأفراد الشخصية ـ فقد تعرض لما تعرضت له القرى من سنة الله التي لا تتخلف أبداً. وتلك القرى ذاقت وبال أمرها، وكان عاقبة أمرها خسراً. ذاقته في هذه الأرض قبل يوم الحساب الأخير. ولقد ذاقت هذا الوبال قرى وأمم وشعوب عتت عن منهج الله في الأرض. ونحن نشهد وأسلافنا شهدوا هذا الوبال. ذاقته فساداً وانحلالاً وفقراً وقحطاً وظلماً وجوراً، وحياة مفزعة لا أمن فيها ولا سلام، ولا طمأنينة فيها ولا استقرار، وفي كل يوم ترى مصداق هذا النذير!!.. وذلك فوق العذاب الشديد الذي ينتظر العتاة عن أمر الله ونهجه في الحياة، حيث يقول الله تعالى: ﴿**أعد الله لهم عذاباً شديداً**﴾ والله أصدق القائلين. إن هذا الدين منهج نظام جماعي، جاء لينشىء جماعة مسلمة ذات نظام خاص، وجاء ليصرّف حياة هذه الجماعة كلها. ومِن ثَمَّ.. فالجماعة كلها مسؤولة عنه. مسؤولة عن أحكامه. ولن تخالف عن هذه الأحكام حتى يحق عليها هذا النذير الذي حق على القرى التي عتت عن أمر ربها ورسله.. ففي مواجهة هذا الإنذار ومشاهده الطويلة يهتف السياق بأولي الألباب الذين آمنوا. الذين هدتهم ألبابهم إلى الإيمان. يهتف بهم ليتقوا الله الذي أنزل إليهم الذكر على لسان رسول كريم: ﴿**فاتقوا الله يا أولي الألباب: الذين آمنوا.. قد أنزل الله إليكم ذكراً: رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات؛ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور..**﴾

﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، قد أحسن الله له رزقاً..**﴾ فهذه خلاصة ما جاء في هذه السورة من توجيهات وأحكام!!.. ثم بعد ذلك كله يأتي الدليل القاطع الحاسم على قدرة الله

على كل شيء.. وعلمه بكل شيء.. في السماوات السبع التي لا يحيط بها الإنسان علماً.. وفي الأرض التي يعلم الإنسان عنها البعض ويجهل الأكثر: ﴿**الله الذي خلق سبع سماوات.. ومن الأرض مثلهن.. يتنزل الأمر بينهن**﴾: هذا هو المقصود المهم في هذا السياق.. فهو أمر هائل إذن.. فالمخالفة عنه مخالفة عن أمر الذي له ملكوت السماوات.. وفي قبضته مصير الأرض ومن عليها.. فهي مخالفة لا يقدم عليها ذو عقل مؤمن، جاءه رسول يتلو عليه آيات الله مبينات، ويبين له هذا الأمر؛ ليخرجه من الظلمات إلى النور.. فلهذا المقطع الأخير قيمته هنا من وجهين: الأول ـ أن الله الذي قد أحاط بكل شيء علماً هو الذي يأمر بهذه الأحكام.. فقد أنزلها، وهو يحيط بكل قلوب الناس وملابساتهم ومصالحهم واستعداداتهم.. فهي أولى بالاتباع لا يلتفتون عنها أدنى التفات؛ وهي من وضع العليم المحيط بكل شيء علماً. والثاني ـ أن هذه الأحكام بالذات موكولة إلى الضمائر.. فالشعور بعلم الله واطلاعه على كل شيء هو الضمان لحساسية هذه الضمائر في شأن لا يجدي فيه شيء إلا تقوى الله العليم بذات الصدور.

9 ـ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك؟ تبتغي مرضاة أزواجك!



النص

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴿1﴾ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ﴿2﴾ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ﴿3﴾ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴿4﴾ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا ﴿5﴾ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿6﴾ يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴿7﴾

* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿8﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿9﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿10﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿11﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿12﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**يا أيها النبئ لم تحرم ما أحل الله لك؟..**﴾: هو استفهام عن تحريم النبئ شيئاً أحله الله له.. فلم يعين النص هذا المحرم. والمفسرون يختلفون في هذا بروايات.. ﴿**تبتغي مرضات أزواجك**﴾: هذا هو السبب الذي حرم النبئ ما أحل الله له. ﴿**والله غفور رحيم.. قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**﴾: قد بين الله وقدر ما تحللون به أيمانكم، وهي الكفارة، كما بينت في سورة المائدة. ﴿**والله مولاكم**﴾: متولى أموركم حيث شرع لكم ما فيه صلاحكم. ﴿**وهو العليم الحكيم..**﴾ ﴿**وإذ أسر النبئ إلى بعض أزواجه حديثاً**﴾: وحين أسر ـ أخفى ـ النبئ إلى أزواجه ـ لم تعين بالاسم ـ حديثاً ـ خاصاً بين النبئ وبين إحدى أزواجه ـ وأمرها ألا تبيح به، ﴿**فلما نبأت به**﴾ ـ غيرَها ـ ﴿**وأظهره الله عليه**﴾ ـ بالوحي ـ ﴿**عرف**﴾ ـ بين ـ ﴿**بعضه**﴾ ـ الحديث ـ ﴿**وأعرض**﴾ ـ ترك ـ ﴿**عن بعض..**﴾ ﴿**فلما نبأها به**﴾. بالخبر الذي نبأها النبئ به. ﴿**قالت: من أنبأك هذا**﴾؟ سؤال منها للنبئ عن الخبر الذي أخبر به. ﴿**قال: نبأني العليم الخبير**﴾: الله سبحانه وتعالى..

﴿**إن تتوبا إلى الله**﴾: كلام موجه إلى كلا الزوجين: المخبِرَة والمخبرَة.. فقد وجد منكما ما يوجب التوبة.. ﴿**فقد صَغَتْ قلوبكما**﴾: مالت عما يجب من الإخلاص والموافقة إلى إفشاء السر والمخالفة. ﴿**وإن تظاهرا عليه**﴾: تتعاونا على النبئ بما يغضبه بإفشاء سره.. ﴿**فإن الله هو مولاه**﴾: متولي أمره وحافظه من كل ما يُعَكِّرُ صفو حياته.. ﴿**وجبريل**﴾: كذلك.. ﴿**وصالح المؤمنين**﴾: جميعاً.. ﴿**والملائكة**﴾ كلهم.. ﴿**بعد ذلك**﴾: بعد ذلك التظاهر منكما.. ﴿**ظَهير**﴾ عليكما.. ﴿**عسى ربه ـ إن طلقكن ـ أن يبدله أزواجاً خيراً منكن: مسلمات.. مؤمنات.. قانتات**﴾: مُطيعات. ﴿**تائبات.. عابدات.. سائحات.. ثيبات**﴾: من سبق لها نكاح. ﴿**وأبكاراً**﴾: غير الثيب، ﴿**يا أيها الذين آمنوا.. قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾: اجعلوا بينكم وبين النار وقاية التي ﴿**وقودها**﴾ ـ ما تتقد به ـ ﴿**الناس**﴾ ـ الكفار ـ ﴿**والحجارة**﴾ ـ كلها يعبد من دون الله ـ ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله: حصب جهنم**﴾ ﴿**عليها ملائكة غلاظ شداد**﴾: هم الزبانية.. غلاظ

شداد!!.. ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم: ويفعلون ما يؤمرون..**﴾ هنالك يقال للذين كفروا: ﴿**يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم**﴾ - لا يقبل فيه الاعتذار - ﴿**إنما تجزون ما كنتم تعملون**﴾، وهذا عملكم جعلكم حطباً للنار. ﴿**يا أيها الذين آمنوا.. توبوا إلى الله**﴾: ارجعوا إلى الله تائبين ﴿**توبةً نصوحاً**﴾: توبة خالصة من شوائب الغش والخداع الظاهري.. ﴿**عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم.. ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار.. يوم لا يُخْزِي الله النبيَّ والذين آمنوا معه.. نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم.. يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير**﴾: كلمات هذه الجمل واضحة لا تحتاج إلى بيان. ﴿**يا أيها النبيء جاهد الكفار**﴾ - بالسيف - ﴿**والمنافقين**﴾ - بالحجة القاطعة - ﴿**واغلظ عليهم**﴾ - على الفريقين - ﴿**ومأواهم جهنم..**﴾ ﴿**وبئس المصير**﴾!.. ﴿**ضرب الله مثلاً للذين كفروا: امرأة نوح وامرأة لوط.. كانتا تحت عبدين**﴾ - نوح ولوط - ﴿**من عبادنا صالحين.. فَخَانَتَاهُمَا**﴾ - بالكفر والعصيان - ﴿**فلم يغنيا**﴾ - نوح ولوط - ﴿**عنهما**﴾ - عن المرأتين - ﴿**من الله شيئاً.. وقيل: ادخلا النار**﴾ - أيتهما المرأتان - ﴿**مع الداخلين**﴾ - في النار - ﴿**وضرب الله مثلاً للذين آمنوا: امرأة فرعون**﴾ - المؤمنة - ﴿**إذ قالت: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة**﴾ - يوم القيامة - ﴿**ونجني من فرعون وعمله**﴾ - في الدنيا - ﴿**ونجني من القوم الظالمين..**﴾ ﴿**ومريم ابنة عمران**﴾ - أم عيسى - ﴿**التي أحصنت فرجها.. فنفخنا فيه من روحنا.. وصدقت بكلمات ربها وكتابه.. وكانت من القانتين**﴾: الكلمات في هذه الآية واضحة.

مبحث الإعراب

﴿**يا أيها النبيء**﴾ أيُّ منادى مبني على الضم في محل نصب. ﴿**النبيء**﴾ نعت لأيُّ باعتبار لفظها. ﴿**لم**﴾ اسم استفهام دخل عليه لام التعليل الجار. وحذف ألف ما تخفيفاً مُطّرداً في كل حرف جرٍّ دخل على ما الاستفهامية. ﴿**تحرم**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب يعود على النبيء. ﴿**ما**﴾ نكرة موصوفة في محل نصب مفعول به. ﴿**أحَلّ الله**﴾ فعل وفاعل. والجملة نعت لما. ﴿**لك**﴾ متعلق بأحلّ. والتقدير: تحرم شيئاً حلالاً؛ لأيّ شيء؟. ﴿**تبتغي**﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير المخاطب.. ﴿**مرضاة**﴾ مفعول به. ﴿**أزواجك**﴾ مضاف إلى مرضاة.

﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**غفور رحيم**﴾ خبر بعد خبر. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**قد فرض الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**لكم**﴾ متعلق بفرض. ﴿**تَحلةَ**﴾ مفعول به. ﴿**أيمانكم**﴾ مضاف إلى تحلة. ﴿**والله**﴾ مبتدَأ. ﴿**مولاكم**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**وهو العليم الحكيم**﴾ مثل والله غفور رحيم.. ﴿**وإذ**﴾ ظرف في محل نصب مفعول بفعل أمر للمخاطب مقدر. والتقدير: واذكر إذ ﴿**أسر النبئ**﴾ فعل وفاعل. والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**إلى بعض**﴾ متعلق بأسرّ. ﴿**أزواجه**﴾ مضاف إلى بعض. ﴿**حديثاً**﴾ مفعول به. ﴿**فلما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. والفاء للتعقيب. ﴿**نبأت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود إلى بعض.. ﴿**به**﴾ متعلق بنبأت. ﴿**وأظهره**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**عليه**﴾ متعلق بأظهر.. ﴿**عرف**﴾ فعل ماض. الفاعل ضمير يعود على النبئ. والجملة جواب شرط لمّا. ﴿**بعضه**﴾ مفعول به. ﴿**وأعرض**﴾ معطوف على عرّف. ﴿**عن بعض**﴾ متعلق بأعرض. ﴿**فلما نبأها به**﴾ مثل فلما نبأت به. ﴿**قالت**﴾ فعل ماض. والفاعل ضمير يعود على بعض أزواجه. ﴿**من**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدَأ.

﴿**أنبأك**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**هذا**﴾ في محل نصب مفعول ثانٍ. وجملة أنبأك خبر المبتدإ «مَنْ». وجملة مَن أنبأك.. مقول القول. وجملة قالت: من أنبأك هذا جواب شرط لما. ﴿**قال**﴾ النبئ: ﴿**نبأني**﴾ فعل ماض. والنون للوقاية. وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. وحركت بالفتحة للتخفيف. ﴿**العليم الخبير**﴾ فاعل.. وجملة نبأني العليم الخبير مقول القول. وجملة قال نبأني العليم الخبير جواب عن السؤال.. ﴿**إن تتوبا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الشرط. ﴿**إلى الله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فقد صغت قلوبكما**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. والجملة قائمة مقام جواب الشرط. والفاء رابط.. ﴿**وإن تظاهرا عليه**﴾ جملة شرطية معطوفة على الجملة الشرطية السابقة. ﴿**فإن الله**﴾ إن واسمها. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدَأ. ﴿**مولاه**﴾ خبره. والجملة خبر إنّ. وجملة فإن الله هو مولاه جواب الشرط. والفاء رابط. ﴿**وجبريل**﴾ مبتدأ. ﴿**وصالح**﴾ معطوف على جبريل. ﴿**المؤمنين**﴾ مضاف إلى صالح. ﴿**والملائكة**﴾ معطوف على جبريل. ﴿**بعد**﴾ ظرف متعلق بالخبر الآتي. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى الظرف. ﴿**ظهير**﴾ خبر المبتدإ. والجملة

معطوفة على خبر إنّ. ـ هو مولاه ـ. ﴿**عسى**﴾ فعل ماض ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر. ﴿**ربه**﴾ اسم عسى. ﴿**إن طلقكن**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الرسول. والجملة فعل شرط إن. وجواب الشرط محذوف يدل عليه عسى ربه. . وجملة الشرط معترضة بين اسم عسى وخبرها. ﴿**أن يبدله**﴾ فعل مضارع منصوب بأن. والضمير المتصل به مفعول أول. والفاعل ضمير يعود على ربه. وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبر عسى. ﴿**أزواجاً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**خيراً**﴾ نعت «لأزواجاً». ﴿**منكم**﴾ متعلق بـ «خيراً». ﴿**مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات**﴾ هذه نُعوت لقوله: أزواجاً خيراً منكن. ﴿**ثيبات وأبكاراً**﴾ صفتان متغايرتان في منزلة صفة واحدة. فالثيبات غير الأبكار. ﴿**يا أيها الذين آمنوا. . قوا**﴾ فعل أمر. وواو الجماعة فاعل. ﴿**أنفسكم**﴾ مفعول أول. ﴿**وأهليكم**﴾ معطوف على أنفسكم. ﴿**ناراً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وقودها**﴾ مبتدأ. ﴿**الناس**﴾ خبره.

﴿**والحجارة**﴾ معطوف على الناس. والجملة نعت لـ «ناراً». ﴿**عليها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ملائكة**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**غلاظ شداد**﴾ نعتان لملائكة. وجملة عليها ملائكة غلاظ شداد نعت ثانٍ لـ «ناراً». ﴿**لا يعصون الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**ما**﴾ مصدرية. ﴿**أمرهم**﴾ فعل ماض. والضمير المتصل به مفعول. والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**وما**﴾ دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول بدل من الله. أي: لا يعصون أمْرَ الله. وجملة لا يعصون الله ما أمرهم نعت آخر لملائكة. ﴿**ويفعلون**﴾ معطوف على «لا يعصون». ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يؤمرون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل صلة ما. وجملة ويفعلون ما يؤمرون عطف تفسير لما قبلها. ﴿**يا أيها الذين كفروا**﴾ إعرابه مثل إعراب يا أيها الذين آمنوا. ﴿**لا تعتذروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهي الجازم. ﴿**اليوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إنما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**تجزون**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. وواو الجماعة نائب الفاعل. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول. . ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل. والجملة خبر كان. وجملة كنتم تعملون صلة ما. ﴿**يا أيها الذين آمنوا. . توبوا**﴾ أمر موجه إلى المؤمنين. ﴿**إلى الله**﴾ متعلق بتوبوا. ﴿**توبة**﴾ مفعول مطلق. ﴿**نصوحاً**﴾ نعت لتوبة. ﴿**عسى ربكم**﴾ تقدم إعراب مثلها قريباً. ﴿**أن يكفر**﴾ أن وما دخلت عليه

في تأويل مصدر منصوب خبر عسى مثل أن يبدله.. ﴿عنكم﴾ متعلق بيكفر. ﴿سيئاتكم﴾ مفعول به. ﴿ويدخلكم﴾ معطوف على يكفر. ﴿جنات﴾ مفعول ثانٍ. ﴿تجري﴾ فعل مضارع. ﴿من تحتها﴾ متعلق بتجري. ﴿الأنهار﴾ فاعل. والجملة نعت لجنات. ﴿يوم﴾ ظرف متعلق بيدخلكم. ﴿لا يُخزِي الله النبيء﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿والذين﴾ في محل نصب معطوف على النبيء. ﴿آمنوا معه﴾ صلة الذين. ﴿نورهم﴾ مبتدَأ. ﴿يسعى﴾ فعل مضارع. والفاعل ضمير يعود على نورهم. والجملة خبر المبتدإ. وجملة نورهم يسعى مستأنفة. ﴿بين﴾ ظرف متعلق بيسعى. ﴿أيديهم﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿وبأيمانهم﴾ معطوف على بين أيديهم. ﴿يقولون﴾ فعل وفاعل. ﴿ربنا﴾ منادى حذف منه حرف النداء. ﴿أتْمِمْ﴾ فعل دعاء. والفاعل ضمير يعود على ربنا. ﴿لنا﴾ متعلق بأتمم. ﴿نورنا﴾ مفعول به.

﴿واغفر﴾ معطوف على أتمم. ﴿لنا﴾ متعلق باغفر. ﴿ربنا﴾ مثل ما سبقه.. ﴿إنك﴾ إنّ واسمها. ﴿على كل﴾ متعلق بخبر إنّ الآتي. ﴿شيء﴾ مضاف إلى كل. ﴿قدير﴾ خبر إنّ. ﴿يا أيها﴾ منادى. ﴿النبيء﴾ نعت لأيُّ باعتبار لفظها. ﴿جاهد﴾ أنت. ﴿الكفار﴾ مفعول به. ﴿والمنافقين﴾ معطوف على الكفار. ﴿واغلظ﴾ معطوف على جاهد. ﴿عليهم﴾ متعلق باغلظ. ﴿ومأواهم﴾ مبتدأ. مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿جهنم﴾ خبر المبتدإ. ﴿وبئس المصير﴾ فعل وفاعل. معطوف على مأواهم جهنم. ﴿ضرب الله مثلاً﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿للذين﴾ متعلق بضرب. ﴿كفروا﴾ صلة الذين. ﴿امرأة﴾ بدل من «مثلاً». ﴿نوح﴾ مضاف إلى امرأة. ﴿وامرأة لوط﴾ معطوف على امرأة نوح. ﴿كانتا﴾ كان واسمها. ﴿تحت﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. والجملة بيانية. ﴿عبدين﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿من عبادنا﴾ بيان لعبدين. ﴿صالحين﴾ نعت لعبدين. ﴿فخانتاهما﴾ فعل وفاعل ومفعول. والفاء للتعقيب. ﴿فلم يغنيا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم. والجملة تعقيب على ما قبلها. ﴿عنهما من الله﴾ متعلقان بالفعل قبلها. ﴿شيئاً﴾ مفعول به. ﴿وقيل﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ادخلا﴾ أمر موجه إلى المرأتين. ﴿النار﴾ مفعول به. ﴿مع﴾ ظرف متعلق بادخلا. ﴿الداخلين﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا: امرأة فرعون﴾ معطوف على ضرب الله مثلاً للذين كفروا. وهو مثله في الإعراب. ﴿إذ﴾ ظرف متعلق بضرب.

﴿**قالت**﴾ امرأة فرعون. ﴿**رب**﴾ منادى حذف منه حرف النداء وياء المتكلم تخفيفاً. ﴿**ابن**﴾ فعل دعاء. والفاعل ضمير يعود على رب. ﴿**لي**﴾ متعلق بابن ﴿**عندك**﴾ متعلق بما بعده: ﴿**بيتاً في الجنة**﴾ بيان لعندك. ﴿**ونجني**﴾ معطوف على ابن. ﴿**من فرعون**﴾ متعلق بنجني. ﴿**وعمله**﴾ معطوف على فرعون.

﴿**ونجني من القوم**﴾ معطوف على نجني من فرعون. وهو مثله في الإعراب. ﴿**الظالمين**﴾ نعت للقوم. ﴿**ومريم**﴾ معطوف على امرأة فرعون. ﴿**ابنت**﴾ نعت لمريم. ﴿**عمران**﴾ مضاف إلى ابنت. ﴿**التي**﴾ في محل نصب نعت ثانٍ لمريم. ﴿**وأحصنت**﴾ مريم. ﴿**فرجها**﴾ مفعول به. ﴿**فنفخنا**﴾ فعل وفاعل مرتب بالفاء على أحصنت. ﴿**فيه من روحنا**﴾ متعلقان بنفخنا. ﴿**وصدقت**﴾ مريم ﴿**بكلمات**﴾ متعلق بصدقت. ﴿**ربها**﴾ مضاف إلى كلمات. ﴿**وكتابه**﴾ معطوف على كلمات. ﴿**وكانت**﴾ اسم كانت ضمير يعود على مريم. ﴿**من القانتين**﴾ متعلق بمحذوف خبر كانت.

مبحث الأسلوب البلاغي

وجه ارتباط هذه السورة بالسورة التي قبلها هو البدء بنداء النبيء.. ففي هذه السورة: ﴿**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك..**﴾ وفي السورة التي قبلها: ﴿**يا أيها النبيء، إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن..**﴾ ففي كل من السورتين ذكر الأزواج فكانت هذه السورة تكملة للسورة التي قبلها. فالأولى تتعلق بأزواج المؤمنين.. وهذه تتعلق بأزواج النبي.. فكانت بداية هذه السورة حالة خاصة بالنبي وبعض أزواجه جاء الكلام مبهماً مختصراً: ﴿**يا أيها النبيء لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم.. قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم.. وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً.. فلما نبأت به، وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض.. فلما نبأها به، قالت: من أنبأك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير..**﴾ فهذه الأحداث كانت بينه وبين بعض أزواجه. وهي حالة خاصة لم يبين النص تفاصيلها. وهناك روايات مختلفة بينت سبب نزول هذه الآيات.. ولكن النص لم يبين ولم يعين. ولعلّ من الأحسن عدم الخوض في هذه المسائل الخاصة ليبقى النص سليماً من الاحتمالات والملابسات. ثم يلتفت السياق من الحكاية عن حادث وقع إلى

مواجهة وخطاب للمرأتين كأنّ الأمر حاضراً: ﴿**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما.. وإن تظاهرا عليه.. فإن الله هو مولاه.. وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير..**﴾ فهذان الشرطان يدلان دلالة قاطعة على حالة كانت تواجه الرسول مواجهة فيها تحامل عليه من زوجتيه اللتين لم يعينهما النص. ومن هذه الجملة الضخمة الهائلة ندرك عمق الحادث وأثره في قلب الرسول ﷺ حتى احتاج الأمر إلى إعلان موالاة الله.. ثم مظاهرة جبريل والصالحين من المؤمنين وبقية الملائكة المقربين؛ ليطيب خاطر النبي، ويحس بالطمأنينة والراحة من ذلك الأمر الخطير!!..

ثم تأتي دلالة الآية التالية، وتفصيل صفات النساء اللواتي يمكن أن يبدل الله النبي بهن من أزواجه لو طلقهن، مع توجيه الخطاب للجميع في معرض التهديد: ﴿**عسى ربه ـ إن طلقكن ـ أن يبدله أزواجاً خيراً منكن: مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات: ثيبات وأبكاراً..**﴾ ثم في ظلال هذا الحادث الذي كان وقعه عميقاً في نفوس المسلمين؛ يهيب القرآن بالذين آمنوا ليؤدوا واجبهم في بيوتهم من التربية والتوجيه والتذكير.. فيقوا أنفسهم وأهليهم من النار: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم: ويفعلون ما يؤمرون..**﴾ ثم يرسم السياق مشهداً من مشاهد النار وحال الكفار فيها: ﴿**يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم، إنما تجزون ما كنتم تعملون..**﴾ فها هم أولاء الذين كفروا يعتذرون.. فلا يؤبه لاعتذارهم.. بل يجبهون بالتيئيس.. فيقال لهم: لا تعتذروا.. فليس اليوم يوم اعتذار.. إنما هو يوم الجزاء على ما كان من عمل!.. فكيف يقي المؤمنون أنفسهم وأهليهم من هذا النار؟.. فهو يبين لهم الطريق ويطمعهم بالرجاء: ﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً؛ عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يُخزِي الله النبئ والذين آمنوا معه، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ربنا إنك على كل شيء قدير..**﴾ فهذا هو الطريق: توبة نصوح.. فإنه إغراء مطمع وتكريم عظيم: تكفير السيئات.. وإدخال الجنات.. وصحبة النبي مع المؤمنين والمؤمنات.. في نور الإيمان يهتدون به في الظلمات.. ويلهمون الدعاء بإتمام هذا النور إلى آخر المطاف في أعلى الدرجات!!..

ثم بعد هذا كله يدعو السياق النبي ﷺ إلى جهاد الكفار والمنافقين: ﴿**يا أيها النبئ جاهد الكفار والمنافقين. واغلظ عليهم، ومأواهم جهنم، وبئس المصير!** . .﴾ ففي سبيل حماية الجماعة المسلمة الأولى كان الأمر لرسول الله بمجاهدة أعدائها. . فهي لفتة لها معناها وقيمتها بعد ما تقدم. . فلا تترك هذه العناصر المفسدة الجائرة الظالمة، تهاجم المعسكر الإسلامي من خارجه كما كان الكفار يصنعون. . أو تهاجمه من داخله كما كان المنافقون يفعلون. . فهكذا تتناسق هذه الجولة فيما بين آياتها واتجاهاتها؛ كما تتناسق بجملتها مع الجولة الأولى في السياق. . ثم تجيء الجولة الثالثة والأخيرة. . وكأنها التكملة المباشرة للجولة الأولى. . فهي تتحدث عن نساء كافرات في بيوت أنبياء. . وعن نساء مؤمنات في وسط كفار صرحاء: ﴿**ضرب الله مثلاً للذين كفروا: امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين. . فخانتاهما. . فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً، وقيل ادخلا النار مع الداخلين** . .﴾ فلا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان. . وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج الأنبياء. . وها هي امرأة فرعون لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه عن طلب النجاة وحدها: ﴿**وضرب الله مثلاً للذين آمنوا: امرأة فرعون؛ إذ قالت: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة، ونجني من فرعون وعمله، ونجني من القوم الظالمين** . .﴾ فامرأة فرعون نموذج عالٍ في التجرد لله من كل المؤثرات ومن كل الأواصر وكل المعوقات. ومن ثم استحقت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد. . ثم بعد هذه المرأة المسلمة تأتي مريم ابنة عمران. . فهي كذلك مثل للتجرد لله منذ نشأتها، كما هو معلوم من ذكر سيرتها: ﴿**ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها. . فنفخنا فيه من روحنا، وصدقت بكلمات ربها وكتابه، وكانت من القانتين**﴾. وإفراد امرأة بالذكر هنا مع مريم ابنة عمران يدل على المكانة العالية التي جعلتها قرينة مريم في الذكر. . فهما الاثنتان نموذجان للمرأة المطهّرة المؤمنة المصدقة القانتة، يضربهما الله لأزواج النبي ﷺ ـ ورضى عنهن ـ بمناسبة الحادث الذي نزلت فيه آيات صدر السورة. . ويضربهما كذلك للمؤمنات من بعد في كل جيل. وفي هذا الأسلوب رد العجز على الصدر. وبراعة المقطع!! . .

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**يا أيها النبئ لم تحرم ما أحل الله لك؟: تبتغي مرضاة أزواجك!، والله غفور رحيم**﴾: في مطلع هذه السورة يعرض السياق صفحة من الحياة البيتية لرسول الله ﷺ تبدأ السورة بهذا النداء من الله سبحانه إلى رسوله ﷺ.. ففيه إشارة توحي بأن ما فعله الرسول من امتناعه من شيء حلال؛ لأجل مرضاة بعض أزواجه لا ينبغي أن يكون.. فالتعقيب: والله غفور رحيم.. يوحي بأن هذا الحرمان من شأنه أن يستوجب المؤاخذة، وأن تتداركه مغفرة الله ورحمته.. فهو إيحاء لطيف.. فأما اليمين التي يوحي النص بأن الرسول ﷺ قد حلفها فقد فرض الله تحلتها: ﴿**قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم.. والله مولاكم.. وهو العليم الحكيم..**﴾ فهذا الخطاب الذي وجه أولاً إلى النبي.. ثم وجه ثانياً إلى جميع المخاطبين من المؤمنين توجيه فيه تشريع لما سيحصل من خلاف بين المؤمنين وبين أزواجهم قد يؤدي إلى امتناع من حلال أو نفرة من زوج وزوجة تجعل البيت جحيماً لا يطاق.. فقد حصل هذا بالفعل للنبي وبعض أزواجه: ﴿**وإذ أسر النبئ إلى بعض أزواجه حديثاً.. فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض.. فلما نبأها به: قالت من أنبأك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير..**﴾ فهذه الواقعة التي حدثت للرسول مع بعض أزواجه قد تحدث لكل مؤمن مع امرأته.. فمن هذا النص نطلع على نموذج من تلك الفترة العجيبة في تاريخ البشرية: الفترة التي يعيش فيها الناس مع التنزيل من العليم الحكيم.. والتنزيل يتدخل في أمرهم علانية وتفصيلاً مع النبي قبل أن يكون مع غيره؛ لأنه القدوة والنموذج الأول بكل ما يأتي به التنزيل من تشريع وتوجيه وأحكام!.. ثم يتوجه السياق بالخطاب إلى زوجتين من أزواج النبي اللتين كانتا المحور الأول والنموذج الحي لكل زوجة بعدهما: ﴿**إن تتوبا إلى الله**﴾ - بما حصل منكما - ﴿**فقد صغت قلوبكما**﴾ - إلى ما يخالف أمر الرسول ولا يرضى به - إن تتوبا إلى الله فهو الأمر المطلوب.. ﴿**وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه.. وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير**﴾!.. فهذا الأمر لم يكن أمراً خاصاً برجل وامرأتين.. ولكنّ الأمرَ أمر رسول يتلقى الأمر من الله بوساطة جبريل فيه حكم الله وشريعته وتوجيهاته.. فالله مولاه، وجبريل أمينُه والمؤمنون الصالحون والملائكة المقربون معه يوالونه ويناصرونه؟ والأمر ليس أمر زوجة ولا زوجات.. فالزوجة قد تطلق وتأتي زوجة

أخرى بدلاً منها وخيراً منها: ﴿**عسى ربُهُ إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن: مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات: ثيبات وأبكاراً. .**﴾ فهذه الصفات التي ينبغي أن تكون في أزواج النبي قبل غيرهن من أزواج المؤمنين. .

فالإسلام الذي تدل عليه الطاعة والانقياد والقيام بأمر الدين. . والإيمان الذي يعمر القلب، وعنه ينبثق الإسلام حين يصح ويتكامل. . والقنوت. وهو الطاعة القلبية. . والتوبة وهي الندم على ما وقع من مخالفة والاتجاه إلى الموافقة والطاعة. . والعبادة. وهي أداة الاتصال بالله والتعبير عن العبودية له تعالى. . والسياحة. وهي التأمل والتدبر والتفكر في إبداع الله في مخلوقاته وملكه وملكوته. . وهن ـ مع هذه الصفات ـ من الثيبات ومن الأبكار. . كما أن نساءه الحاضرات كان فيهن من تزوجها ثيباً. . ومن تزوجها بكراً. . فهذه صورة من الحياة البيتية لهذا الرجل الرسول الذي كان ينهض بإنشاء أمة على غير مثال معروف، وعلى غير نسق مسبوق. أمة تنهض بحمل أمانة العقيدة الإلهية في صورتها الأخيرة، وتنشىء في الأرض مجتمعاً ربانياً، في صورة واقعية يتأسّى بها الناس. وهي صورة من حياة إنسان كريم رفيع جليل عظيم!. . فهو يزاول إنسانيته في الوقت الذي يزاول فيه نبوءته. . فلا تفترق هذه عن تلك. . فهي الرسالة الكاملة يحملها الرسول الكامل. . فتحققت حكمة الله في تنزيل الرسالة الأخيرة للبشر بصورتها الكاملة الشاملة المتكاملة. . ثم بعد ذلك النداء الخاص بالنبي ﷺ يأتي النداء العام للمؤمنين جميعاً: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً. .**﴾ فإن تبعة كل مؤمن في نفسه وفي أهله تبعة ثقيلة رهيبة. . فالنار هناك، وهو متعرض لها هو وأهله، وعليه أن يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التي تنتظر هناك. . إنها نار عظيمة متسعرة: ﴿**وقودها الناس والحجارة. .**﴾ فالناس فيها كالحجارة سواء. في مهانة الحجارة وفي رخص الحجارة وفي قذف الحجارة دون اعتبار ولا عناية. وما أفظعها ناراً هذه التي توقد بالحجارة!. . وما أشده عذاباً هذا الذي يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة!. . فكل ما بها وما يلابسها فظيع رهيب: ﴿**عليها ملائكة غلاظ شداد**﴾! تتناسب طبيعتهم مع طبيعة العذاب الذي هم به مُوكَّلون. . لا يعصون الله ما أمرهم. . ويفعلون ما يؤمرون. .

فمن خصائصهم طاعة الله فيما يأمرهم؛ ومن خصائصهم كذلك القدرة على

النهوض بما يأمرهم.. فهم بغلظتهم هذه وشدتهم موكلون بهذه النار الشديدة الغليظة.. فعلى كل مؤمن أن يقي نفسه وأن يقي أهله من هذه النار. وعليه أن يحول بينها وبينهم قبل أن تضيع الفرصة ولا ينفع الاعتذار.. فها هم أولاء الذين كفروا يعتذرون وهم عليها وقوف.. فلا يؤبه لاعتذارهم.. بل يجبهون بالتيئيس: يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون.. لا تعتذروا.. فليس اليوم يوم اعتذار.. إنما هو يوم الجزاء على ما كان من عمل. وقد عملتم ما تجزون عليه بهذه النار!.. فكيف يقي المؤمنون أنفسهم وأهليهم من هذه النار؟ إنه يبين لهم الطريق، ويطمعهم بالرجاء: ﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، يوم لا يخزي الله النبئ والذين آمنوا معه؛ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم؛ يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير..**﴾ فهذا هو الطريق.. توبة تنصح القلب وتخلصه.. ثم لا تغشه ولا تخدعه.. فهي توبة عن الذنب والمعصية، تبدأ بالندم على ما كان.. وتنتهي بالعمل الصالح والطاعة.. فهي عندئذٍ تنصح القلب.. فتخلصه من رواسب المعاصي وعكارها.. وتحضه على العمل الصالح بعدها.. فهذه هي التوبة النصوح: التوبة التي تظل تذكّر القلب بعدها وتنصحه.. فلا يعود إلى الذنوب.. فإذا كانت هذه التوبة فهي مرجوة إذن في أن يكفر الله بها السيئات وأن يدخلهم الجنات في اليوم الذي يخزي فيه الكفار.. ولا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه.. فهذا إغراء مطمع وتكريم عظيم أن يضم الله المؤمنين إلى النبي.. فيجعلهم معه صفاً يتلقى الكرامة في يوم الخزي.. ثم يجعل لهم نوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم.. نوراً يعرفون به في ذلك اليوم الهائل المائج العصيب الرهيب.. ونوراً يهتدون به في الزحام المريج.. ونوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم إلى الجنة في نهاية المطاف. وهم في رهبة الموقف وشدته يلهمون الدعاء الصالح بين يدي الله.. فإلهامهم هذا الدعاء في هذا الموقف الذي يلجم الألسنة ويسقط القلوب هو علامة الاستجابة.. فلا يلهم الله المؤمنين هذا الدعاء إلا وقد جرى قدره بأنه سيستجيب.. فالدعاء هنا نعمة يمنّ بها الله عليهم تضاف إلى منة الله بالتكريم وبالنور.. فأين هذا من النار التي وقودها الناس والحجارة؟!. إن هذا الثواب، كذلك العقاب، كلاهما يصور تبعة المؤمن في وقاية نفسه من النار؛ وإنالتهم هذا النعيم في جنات تجري من تحتها

الأنهار. وفي ظلال ذلك الحادث الخاص الذي كان في بيوت النبي ﷺ ندرك الإيحاء المقصود هنا من وراء التوجيه في هذه النصوص. إن المؤمن مكلف هداية أهله وإصلاح بيته؛ كما هو مكلف هداية نفسه وإصلاح قلبه.

إن الإسلام دينُ أسرة؛ كما علم مما سبق في سورة الطلاق؛ ومن ثَمَّ يقرر تبعة المؤمن في أسرته وواجبه في بيته.. فالبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة. وهو الخلية التي يتألف منها.. فمن ثَمَّ كان القرآن يتنزل للرجال وللنساء؛ وكان ينظم البيوت ويقيمها على المنهج الإسلامي. وكان يحمّل المؤمنين تبعة أهليهم؛ كما يحملهم تبعة أنفسهم.. ثم يأتي بعد هذا التوجيه بيان الدفاع عن هذه المبادىء من أول يوم خرجت فيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: **﴿يا أيها النبيء جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم، وبئس المصير﴾**!.. فتجمع الآية هنا بين الكفار والمنافقين في الأمر بجهادهم والغلظة عليهم؛ لأن كلا من الفريقين يؤدي دوراً مماثلاً في تهديد المعسكر الإسلامي، وتحطيمه أو تفتيته.. فجهادهم هو الجهاد الواقي من النار.. وجزاؤهم هو قتال الكفار المهاجمين من الخارج.. والغلظة على المنافقين في الداخل دون لين أو هوادة، من رسول الله والمؤمنين في الدنيا.. وجهنم في الآخرة هي مأواهم.. وبئس المصير!!.. ثم بعد هذا كله تأتي الحقيقة الدائمة والقاعدة العامة.. فيضرب الله مثلين لفريقين من الناس يختلف كل منهما عن الآخر لاختلاف مواقفهما باختلاف نزعاتهما: **﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا: امرأة نوح وامرأة لوط؛ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين.. فخانتاهما.. فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً؛ وقيل ادخلا النار مع الداخلين.. وضرب الله مثلاً للذين آمنوا: امرأة فرعون؛ إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة، ونجني من فرعون وعمله، ونجني من القوم الظالمين، ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها.. فنفخنا فيه من روحنا، وصدقت بكلمات ربها وكتابه، وكانت من القانتين..﴾** فهذان مثلان ضربهما الله للذين كفروا: امرأة نوح وامرأة لوط..

وللذين آمنوا: امرأة فرعون ومريم ابنة عمران.. والتثنية في كل من الفريقين مقصودة في السياق ليربط بها ما تقدم في أول السورة من زوجتي النبي ﷺ اللتين انبنت عليهما جميع مقاصد هذه السورة.. فمبدأ التبعة الفردية يراد إبرازه هنا بعد

الأمر بوقاية النفس والأهل من النار؛ كما يراد أن يقال لأزواج النبي.. وأزواج المؤمنين كذلك: إن عليهن أنفسهن بعد كل شيء.. فهن مسؤولات عن ذواتهن، ولن يعفيهن من التبعة أنهن زوجات نبي أو صالح من المسلمين. وها هي ذي امرأة نوح وكذلك امرأة لوط.. كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين.. فخانتاهما.. فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً.. وقيل ادخلا النار مع الداخلين.. وها هي ذي امرأة فرعون لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه.. في قصر فرعون.. عن طلب النجاة وحدها.. فقد تبرأت من قصر فرعون، طالبة إلى ربها بيتاً في الجنة، وتبرأت من صلتها بفرعون.. فسألت ربها النجاة منه. وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به.. وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم.. فدعاء امرأة فرعون وموقفها مثلٌ للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره.. فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذٍ.. في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهى ولكنها استعلت على هذا بالإيمان. ولم تعرض عن هذا العرض فحسب.. بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاء تستعيذ بالله منه!.. فهي عال في التجرد لله من كل هذه المؤثرات. ومن ثم استحقّتْ هذه الإشارة في كتاب الله الخالد!. وكذلك مريم ابنة عمران مثل للتجرد لله منذ نشأتها التي قصّها الله في سورة أخرى.. فيذكر هنا تطهيرها وحصانتها ونفخة روح الله فيها.. فكان عيسى عليه السلام.. كما قال عنها في سورة الأنبياء: ﴿**والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين!!**﴾ فامرأة فرعون ومريم هما نموذجان للمرأة المطهرة المؤمنة المصدقة القانتة يضربهما الله لأزواج النبي بمناسبة الحادث الذي نزلت فيه آيات صدر السورة.. ويضربهما كذلك للمؤمنات من بعدُ في كل جيل.. وأخيراً.. فإن هذه السورة قطعة حية من السيرة رسمها القرآن بأسلوبه الموحي، لا تملك روايات البشر التاريخية عن تلك الفترة أن ترسمها.. فالتعبير القرآني أكثر إيحاء وأبعد آماداً؛ وهو يستخدم الحادثة المفردة لتصوير الحقيقة المجردة الباقية وراء الحادثة ووراء الزمان والمكان.. كما هو شأن القرآن!.

تعليق مفيد وجديد: السور في هذا الجزء ـ الثامن والعشرون ـ كلها مدنية. وأكثر ما فيها متعلقة بالأحكام الشرعية.. وأبرز ما فيها ما يتعلق بالمرأة والرجل والأسرة والبيت بما فيه من استقرار وتوافق وتنافر وتخالف وتشاقق، من أول سورة

المجادلة.. إلى ما في سورة الممتحنة والطلاق والتحريم.. ففي أول سورة المجادلة حكم الظهار وما يتعلق به وفي سورة الطلاق والتحريم حكم الطلاق وما يتعلق به، وحكم تحريم الحلال إرضاء لزوجة ولو وقع من النبي نفسه. وبعد الجزء الثامن والعشرين يأتي الجزء التاسع والعشرون. وسُوَرُهُ كلها مكية وأكثر ما فيها متعلقة بالعقيدة في الله وفي الوحي وفي اليوم الآخر. وإنشاء التصور المنبثق من هذه العقيدة لهذا الكون وعلاقته بخالقه.. فالسور المدنية تعالج ـ في الغالب ـ تطبيق العقيدة في الحياة الواقعية، وحمل النفوس المؤمنة على حمل أمانة العمل بالشريعة المتعلقة بأعمال المكلفين..

والسور المكية تعالج ـ في الغالب ـ إنشاء تصور جديد للكون وعلاقته بخالقه؛ تصور واسع شامل يتجاور عالم الأرض الضيق، إلى عوالم السماوات وإلى خلائق أخرى من الجن والطير.. وإلى عوالم الغيب غير الظاهر. وهو مستور على حس البشر.. فلهذا جاءت سورة الملك أول الجزء التاسع والعشرين مباشرة بعد ختام الجزء الثامن والعشرين!.

1 ـ أظهر ما في هذه السورة
بيان أسرار ما في الكون الظاهرة والمستورة

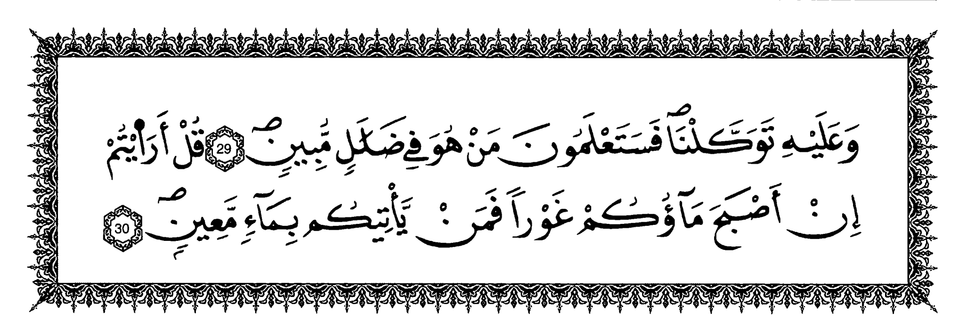


النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (1) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (2) ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (3) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4) وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (5) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (6) إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (9) وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (10) فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (11) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (12)

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿13﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿14﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿15﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿16﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿17﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿18﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿19﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿20﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿21﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿22﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿23﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿24﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿25﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿26﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿27﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿28﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**تبارك الذى بيده الملك**﴾: تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه، الله الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الأمور، فهو مالك الملك لا إله إلا هو، هو الملك القدوس! فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء. . . ﴿**وهو على كل شىء قدير. الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾؟. فيختبركم ويمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت والحياة، ليجازيكم على أحسن عمل بأحسن جزاء. . . ﴿**وهو العزيز الغفور. الذى خلق سبع سماوات**﴾: السبع السماوات من عالم الغيب كما سبق فى سورة الطلاق. . . ﴿**طباقا**﴾: مطابقة بعضها لبعض؛ لكونها داخلة تحت تصرف الله المِلك المالك لكل شىء. . . ﴿**ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت**﴾: ما ترى أيها الناظر إلى السماء فيها شيئا من الاختلاف وعدم التناسب. . .

﴿**فارجع البصر: هل ترى من فطور**﴾؟!: فإن كانت لك شبهة اختلاف، فارجع البصر مرة أخرى وانظر نظر مدقق: هل ترى أى شق أو خرق أو فتق ؟!.. ﴿**ثم ارجع البصر كرتين**﴾: ثم عاود النظر مرات ومرات. إن فعلت ذلك. . . ﴿**ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير**﴾: خائبا كالاً من حصول أى شىء مما تريده من وجود خلل أو نقص فى هذه السماوات العظام! ..﴿**ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح**﴾: هذه المصابيح المضيئة الجميلة فى الجو فوقك زينة للسماء الدنيا القريبة منك حسبما يتراءى لك، ولكنها أبعد ما يكون عنك! ..﴿**وجعلناها رجوما للشياطين**﴾: تدفع شياطين الجن عن استراق السمع، وتكشف شياطين

الإنس عن كذبهم فى ادعاء علم الغيب ومعرفتهم بعلوم الكون، وأنهم يعرفون عنه الكثير والكثير!. فما ذاك إلا ضلال وأوهام... ﴿**وأعتدنا لهم عذاب السعير**﴾: هيّأنا لهؤلاء وأولئك عذاب السعير يوم القيامة... ﴿**وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم**﴾: وللذين كفروا عموما وللشياطين والمنجمين والمدّعين خصوصا عذاب جهنم... ﴿**وبئس المصير!. إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا**﴾: إذا طرحوا فى جهنم كما يُطرَح ويُرمى الحطب فى النار، سمعوا لجهنم صوتا مزعجا كصوت الحمير. «إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير!.»... ﴿**وهى تفور**﴾: تغلى غليان القدر على النار... ﴿**تكاد تميز**﴾: تقرب أن تتقطع وينفصل بعضها عن بعض... ﴿**من الغيظ**﴾: من شدة الغضب على الكفار... ﴿**كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها: ألم يأتكم نذير؟!. قالوا: بلى قد جاءنا نذير فكذبنا. وقلنا: ما نزّل الله من شىء**﴾!. مفردات هذا الحوار واضحة لا تحتاج إلى بيان... ﴿**إن أنتم إلاّ فى ضلال كبير**﴾: كلام الكفرة للرسل المنذرين، أو كلام الخزنة للكفرة، أو كلام الرسل المنذِرين لقومهم المنذَرين... ﴿**وقالوا: لوكنا نسمع**﴾: نسمع الإنذار سماع طالب الحق... ﴿**أو نعقل**﴾: أو نعقله عقل متأمل! ..﴿**ما كنا فى أصحاب السعير**﴾!: مع الشياطين وأهل الكفر أجمعين... ﴿**فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير. إنّ الذين يخشون ربهم بالغيب. لهم مغفرة وأجر كبير!. وأسروا قولكم أو اجهروا به**﴾: مثل قوله تعالى: «سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار»... ﴿**إنّه عليم بذات الصدور. ألا يعلم من خلق ؟!. وهو اللطيف الخبير**﴾: فعلم الله داخل فى أدق الأشياء ومحيط بكل شىء... ﴿**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا**﴾: لينة سهلة مهيّأة ميسر العمل فيها وعليها... ﴿**فامشوا فى مناكبها**﴾: فاسلكوا وسيروا واعملوا فى جوانبها ودروبها وجبالها، فكل ما فيها وعليها لكم... ﴿**وكلوا من رزقه**﴾: مما فى الأرض من رزق. «وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه» سبحانه وتعالى... ﴿**وإليه النشور**﴾: ونشوركم من قبوركم بعد الموت يوم القيامة إلى الله وحده، لا إلى غيره... ﴿**أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ؟!. فإذا هى تمور**﴾: فمور الأرض زلزلتها، وخسفها وانفتاح هوة فيها تبتلع من عليها منكم...

﴿**أم أمنتم من فى السماء**﴾: ملكوتُه وجبروتُه... ﴿**أن يرسل عليكم**

حاصبا﴾: يحصبكم بالحجارة المحرقة، فقد خسف بقارون. وقوم لوط قلبت عليهم قراهم، وأمطرت عليهم حجارة من سجيل! ..**﴿فستعلمون كيف نذير ؟!. ولقد كذب الذين من قبلكم. فكيف كان نكير ؟!. أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن﴾**: سؤال عن عدم اعتبار الكفار بما يرونه من آيات فى طيران الطير، صافات وقابضات اجنحتها مدًّا وردًّا... **﴿ما يمسكهن إلا الرحمن﴾**: حيث خلق الطير مهيأة للسبح فى الجو كما هيأ السمك للسبح فى الماء... **﴿إنّه بكل شىء بصير. أم مّن هذا الذى هو جند لكم﴾**؟!: بل من هذا المشار إليه: الذى هو جند لكم... **﴿ينصركم من دون الرحمن﴾**: فالمعنى: بل مَنْ هذا الحقير: الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم نصرا كائنا من دون نصر الله تعالى ؟!. والجواب: ليس هناك ناصر من دون الله الرحمن الرحيم! ..**﴿إن الكافرون إلاّ فى غرور﴾**: والغرور معروف، ذكر فى القرآن كثيرا معرفا بالألف واللام، وذكر هنا منكرا ليشمل كل غرور خادع... **﴿أم من هذا الذى يرزقكم؟ إن أمسك رزقه﴾**: جملة شرطية على تقدير إمساكه الرزق عنهم... **﴿بل لجوا فى عتو ونفور﴾**: لم يتأثروا ويذعنوا للحق، بل تمادوا فى عناد واستكبار وطغيان ونفور... **﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى. أمن يمشى سويا على صراط مستقيم﴾**؟!، فأيهم أهدى ؟ ..**﴿قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون. قل هو الذى ذرأكم فى الأرض﴾**: خلقكم وكثركم، فانتشرتم فيها... **﴿وإليه تحشرون﴾**: يوم القيامة... **﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾**؟!. صادقين فيما تخبروننا به من الحشر فبينوا لنا وقته... **﴿قل إنما العلم عند الله﴾**: علم الساعة عند الله وليس عندى... **﴿وإنّما أنا نذير مبين﴾**: أُنذِرُ الناسَ به وأبين ما يقع فيه... **﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا﴾**: فلما رأوا العذاب حاضرا قريبًا منهم ساء هذا العذاب وجوههم، فَعَلَتْها الكآبةُ والمساءةُ، وغشيتها القترةُ والسواد... **﴿وقيل: هذا الذى كنتم به تدّعون﴾**: كنتم به تكذبون وتطلبون مجيئه استهزاء! ..**﴿قل: أرأيتم إن أهلكنىَ الله ومن معى أو رحمنا. فمن يجير الكافرين من عذاب أليم. قل: هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا. فستعلمون من هو فى ضلال مبين ؟!. قل: أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا ؟!. فمن يأتيكم بماء معين﴾**؟!. فلا أحد يأتيكم بالماء إذا غار الماء وذهب فى غيابات الأرض!.

مبحث الإعراب

﴿**تبارك**﴾ فعل ماض. ﴿**الذى**﴾ فى محل رفع فاعل. ﴿**بيده**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**الملكُ**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول. ﴿**وهو**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر الآتى. ﴿**شىءٍ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**قديرٌ**﴾ خبر المبتدإ، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**الذى**﴾ فى محل رفع بدل من الموصول الفاعل، أى: تبارك الذى خلق الموت والحياة كذلك. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الذى. ﴿**الموتَ**﴾ مفعول به. ﴿**والحياة**﴾ معطوف عليه. ﴿**ليبلوكم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الموصول، وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بخلق، أى: خلق الموت والحياة لأجل بلائكم واختباركم. ﴿**أيُّكم**﴾ مبتدأ. ﴿**أحسنُ**﴾ خبره. ﴿**عملا**﴾ تمييز.

﴿**وهو**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**العزيز الغفور**﴾ خبران للمبتدإ، والجملة تذييل. ﴿**الذى خلق**﴾ مثل الذى خلق الموت. ﴿**سبع**﴾ مفعول به. ﴿**سماوات**﴾ مضاف إلى سبع. ﴿**طباقا**﴾ نعت لسبع. ﴿**ما ترى**﴾ فعل مضارع منفى بما، والفاعل ضمير المخاطب، والجملة استئناف. ﴿**فى خلق**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الرحمن**﴾ مضاف إلى خلق. ﴿**من تفاوت**﴾ مفعول به مجرور بحرف الجر الزائد فى محل نصب. ﴿**فارجع**﴾ أمر معقب به على ما قبله. ﴿**البصر**﴾ مفعول به. ﴿**هل ترى**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام، وفاعل ترى ما تقدم فى ترى. ﴿**من فطور**﴾ مثل من تفاوت فى زيادة حرف الجر. ﴿**ثم ارجع البصر**﴾ مترتب على ما قبله بثُمّ. ﴿**كرتين**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ينقلب**﴾ فعل مضارع مجزوم فى جواب الأمر. ﴿**إليك**﴾ متعلق بينقلب. ﴿**البصرُ**﴾ فاعل. ﴿**خاسئا**﴾ حال من البصر. ﴿**وهو حسير**﴾ مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على الحال قبلها. ﴿**ولقد زينا السماء**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للسماء. ﴿**بمصابيح**﴾ متعلق بزينا. ﴿**وجعلناها**﴾ معطوف على زينا السماء. ﴿**رجوما**﴾ مفعول ثان. ﴿**للشياطين**﴾ متعلق برجوما. ﴿**وأعتدنا**﴾ فعل وفاعل معطوف على ما قبله. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعتدنا. ﴿**عذاب**﴾ مفعول به. ﴿**السعير**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**وللذين**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**بربهم**﴾ متعلق بكفروا. ﴿**عذابُ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**جهنم**﴾

مضاف إلى عذاب مجرور بالفتحة. ﴿**وبئس**﴾ المصير فعل وفاعل. ﴿**إذا**﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه.

﴿**ألقوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل فى محل جر مضاف إلى الظرف. ﴿**فيها**﴾ متعلق بألقوا. ﴿**سمعوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب إذا عملت فيه النصب. ﴿**لها**﴾ متعلق بسمعوا. ﴿**شهيقا**﴾ مفعول به. ﴿**وهى**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**تفور**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على جهنم، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**تكاد**﴾ فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة، واسم تكاد ضمير يعود على جهنم. ﴿**تميز**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير مثل اسم تكاد، والجملة خبر تكاد، وجملة تكاد تميز خبر ثانٍ. ﴿**من الغيظ**﴾ متعلق بتميز. ﴿**كلما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**ألقى**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. ﴿**فيها**﴾ متعلق بألقى. ﴿**فوجٌ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**سألهم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**خزنتُها**﴾ فاعل، والجملة جواب شرط كلما. ﴿**ألم يأتكم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى الجازم، وحرف الإستفهام، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**نذيرٌ**﴾ فاعل. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بلى**﴾ حرف جواب، يؤتى به لنفى النفى، ونَفْىُ النَّفْىِ إثبات، ولهذا قالوا. ﴿**قد جاءنا**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق، والضميرالمتصل بالفعل مفعول. ﴿**نذير**﴾ فاعل، وجملة قالوا جواب الإستفهام. وجملة قد جاءنا نذير مقول القول. ﴿**فكذبنا**﴾ فعل وفاعل مرتب على جاءنا. ﴿**وقلنا**﴾ معطوف على كذبنا. ﴿**ما نزل الله**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. ﴿**من شئ**﴾ مفعول به مجرور بحرف الجر الزائد فى محل نصب، وجملة ما نزل الله من شئ مقول القول. ﴿**إن أنتم**﴾ فى محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف النفى. ﴿**إلاّ فى ضلال**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ، وإلاّ ملغاة. ﴿**كبير**﴾ نعت لضلال، والجملة مقول القول. ﴿**وقالوا**﴾ معطوف على قالوا. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**كنّا**﴾ كان واسمها. ﴿**نسمع**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن، والجملة خبر كان. ﴿**أو نعقل**﴾ معطوف على نسمع. ﴿**ما كنّا**﴾ كان واسمها دخل عليها حرف النفى. ﴿**فى أصحاب**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**السعير**﴾ مضاف إلى أصحاب، وجملة ما كنّا فى أصحاب السعير جواب شرط لو. ﴿**فاعترفوا**﴾ فعل وفاعل، والفاء للتعقيب. ﴿**بذنبهم**﴾ متعلق باعترفوا. ﴿**فسحقا**﴾ مفعول مطلق مرتب على ما قبله.

﴿**لأصحاب**﴾ متعلق بسحقا. ﴿**السعير**﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يخشون ربهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول. ﴿**بالغيب**﴾ متعلق بيخشون. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مغفرة**﴾ مبتدأ مؤخر، وجملة لهم مغفرة خبر إنّ. ﴿**وأجرٌ**﴾ معطوف على مغفرة. ﴿**كبير**﴾ نعت لأجر. ﴿**وأسروا**﴾ أمر موجه إلى المكلفين. ﴿**قولكم**﴾ مفعول به. ﴿**أو اجهروا**﴾ معطوف على أسروا. ﴿**به**﴾ متعلق باجهروا. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**عليم**﴾ خبرها. ﴿**بذات**﴾ متعلق بعليم. ﴿**الصدور**﴾ مضاف إلى ذات، والجملة تعليل. ﴿**ألا يعلم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى وهمزة الاستفهام. ﴿**مَنْ**﴾ فى محل رفع فاعل. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلة مَنْ. ﴿**وهو**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**اللطيفُ الخبيرُ**﴾ خبران للمبتدإ، والجملة حال من فاعل يعلم. ﴿**هو**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**الذى**﴾ فى محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**جعل**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلة الذى. ﴿**لكم**﴾ متعلق بجعل. ﴿**الأرض**﴾ مفعول أول. ﴿**ذلولا**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فامشوا**﴾ أمر مرتب على ما قبله. ﴿**فى مناكبها**﴾ متعلق بامشوا. ﴿**وكلوا**﴾ معطوف على امشوا. ﴿**من رزقه**﴾ متعلق بكلوا. ﴿**وإليه**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**النشورُ**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على جعل لكم الأرض ذلولا. ﴿**أأمنتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول فى محل نصب معمول لأمنتم. ﴿**فى السماء**﴾ متعلق بمحذوف صلة الموصول. ﴿**أن يخسف**﴾ فعل مضارع منصوب بأن، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**بكم**﴾ متعلق بيخسف. ﴿**الأرض**﴾ مفعول به، وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر منصوب بدل من مَنْ، أى: أأمنتم خسف الأرض بكم. ﴿**فإذا هى**﴾ فى محل رفع مبتدأ دخلت عليه إذا الفجائية تعقيبا على ما قبله. ﴿**تمور**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الأرض، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**أم أمنتم من فى السماء أن يرسل**﴾ معطوفة بأم على الآية السابقة، مثلها فى الإعراب.

﴿**عليكم**﴾ متعلق بيرسل. ﴿**حاصبا**﴾ مفعول به. ﴿**فستعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه فاء التعقيب. ﴿**كيف**﴾ فى محل نصب حال مما بعده. ﴿**نذير**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف. ﴿**ولقد كذّب**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق ولام القسم وواو العطف. ﴿**الذين**﴾

فى محل رفع فاعل كذّب. ﴿**من قبلهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**فكيف**﴾ فى محل نصب حال من نكير الآتى. ﴿**كان**﴾ فعل ماض تام. ﴿**نكير**﴾ فاعل مرفوع بضمة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، أى: فستعلمون حال نكيرى كيف وقع! .﴿**أولم يروا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى الجازم وواو العطف وحرف الاستفهام. ﴿**إلى الطير فوقَهم**﴾ متعلقان بيروا. ﴿**صافاتٍ**﴾ حال من الطير منصوب بالكسرة. ﴿**ويقبضن**﴾ فعل وفاعل معطوف على الحال، فالجملة حال كذلك. ﴿**ما يمسكهن**﴾ فعل مضارع منفىّ بما، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**إلا**﴾ مفرغ. ﴿**الرحمنُ**﴾ فاعل، والجملة استئناف. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**بكل**﴾ متعلق بالخبر الآتى. ﴿**شئ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**بصير**﴾ خبر إنّ. ﴿**أم**﴾ للإضراب والعطف، بمعنى بل. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول فى محل رفع مبتدأ. ﴿**هذا**﴾ فى محل رفع خبره. ﴿**الذى**﴾ فى محل رفع بيان لاسم الإشارة. ﴿**هو**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**جند**﴾ خبره، والجملة صلة الذى. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لجند. ﴿**ينصركم**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على جند، والجملة نعت لجند. ﴿**من دون**﴾ متعلق بينصركم. ﴿**الرحمن**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**أم من هذا الذى**﴾ إعرابه مثل إعراب نظيره. ﴿**يرزقكم**﴾ صلة الذى. ﴿**إن أمسك**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الشرط، والفاعل ضمير يعود على الذى. ﴿**رزقه**﴾ مفعول به، وجواب شرط إنْ محذوف يدل عليه ما قبله، أى: إن أمسك رزقه فمن يرزقكم ؟! .﴿**بل**﴾ حرف إضراب وعطف على مقدر، والتقدير: فلم يتأثروا بذلك بل لجوا ..الخ. ﴿**لجّوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فى عتوّ**﴾ متعلق بلجوا. ﴿**ونفور**﴾ معطوف على عتوّ. ﴿**أفمن**﴾ فى محل رفع مبتدأ، دخل عليه فاء الترتيب وحرف الاستفهام. ﴿**يمشى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على مَن، والجملة صلة الموصول. ﴿**مكبا**﴾ حال من الضمير الفاعل. ﴿**على وجهه**﴾ متعلق بمكبا.

﴿**أهدى**﴾ خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. ﴿**أم من يمشى سويا**﴾ معطوف بأم على أفمن يمشى مكبا، وهو مثله فى الإعراب. ﴿**على صراط**﴾ متعلق بسويا. ﴿**مستقيم**﴾ نعت لصراط. ﴿**قل**﴾ أمر موجه للرسول. ﴿**هو**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**الذى**﴾ فى محل رفع خبر. ﴿**أنشأكم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلة الموصول. ﴿**وجعل**﴾

معطوف على أنشأكم. ﴿**لكم**﴾ متعلق بجعل. ﴿**السمعَ**﴾ مفعول به. ﴿**والأبصار والأفئدة**﴾ معطوفان على السمع. ﴿**قليلا**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر. ﴿**ما**﴾ صلة. ﴿**تشكرون**﴾ فعل وفاعل، وتقدير الكلام: تشكرون شكرا قليلا، والجملة حال من الضمير فى لكم. ﴿**قل هو الذى ذرأكم**﴾ إعرابه مثل إعراب قل هو الذى أنشأكم، والجملتان فى محل نصب مقول القول. ﴿**فى الأرض**﴾ متعلق بذرأكم. ﴿**وإليه**﴾ متعلق بما بعده. تحشرون الجملة من الفعل ونائب الفاعل معطوفة على ذرأكم. ﴿**ويقولون**﴾ فعل وفاعل، والواو للعطف. ﴿**متى**﴾ اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ. ﴿**هذا**﴾ فى محل رفع خبره. ﴿**الوعدُ**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ كان واسمها وخبرها فعل شرط إنْ، وجواب الشرط مقدّر، والتقدير: إن كنتم صادقين فيما تخبروننا به من البعث والحشر والحساب فبينوا لنا وقته. ﴿**قل**﴾ أمر موجه للرسول. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**العلمُ**﴾ مبتدأ. ﴿**عندَ**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**وإنّما أنا**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**نذير**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**مبين**﴾ نعت لنذير، والجملة معطوفة على الجملة قبلها. ﴿**فلما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**رأوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط لمّا، والفاء فصيحة أفصحت عن جملتين مقدرتين، والتقدير: وقد أتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه. ﴿**زلفة**﴾ حال من الضمير المفعول. ﴿**سيئت**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. ﴿**وجوه**﴾ نائب الفاعل. الذين فى محل جر مضاف إلى وجوه. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وقيل**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول معطوف على ماقبله. ﴿**هذا**﴾ فى محل رفع مبتدأ. ﴿**الذى**﴾ فى محل رفع خبره. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده.

﴿**تدّعون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجملة كنتم به تدعون صلة الموصول، وجملة هذا الذى مقول القول. ﴿**قل**﴾ فعل أمر. ﴿**أرأيتم**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الإستفهام. ﴿**إن أهلكنىَ**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الشرط، والنون للوقاية، وياء المتكلم فى محل نصب مفعول به، وحركت الياء بالفتحة للتخفيف. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**ومَنْ**﴾ فى محل نصب معطوف على ياء المتكلم. ﴿**معىَ**﴾ ظرف متعلق بمحذوف صلة مَنْ، وياء المتكلم فى محل جر مضافة إلى الظرف، وحركت بالفتحة تخفيفا. ﴿**أو رحمنا**﴾ معطوف على أهلكنىَ الله ومن معىَ. ﴿**فمن**﴾ اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ. ﴿**يجير**﴾ فعل مضارع،

والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة خبر المبتدإ، والجملة من المبتدإ والخبر جواب شرط إن أهلكنىَ، والفاء رابط. **﴿الكافرين﴾** مفعول به. **﴿من عذاب﴾** متعلق بيجير. **﴿أليم﴾** نعت لعذاب. **﴿قل﴾** أمر. **﴿هو﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿الرحمنُ﴾** خبر المبتدإ. **﴿آمنا﴾** فعل وفاعل. **﴿به﴾** متعلق بآمنا. **﴿وعليه﴾** متعلق بما بعده. **﴿توكلنا﴾** فعل وفاعل، والجملة معطوفة على آمنا. **﴿فستعلمون﴾** فعل وفاعل تعقيب بالفاء على ما قبله. **﴿مَنْ﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿هو﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿فى ضلال﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ، والجملة صلة مَنْ. **﴿مبين﴾** نعت لضلال. **﴿قل أرأيتم﴾** سبق إعراب مثلها. **﴿إن أصبح﴾** فعل ماض ناقص، فعل شرط إن. **﴿ماؤكم﴾** اسم أصبح. **﴿غورا﴾** خبر أصبح. **﴿فمن﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿يأتيكم﴾** فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة خبر المبتدإ، وجملة فمن يأتيكم جواب شرط إنْ، والفاء رابط. **﴿بماءٍ﴾** متعلق بيأتيكم. **﴿معين﴾** نعت لماء.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿تبارك الذي بيده الملك﴾: ففى أول هذه السورة رباط وثيق بما سبق من السور في الجزء السابق. فالحاكم والمالك والخالق والرازق هو الذي يشرّع ويبين ويفصل كل ما يتعلق بحياة الإنسان المكلف بأمانة الله ؛ في نفسه، وما يدور به من أحداث ووقائع في المكان والزمان. فكل حقائق السورة وموضوعاتها، وكل صورها وإيحاءاتها مستمدة من شيئين مهمين: **﴿ألا لهُ الخلقُ والأمر، تبارك الله رب العالمين﴾!.** فحقائق السورة وإيحاءاتها تتوالى في السياق، وتتدفق بلا توقّف، مفسرة مدلول المطلع المجمل الشامل، فلا تقسم إلى مقاطع.

فيستمر استعراضها على نسق واحد، فهذه التسبيحة في مطلع هذه السورة تهتف بعلو هذا الملِك المالك وعظمته، ونمو خيراته وزيادة بركاته على الكون وما فيه ومن فيه. فهى ترنيمة تتجاوب بها أرجاء الكون، ويعمر بها قلب كل مؤمن، فهى تنطلق من المنطق الإلهى في كتابه الكريم: **﴿تبارك الذي بيده الملك!.. وهو على كل شىء قدير﴾**: فهذه الجملة موصولة بالعطف على ما قبلها، مقررة لمضمونها، مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى في جلائل الأمور ودقائقها. . .

﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾: فصلت هذه الجملة فلم تعطف لأنها جاءت تفصيلا لبعض أحكام الملك وآثار القدرة، وبيان انشائها على قوانين الحِكَم والمصالح، واستتباعها لغايات جليلة. فالمراد بالموت هنا الموت الطارئ، وبالحياة ما قبل الموت وما بعده، فتقديم الموت لكونه أدعى إلى إحسان العمل، والألف واللام عوض عن المضاف إليه، أي: خلق موتكم وحياتكم ؛ ليعاملكم معاملة من يختبركم: أيكم أحسن عملا ؟!. فيجازيكم على مراتب مختلفة حسب طبقات علومكم وأعمالكم... ﴿**وهو العزيز الغفور**﴾: تذييل مقرر لمضمون ما سبقه... ﴿**الذي خلق سبع سماوات طباقا**﴾: كل ما في هذا الكلام آثار لمدلول الكلام الذي قبله، فالقرآن يوجه النظر إلى خلق الله في السماوات بصفة خاصة، وفى كل ما خلق بصفة عامة، يوجه النظر إلى خلق الله وهو يتحدى بكماله كل ناظر... ﴿**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**﴾: فأسلوب التحدى من شأنه أن يثير الاهتمام والجد في النظر إلى السماوات... ﴿**فارجع البصر هل ترى من فطور ؟. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير**﴾!. فمن هذا يكل القرآنُ الناسَ إلى النظر في هذا الكون، وإلى تملّى مشاهده وعجائبه، ذلك أن القرآن يخاطب الناس جميعا، وفى كل عصر، يخاطب ساكن الغابة وساكن الصحراء، كما يخاطب ساكن المدينة ورائد البحار، فهو يخاطب الأمى الذي لم يقرأ، كما يخاطب العالم الفلكى، والعالم الطبيعى، والعالم النظرى سواء. ولكل واحد من هؤلاء يجد في القرآن ما يصله بهذا الكون، وما يثير في قلبه التأمل والاستجابة والمتاع!. والجمال في تصميم هذا الكون مقصود كالكمال، بل إنهما اعتباران لحقيقة واحدة، فالكمال يبلغ درجة الجمال. ومن هذا يوجه القرآن النظر إلى جمال السماوات بعد أن وجه النظر إلى كمالها...

﴿**ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح**﴾: فتصدير الجملة بالقسم لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها، فالقرآن يوجه النفس إلى جمال السماء، وإلى جمال الكون كله؛ لأن إدراك جمال الوجود وهو أقرب وأصدق وسيلة لادراك جمال خالق الوجود. وهذا الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه، فإن أسعد لحظات القلب البشرى لهى اللحظات التي يتقبل فيها جمال الإبداع الإلهى في الكون، ذلك أنها هى اللحظات التي تهيئه وتمهد له ليتصل بالجمال الإلهى ذاته ويتملاه. ثم يذكر النص القرآنى هنا أن هذه المصابيح التي زين اللهُ السماء

الدنيا بها هى كذلك ذات وظيفة أخرى. . . ﴿**وجعلناها رجوما للشياطين**﴾. ثم يستطرد فيما أعده الله للشياطين غير الرجوم. . . ﴿**وأعتدنا لهم عذاب السعير**﴾. فالرجوم في الدنيا، وعذاب السعير في الآخرة لأولئك الشياطين، فلما ذكر مصابيح السماء ذكر اتخاذَها رجوما للشياطين، ولما ذكر ما أعد للشياطين من عذاب السعير ذكر بعده ما أعده الله للذين كفروا من أتباع هؤلاء الشياطين. . . ﴿**وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير**﴾!. فالعلاقة هنا بين الشياطين والذين كفروا علاقة مقصودة. ثم يرسم السياق مشهدا لجهنم هذه، وهى تستقبل الذين كفروا في غيظ وحنق شديد. . . ﴿**إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ**﴾!. فالتعبير هنا يقرر حقيقة مكنونة في كل شئ في هذا الوجود، فجهنم هنا مخلوقة حيّة تكظم غيظها، وهى تنطوى على بغض وكره يبلغ إلى حد الغيظ والحنق على الكافرين، وندهش حين نرى الإنسان يكفر بخالقه!. وقوله تعالى. . . ﴿**كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها: ألم يأتكم نذير**﴾؟!. استئناف مسوق لبيان حال أهل جهنم بعد بيان حال نفسها، وواضح أن هذا السؤال في هذا الموضع هو للتأنيب والتقريع، فهى مشاركة لجهنم في الغيظ والحنق. فيأتى الجواب من أهل جهنم في ذلة وانكسار، واعتراف بالحمق والغفلة، بعد التبجح والإنكار، واتهام الرسل بالضلال. . . ﴿**قالوا: بلى!. قد جاءنا نذير فكذبنا. وقلنا: ما نَزَّل الله من شئ. إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير. فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير**﴾!. والمألوف في سياق القرآن أن يعرض صفحتين متقابلتين في مشهد القيامة، فهو يعرض هنا صفحة المؤمنين في مقابل صفحة الكافرين تتمة لمدلول قوله تعالى: ليبلوكم أيكم أحسن عملا. . .

﴿**إنّ الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير. وأسروا قولكم أو اجهروا به**﴾: هذه الآية تربط ما قبلها في السياق بما بعدها في تقرير علم الله بالسر والجهر، بتقديم السر على الجهر؛ لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر، إذ ما من شئ يُجهر به إلا وهو مضمر في النفس، وقوله تعالى. . . ﴿**إنه عليم بذات الصدور**﴾ تعليل لما قبله وتقرير له. وفى فعيل ـ عليم ـ صيغة مبالغة تفيد إحاطة علم الله بما هو أخفى من السر، وقوله تعالى. . . ﴿**ألا يعلم من خلق**﴾؟!: إنكار ونفى لعدم إحاطة علم الله تعالى بالمضمر والمظهر. . . ﴿**وهو اللطيف الخبير**﴾: تذييل لمضمون ما تقرر من إحاطة علمه بكل ما خلق من كل

شئ. ثم ينتقل السياق بالمخاطبين من ذوات أنفسهم التي خلقها الله، إلى الأرض التي خلقها لهم وذللها وأودعها أسباب الحياة. . . ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا**﴾: فهذا التعبير بهذا الأسلوب يذكر المخاطبين هذه النعمة الهائلة، ويبصرهم بها في هذا الخطاب الموجه، الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول، فهى مدلولات مجملة محرِكة، يفصّلها العلم ـ فيما اهتدى إليه حتى اليوم ـ تفصيلا يمد في مساحة النص القرآنى في الإدراك، فإذا استيقظ الإنسان لهذه الحقيقة الهائلة أذن له الخالق الرحمن بالمشى في مناكبها والأكل من رزقه فيها. . . ﴿**فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**﴾. فعبارة «امشوا في مناكبها»، مثل لفرط التذليل، فإن منكب البعير لا يطأه الراكب بقدمه. فإذا جعل الله الأرض في الذل، بحيث يتأتى المشى في مناكبها لم يبق منها شئ لم يتذلّل!، فإذا أذن للإنسان بالمشى في مناكبها، فقد أذن له بالمشى في سهولها وبطاحها من باب أولى!. وهذا المشى في الأرض والأكل من رزق الله محدود بزمن مقدر في علم الله، فإذا انقضت فترة الابتلاء في هذه الحياة كان الموت، وكان ما بعده. . . ﴿**وإليه النشور**﴾: وإلاّ فإلى أين إن لم يكن إليه سبحانه وتعالى؟!.

فالملك بيده، ولا ملجأ منه إلاّ إليه، وهو على كل شئ قدير. والآن وبينما هم في هذا الأمان على ظهر الأرض الذلول، وفى هذا اليسر الفائض بإذن الله وأمره، الآن يهز هذه الأرض الساكنة من تحت أقدامهم هزا ويرجها رجا، فإذا هي تمور، ويثير الجوّ من حولهم، فإذا هو حاصب يضرب الوجوه والصدور. . . ﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ؟. فإذا هى تمور. أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا**﴾؟!. فالقرآن هنا يذكر الناس ويخاطبهم مباشرة، فيذكرهم بهذه الجمحات التي لا يملكون من أمرها شيئا، فالأرض الثابتة تحت أقدامهم ترتج وتمور وتقذف بالحمم وتفور، والريح الرخاء من حولهم تتحول إلى إعصار حاصب لا تقف له قوة في الأرض من صنع البشر، ولا تصده عن التدمير!. يحذرهم وينذرهم في تهديد يرجّ الأعصاب، ويخلخل المفاصل. . . ﴿**فستعلمون: كيف نذير**﴾؟!. ثم يضرب بالسياق للناس المخاطبين بهذا التهديد والإنذار الأمثلة من واقع البشرية، ومن وقائع الغابرين المكذبين. . . ﴿**ولقد كذب الذين من قبلهم. فكيف كان نكير**﴾؟!. فالالتفات من الخطاب إلى الغيبة لإبراز الإعراض عن المخاطبين، وعرض الأمر على حقيقته البارزة صدقوه أو كذبوه!. ثم

ينتقل السياق من صدمة التهديد والتدمير؛ إلى لمسة التأمل والتفكير. . . ﴿**أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن؛ ما يمسكهن إلاّ الرحمن**﴾. فليتأمل الناظر هذا المشهد وليتابع كل نوع من الطير في حركاته الخاصة بنوعه، لا يملّه النظر، ولا يمله القلب، وهو متعة فوق ما هو مثار تفكير وتدبير في صنع الله البديع!، الذي يتعانق فيه الكمال والجمال!. ثم يوحى النص بما وراءه من التدبير والتقدير. . . ما يمسكهن إلا الرحمن: بهذا التعبير المباشر الذي يَشِى بيد الرحمن بكل طائر وبكل جناح. . . ﴿**إنه بكل شئ بصير**﴾. ثم يلمس السياق قلوبهم لمسة أخرى تعود بهم إلى مشهد البأس والفزع من الخسف والحاصب. . .

﴿**أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن**﴾؟!. فالنص يعود ليسألهم: من هو الذي ينصرهم ويحميهم من الله، غير الله ؟! ..﴿**إن الكافرون إلا في غرور**﴾: هذه الجملة معترضة مقررة لما قبلها ناعية عليهم ما هم فيه من غاية الضلال. والالتفات إلى الغيبة للإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم، والإظهار في موقع الإضمار لذمهم بالكفر، وتعليل غرورهم به. ولمسة أخرى في الرزق الذي يستمتعون به، وينسون مصدره، ثم لا يخشون ذهابه. . . ﴿**أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه**﴾: فمن يرزق البشر إن أمسك الله الماء ؟، أو أمسك الهواء؟، أو أمسك العناصر الأولى التي منها ينشأ وجود الأشياء ؟! ..﴿**بل لجُوا في عتو ونفور**﴾: هذه الجملة تنبئ عن مقدّر يستدعيه المقام ؛ كأنه قيل إثر تمام التبكيت والتعجيز: لم يتأثروا بذلك، ولم يذعنوا للحق. بل لجوا. . . الخ!، عناد واستكبار وطغيان. ثم يصور السياق حال فريقين مختلفين مرتبا على ما سبق من حال الكافرين الذين لجوا في الطغيان والعناد، ومن حال الذين يخشون ربهم بالغيب. . . ﴿**أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ؟. أمن يمشى سويا على صراط مستقيم**﴾؟!. فهذا مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأن مذهب كل واحد. وعلى ذكر الهدى والضلال يذكرهم بما وهبهم الله من وسائل الهدى وأدوات الإدراك ثم لم ينتفعوا بها، ولم يكونوا من الشاكرين. . . ﴿**قل هو الذي أنشأكم. وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**﴾. ثم يذكرهم أن الله لم ينشئ البشر ويمنحهم هذه الخصائص عبثا ولا جزافا لغير قصد ولا غاية. إنما هى فرصة الحياة للابتلاء، ثم الجزاء يوم الجزاء. . . ﴿**قل: هو الذي ذرأكم في الأرض. وإليه تحشرون**﴾: فهذان حركتان متقابلتان: حركة

الانتشار أولا، ثم حركة الحشر أخيرا، ويجمعهما السياق في آية واحدة، ليتقابل المشهدان في الحس والتصور على طريقة القرآن، وليتذكر البشر وهم منتشرون في الأرض، أن هناك غاية هم صائرون إليها: هى الجمع والحشر، وأن هناك أمرا وراء هذا، ووراء الابتلاء بالموت والحياة!. ثم يحكى السياق شكّهم في هذا الحشر، وارتيابهم في هذا الوعد... ﴿**ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟!. قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين**﴾. وبينما هم يسألون في شك، ويجابون في جزم، يصور السياق القرآنى؛ كأن هذا اليوم الذي يسألون عنه قد جاء، والموعد الذي يشكون فيه قد حان ؛ وكأنّما هم واجهوه الآن، فكان فيه ما كان...

﴿**فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا. وقيل: هذا الذي كنتم به تدّعون**﴾!. فالفاء في فلما فصيحة معربة عن تقدير جملتين، وترتيب الجملة الشرطية عليها، كأنّه قيل: وقد أتاهم الموعود، فرأوه، فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا!. فقد رأوه قريبا مواجها لهم حاضرا أمامهم دون توقّع ودون تمهيد، فسيئت وجوههم وبدا فيها الاستياء ؛ بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلّة!. ووضع الموصول ـ الذين كفروا ـ موضع ضميرهم ـ وجوههم ـ لذمهم بالكفر، وتعليل المساءة بهم. ووجه إليهم التأنيب... وقيل: هذا الذي كنتم به تدعون: فهو الذي كنتم تدّعون أنّه لن يكون!. وهذه الطريقة في عرض ما سيكون تتكرر في القرآن لمواجهة حالة التكذيب أو الشك بمفاجأة شعورية تصويرية توقف المكذبَ أو الشاك وجها لوجه مع مشهد حاضر لما يكذب به، أو يشك فيه... ﴿**قل: أرأيتم إن أهلكنىَ الله ومن معىَ أورحمنا ؟!. فمن يجير الكافرين من عذاب أليم**﴾؟!: فهذا سؤال موجه إليهم من الرسول المأمور من الله أن يوجهه إليهم؛ ليردهم إلى تدبير حالهم والتفكير في شأنهم، وهو الأولى، فما ينفعهم ما يتمنون للرسول والمؤمنين معه، أو يرحمهم إن كانوا هم كافرين بالله، فمن يجير الكافرين من عذاب أليم ؟!. فهذا أسلوب في الدعوة حكيم!. يخوّفهم من ناحية، ويدع لهم فرصة للتراجع عن موقفهم من ناحية. فلو جابههم بأنهم كافرون، وأنّه لا مفر لهم من العذاب الأليم، لأخذتهم العزة بالإثم أمام الاتهام المباشر والتهديد!، ففى بعض الحالات يكون أسلوب التلميح أفعل في النفس من أسلوب التصريح!. ثم يترقى السياق من هذه التسوية بين الأمرين إلى تقرير موقف المؤمنين من ربهم

وثقتهم به وتوكلهم عليه، مع التلميح إلى اطمئنانهم لإيمانهم وثقتهم بهناهم، وبأنّ الكافرين في ضلال مبين... ﴿**قل: هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا. فستعلمون من هو في ضلال مبين**﴾: فالتعبير هنا يَشِي بالقُرْبَى بين المؤمنين وبين ربهم الرحمن، والله هو الذي يتفضل على رسوله وعلى المؤمنين، فيأتى لهم بإعلان هذه القربى، ويوجههم إلى هذا الإعلان. وفى جملة «فستعلمون من هو في ضلال مبين» تهديد ملفوف، وهو أسلوب من شأنه أن يخلخل الإصرار على الجحود، ويدعوهم إلى مراجعة موقفهم مخافة أن يكونوا هم الضالين!، فيتعرضوا للعذاب الذي سبق ذكره في الآية... فمن يجير الكافرين من عذاب أليم؟!. وفى الوقت ذاته لا يجْبههم بأنهم ضالون فعلا، حتى لا تأخذهم العزة بالإثم، وهو أسلوب في الدعوة يناسب بعض حالات النفوس. وأخيرا يجئ الإيقاع الأخير في السورة يُلمّح لهم بعذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة، وذلك بحرمانهم من سبب الحياة الأوّل، وهو الماء... ﴿**قل: أرأيتم: إن أصبح ماؤكم غورا؟!. فمن يأتيكم بماء معين**﴾؟!. فبهذا الأسلوب يرتبط آخر السورة بأولها. ففيه محسّن رد العجز على الصدر، وفيه براعة المقطع ؛ إذ ليس ثَمَّ مَنْ يتصرف في الكون غيرُ الله!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**تبارك الذي بيده الملك. وهو على كل شئ قدير**﴾: مطلع هذه السورة يوجه الأنظار ويلفت الأفكار إلى ما في ملك الله من عوالم مشاهدة منظورة، وعوالم أخرى غائبة عن الأنظار مستورة، وتفتح المنافذ هنا وهناك، فتطلق الحواس والعقل والبصيرة تَرْتادُ آفاق الكون وأغوار النفوس وطباق الجو ومسارب الماء وخفايا الغيوب، فترى هنا وهناك يد الله المبدعة، وتَحُسُّ حركة الوجود المنبعثة من قدرة الله الكاملة الشاملة الواسعة!. فتؤوب من الرحلة وقد شعرت أن الأمر أكبر، وأن المجال أوسع!. الموت والحياة أمران مألوفان مكروران، ولكن هذه السورة تبعث حركة التأمل فيما وراء الموت والحياة من قدر الله وبلائه، ومن حكمة الله وتدبيره... ﴿**الذي خلق الموت والحياة. ليبلوكم أيكم أحسن عملا؟!. وهو العزيز الغفور**﴾: فهذه الآية تفصل بعض مظاهر قدرة الله في تصرّفه في الكون كله، وتمكنه المطلق في كل شئ: أنه خلق الموت والحياة. والإنسان هو الذي يواجه بهذا الكلام في جملة المخاطبين المواجَهين بهذا القرآن، فليست المسألة

مصادفة بلا تدبير، وليست كذلك جزافا بلا غاية، إنما هو الابتلاء لإظهار المكنون في علم الله من سلوك الناس على الأرض، واستحقاقهم للجزاء على العمل الحَسَنِ والأَحْسَنِ: ليبلوكم أيكم أحسن عملا!. فاستقرار هذه الحقيقة في الضمير يدعُه أبدا يقظا حذرا متلفّتا واعيا للصغيرة والكبيرة، في النيّة المستترة والعمل الظاهر، ولايدعُه يغفل أو يلهو، كذلك لا يدعه يطمئن أو يستريح ؟. فمن هذا كله يجئ التعقيب. . .

وهو العزيز الغفور: فالله عزيز غالب، ولكنه غفور مسامح. فإذا استيقظ القلب وشعر أنّه وُجد هُنا للابتلاء والاختبار وحَذِرَ وتَوَقَّى، فإنّ له أن يطمئن إلى غفران الله ورحمته، وأن يَقرّ عندها ويستريح. . . ﴿**الذي خلق سبع سماوات طباقا**﴾: في هذه الجملة وما بعدها آثار لمدلول قوله تعالى: تبارك الذي بيده الملك، وهو على كل شئ قدير. ثم هى بعد ذلك تصديق لقوله تعالى: الذي خلق الموت والحياة ؛ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ؟. وهو العزيز الغفور. والسماوات السبع الطباق التي تشير إليها الجملة لا يمكن الجزم بمدلولها استقاء من نظريات الفلك القديم والحديث ؛ ولا من الروايات التي أوردها بعض المفسرين من الحديث. فهذه النظريات والروايات قابلة للتعديل والتصحيح، ولايجوز تعليق مدلول الآية بمثل ما كشفه العلم القابل للتغيير والتعديل، وكذلك الرواية تخضع للنقد والتعليل. والقرآن يوجه النظر إلى خلق الله، وهو يتحدى بكماله كمالا يرُدُّ البصر عاجزا كليلا مبهورا. . . ﴿**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**﴾: فليس هناك خلل ولا نقص ولا اضطراب. . . ﴿**فارجع البصر**﴾: فانظر مرة أخرى للتأكد والتثبّت. . . ﴿**هل ترى من فطور ؟. ثم ارجع البصر كرتين**﴾: فربما فاتك شئ في النظرة السابقة لم تتبيّنه، فأعد النظر، ثم أعده. . . ﴿**ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير**﴾!. وأسلوب التحدى من شأنه أن يثير الاهتمام والجد في النظر إلى السماوات، وإلى خلق الله كله، فهذه النظرة الحادّة الفاحصة المتأملة المتدبرة هى التي يُريدُ القرآنُ أن يثيرها أو يبعثها، فَبَلاَدَةُ الأُلفة تذهب بروعة النظرة إلى هذا الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق ؛ الذي لا تشبع العين من تملّى جماله وروعته، ولا يشبع القلب من تلقى إيحاءاته، ولا يشبع العقل من تدبر نظامه ودقته!، والذى يعرف شيئا عن طبيعة هذا الكون ونظامه ـ كما كشف العلم الحديث عن جوانب منها ـ يدركه الدهش والذهول!.

ولكن روعة الكون لا تحتاج إلى هذا العلم، فمن نعمة الله على البشر، أن أودعهم القدرة على التجاوب مع هذا الكون بمجرد النظر والتأمل، فالقلب يتلقى إيقاعات هذا الكون الهائل الجميل تلقيا مباشرا حين يتفتح ويستشرف حسب ما أرشد إليه القرآنُ دون تتبع خرافات الجهال وأوهام الإنسان، فالصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم من أهل العلم والعرفان اكتشفوا سر الكون وعلموا حقائقه حين تجاوبوا مع نص القرآن، ومع ما عندهم من عقل وذكاء وصفاء الأذهان. . . ﴿**ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح**﴾: فذلك يتسق مع توجيه المخاطبين إلى النظر في السماء، وقد كانت للعرب تجارب مع نجوم السماء وكواكبه، وما كانوا يملكون إلا عيونهم وما تراه من أجرام مضيئة تزين السماء، ولكنهم انتفعوا بها وتمتعوا بها وَغَنُّوا لها، وعرفوا طرقها وسموا أجرامها المضيئة المُتلألِئة!، فلما جاءهم القرآن وهم على هذه الحالة اتضح لهم ما عندهم من علم، فزادهم سُمُوًّا في الإدراك وقوّة في التفكير، فأدركوا حقائق الكون وما فيه من كمال وجمال، فالقرآن يوجه النفس إلى جمال السماء، وإلى جمال الكون كله، لأنّ إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود، وهذا الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه؛ لأنّه حينئذ يصل إلى النقطة التي تهيّأ فيها للحياة الخالدة في عالم طليق جميل؛ بريئ من شوائب العالم الأرضى والحياة الأرضية، فإنّ أسعد لحظات القلب المؤمن لهى اللحظاتُ التي يتقبّلُ فيها جمال الإبداع الإلهى في الكون!، ذلك أنها هى اللحظات التي تهيئه وتمهد له، ليتصل بالجمال الإلهى ذاته ويتملاّه. فهذا بخلاف القلب الكافر- فهو مقيد بعلمه وبحثه في حدود الأرض وما يتصل بالأرض - حظُّه أن يعيش ليأكل ويتمتع ويلهو بهذه الحياة التي لا قيمة لها ما لم تكن سببا في سعادة الآخرة وما فيها من نعيم مقيم «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون!»، فلهذا جاء النص القرآنى هنا: أن هذه المصابيح التي زيّن الله السماء الدنيا بها هى كذلك ذات وظيفة أخرى. . . ﴿**وجعلناها رجوما للشياطين**﴾: فالشياطين مرجومون بهذه المصابيح، محرومون من استراق السمع من الملإ الأعلى، فما لهم إلا إلقاء الأكاذيب والأوهام إلى أتباعهم من البشر الذين غرّوهم وأغووهم، فتمسكوا بأوهام حسبوها علوما، وجهالات سموها تقدُّمًا وفهما للحياة عموما!. فهؤلاء الشياطين من الجن والإنس هم الذين كانوا سُدًّا مانعا للبشرية من الرقى الحقيقى، فزاغوا

عنه، وتمسكوا بهمزات الشياطين الذين أعد الله لهم الرجم في الدنيا وعذاب السعير في الآخرة. . . ﴿**وأعتدنا لهم عذاب السعير**﴾. فبمناسبة ما أعد للشياطين في الآخرة ذكر ما أعد للكافرين من أتباع هؤلاء الشياطين. . . ﴿**وللذين كفروا بربهم عذاب جهنّم. وبئس المصير!. إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور. تكاد تميز من الغيظ**﴾!: فجهنم هنا ذاتٌ حيّةٌ تكظم غيظها، ويملؤُ جوانحها الغضبُ، تكاد تنفصل وتتمزق من الغيظ الكظيم، فهى تنطوى على بغض وكره يبلغ إلى حد الغيظ والحنق على الكافرين. كذلك تتضح هذه الظاهرة في خزنة جهنم. . . ﴿**كلما ألقى فيها فوج. سألهم خزنتها: ألم يأتكم نذير ؟. قالوا: بلى: قد جاءنا نذير. فكذبنا وقلنا: ما نزل الله من شىء إن أنتم إلى في ضلال كبير. وقالوا: لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير. فاعترفوا بذنبهم. فسحقا لأصحاب السعير**﴾: فهذا هو جواب أهل السعير عن سؤال الخزنة، فهو جواب فيه ذلة وانكسار، واعتراف بالخيبة والبوار!، بعد التبجح والغرور والإنكار!. فلما رأوا أنفسهم على هذه الحالة، وهم في عذاب السعير ألقوا اللوم على أنفسهم، فأنكروا سمعهم وعقلهم، فالذى يسمع أو يعقل لا يورد نفسه هذا المورد، ولا يجحد بمثل هذا الجَحْدِ، ولا يسارع باتهام الرسل إلى أقصى حد!. فهذا العذاب: عذاب السعير في جهنم التي تشهق وتزفر، وهى تفور بهم وتغلى كما يغلى القدر بما فيه، عذاب شديد مروّع حقا، فبلغ بهم إلى أن يقال لهم: سحقا سحقا!.. ﴿**إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير**﴾: فهذه صفحة مشرقة مبشرة لكل من يخشى ربه، فيرجو رحمته ويخاف عذابه. فالغيب المشار إليه هنا، يشمل خشيتهم لربهم الذي لم يروه، كما يشمل خشيتهم لربهم وهم في خفية من الأعين، وكلاهما معنىً كبير، وشعور نظيف، وإدراك بصير يؤهل لهذا الجزاء العظيم الذي يذكره السياق في إجمال: وهو المغفرة والتكفير والأجر الكبير. ووصل القلب بالله في السر والخفية، وبالغيب الذي لا تطلع عليه العيون هو ميزان الحساسية في القلب البشرى، وضمانة الحياة للضمير، فالصلة بالله هى الأصل، فمتى انعقدت في القلب فهو مؤمن صادق موصول. . . ﴿**وأسروا قولكم أو اجهروا به**﴾: هذا الكلام يربط ما قبله بما بعده في تقرير علم الله بالسر المغيب في خفايا الصدور ؛ كما يقرر علم الله المتعلق بظواهر الأمور، فسواء عند الله الجهر المكشوف والسر المستور: ﴿**إنه عليم بذات الصدور**﴾، فهو خالقها

والمهيمن عليها والمتصرف فيها. . . ﴿**ألا يعلم من خلق ؟!. وهو اللطيف الخبير**﴾: فهو الذي يصل علمه إلى الدقيق الصغير والخفى المستور. والقرآن يُعنى بتقرير هذه الحقيقة في الضمير؛ لأنّ استقرارها فيه ينشئ له إدراكا صحيحا لكل الأمور، فعندئذ يتقى المؤمن النية المكنونة والهاجس الدفين، كما يتقى الحركة المنظورة والصوت المجهور، فهو يتعامل مع الله الذي يعلم السر والجهر، الله الذي خلق الصدور، فهو يعلم ما في الصدور!. ثم ينتقل السياق من ذوات أنفس البشر التي خلقها الله، إلى الأرض التي خلقها الله لهم، وذللها وأودعها أسباب الحياة. . .

﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا. فامشوا في مناكبها. وكلوا من رزقه. وإليه النشور**﴾: فالناس لطول أُلْفَتِهِمْ لحياتهم على هذه الأرض، وسهولة استقرارهم عليها، وسيرهم فيها، واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها وقُواها وأرزاقها جميعا ينسون نعمة الله في تذليلها لهم وتسخيرها، فالقرآن يذكر الناس بخطابهم مباشرة هذه النعمة الهائلة، ويبصرهم بها ؛ في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول. والأرض الذلول كانت تَعْنى في أذهان المخاطبين القدامى هذه الأرض المذللة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة، والفلك التي تمخر البحار، والمذللة للزرع والجنى والحصاد، والمذللة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة تصلح للزرع والإنبات، وهى مذلولات مجملة يفصلها العلم ـ فيما اهتدى إليه حتى اليوم ـ تفصيلا يمد في مساحة النص القرآنى في الإدراك. فمما يقوله العلم في مدلول الأرض الذلول: إن هذا الوصف ـذلولاـ الذي يطلق عادة على الدابة مقصود في إطلاقه على الأرض، فالأرض هذه التي نحُسّ بها ثابتة مستقرة ساكنة هى دابة متحركة، بل رامحة جامحة راكضة، وهى في الوقت نفسه ذلول لا تلقى براكبها عن ظهرها، ولاتتعثر خطاها، ولا تخضّه وتهزّه كالدابة غير الذلول، ثم هى دابة حلوب مثلما ما هى ذلول!. فهذه الدابة التي نركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل (1500 ك. م)، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالى خمسة وستين ألف ميل في الساعة. فهذه الدابة الذلول التي تتحرك هذه الحركات الهائلة في وقت واحد: حول نفسها وحول الشمس، فهى ثابتة على وضع واحد في أثناء الحركة. والله جعل الأرض ذلولا للبشر، بأن جعل لها جاذبية تشدهم إليها في

أثناء حركتها. والله جعل الأرض ذلولا ببسط سطحها وتكوين هذه التربة اللينة فوق السطح. والنص القرآني يشير إلى هذه الحقائق، ليعيها كل فرد وكل جيل بالقدر الذي يطيق، وبالقدر الذي يبلغ إليه علمه وملاحظته ليشعر بيد الله ـ الذي بيده الملك ـ وهي تتولاه وتتولى كل شيء حوله، وتذلل له الأرض وتحفظه وتحفظها. فإذا استيقظ ضميره لهذه الحقيقة الهائلة، أذن له الخالق الرحمن الرحيم بالمشي في مناكبها، والأكل من رزقه فيها. فالرزق الذي في الأرض، كله من خلق الله، وكله في ملكه، وهو أوسع مدلولا مما يتبادر إلى أذهان الناس من كلمة الرزق، فليس هو المال فقط، إنما هو كل ما أودعه الله هذه الأرض.

فالأرزاق المخبوءة في جوف الأرض وجوّها كلها ترجع إلى تكييف الأرض، والأحوال التي لابستها. فالرزق في ضوء هذه البيانات السريعة أوسع مدلولا مما يفهمه الناس من هذا اللفظ، وحين يأذن الله للناس في الأكل من رزقه، فهو يتفضل بتسخيره لهم وتيسيره تناوله ؛ كما يمنح البشر القدرة على تناولها والانتفاع بها، وهو محدود بزمن مقدر في علم الله: زمن الابتلاء بالموت والحياة، وبكل ما يسخره الله للناس في هذه الحياة. فإذا انقضت فترة الابتلاء كان الموت وكان ما بعده. . . ﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض. فإذا هى تمور**﴾؟!. فالبشر الذين يعيشون على ظهر هذه الدابة الذلول ويحلبونها، فينالون من رزق الله فيها نصيبهم المعلوم، ويعرفون كيف تتحول إلى دابة غير ذلول ولا حلوب في بعض الأحيان، عندما يأذن الله بأن تضطرب قليلا فيرتج كل شيء فوق ظهرها أو يتحطم، فلا تمسكه قوة ولا حيلة، ذلك عند الزلازل والبراكين التي تكشف عن الوحش الجامح الكامن في الدابة الذلول التي يمسك الله بزمامها، فلا تثور إلا بقدر، ولا تجمح إلا لثوان معدودات يتحطم فيها كل ما شيد الإنسان على ظهرها ؛ أو يغوص في جوفها عندما يتفتح أحد أفواهها، والبشر لا يملكون من هذا الأمر شيئا ولا يستطيعون، وهم يبدون في هول الزلازل والبراكين والخسف كالفئران الصغيرة محصورة في قفص الرعب والهول، من حيث كانوا آمنين لاَهِينَ غافلين عن القدرة الكبرى الممسكة بالزمام. . . ﴿**أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا**﴾؟!. فالبشر كذلك يشهدون العواصف الجامحة الحاصبة التي تدمر وتخرب، وهم بإزائها ضعاف عاجزون بكل ما يعلمون وما يعملون!. والعاصفة حين تزأر وتضرب بالحصى الحاصب، وتأخذ في طريقها كل شيء في البر أو

البحر أو الجو، يقف الإنسان أمامها صغيرا هزيلا حسيرا، حتى يأخذ الله بزمامها فتسلس وتلين!. والقرآن يذكر البشر الذين يخدعهم سكون الدابة وسلامة مقادتها، ويغريهم الأمان بنسيان خالقها ومروّضها.

فيذكرهم بهذه الجمحات التي لا يملكون من أمرها شيئا. فالأرض الثابتة تحت أقدامهم ترتجّ وتمور، وتقذف بالحمم وتفور، والريح الرخاء من حولهم تتحول إلى إعصار حاصب لا تقف له قوة في الأرض من صنع البشر، فيحذرهم وينذرهم في تهديد يرجّ الأعصاب ويخلخل المفاصل... ﴿**فستعلمون كيف نذير**﴾؟!. ثم يضرب لهم الأمثلة من واقع البشرية ومن وقائع الغابرين المكذبين... ﴿**ولقد كذب الذين من قبلهم. فكيف كان نكير**﴾؟!. فلقد أنكر الله ممن كذبوا قبل العرب من قريش وغيرهم، أن يكذبوا وهم يعلمون كيف كان عاقبة الذين أرسل الله عليهم الريح والصيحة والخسف والحجارة والطوفان ـ فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا!. والأمان الذي ينكره الله على الناس هو الأمان الذي يوحى بالغفلة عن الله وقدرته وقدره، وليس هو الاطمئنان إلى الله ورعايته ورحمته، فهذا غير ذلك!. والمؤمن يطمئن إلى ربه، ويرجو رحمته وفضله، ولكن هذا لا يقوده إلى الغفلة والنسيان والانغمار في غمرة الأرض ومتاعها، إنما يدعوه إلى التطلع الدائم، والحياء من الله، والحذر من غضبه، والتوقى من المخبوء في قدره، فهذا هو الإحساس اليقظ الدائم. ثم بعد ذلك إرجاع جميع الأسباب الظاهرة إلى السبب الأول، ورد الأمر بحاله وكليته إلى من بيده الملك وهو على كل شئ قدير، فالخسف والحاصب والبراكين والزلازل والعواصف وسائر القوى الكونية والظواهر الطبيعية ليس في أيدى البشر من أمرها شيءٌ!. إنما أمرها إلى الله، وكل ما يذكره البشر عنها فروض يحاولون بها تفسير حدوثها، ولكنهم لا يتدخلون في إحداثها، ولا يعلمون متى تحدث، فلا يحمون أنفسهم منها!. فكل ما ينشئونه على ظهر الأرض تذهبِ به رجفة من رجفاتها، أو إعصار من أعاصيرها ؛ كما لو كان لُعُبا من الورق. فأولى لهم أن يتوجهوا في أمرها إلى الله خالق هذا الكون، ومنشئ نواميسه التي تحكم هذه الظواهر، ومودعة القوى التي يتجلى جانب منها في هذه الأحداث، وأن يتطلعوا إلى السماء ـ حيث هى رمز للعلو ـ فيتذكروا الله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير. إنّ الإنسان قوى بالقدر

الذي وهبه الله من القوة، عالم بالقدر الذي أعطاه الله من العلم، ولكن هذا الكون الهائل زمامه في يد خالقه، ونوامسه من صنعه، وقواه من إمداده.

بعدئذ ينتقل السياق بهم من لمسة التهديد والنذير إلى لمسة التأمل والتفكير في مشهد يرونه كثيرا، ولا يتدبرونه إلا قليلا... **﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن﴾**: فالقرآن يشير بالنظر إلى هذا المشهد المثير، ثم يوحى بما وراءه من التدبير والتقدير... **﴿ما يمسكهن إلا الرحمن. إنه بكل شيء بصير﴾**: فإمساك الطير في الجو، كإمساك الدواب على الأرض الطائرة بما عليها في الفضاء، كإمساك سائر الأجرام التي لا يمسكها في مكانها إلا الله، ولكن القرآن يأخذ بأبصار القوم وقلوبهم إلى كل مشهد يملكون رؤيته وإدراكه. ثم يلمس السياق قلوبهم لمسة أخرى تعود بهم إلى مشهد البأس والفزع من الخسف والحاصب، بعد أن جال بهم هذه الجولة مع الطير السابح الآمن... **﴿أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾؟!**. فهو يعود ليسألهم: من هو هذا الذي ينصرهم ويحميهم من الله غير الله ؟! ..**﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾**: في غرور يهيّئ لهم أنهم في أمن وفى حماية وفى اطمئنان، وهم يتعرضون لغضب الرحمن وبأسه بلا شفاعة لهم من إيمان ولا عمل يستنزل رحمة الرحمن. ولمسة أخرى في الرزق الذي يستمتعون به وينسون مصدره ثم لا يخشون ذهابه... **﴿أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾؟!**. فمن يرزق البشر إن أمسك الله الماء، أو أمسك الهواء، أو أمسك العناصر الأولى التي منها ينشأ وجود الأشياء ؟!. ففى هذا المدلول الكبير الواسع العميق تنطوى سائر المدلولات القريبة لكلمة الرزق مما يتوهم الإنسان أنها من كسبه وفى طوعه ؛ كالعمل والإبداع والإنتاج، فأى إنتاج ينتجه عامل أو مبدع إلا في مادة هى من صنع الله إبتداء... **﴿بل لجوّا في عتو ونفور﴾!**. فالتعبير يرسم خدّا مصعّرا، وهيئة متبجحة بعد تقريره لحقيقة الرزق، وأنهم عيال على الله فيه. وأقبح العتوّ والنفور والتبجح والتصعير ما يقع من العيال في مواجهة المُطعِم الكاسِي الرازق العائل ؛ وهم خلو من كل شيء إلا ما يتفضل به عليهم، فهذا تصوير لحقيقة النفوس التي تُعرض عن الدعوة إلى الله في طغيان عاتٍ وفى إعراض نافر، وتنسى أنها من صنع الله، وأنّها تعيش على فضله، وأنّها لا تملك من أمر وجودها وحياتها ورزقها شيئا على الإطلاق! ..**﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ؟. أم من يمشى سويا على صراط مستقيم﴾؟!**: هذا تصوير

لحال الكافرين وحال المؤمنين في مشهد حى يحسم حقيقة الحال.

إنّ الحال الأولى هى حال الشقى المنكود الضال عن طريق الله المحروم من هداه، فهو أبدا في تعثر، وأبدا في عناء، وأبدا في ضلال. والحال الثانية هى حال السعيد المجدود المهتدى إلى الله الممتّع بهداه ؛ الذي يسير وفق نواميسه في الطريق الذي يسلكه موكب الإيمان كله بما فيه من أحياء وأشياء. إنّ حياة الإيمان هى اليسر والاستقامة والقصد، وحياة الكفر هى العسر والتعثر والضلال، فأيّهما أهدى ؟!. وهل الأمر في حاجة إلى جواب ؟. إنّما هو سؤال التقرير والإيجاب. ويتوارى السؤال والجواب ؛ ليتراءى للقلب هذا المشهد الحى الشاخص المتحرك، مشهد جماعة يمشون على وجوههم يتعثرون وينكّبون لا هدف لهم ولا طريق، ومشهد جماعة أخرى تسير مرتفعة الهامات، مستقيمة الخطوات، وفى طريق مستقيم لهدف مرسوم. . . ﴿**قل: هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**﴾: هذه حقيقة تلح على العقل البشرى بثبوتها بتوكيد يصعب رده، فالإنسان قد وُجِد ـ وهو أرفع وأعلم وأقدر ما يُعلم من الخلائق ـ وهو لم يُوجِد نفسَه، فلابد أن كون من هو أرفع منه وأعلم وأقدر هو الذي أوجده، فلا مفر من الاعتراف بخالق. فوجود الإنسان ذاته يواجهه بهذه الحقيقة، والمماراة فيها نوع من المماحكة لا يستحق الاحترام. والقرآن يذكر هذه الحقيقة هنا ؛ ليَذْكر بجانبها ما زوّد الله به الإنسان من وسائل المعرفة: وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة. وما قابل الإنسان به هذه النعمة: نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد من السمع والأبصار والأفئدة. . . قليلا ما تشكرون!. فالسمع والأبصار معجزتان كبيرتان، عُرف عنها بعض خواصهما العجيبة، والأفئدة التي يعبر بها القرآن عن قوة الإدراك والمعرفة معجزة أعجب وأغرب، ولم يعرف عنها بعد إلا القليل، وهى سر الله في هذا المخلوق الفريد!. ثم يذكرهم السياق أن الله لم ينشئ البشر ويمنحهم هذه الخصائص عبثا ولا جزافا لغير قصد ولا غاية، إنّما هى فرصة الحياة للابتلاء، ثم الجزاء في يوم الجزاء. . . ﴿**قل: هو الذي ذرأكم في الأرض. وإليه تحشرون**﴾: فليتذكر البشر ـ وهم منتشرون في الأرض ـ أنّ هناك غاية هم صائرون إليها: هى الجمع والحشر، وأن هناك أمرا وراء هذا، ووراء الابتلاء بالموت والحياة. ثم يحكى السياق في هذا الحشر، وارتيابهم في هذا الوعد. . . ﴿**ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾؟!.

فهذا سؤال الشاك المستريب، كما هو سؤال المماحك المتعنت، فإنّ معرفة موعد هذا الوعد وميقاته لا تُقدّم ولا تؤخر، ولا علاقة لها بحقيقته، وهو أنّه يوم الجزاء بعد الابتلاء، ويستوى بالقياس إليهم أن يجئ غدا، أو يجئ بعد ملايين السنين، فالمهمّ أنّه آتٍ، وأنهم محشورون فيه، وأنّهم مجازون بما عملوا في الحياة، ومن ثَمّ لم يطلع الله أحدا من خلقه على موعده ؛ لأنّه لا مصلحة لهم في معرفته، ولا علاقة لهذا بطبيعة هذا اليوم وحقيقته ؛ ولا أثر له في التكاليف التي يطالب الناس بها استعدادا لملاقاته، بل المصلحة والحكمة في إخفاء ميقاته عن الخلق كافة، واختصاص الله بعلم ذلك الموعد دون الخلق جميعا. . . ﴿**قل: إنّما العلم عند الله. وإنما أنا نذير مبين**﴾: فهنا يبرز بجلاء فارق ما بين الخالق والمخلوق، وتتجرد ذات الله ووحدانيته بلا شبيه ولا شريك، ويتمحض العلم لله سبحانه، ويقف الخلق ـ بما فيهم الرسل والملائكة ـ في مقامهم متأدبين عند مقام الألوهية العظيم. قل إنما العلم عند الله وإنّما أنا نذير مبين: وظيفتى الإنذار، ومهمتى البيان، أما العلم فعند صاحب العلم الواحد بلا شريك! ..﴿**فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا. وقيل: هذا الذي كنتم به تدّعون**﴾: فهذا الوعد الذي يدّعون أنّه لن يكون قد جاء، فرأوه قريبا حاضرا أمامهم. فهذا الانتقال المفاجئ لهم من الدنيا إلى الآخرة، ومن موقف الشك والارتياب إلى موقف المواجهة والمفاجأة يشير إلى حقيقة قائمة لو أذن الله بها لانكشف لهم في الوقت الذي يصور لهم هذه الحقيقة تصويرا يهز مشاعرهم!. «إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها»، وقد كان المشركون في مكة يتربصون بالنبى والمؤمنين، أن يهلكوا فيستريحوا منهم، فتسكن هذه الزوبعة التي أثارتها الدعوة في صفوفهم. . . ﴿**قل: أرأيتم إن أهلكنىَ الله ومن معىَ أو رحمنا ؟!. فمن يجير الكافرين من عذاب أليم**﴾؟!. فما ينفعهم أن تتحقق أمانيهم، فيهلك الله النبئ ومن معه، كما لا ينقذهم أن يرحم الله نبيئه ومن معه. فهاهم أولاء أمام مشهد الحشر والجزاء، فمن يجير الكافرين من عذاب أليم ؟!. فأولى لهم أن يتدبروا أمرهم قبل هذا الموعد الذي واجههم به كأنه واقع بهم!. . . ﴿**قل: هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا. فستعلمون من هو في ضلال مبين**﴾: هنا يشير السياق إلى رحمة الرحمن العميقة الكبيرة برسوله والمؤمنين معه، فهو لن يهلكهم كما تمنى الكافرون المتربصون!.

فسيعلمون من هو في ضلال مبين! ..﴿**قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا**﴾؟!:

هذه لمسة قريبة في حياة العرب المشركين المتربصين بالرسول ومن معه من المؤمنين ؛ إن كانوا ما يزالون يستبعدون ذلك اليوم ويشكون فيه، فالملك بيد الله وهو على كل شيء قدير، فكيف لو توجهت إرادته إلى حرمانهم من مصدر الحياة القريب، ثم يدعهم يتدبرون ما يكون لو أذن الله بوقوع هذا المحذور!. وهكذا تنتهى هذه السورة، وينتهى هذا الحشد من الإيقاعات واللمسات، وهذه الرحلات والجولات في آفاق وأغوار وأبعاد مترامية الأطراف، وكل آية على وجه التقريب كانت إيقاعا خاصا، أو كانت رحلة في عالم مجهول مغيب مستور أو منظور، لا تلتفت إليه الأنظار والقلوب. إنها سورة ضخمة، سورة أكبر من حجمها وحيزها وعدد آياتها، وهى تبنى من قواعد التصور الإسلامى جوانب رئيسية هامة. فهى تقرّ في الضمير حقيقة القدرة المطلقة، وحقيقة الهيمنة المطلقة، وحقيقة الابتلاء بالموت والحياة تمهيدا للحشر والجزاء، وحقيقة الكمال والجمال في صنعة الله ذى الجلال، وحقيقة العلم المطلق بالسر والنجوى، وحقيقة مصدر الرزق، وحقيقة حفظ الله للخلائق. وجملة هذه الحقائق التي يقوم عليها تصور المسلم لربه، وتصوره للوجود وارتباطه بخالق الوجود، هذا التصور الذي ينبثق منه منهج حياة المؤمن كله، مع ربه، ومع نفسه، ومع الناس، ومع الأحياء، ومع الكون كله من أحياء وأشياء، والذى يتكيف به شعوره وضميره وشخصه وقيمه وموازينه واستقباله للحياة!.

2 ـ ن والقلم وما يسطرون،
ما أنت بنعمة ربك بمجنون!



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿1﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿2﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿3﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿5﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿6﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿7﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿8﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿9﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿10﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿11﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿12﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿13﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿14﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿15﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿16﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿17﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿18﴾ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿19﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿20﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿21﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿22﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿23﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿24﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿25﴾ فَلَمَّا

رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿26﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿27﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ
لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿28﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿29﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ
عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿30﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿31﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ
أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿32﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ
وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿33﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿34﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿35﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿36﴾
أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿37﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿38﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ
عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿39﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿40﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿41﴾
يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿42﴾
خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ
سَٰلِمُونَ ﴿43﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿44﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿45﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ
مُّثۡقَلُونَ ﴿46﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿47﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن
كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿48﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ
مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿49﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿50﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ
ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿51﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿52﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿نُ﴾: حرف من حروف الهجاء التي ابتدئت بها أوائل السور... ﴿**والقلم**﴾: قسم بالقلم الذي يكتب به الحروف... ﴿**وما يسطرون**﴾: ما يُسطّر من الكتابة... ﴿**ما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾: جواب القسم، فالمجنون: الذي فَقَدَ عقله... ﴿**وإنّ لك لأجرا**﴾: جائزة عظيمة، مكافأة لك بما قمت به... ﴿**غير ممنون**﴾: أجر دائم لا ينقطع ﴿**وإنّك لعلى خلق عظيم!. فستبصر**﴾: سترى... ﴿**ويبصرون**﴾: يرون... ﴿**بأيّكم المفتون**﴾: المجنون، أأنت المجنون أم هم؟! ..﴿**إنّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله. وهو أعلم بالمهتدين. فلا تطع المكذبين**﴾: الذين يكذبونك ويدّعون جنونك... ﴿**لو تدهن**﴾: طمعا في ملاينتك وموافقتك لهم... ﴿**فيدهنون**﴾: يقبلون منك بعض ما تدعو إليه، وذلك طمع في مهادنة الرسول ؛ ليكف عن دعوتهم بهذا القرآن الذي سفه أحلامهم ودنّس أصنامهم!. «ائت بقرآن غير هذا أو بدّله!.»... ﴿**ولا تطع**﴾: لا تلن ولا تسمع ولا تطع... ﴿**كل حلاّف**﴾: كثير الحلف بلا موجب... ﴿**مهين**﴾: حقير في الرأى والتدبير... ﴿**همّاز**﴾: طعان غيّاب لغيره... ﴿**مشاء بنميم**﴾: كثير المشى بالإفساد بين الناس... ﴿**مناع للخير**﴾: ليس فيه خير لأحد...

﴿**معتد**﴾: ظالم لكل أحد... ﴿**أثيم**﴾: كثير الضر عامل لكل شر... ﴿**عتل بعد ذلك**﴾: بعد هذه القبائح كلها جاف غليظ القلب قاس في المعاملة... ﴿**زنيم**﴾: لا قيمة له، مثل زنمة الشاة لا قيمة لها... ﴿**أن كان ذا مال وبنين**﴾: لا تطعه ولا تلن له ولا تعتبره لأجل ما له من مال وبنين ؛ كما هو في عرف أهل الجهل والضلال... ﴿**إذا تتلى عليه آياتنا**﴾: إذا تليت عليه آيات الرحمن... ﴿**قال: أساطير الأولين**﴾!. استهزاء واستكبارا! ..﴿**سنسمه على الخرطوم**﴾: سنجعل له وِسَامًا على أنفه يعلم به حقيقة شرفه!.، والخرطوم: أنف الفيل... ﴿**إنّا بلوناهم**﴾: امتحنا واختبرنا أهل مكة بالخير في تجارتهم ورحلتهم، وبالشر والقحط عند رفضهم دعوة الرسول والوقوف ضده... ﴿**كما بلونا**﴾: مثل البلاء والامتحان والاختبار الذي امتحن به... ﴿**أصحاب الجنة**﴾: والجنة هنا: الحديقة الغنّاء... ﴿**إذ**﴾: حين... ﴿**أقسموا**﴾: حلفوا بالله... ﴿**ليصرمنها**﴾: يقطعون

ثمارها ويحصدون زرعها... ﴿**مصبحين**﴾: في الصباح الباكر... ﴿**ولا يستثنون**﴾: مصممين دون استثناء... ﴿**فطاف**﴾: أحاط بها فقضى عليها... ﴿**طائف من ربك**﴾: بلاء نازل من السماء ليلا... ﴿**وهم نائمون. فأصبحت كالصريم**﴾: فصارت مثل الأرض المحصودة يابسة قاحلة... ﴿**فتنادوا**﴾: نادى بعضهم بعضا... ﴿**مصبحين**﴾: عند الصباح الباكر... ﴿**أن اغدوا على حرثكم**﴾! : فأقبلوا على حرثكم مبكرين... ﴿**إن كنتم صارمين**﴾: إن كنتم مصممين على قطاف الشجر وحصاد الزرع فاغدوا مبكرين... ﴿**فانطلقوا**﴾: خرجوا مسرعين في هجعة الغلس قبل أن يستيقظ الناس... ﴿**وهم يتخافتون**﴾: يتسارون فيما بينهم، حتى لا يسمعهم المساكين... ﴿**أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين!. وغدوا على حرد قادرين**﴾: جادين قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على جنى ثمارها وجمع خيراتها... ﴿**فلما رأوها**﴾: رأوا جنتهم خاوية هالكة... ﴿**قالوا: إنّا لضالون**﴾: ضللنا الطريق عن جنتنا، فهذه ليست جنتنا. ولما تأكدوا أنّها هى قالوا... ﴿**بل نحن محرومون**﴾: محرومون من خيراتها لسوء قصدنا... ﴿**قال أوسطهم**﴾: أعدلهم في الرأى وسداد القول... ﴿**ألم أقل لكم ؟. لولا تسبحون**﴾؟! : قال لهم هذا القول عندما كانوا يتحاورون قبل ذهابهم إلى جنتهم... ﴿**قالوا: سبحان ربنا!. إنا كنا ظالمين**﴾: أقبلوا باللوم على أنفسهم... ﴿**فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون**﴾: كل واحد منهم يلقى باللوم على الآخر ..﴿**قالوا: ياويلنا إنا كنا طاغين. عسى ربنا أن يبدّلنا خيرا منها. إنّا إلى ربنا راغبون**﴾: راجعون إليه على كل حال... ﴿**كذلك العذاب**﴾: مثل ذلك العذاب الذي ذكرناه من عذاب الدنيا... ﴿**ولعذاب الآخرة أكبر. لو كانوا يعلمون**﴾: لو كانوا يعلمون هذا، ما فعل الناس ما فعلوا! ..﴿**إنّ للمتقين عند ربهم جنات النعيم**﴾: هذا وعد بعد الوعيد... ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟!. مالكم؟. كيف تحكمون ؟. أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟!. إن لكم فيه لما تخيرون**﴾: إن لكم في هذا الكتاب ما تتخيرونه لأنفسكم... ﴿**أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة**﴾؟! : بل ألكم علينا مواثيق وعهود مؤكدة بالأيمان بالغة إلى يوم القيامة... ﴿**إنّ لكم لما تحكمون**﴾!. فليس لكم كتاب ولا لكم علينا عهود ولا مواثيق... ﴿**سلهم: أيّهم بذلك زعيم**﴾؟! : فليس لهم كفيل يزعم أن هذا القول منهم قول حق... ﴿**أم لهم شركاء ؟. فليأتوا بشركائهم!. إن كانوا**

صادقين﴾: في هذا فليأتوا بدليل يصحّح قولهم. . . **﴿يوم يكشف عن ساق﴾**: يوم يشتد الأمر ويعظم الخطب. . . **﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم. ترهقهم ذلة﴾**: يغشاهم صغار ما بعده صغار. . . **﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾**: والحال أنّهم كانوا في الدنيا يدعوهم الرسول إلى السجود فيأبون ويعرضون مع سلامة حواسهم. . . **﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾**: إذا كان حالهم في الآخرة كذلك، فاتركني ومن يكذب بهذا القرآن. . . **﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾**: سنستنزلهم إلى العذاب درجة فدرجة، بإدامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يشعرون أنّه استدراج من النعمة إلى النقمة! ..**﴿وأملي لهم﴾**: هذا مثل ما سبق في سورة آل عمران من قوله تعالى: «ولا يحسبن الذين كفروا أنّ ما نملي لهم خير لأنفسهم، إنّما نملي لهم ليزدادوا إثما». . . **﴿إنّ كيدي متين﴾**: تعليل للاستدراج والإملاء. . . **﴿أم تسألهم أجرا ؟!. فهم من مغرم مثقلون. أم عندهم الغيب؟. فهم يكتبون﴾**!: فلا هذا ولا ذاك، وإنّما هو الضلال والارتباك! ..**﴿فاصبر لحكم ربك﴾**: فاصبر على هؤلاء القوم لأجل حكم ربك عليهم بما يستحقون بعد إمهالهم واستدراجهم. . . **﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾**: يونس ـ عليه السلام ـ عندما ترك قومه مغاضبا لهم، فلم يصبر على دعوتهم. . . **﴿إذ نادى﴾**: وقت ندائه ربه «أن لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين» . . . **﴿وهو مكظوم﴾**: مملوء خوفا مما هو فيه من الظلمات المتراكمة؛ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. . . **﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم﴾**: لو أنّ الله أنعم بإجابة دعائه وقبول عذره لطرح من بطن الحوت إلى الفضاء معاقب بزلته، لكنه رحم. . . **﴿فاجتباه ربه﴾**: فواجهه بالعفو والنعمة. . . **﴿فجعله من الصالحين﴾**: الكاملين في الصلاح، وهم الأنبئاء والرسل. . . **﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾**: وإن الشأن والحال ليقرب الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم من شدة غيظهم وبغضهم لك عندما سمعوا منك هذا القرآن. . . **﴿ويقولون: إنّه لمجنون﴾**!. به جنّ ملتبس يوحى إليه هذا القرآن. . . **﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾**. فكيف يجنّن من جاء بمثل القرآن الذي لا يمكن لأحد أن يأتى به من الجن والإنس ؟!.

مبحث الإعراب

﴿نُ﴾ لا محل له من الإعراب. ﴿والقلمِ﴾ مجرور بواو القسم. ﴿وما﴾ اسم موصول في محل جر معطوف على القلم. ﴿يسطرون﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿ما﴾ بمعنى ليس. ﴿أنت﴾ اسمها في محل رفع. ﴿بنعمة﴾ قسم بالباء. ﴿ربك﴾ مضاف إلى نعمة. ﴿بمجنون﴾ خبر ما، مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب، وجملة ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿وإنّ لك﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿لأجرا﴾ اسم إنّ مؤخر، والجملة معطوفة على جملة جواب القسم. ﴿غيرَ﴾ نعت لأجرا. ﴿ممنون﴾ مضاف إلى غير. ﴿وإنّك﴾ إنّ واسمها. ﴿لعلى خلق﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ، والجملة معطوفة مثل ما قبلها. ﴿عظيم﴾ نعت لخلق. ﴿فستبصر﴾ فعل مضارع، والسين للتنفيس ـ الاستقبال ـ والفاء للتعقيب، والفاعل ضمير المخاطب ـأنتـ. ﴿ويبصرون﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿بأيكم﴾ مبتدأ مجرور بحرف الجر الزائد في محل رفع. ﴿المفتون﴾ خبر المبتدإ، والجملة مفعول به. ﴿إنّ ربَّك﴾ إنّ واسمها. ﴿هو﴾ ضمير فصل. ﴿أعلمُ﴾ خبر إنّ. ﴿بمن﴾ متعلق بأعلم. ﴿ضل﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلة مَنْ. ﴿عن سبيله﴾ متعلق بضل. ﴿وهو﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿أعلمُ﴾ خبره. ﴿بالمهتدين﴾ متعلق به. ﴿فلا تطعِ﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين، والفاعل ضمير المخاطب ـ أنت ـ. ﴿المكذبين﴾ مفعول به، والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها.

﴿ودُّوا﴾ فعل وفاعل، والجملة تعليلية. ﴿لو﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿تدهن﴾ فعل الشرط، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿فيدهنون﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب شرط لو، والفاء رابط، وجملة لو تدهن مفعول ودُّوا. ﴿ولا تطع﴾ معطوف على النهى السابق فلا تطع المكذبين. ﴿كلَّ﴾ مفعول به. ﴿حلاّف﴾ مضاف إلى كل. ﴿مهين﴾ نعت لحلاّف. ﴿همّاز﴾ نعت ثانٍ. ﴿مشّاءٍ﴾ نعت ثالث. ﴿بنميم﴾ متعلق بمشاء. ﴿مناعٍ﴾ نعت رابع. ﴿للخير﴾ متعلق بمناع. ﴿معتدٍ﴾ نعت خامس. ﴿أثيم﴾ نعت سادس. ﴿عتلٍّ﴾ نعت سابع. ﴿بعدَ﴾ متعلق بعتلٍّ. ﴿ذلك﴾ في محل جرٍ مضاف إلى الظرف. ﴿زنيم﴾ نعت ثامن. ﴿أن﴾

مصدرية. ﴿**كان ذا**﴾ في محل نصب خبر كان، واسمها ضمير يعود على كل حَلاّف. ﴿**مالٍ**﴾ مضاف إلى ذا، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بقوله تعالى: «فلا تطع كل حلاف» لأجل كونه ذا مال. ﴿**وبنين**﴾ معطوف على مال. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط خافض لشرطه منصوب بجوابه. ﴿**تتلى**﴾ فعل مضارع مبنيّ للمجهول فعل شرط إذا. ﴿**عليه**﴾ متعلق بتتلى. ﴿**آياتُنا**﴾ نائب فاعل تُتلى. ﴿**قال**﴾ فعل ماض. ﴿**أساطير**﴾ خبر لمبتدإٍ مقدر: هى أساطير. ﴿**الأولين**﴾ مضاف إلى أساطير، والجملة مقول القول، وجملة قال أساطير الأولين جواب شرط إذا، وجملة إذا تتلى ..الخ استئناف جارٍ مَجْرى التعليل. ﴿**سنسمه**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**على الخرطوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**بلوناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر إنّ. ﴿**كما**﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر، ﴿**وما**﴾ اسم موصول في محل جر بالكاف. ﴿**بلونا**﴾ أصحاب فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول، والتقدير: إنّا بلوناهم بلاء مثل البلاء الذي بلونا به أصحاب. ﴿**الجنة**﴾ مضاف إلى أصحاب. ﴿**إذ**﴾ في محل نصب ظرف متعلق ببلونا. ﴿**أقسموا**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر مضافة للظرف. ﴿**ليصرمُنّها**﴾ فعل مضارع دخلت عليه نون التوكيد الثقيلة، فحذفت نون الرفع لتوالى الأمثال، فالتقى ساكنان، شدّة النون الثقيلة وواو الجماعة، فحذف واو الجماعة لالتقاء الساكنين، والضمير المتصل بالفعل مفعول. مصبحين حال من واو الجماعة الفاعل المحذوف. ﴿**ولا يستثنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى، والجملة معطوفة على أقسموا. ﴿**فطاف**﴾ فعل ماض، والفاء للتعقيب.

﴿**عليها**﴾ متعلق بطاف. ﴿**طائف**﴾ فاعل. ﴿**من ربك**﴾ متعلق بمحذوف نعت لطائف، أى: ﴿**طائف**﴾ آتٍ من أمر ربك. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**نائمون**﴾ خبره، والجملة حال من طائف من ربك. ﴿**فأصبحت**﴾ هى - الجنة - اسم أصبحت. ﴿**كالصريم**﴾ الكاف في محل نصب خبر أصبحت، ﴿**والصريم**﴾ مجرور بالكاف، والفاء للتعقيب. ﴿**فتنادوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**مصبحين**﴾ حال من واو الجماعة. ﴿**أنُ**﴾ حرف تفسير، وحركت بالضمة لالتقاء الساكنين ولمناسبة ضمة همزة الوصل فى. ﴿**اغدوا**﴾ فعل أمر موجه إلى جماعة أهل الجنة من جماعة أهل الجنة، والجملة مفسَّرة لا محل لها من الإعراب. ﴿**على حرثكم**﴾

متعلق باغدوا. ﴿**إن كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**صارمين**﴾ خبرها، والجملة فعل شرط إن، وجواب الشرط محذوف يدل عليه أن اغدوا. فانطلقوا فعل وفاعل، والفاء للتعقيب. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يتخافتون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدإ، وجملة وهم يتخافتون حال من واو الجماعة في انطلقوا. ﴿**أن**﴾ تفسيرية. ﴿**لا يدخلنّها**﴾ فعل مضارع مبنى على الفتح في محل جزم بلا الناهية، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**اليوم عليكم**﴾ متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿**مسكينٌ**﴾ فاعل، والجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. ﴿**وغدوا**﴾ فعل وفاعل والواو للعطف. ﴿**على حرد**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**قادرين**﴾ حال من واوالجماعة في غدوا. ﴿**فلما**﴾ ظرف متضمّن معنى الشرط. ﴿**رأوها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، ﴿**فعل**﴾ شرط لما. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل، جواب الشرط. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لضالون**﴾ خبر إنّ، واللام لتقوية الخبر، وجملة إنا لضالون مقول القول. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب وعطف. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. محرومون خبره. ﴿**قال أوسطُهم**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ألم أقل**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى الجازم وحرف الإستفهام، والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**لكم**﴾ متعلق بأقل. ﴿**لولا**﴾ حرف تحضيض - هلاّ -. ﴿**تسبحون**﴾ فعل وفاعل، وجملة إنا لضالون مقول القول. ﴿**قالوا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**سبحانَ**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة. ﴿**ربنا**﴾ مضاف إلى سبحان. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كنّا**﴾ كان واسمها. ﴿**ظالمين**﴾ خبر كان، وجملة كنا ظالمين خبر إنّ، وجملة إنّا كنّا ظالمين مقول القول. ﴿**فأقبل بعضُهم**﴾ فعل وفاعل، مرتب بالفاء على ما قبله.

﴿**على بعض**﴾ متعلق بأقبل. ﴿**يتلاومون**﴾ فعل وفاعل. قالوا فعل وفاعل. ﴿**يا ويلنا**﴾ منادى منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**إنّا كنّا طاغين**﴾ إعرابه مثل إعراب إنا كنا ظالمين. ﴿**عسى**﴾ فعل ماض ناقص. ﴿**ربُنا**﴾ اسم عسى مرفوع بالضمة. ﴿**أن يبدلنا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ربنا، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب خبر عسى. ﴿**خيرا**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**منها**﴾ متعلق به. ﴿**إنّا**﴾ إن واسمها. ﴿**إلى ربنا**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**راغبون**﴾ خبر إنّ. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل رفع خبر مقدم، ﴿**وذلك**﴾ في محل جر بالكاف. ﴿**العذابُ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**ولعذابُ**﴾ مبتدأ دخل عليه لام التوكيد وواو العطف. ﴿**الآخرة**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**أكبرُ**﴾

خبر المبتدإ. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يعلمون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: ولعذاب الآخرة أكبرُ، أي: لو كانوا من أهل العلم لعلموا أنه أكبر، ولأخذوا منه حذرهم. ﴿**إنّ للمتقين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**عندَ**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**ربّهم**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**جناتٍ**﴾ اسم إنّ مؤخر، منصوب بالكسرة. ﴿**النعيم**﴾ مضاف إلى جنات. ﴿**أفنجعل**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام وفاء العطف، والفاعل نحن. ﴿**المسلمين**﴾ مفعول أول. ﴿**كالمجرمين**﴾ الكاف في محل نصب مفعول ثانٍ، ﴿**والمجرمين**﴾ مجرور بالكاف. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**كيف**﴾ في محل نصب مفعول مقدم. ﴿**تحكمون**﴾ فعل وفاعل والمعنى على أى حال تحكمون هذا الحكم ؟! .﴿**أم لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**كتابٌ**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة بأم. ﴿**فيه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**تدرسون**﴾ فعل وفاعل، والجملة نعت لكتاب. ﴿**إنّ لكم**﴾ فيه متعلقان بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**لما**﴾ اسم موصول في محل نصب اسم إنّ مؤخر، واللام لتوكيد الخبر. ﴿**تخيرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما.

﴿**أم لكم أيمان**﴾ مثل أم لكم كتاب في الإعراب. ﴿**علينا**﴾ متعلق بالخبر الذي تعلق به لكم. ﴿**بالغةٌ**﴾ نعت لأيمان. ﴿**إلى يوم**﴾ متعلق ببالغة. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**إنّ لكم لما تحكمون**﴾ إعراب هذا مثل إعراب إن لكم فيه لما تخيرون، وهذه الجملة واقعة جوابا للقسم. ﴿**سلهم**﴾ فعل أمر، والضمير المتصل به مفعول، وأصله: اسألْهم، حذفت منه همزة الوصل وعين الفعل تخفيفا. ﴿**أيُّهم**﴾ مبتدأ. ﴿**بذلك**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**زعيم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أم لهم شركاء**﴾ مثل أم لهم كتاب في الإعراب. ﴿**فليأتوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام الأمر الجازم وفاء التعقيب. ﴿**بشركائهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إن كانوا**﴾ كان واسمها دخل عليه حرف الشرط. ﴿**صادقين**﴾ خبر كان، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: فليأتوا بشركائهم. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بمقدر: اذكر. ﴿**يكشف**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول. ﴿**عن ساقٍ**﴾ ناب مناب الفاعل. ﴿**ويُدعوْن**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل معطوفة على يكشف. ﴿**إلى السجود**﴾ متعلق بيدعون. ﴿**فلا يستطيعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى، وفاء الترتيب. ﴿**خاشعة**﴾ حال

من الضمير في يدعون. ﴿أبصارُهم﴾ فاعل بخاشعة، اسم الفاعل يعمل عمل الفعل. ﴿ترهقُهم﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول. ﴿ذلّةٌ﴾ فاعل. ﴿وقد كانوا﴾ كان واسمها دخل عليها حرف التحقيق وواو الحال. ﴿يُدعون﴾ الفاعل ونائب الفاعل في محل نصب خبر كان، والجملة حال مثل خاشعة وجملة ترهقهم ذلة. ﴿إلى السجود﴾ متعلق بيُدعون. ﴿وهم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿سالمون﴾ خبره، والجملة حال من الضمير في يُدعون. ﴿فذرنى﴾ أمر موجه إلى الرسول، تعقيب على ما سبقه من الكلام، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب معمول الفعل. ﴿ومَنْ﴾ في محل نصب معطوف على ياء المتكلم. ﴿يكذب﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلة الموصول. ﴿بهذا﴾ متعلق بيكذب. الحديث عطف بيان لهذا. ﴿سنستدرجهم﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل نحن. ﴿من حيث﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿لا يعلمون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿وأملى﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلم، والجملة معطوفة على سنستدرجهم. ﴿لهم﴾ متعلق بأملى.

﴿إن كيدى﴾ إن واسمها منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. ﴿متينٌ﴾ خبر إنّ، وجملة إن كيدى متين تعليلية. ﴿أم تسألهم﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول أول، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿أجرا﴾ مفعول ثانٍ، وجملة أم تسألهم أجرا معطوفة على قوله تعالى: أم لهم شركاء. ﴿فهم﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿من مغرم﴾ متعلق بما بعده. ﴿مثقلون﴾ خبر المبتدإ، والجملة مرتبة بالفاء على جملة تسألهم أجرا. ﴿أم عندهم﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿الغيب﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة بأم على جملة أم تسألهم أجرا. فهم يكتبون إعراب هذه الجملة مثل إعراب فهم من مغرم مثقلون، غير أن الخبر هنا جملة يكتبون من الفعل والفاعل. ﴿فاصبر﴾ أمر موجه من الله إلى الرسول. ﴿لحكم﴾ متعلق باصبر. ﴿ربك﴾ مضاف إلى حكم، والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿ولا تكن﴾ اسم تكن ضمير المخاطب، والفعل مجزوم بلا الناهية. ﴿كصاحب﴾ الكاف في محل نصب خبر تكن، وصاحب مجرور بالكاف. ﴿الحوت﴾ مضاف إلى صاحب، وجملة ولا تكن كصاحب الحوت معطوفة على فعل الأمر. ﴿إذ﴾ ظرف متعلق بما تضمنه قوله تعالى: ولا تكن كصاحب

الحوت، أي: لا يكن حالك مثل حاله حين. ﴿**نادى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على صاحب الحوت. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مكظوم**﴾ خبره، والجملة حال من فاعل نادى. ﴿**لولا**﴾ حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿**أن تداركه**﴾ فعل مضارع منصوب بأن، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**نعمةٌ**﴾ فاعل. ﴿**من ربه**﴾ متعلق بمحذوف نعت لنعمة، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ، والخبر محذوف ؛ كما هو مطرد بعد لولا. ﴿**لنبذ**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على صاحب الحوت، والجملة جواب شرط لولا. ﴿**بالعراء**﴾ متعلق بنبذ. ﴿**وهو مذموم**﴾ إعرابه مثل إعراب وهو مكظوم. ﴿**فاجتباه**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ربه**﴾ فاعل، والجملة معطوفة على مقدر، والتقدير: فتداركته نعمة من ربه فاجتباه ربه.

﴿**فجعله**﴾ مرتب على فاجتباه. ﴿**من الصالحين**﴾ متعلق بجعله. ﴿**وإنْ**﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، أى: إن الشأن كذا. ﴿**يكاد**﴾ فعل مضارع ناقص، من أفعال المقاربة. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع اسم يكاد. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**ليزلقونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر يكاد، واللام فارقة بين إن المخففة وإن النافية. ﴿**بأبصارهم**﴾ متعلق بالفعل قبله، وجملة يكاد الذين كفروا خبر إن المخففة. ﴿**لما**﴾ ظرف متعلق بيزلقونك. ﴿**سمعوا الذكر**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**ويقولون**﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمجنون**﴾ خبرها، واللام للتوكيد، وجملة إنّه لمجنون مقول القول. ﴿**وما هو**﴾ في محل رفع مبتدأ، دخل عليه حرف النفى. ﴿**إلاّ ذكرٌ**﴾ خبر المبتدإ، وإلا ملغاة. ﴿**للعالمين**﴾ متعلق بذكر، والجملة في محل نصب حال من فاعل يقولون، أى: يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين يذكرهم ويبين لهم جميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ن والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾!: فهذه السورة مرتبطة بالسورة التي قبلها برباط وثيق متين. فسورة تبارك ذكر فيها عظمة الله التي ليس فوقها عظمة!. وسورة ﴿**ن**﴾ ذكر فيها عظمة الرسول التي ليس فوقها عظمة!. فسورة الملك يتحد موضوعها من أوله إلى آخره في بيان ملك الله وقدرته وعلمه

بتصرفه في الكون المشاهد والغائب، وسورة ﴿**ن**﴾ يتحد موضوعها من أوله إلى آخره، في بيان عظمة الرسول ـ في كمال عقله وخلقه ـ وما له عند ربه من تكريم وتبجيل وتعظيم، فينزل عليه قرآنا عربيا: حروفه عربية: ﴿**ن، وق، وص**﴾ حروف مفرقة، ومركبة: ﴿**طه، يس، ألم، طسم، كهيعص**﴾ ثم يقسم الله بالقلم وبما يكتبه القلم على قوة عقل هذا الرسول الذي أنزل الله عليه هذا القرآن، ويشيد بهذه النعمة ويقسم بها: ﴿**ما أنت بنعمة ربك بمجنون!.. وإن لك لأجرا غير ممنون**﴾: وصلت هذه الآية بالعطف على ما قبلها زيادة على ما في ذات الرسول من قوة العقل وسداد الرأى ورشاد الأمر مما له عند الله من عظمة المكافأة التي لا تنقطع، مؤكدة بهذه العبارة!. وإن لك لأجرا غير ممنون فهذا العطف والمودّة والتكريم، ليس بعده شيء يهدف إليه صاحب العقل السليم!. ثم تجئ الشهادة الكبرى والتكريم العظيم... ﴿**وإنّك لعلى خلق عظيم**﴾!. فهذا التعبير البليغ، يعجز عنه كل ناطق بليغ!. ثم بعد هذا الثناء الكريم على رسول ذى خلق عظيم، يطمئنه ربه ويشير إلى غده مع المشركين الذين رموه بالبهتان اللئيم، فيهددهم بافتضاح أمرهم وانكشاف بطلانهم وضلالهم المبين... ﴿**فستبصر ويبصرون. بأيكم المفتون**﴾: فهذا الوعد من الله يشير إلى أن الغد سيكشف عن حقيقة النبئ، وحقيقة مكذبيه، ويثبت أنهم الممتحن ـ المفتون ـ بما هو فيه، أو أيهم الضال فيما يدعيه... ﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾: فهذا تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم، بحيث لا يخفى على أحد، وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد. وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير، والفاء في قوله تعالى: ﴿**فلا تطع المكذبين**﴾ لترتيب النهى على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتداء النبئ وضلال المكذبين. وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على عصيانهم وعدم طاعتهم... ﴿**ودّوا لو تدهن فيدهنون**﴾: فهذه هى حقيقة حال المشركين، أصحاب العقيدة المزعزعة، فهم على استعداد للتخلى عن الكثير منها في مقابل أن يتخلى الرسول عن بعض ما يدعوهم إليه!. فهى المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق؛ كما يفعلون في التجارة!. ثم يبرز السياق قيمة العنصر الأخلاقى مرة أخرى في نهى الرسول عن إطاعة أحد هؤلاء المكذبين فردا فردا، فيصف كل فرد بصفاته المزرية المنفّرة... ﴿**ولا تطع كل حلاّف مهين!. همّاز مشّاء بنميم!. منّاع للخير معتد أثيم!. عتل بعد ذلك زنيم**﴾!: فالقرآن يصف كل فرد من هؤلاء وأمثالهم بتسع

صفات ذميمة مشينة، صاحبها حقير لئيم مهين. ثم يعقب السياق على هذه الصفات الذاتية بموقفه من آيات الله، مع التشنيع بهذا الموقف الذي يقابل به نعمة الله عليه بالمال والبنين. . . ﴿**أن كان ذا مال وبنين. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**﴾: فهذه وحدها تعدل كل ما مرّ من وصف ذميم. ومن ثمّ يجئ التهديد من الجبّار العظيم. . . ﴿**سنسمه على الخرطوم**﴾: فالتهديد بوسمه على الخرطوم يحوى نوعين من الإذلال والتحقير: الأول الوسم كما يوسم العبد والبعير.

والثانى جعل أنفه خرطوما كخرطوم الخنزير، بهذا الأسلوب الذي لا يبارى في هذا السجل الذي تتجاوب بكل لفظ من ألفاظه جنبات الوجود، إنّها القاصمة التي يستأهلها عدو الإسلام وعدو الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم. وبمناسبة الإشارة إلى المال والبنين والبطر الذي يبطره المكذبون يضرب لهم مثلا بقصة يبدو أنها كانت معروفة عندهم، فيذكرهم فيها بعاقبة البطر بالنعمة. . . ﴿**إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين. ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم. فتنادوا مصبحين. أن غدوا على حرثكم إن كنتم صارمين. فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا: إنّا لضالون. بل نحن محرومون. قال أوسطهم: ألم أقل لكم؛ لولا تسبحون ؟. قالوا: سبحان ربنا إنّا كنا ظالمين. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. قالوا: ياويلنا إنّا كنا طاغين. عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها. إنّا إلى ربنا راغبون**﴾: فالقصة من ناحية الأداء تمثل إحدى طرق الأداء الفنى للقصة في القرآن، ففيه مفاجآت مشوقة ؛ كما أنّ فيه سخرية بالكيد البشرى العاجز أمام تدبير الله وكيده، وفيه حيوية في العرض حتى لكأن السامع أو القارئ يشهد القصة حيّةً تقع أحداثها أمامه وتتوالى. وقبل أن يسدل السياق الستار على المشهد يجئ التعقيب. . . ﴿**كذلك العذاب**﴾: فليعلم المشركون أهل مكة، ولينظروا ماذا وراء الابتلاء، ثم ليحذروا ما هو أكبر من ابتلاء الدنيا وعذاب الدنيا. . . ﴿**ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**﴾!. وأما المتقون الحذرون فلهم عند ربهم جنات النعيم. . . ﴿**إنّ للمتقين عند ربهم جنات النعيم**﴾: فهذا هو التقابل في العاقبة ؛ كما أنه التقابل في المسلك والحقيقة ؛ تقابل النقيضين اللذين اختلفت بهما الطريق، فاختلفت بهما خاتمة الطريق. وعند

هاتين الخاتمتين يدخل السياق مع المشركين في جدل لا تعقيد فيه كذلك ولا تركيب، فيتحداهم ويحرجهم بالسؤال تلو السؤال، عن أمور ليس لها إلا جواب واحد تصعب المغالطة فيه... ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟. مالكم كيف تحكمون ؟!. أم لكم كتاب فيه تدرسون. إنّ لكم فيه لما تخيّرون ؟!. أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون ؟!. سلهم أيّهم بذلك زعيم؟!. أم لهم شركاء ؟!. فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين**﴾: ففى هذه الأسئلة الموجهة إلى مشركى مكة استنكار وتهكم وتوبيخ وسخرية!. ثم يوقفهم السياق وجها لوجه أمام هذا المشهد ؛ كأنّه حاضر اللحظة... ﴿**يوم يكشف عن ساق. ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة. وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون**﴾: فالكشف عن الساق كناية ـ في تعبيرات اللغة العربية المأثورة ـ عن الشدة والكرب، فهو يوم القيامة الذي يُشمّر فيه عن الساعد، ويكشف فيه عن الساق، ويشتد الكرب والضيق، ويُدعى هؤلاء المتكبرون إلى السجود فلا يستطيعون. ثم يكمل السياق رسم هيئتهم: خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة... ﴿**فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث**﴾: هذا تعقيب على ما ذكر من أحوالهم المَحْكِيّة، والمعنى: إذا كان حالهم في الآخرة على ما ذكر فاتركنى ومن يكذب بهذا القرآن... ﴿**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾: فهو استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الأمر السابق إجمالا... ﴿**وأملى لهم إن كيدى متين**﴾!. فالله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل، ويملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وهو هنا يكشف عن طريقته وعن سنته التي قدرها بمشيئته. ثم في ظل هذا المشهد المكروب، وظل هذا التهديد المرهوب يكمل الجدل والتحدى والتعجيب من موقفهم الغريب... ﴿**أم تسألهم أجرا. فهم من مغرم مثقلون ؟!. أم عندهم الغيب. فهم يكتبون**﴾؟!: فلا هذا ولا ذاك!، فمالهم يقفون هذا الموقف الغريب المريب ؟!. ثم بعد ذكر هذه الحقيقة التي تطمئن الداعى إلى الحق وتهدد المعرض المكذب بهذا الحق، يوجه الله رسوله إلى الصبر مع هؤلاء المكذبين المعرضين عنه الكارهين الحاقدين... ﴿**فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت. إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم. فاجتباه ربه فجعله من الصالحين**﴾: فهذه الآية تذكّر الرسول بما حصل ليونس عليه السلام من مغاضبة قومه وعدم صبره وتركهم دون أمر من ربه،

فيقف صابرا مع قومه في موقف العنت والتكذيب، حيث كلفه الصبر لحكم الله وقضائه.

ففى الختام يرسم مشهدا للكافرين وهم يتلقون الدعوة من الرسول الكريم في غيظ عنيف، وحسد عميق تسكب من نظرات مسمومة قاتلة يوجهونها إليه، فيصفها القرآن بما لا مزيد عليه... ﴿**وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر**﴾: فهذه النظرات تكاد تؤثّر في أقدام الرسول فتجعلها تزل وتنزلق وتفقد توازنها على الأرض وثباتها، وهو تعبير فائق عما تحمله هذه النظرات من غيظ وحنق وشر وحسد ونقمة وضغن وحمّى وسم، مصحوبة هذه النظرات المسمومة المحمومة بالسب القبيح والشتم البذيء والافتراء الذميم... ﴿**ويقولون: إنّه لمجنون.**﴾ فهو مشهد تلتقطه الريشة المبدعة، وتسجله من مشاهد الدعوة العامة في مكة، فهو لا يكون إلا في حلقة عامة بين كبار المعاندين المجرمين ينبعث من قلوبهم وفى نظراتهم كل هذا الحقد الذميم المحموم!. يعقب عليه بالقول الفصل الذي ينهى كل قول... ﴿**وما هو إلا ذكر للعالمين**﴾: فالذكر لا يقوله مجنون ولا يحمله مجنون!، وصدق الله، وكذب المفترون. وهنا تظهر براعة حسن الختام وبراعة رد العجز على الصدر على التمام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**ن والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾: فأول ما يواجه في هذه السورة حرف النون مرسوم بصورة النون لا بلفظها ؛ ليدخل في تعداد الحروف التي ابتدئت بها بعض السور من آحاد ومثنى وثلاث ورباع وخماس. وقد سبق أن بينت في أول سورة البقرة من أن رسم الحروف هذه يشمل جميع الحروف العربية من الألف إلى الياء. وحرف النون هذا يرسم على هيئة ت، وث، ون. كما أن الياء رسمت مثل ب، وح مثل ج وخَ. ور مثل زَ، ودَ، وذَ، ووَ. وص مثل ض. وط مثل ظَ. وع مثل غَ. وق مثل فَ. وك ليس لها مثيل، ولَ كذلك ومَ، وهَ، معه الهمزة، وس مثل ش. فهذه هى الحروف العربية ذكرت في أوائل السور على هيئة رسم الحرف دون لفظه. ففيه تحدٍ للعرب، وفيه تعليم للمسلمين بأن النطق بهذه الحروف ينبغى أن يتعلموا رسمها ومعناها مفردةً وكلمات وجملا، حتى يتخلصوا من الأمية التي شاعت بينهم، وكادت أن تجعلهم في

مؤخر الإنسانية التي تشبه الحيوان. ثم يقسم الله سبحانه وتعالى بآلة الكتابة ـ والقلم ـ والسطور المكتوبة في الصحيفة ـ وما يسطرون ـ على نفى جنون الذي أنزل عليه هذا القرآن، وإن له لأجرا غير مقطوع، وإنه لعلى خلق عظيم!.

فتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على هذا الرسول الكريم، ويثبت هذا الثناء العلوى في آيات هذا الذكر الحكيم!. وفى خاتمة هذه الآيات. . . ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾!. فيعجز كل قلم، ويعجز كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب عظيم، وهى شهادة من الله في ميزان الله لعبد من عباد الله يقولها له في كتابه الكريم. ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد ﷺ تبرز من نواحى شتّى: تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون وتثبت في كيانه، وتتردد في الملإ الأعلى، وعلى مرور الآجال والأجيال!. وتبرز من جانب آخر: من جانب إطاقة الرسول لتلقيها، وهو يعلم: من ربُّه هذا ؛ قائل هذه الكلمة ؟!. ما هو ؟. ما عظمته ؟. ما دلالة كلماته؟. ما مداها ؟. ما صداها ؟!. إن إطاقة الرسول لتلقى هذه الكلمة مِن هذا المصدر وهو ثابت لا ينسحق تحت ضغطها الهائل ـ ولو أنها ثناء ـ ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب، فتلقيه لها في طمأنينة وفى تماسك وفى توازن، هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل. ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روى عنه ؛ ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر، أعظم بصدورها عن العلى العظيم، وأعظم بتلقى محمد لها وهو يعلم من هو العلى العظيم، وبقائه بعدها ثابتا راسخا مطمئنا، لا يتكبر على العباد ولا ينتفخ ولا يتعاظم، وهو الذي سمع ما سمع من العلى العظيم!. والله أعلم حيث يجعل رسالته، وما كان إلا محمد ﷺ بعظمة نفسه هذه ـ من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى، فيكون كفؤا لها، كما يكون صورة حية منها. إن هذه الرسالة من الكمال والجمال والعظمة والشمول والصدق والحق، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثنى عليه ربه هذا الثناء، فتطيق شخصيته كذلك تلقى هذا الثناء في تماسك وفى توازن. ثم يتلقى بعد ذلك عتاب ربه له ومؤاخذته إياه على بعض تصرفاته، بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة ؛ ويعلن هذه كما يعلن تلك، لا يكتم من هذه شيئا ولا تلك، فهو هو في كلتا الحالتين النبئ الكريم

والعبد الطائع والمبلغ الأمين. إن حقيقة هذه النفس من حقيقة هذه الرسالة، وإن عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة، وإن الحقيقة المحمدية كالحقيقة الإسلامية، والناظر في هذه الرسالة كالناظر في سيرة رسولها، يجد العنصر الأخلاقى بارزا أصيلا فيها، تقوم عليه أصولها التشريعية، وأصولها التهذيبية على السواء.

الدعوة الكبرى في هذه الرسالة إلى الطهارة والنظافة والأمانة والصدق والعدل والرحمة والبر وحفظ العهد ومطابقة القول للفعل ومطابقتهما معا للنية والضمير؛ والنهى عن الجور والظلم والخداع والغش وأكل أموال الناس بالباطل والاعتداء على الحرمات والأعراض وإشاعة الفاحشة بأية صورة من الصور. والتشريعات في هذه الرسالة لحماية هذه الأسس وصيانة العنصر الأخلاقى والسلوك، في أعماق الضمير وفى واقع المجتمع وفى العلاقات الفردية والاجتماعية والدولية على السواء. والرسول الكريم ﷺ يقول: «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»، فيلخص رسالته في هذا الهدف النبيل، وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم، وتقوم سيرته الشخصية مثالاً حيًّا وصفحة نقيّة وصورة رفيعة تستحق من الله تعالى أن يقول عنها في كتابه الخالد: وإنك لعلى خلق عظيم!. فهذا الاعتبار هو الاعتبار الفذ في أخلاقية الإسلام، في أخلاقية لم تنبع من البيئة ولا من اعتبارات أرضية إطلاقا، فهى لا تستمد ولا تعتمد على اعتبار من اعتبارات العرف أو المصلحة أو الارتباطات التي كانت قائمة في الجيل، ثم إنها ليست فضائل مفردة: صدق، وأمانة، وعدل، ورحمة، وبر. إنما هى منهج متكامل، تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية، وتقوم عليه فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعا، فقد تمثلت هذه الأخلاقية الإسلامية بكمالها وجمالها وتوازنها واستقامتها واطّرادها وثباتها في رسول الله محمد ـصلى الله عليه وسلمـ وتمثلت في ثناء الله العظيم بقوله: ﴿**وإنّك لعلى خلق عظيم!.. فستبصر ويبصرون. بأيكم المفتون**﴾؟!. فهذا الوعد من الله يشير إلى أن المستقبل سيكشف عن حقيقة الرسول ذى الخلق العظيم، وحقيقة المعارضين له المكذبين بما جاء به من عند ربه العلى العظيم، فهو الذي يعلم الضال والمضل، ويعلم المهتدى... ﴿**إنّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله. وهو أعلم بالمهتدين. فلا تطع المكذبين. ودوا لو تدهن فيدهنون**﴾: فقم على ما أنت عليه في صفّ المهتدين، ولا تلتفت إلى مطالب المشركين فيما

يدعونك إليه من تنازلك عن موقفك وتساهلك معهم وجها لوجه ؛ ليقف الحق مع الباطل في ميدان واحد!. فهذا أمر غير مقبول، ولا مساومة بأنصاف الحلول.

وحسم الله المساومة المضحكة بهذه المفاصلة الجازمة بهذا القول: ﴿**فلا تطع المكذبين، ودّوا لو تدهن فيدهنون!.. ولا تطع كل حلاف مهين**﴾: هنا يفصل صفة كل مكذب من المكذبين الذين يساومون الرسول على تنازله عن موقفه ليهادنوه ويصلحوا الأمر فيما بينهم وبينه عسى أن يكون أمره في يده يتساهل فيه كل طالب منصب من جاه ومن مال، ولكن المسألة ليست أمر مساومة تجارية، ولا هى حذاقة دبلوماسية، إنما هى مبادئ أخلاقية وتوجيهات ربانية يتمسك بها صاحب الخلق العظيم ويتلاعب بها كل جاهل ذو وصف ذميم، فلا تطع من كان هذا وصفه، من كل حلاف مهين... ﴿**هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم. عتل بعد ذلك زنيم**﴾: فهذه تسع صفات ذميمة قبيحة جمعت في كل فرد من أفراد المكذبين، فأولها حلاّف: كثيرالحلف!. ولا يكثر الحلف إلا شخص غير صادق، يدرك أن الناس يكذبونه ولا يثقون به. وثانيها مهين: لا يحترم نفسه، ولا يحترم الناس قوله!. والمهانة صفة نفسية تلصق بالمرء، ولو كان سلطانا طاغية جبّارا. وثالثها همّاز: يهمز الناس ويعيبهم بالقول والإشارة في حضورهم أو في غيبتهم، وقد ذكر الله تعالى صاحب هذا الخلق في سورة خاصة تبين وصفه ومصيره: «ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالا وعدده، يحسب أن ماله أخلده، كلاّ!. لينبذن في الحطمة». ورابعها مشاء بنميم: يمشى بين الناس بما يفسد قلوبهم ويقطع صلاتهم، وهو خلق ذميم ؛ كما أنه خلق دنئ مشين!. فلا يتّصف به ولا يقدم عليه شخص يحترم نفسه، أو يرجو لنفسه احتراما عند الآخرين، حتى أولئك الذين يستمعون له!. وخامسها مناع للخير: يمنع الخير عن نفسه وعن غيره، فليس فيه خير، ولا يُرجى منه خير!. شحيح قبيح، صغير حقير!. وسادسها معتدٍ: متجاوز للحق والعدل إطلاقا، فالاعتداء صفة ذميمة تنال من عناية القرآن والسنة اهتماما كبيرا. وسابعها أثيم: يرتكب ما يضره ويضر غيره دون وعى، فلا يُحَدُّ نوع الآثام التي يرتكبها!. وثامنها عتلّ: هذه الكلمة تحتوى في طياتها مجموعة من السمات والصفات، فهو الغليظ الجافى الأكول الشروب، الفظ اللئيم في طبعه، السيئ في معاملته، فكلمة عتلّ بذاتها أدل على كل هذا وأبلغ تصويرا للشخصية الكريهة من جميع الوجوه.

وتاسعها زنيم: وهذه خاتمة الصفات الذميمة الكريهة المتجمعة في كل فرد من أفراد المكذبين بما جاء به الرسول من آيات بينات تنير طريق المهتدى من عباد الله الصالحين، والزنيم: من معانيه اللّصيق في القوم لا نسب له فيهم، والذى اشتهر وعرف بين الناس بلؤمه وخبثه وكثرة شروره، فهو شخص لا قيمة له ؛ كالزنمة في رقبة المعزة! ..**﴿أن كان ذا مال وبنين﴾**: تعقيب على ما سبق من أوصاف المكذبين فردا فردا، فلأنّهم أصحاب أموال وبنين افتخروا بها واختالوا على الناس، واتصف كل فرد منهم بما اتصف من سوء الأخلاق ومهانة النفوس، حتى تعدوا وتجاوزوا الحدود بما قالوا في آيات الله البينات... **﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾**: فهذه وحدها تعدل كل ما مر من وصف ذميم. ثم يجئ التهديد والوعيد نتيجة لفخره بالمال والبنين، وتقوله على القرآن بأنه أساطير الأولين... **﴿سنسمه على الخرطوم!. إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة. إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون﴾**: بلونا أهل مكة كما بلونا أصحاب الجنة، فهذا مثل ضربه الله لأهل مكة ؛ كما ضرب لهم مثلا آخر بقرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان: «وضرب الله مثلا: قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون». فأهل مكة كفروا بأنعم الله كما أنكر أصحاب القرية حق المساكين في نتاج جنتهم ..أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين: فقد قرّ رأيهم على أن يقطعوا ثمار جنتهم ويصرموا نتاج زرعهم، فيذهبوا عند هجعة الغلس قبل أن يستيقظ أحد بهم، فأقسموا على هذا دون استثناء ورجوع، بل بتصميم قاطع من الجميع، فبيتوا هذا الأمر ليلا، وباتوا على هذا الأمر، وعقدوا العزم عليه ؛ ولكن حدث ما حدث لجنتهم التي صمموا على جنيها سرا شحا بحق المساكين... **﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم﴾**!: فهذا الطائف الذي طاف على الجنة شيء مهول!. آتٍ إليها من ربك أيّها الرسول، وهم نائمون في غفلة وذهول، فأصبحت هباء منبثا كالصريم، فضاع كل مأمول!.. **﴿فتنادوا مصبحين: أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين﴾**: فهم لا يدرون ما حل بجنتهم من الهلاك والدمار... **﴿فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا: إنّا لضالون. بل نحن محرومون﴾**: فإنّهم ذهبوا إلى جنتهم مبكرين بعدما بيتوا أمرهم ليلا، ونادى

بعضهم بعضا في الصباح الباكر يتخافتون في كلامهم وحركتهم متواصين ؛ ألاّ يدخلنها اليوم عليهم فقير محتاج، وغدوا على هذا الأمر قادرين على أن ينفذوا ما دبروه، فلما وصلوا جنتهم ورأوها خاوية هالكة، قالوا: ليس هذه جنتنا، وإنما ضللنا عنها. ولما تحققوا من الأمر عرفوا الحقيقة، وهتفوا جميعا... بل نحن محرومون!. وقد كان فيهم من نصحهم وصرفهم عما دبروا، ولكن لم يسمع قوله... ﴿**قال أوسطهم: ألم أقل لكم ؟. لولا تسبحون**﴾؟!: ولكن بعد فوات الأمر، فكأنهم يسمعون الناصح الآن بعد فوات الأوان... ﴿**قالوا ـ سبحان ربنا ـ إنا كنا ظالمين**﴾. فتنصّل كل واحد من المسؤولية، وألقى التبعة على غيره... ﴿**فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون**﴾!. ثم هاهم أولاء يتركون التلاوم ليعترفوا جميعا بالخطيئة أمام العاقبة الرديئة... ﴿**قالوا: ياويلنا إنا كنا طاغين. عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنّا إلى ربنا راغبون**﴾: فهذه قصة أصحاب الجنة وما حصل فيها من امتحان وبلاء، فهي مثل من أمثال العذاب في الدنيا... ﴿**كذلك العذاب**﴾: فليعلم المشركون أهل مكة، ولينظروا: ماذا وراء الابتلاء ؟. ثم ليحذروا ما هو أكبر من ابتلاء الدنيا وعذاب الدنيا... ﴿**ولعذاب الآخرة أكبر. لو كانوا يعلمون**﴾!: فهذا المثل يسوقه الله إلى قريش، فيربط بين سنته في الغابرين وسنته في الحاضرين، ويلمس قلوبهم بأقرب الأساليب إلى واقع حياتهم مما هو متداول بينهم من القصص، ثم في الوقت ذاته يشعر المؤمنين بأن ما يرونه على المكذبين من آثار النعمة والثروة، إنما هو ابتلاء من الله، له عواقبه وله نتائجه... ﴿**إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم**﴾: في الآخرة، فهو التقابل في العاقبة ؛ تقابل النقيضين، فالمجرمون لهم عذاب الدنيا والآخرة، والمتقون لهم عند ربهم جنات النعيم... ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟. مالكم ؟!. كيف تحكمون**﴾؟!. فهذا السؤال الاستنكاري الأول ـ أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟ـ يعود إلى عاقبة هؤلاء المجرمين، وهؤلاء المتقين، فهو سؤال ليس له إلا جواب واحد: لا، فالمسلمون المتقون الخاضعون لأمر ربهم لا يكونون أبدا كالمجرمين المكذبين، فلا يجوز في عقل ولا في شرع أن يتساوى المتقون والمجرمون في جزاء ولا مصير. فمن هذا يجئ الاستنكار الأخير مالكم ؟. كيف تحكمون ؟!. فماذا بكم ؟. وعلام تبنون أحكامكم ؟. وكيف تزنون القيم والأقدار حتى يستوى في ميزانكم وحكمكم من يسلمون وجوههم إلى الله ويحسنون، ومن يكذبون

بآيات الله ويجرمون ؟!. فالذين أسلموا لله اهتدوا بهدى رسول الله صاحب الخلق العظيم، والذين أجرموا كذبوا بهذا الهدى، بما لهم من المساوى والخلق الذميم!.

ومن هنا افترق الفريقان، فلا يلتقيان إلى يوم الدين، فالذين اتبعوا الرسول اهتدوا فزادهم الله هدى، والذين اتبعوا شهواتهم وادعوا بما ليس فيهم، فضل أعمالهم وارتكسوا في مهاوى الردى. ومن الاستنكار والإنكار عليهم ينتقل السياق إلى التهكم بهم والسخرية منهم. . . ﴿**أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟. إنّ لكم فيه لما تخيرون**﴾! : فيقول لكم: إنّ المسلمين كالمجرمين!. من يقول: إنّ محمدا في عظمته كأبى جهل في جهله وحماقته!. فهذا الكتاب الذي فيه هذا الحكم كتاب مضحك يوافق هواهم، ويتملق رغباتهم. . . فلهم فيه ما يتخيّرون: من الأحكام وما يشتهون!. وهو لا يرتكن إلى حق ولا إلى منطق، ولا إلى معقول أو مشروع!. بل ألكم عهود ومواثيق على الله سارية إلى يوم القيامة أن لكم هذا الحكم. . . ﴿**أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون**﴾؟! : فإن لا يكن ذلك فهو هذا، وهو أن تكون لهم مواثيق بمقتضاها أن لهم ما يحكمون وما يختارون وفق ما يشتهون!. وليس من هذا شيء، فلا عهود لهم عند الله ولا مواثيق، فعلام إذن يتكلمون ؟!. وإلام إذن يستندون ؟! ..﴿**سلهم: أيهم بذلك زعيم**﴾؟! : فوجه إليهم هذا السؤال: من منهم المتعهد بهذا: أن لهم من الله ما يشاءون، وأن لهم ميثاقا عليه سارى المفعول إلى يوم القيامة أن لهم ما يحكمون؟! ..﴿**أم لهم شركاء ؟. فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين**﴾!. فهذا هو التهكم الساخر العميق البليغ ؛ يذيب الوجوه من الحرج والتحدى السافر المكشوف! ..﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾: اذكر لهم هذا اليوم ـ يوم القيامة ـ يوم يشتد الأمر، وينكشف الكرب والضيق ويظهر ما خفى من العصيان والكفر. . . ﴿**ويدعون إلى السجود. فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة**﴾: فهذا هو حالهم الآن، أمّا ما كانوا عليه في الدنيا؛ ﴿**وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون. . .**﴾ ﴿**فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث**﴾: فاتركنى مع هذا المكذب، وأتباعه المكذبين، فاتركنى لحربه، فأنا به كفيل!، فمن هو هذا الذي يكذب بهذا الحديث؟!، إنهم كبراء مكة وقت التنزيل، وأولياء الشيطان في كل عصر وجيل.

ثم يكشف لهم الجبار القهار عن خطة الحرب مع هؤلاء جميعا. . .

﴿**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾: فالله سبحانه وتعالى يبين للناس في كتابه، ما سيفعل بكل ضال ومكذب ؛ وأن الأمان الظاهر الذي يتركه لهم، هو الفخ الذي يقعون فيه وهم غافلون غارّون، وأن الإملاء لهم ما هو إلا إمهال وليس إهمالا. . . ﴿**وأملى لهم. إن كيدى متين. أم تسألهم أجرا؟. فهم من مغرم مثقلون!. أم عندهم الغيب ؟. فهم يكتبون!. فاصبر لحكم ربك**﴾: بعد بيان كل الحقائق التي مرت يوجه الله رسوله إلى ملازمة الصبر ؛ الصبر على تكاليف الرسالة، والصبر على التواءات النفوس، والصبر على الأذى والتكذيب، حتى يحكم الله في الوقت المقدر كما يريد، فيذكره بتجربة أخ له من قبلُ ضاق صدره بهذه التكاليف. . . ﴿**ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم. لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم. فاجتباه ربه فجعله من الصالحين**﴾: فصاحب الحوت يونس عليه السلام. فيلخّص السياق هنا تجربة يونس ليذكّر بها محمدا ؛ لتكون له زادًا ورصيدًا، فيعينه هذا على عبئه الثقيل الكبير ؛ عبء هداية البشرية في منهج الرسالة الأخير. . . ﴿**وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر**﴾: هذا هو الأمر الذي يجب عليه الصبر، إن نظرة القوم إلى الرسول نظرة حقد وحسد، نظرة تكاد تذهب بالنفس وتحطم الجسد!، عندما سمعوا هذا الذكر الذي يعلمون أنه أصدق القول فيما وعد!. ولكنهم لم يكتفوا بالنظرة الحاقدة المدمرة، بل يقولون القولة اللئيمة والفرية الذميمة. . . ﴿**ويقولون: إنّه لمجنون**﴾: فهذا موقف القوم مع الرسول الذي أقسم ربه له، بأنّه ليس بمجنون، وأنّه لعلى خلق عظيم! ..﴿**وما هو إلاّ ذكر للعالمين**﴾: والذكر لا يقوله مجنون، ولا شخص بماله مفتون!. ولكن الجنون فنون ؛ كما يقولون. . . فستبصر ويبصرون بأيّكم المفتون: لقد واجهت رسالة محمد ﷺ جميع الناس، وأعلنت عالميتها من أول نشأتها في مكة، وهى محاصرة مضطهدة بين قوم مكذبين مفترين متكبرين مغرورين، وكل فرد منهم له صفات بينها القرآن من أقبح الصفات!. ولكن الدعوة ظهرت وانتصرت رغم ما لاقت في مكة من عقبات، وستأتى الحاقّة التي تحقق هذا الحق اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين!.

3 ـ الحاقّة ما الحاقّة؟
وما أدراك ما الحاقّة؟



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ (8) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (10) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (12) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (18) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19)

إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿19﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿20﴾ فِي جَنَّةٍ

عَالِيَةٍ ﴿21﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿22﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ

ٱلْخَالِيَةِ ﴿23﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ﴿24﴾ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿25﴾

وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿26﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿27﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي

مَالِيَهْ ﴿28﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿29﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿30﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿31﴾

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿32﴾ إِنَّهُۥ كَانَ

لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿33﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿34﴾

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿35﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿36﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ

إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿37﴾ * فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿38﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿39﴾

إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿40﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿41﴾

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿42﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿43﴾

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿45﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا

مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿46﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿47﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿48﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿49﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ

عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿50﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿51﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿52﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**الحاقة**﴾: الحالة التي يحق بها الأمر... ﴿**ما الحاقة**﴾؟: استفهام عن الحاقة لعظمتها... ﴿**وما أدراك ما الحاقة**﴾؟: تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات... ﴿**كذبت ثمود وعاد بالقارعة**﴾: بالقيامة التي تقرع القلوب بالفزع والهول... ﴿**فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية**﴾: أهلك الله ثمود: قَوْمَ صالح بالصيحة المهلكة والرجفة المزلزلة... ﴿**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر**﴾: أهلك الله عادًا قومَ هود بريح شديدة الصوت قوية البرد... ﴿**عاتية**﴾: شديدة العصف، قوية الأخذ، فلم يقدروا على الوقاية منها... ﴿**سخّرها عليهم**﴾: سلط الله عليهم هذه الريح... ﴿**سبع ليال وثمانية أيام حسوما**﴾: متتابعات، من قولهم: حسمت الدابةَ إذا تابعت كيّها مرة بعد مرة حتى استأصلت الداء، فكذلك عاد تتابعت عليهم الريح حتى قضت عليهم القضاء المبرم! ..﴿**فترى القوم فيها صرعى**﴾: لو كنت حاضرا أيها السامع لرأيت القوم كلهم في تلك الحالة، موتى مطروحين على الأرض... ﴿**كأنّهم أعجاز نخل خاوية**﴾!. فالأعجاز: جذوع النخل.

والخاوية: الفارغة المتآكلة الجوف... ﴿**فهل ترى لهم من باقية**﴾؟: نفس باقية، فلم يبق لهم أصل ولا فرع، «فأصبحوا لا ترَى إلا مساكنهم!» ﴿**وجاء فرعون**﴾: ملِك مصر الطاغية الجبار... ﴿**ومن قَبله**﴾: من الأمم التي لا يعلمها إلا الله... ﴿**والمؤتفكات**﴾: أهل القرى المنقلبات، وهى قرى قوم لوط... ﴿**بالخاطئة**﴾: أهلكوا بسبب الفعلة الخاطئة... ﴿**فعصوا رسول ربهم. فأخذهم أخذة رابية**﴾: زائدة في الشدة وقوة الأخذة، من قولهم: ربا الشيء إذا بلغ غاية الزيادة... ﴿**إنا**﴾: بعظمتنا... ﴿**لما**﴾: حين... ﴿**طغا الماء**﴾: زاد وارتفع على المعتاد، وتجاوز رؤوس الجبال... ﴿**حملناكم**﴾: حملنا أصلكم... ﴿**في الجارية**﴾: سفينة نوح التي جرت على الماء الطاغى بقدرة الله العظيم. «وهى تجرى بهم في موج كالجبال!.»... ﴿**لنجعلها لكم تذكرة**﴾: عبرة ودلالة على قدرة الله العظيم... ﴿**وتعيها**﴾: تحفظها، والوعى: أن تحفظ الشيء في نفسك، والإيعاء: أن تحفظ الشيء في وعاء... ﴿**أذن واعية**﴾: من شأنها أن تفهم ما

تسمع، وتحفظه بمراعاة ما فيه من وعد ووعيد وتحريض وتحذير وترغيب وترهيب! ..﴿**فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة**﴾: تحقق نفخ الصور في سرعة مذهلة. . . «فصعق من في السماوات ومن في الأرض» ﴿**وحملت الأرض والجبال**﴾: قلعت ورفعت من أماكنها. . . ﴿**فدكّتا دكّة واحدة**﴾: ضرب بعضها ببعض، فاندقت وانهالت. . . فصارت هباء منبثّا: «يوم تبدل الأرض غيرالأرض».. ﴿**فيومئذ وقعت الواقعة**﴾: قامت القيامة عند النفخة الثانية. . . ﴿**وانشقت السماء. فهى يومئذ واهية**﴾: ضعيفة مسترخية منحلّة بعدما كانت شديدة محكمة!.. ﴿**والملك على أرجائها**﴾: مثل قوله تعالى: «ويوم تشقق السماء بالغمام ونُزّل الملائكة تنزيلا». . . ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾: تصوير عظيم لما عليه الحال في هذا اليوم العظيم!. تقريب للفهم بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس لقضاءِ أمْرٍ مُهمّ، لكونها أقصى ما يتصور من العظمة والجلال. . . ﴿**يومئذ تعرضون**﴾: يوم إذ يكون ما سبق، تعرضون للسؤال والحساب وما يترتب عليهما من ثواب وعقاب. . . ﴿**لا تخفى منكم خافية. فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيهْ**﴾: هذا تفصيل لأحكام العرض من سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء. هاؤم: اسم فعل أمر. ـ اقرءوا ـ أوخذوا ـ يقال: هاء يا رجل. . . ﴿**إنّى ظننت أني ملاق حسابيه**﴾: علمت وتأكدت من صحة الخبر بوقوع القيامة وما فيها من حساب، فغلبة الظن بعد البحث تنزل منزلة اليقين. . . ﴿**فهو في عيشة راضية. في جنة عالية. قطوفها دانية**﴾: قريبة المأخذ سهلة الجنى. . . ﴿**كلوا واشربوا هنيئا**﴾: يقال لهم هذا الكلام. . . ﴿**بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾: بسبب ما عملتموه من الأعمال الصالحات سلفا في أيام الدنيا الماضية. . . ﴿**وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول: يا ليتنى لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية**﴾: يا ليت الموتة الأولى كانت القاطعة عن البعث والحساب. . . ﴿**ما أغنى عني ماليه**﴾: لم ينفعني ما جمعت من مال شيئا. . . ﴿**هلك عني سلطانيه**﴾: فلا حجة لي اليوم. . . ﴿**خذوه فغلوه**﴾: أمر من الله لخزنة جهنم. . . ﴿**ثم الجحيم صلّوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا. فاسلكوه. إنّه كان لا يؤمن بالله العظيم. ولا يحض على طعام المسكين**﴾: لا يحث غيره على طعام المحتاج، فأقبح العقائد الكفر، وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب. . . ﴿**فليس له اليوم ههنا حميم**﴾: قريب يحميه ويدفع عنه. . . ﴿**ولا طعام**

إلا من غسلين﴾: غسالة أهل النار وصديدهم. . . **﴿لا يأكله إلاّ الخاطئون﴾**: الكافرون أصحاب الخطايا. . . **﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون. إنّه لقول رسول كريم﴾**: الله سبحانه يقسم بما يُرى وما لا يرى، من أن القرآن قول رسول كريم. . . **﴿وما هو بقول شاعر. قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن. قليلا ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين. ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين﴾**: فلو فرض أن محمدا ﷺ تكلّف قولا من عند نفسه، لفعلنا به ما فعلنا، من الأخذ الشديد وقطع الوتين. . . **﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾**. وإنّه: القرآن. . . **﴿لتذكرة للمتقين. وإنّا لنعلم أن منكم مكذبين. وإنّه لحسرة على الكافرين. وإنّه لحق اليقين. فسبح باسم ربك العظيم﴾**: الكلمات واضحة.

مبحث الإعراب

﴿الحاقة﴾ مبتدأ أول. **﴿ما﴾** اسم استفهام، مبتدأ ثان. **﴿الحاقّةُ﴾** خبره، والجملة خبر المبتدإ الأول. **﴿وما﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿أدراك﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول أول، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة خبر المبتدإ. **﴿ما﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿الحاقة﴾** خبره، والجملة في محل نصب مفعول ثانٍ بأدراك، وجملة وما أدراك ما الحاقة معطوفة على الجملة الأولى. **﴿كذبت ثمودُ﴾** فعل وفاعل. **﴿وعادٌ﴾** معطوف على ثمود. **﴿بالقارعة﴾** متعلق بكذبت. **﴿فأما﴾** أداة تفصيل، والفاء للتعقيب. **﴿ثمودُ﴾** مبتدأ.

﴿فأهلكوا﴾ الفعل ونائب الفاعل في محل رفع خبر المبتدإ، ﴾وقرن بالفاء لشبهه بالشرط. **﴿بالطاغية﴾** متعلق بأهلكوا. **﴿وأما عادٌ فأهلكوا﴾** معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب. **﴿بريح﴾** متعلق بأهلكوا. **﴿صرصر﴾** نعت لريح. **﴿عاتيةٍ﴾** كذلك. **﴿سخّرها﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله المعلوم من السياق. **﴿عليهم﴾** متعلق بسخرها. **﴿سبعَ﴾** منصوب على الظرفية، لإضافته إلى الظرف. **﴿ليال﴾** مضاف إليه. **﴿وثمانية﴾** معطوف على سبع. **﴿أيام﴾** مضاف إلى ثمانية. **﴿حسوما﴾** حال من أيام. **﴿فترى﴾** فعل مضارع، والفاء للتعقيب، والفاعل ضمير المخاطب. **﴿القومَ﴾** مفعول به. **﴿فيها﴾** متعلق بترى. **﴿صرعى﴾** حال من القوم منصوب بفتحة مقدرة

على الألف. ﴿**كأنّهم**﴾ كأنّ واسمها. ﴿**أعجازُ**﴾ خبر كأنّ. ﴿**نخل**﴾ مضاف إلى أعجاز. ﴿**خاويةٍ**﴾ نعت لنخل. ﴿**فهل ترى**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام، والفاء للتعقيب. ﴿**لهم**﴾ متعلق بترى، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**من باقية**﴾ مفعول به مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**وجاء فرعونُ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ومَنْ**﴾ اسم موصول معطوف على فرعون. ﴿**قبله**﴾ ظرف متعلق بمحذوف صلة من. ﴿**والمؤتفكات**﴾ معطوف على فرعون. ﴿**بالخاطئة**﴾ متعلق بجاء. ﴿**فعصوا رسول**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى رسول. ﴿**فأخذهم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ربهم، والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**أخذةً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**رابيةً**﴾ نعت لأخذةً. ﴿**إنَّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمّا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**طغى**﴾ الماء فعل وفاعل.

﴿**حملناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، وهو جواب شرط لمّا. ﴿**فى الجارية**﴾ متعلق بمحذوف حال من ضمير المخاطبين المفعول. ﴿**لنجعلها**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول أول، والفاعل نحن، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ﴿**وأن وما دخلت عليه**﴾ في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بحملناكم. ﴿**لكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**تذكرةً**﴾ مفعول به. ﴿**وتعيها**﴾ فعل مضارع منصوب، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**أذنٌ**﴾ فاعل. ﴿**واعيةٌ**﴾ نعت لأذن. ﴿**فإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**نفخ**﴾ فعل ماض مبنيّ للمجهول. ﴿**فى الصور**﴾ متعلق بنفخ. ﴿**نفخةٌ**﴾ نائب الفاعل. ﴿**واحدةٌ**﴾ نعت لنفخة. ﴿**وحملت**﴾ الأرضُ الجملة من الفعل ونائب الفاعل معطوفة على نُفخ. ﴿**والجبال**﴾ معطوف على الأرض. ﴿**فدكّتا**﴾ الفعل ونائب الفاعل مرتب على ما قبله. ﴿**دكّةً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**واحدةً**﴾ نعت لدكّة. ﴿**فيومئذ**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**وقعت الواقعةُ**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب شرط إذا، والفاء رابط. ﴿**وانشقّت السماءُ**﴾ معطوف على وقعت الواقعة. ﴿**فهى**﴾ في محل رفع. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**واهيةٌ**﴾ خبر المبتدإ، والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**والملك**﴾ مبتدأ. ﴿**على أرجائها**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**ويحمل**﴾ فعل مضارع، والواو للعطف. ﴿**عرش**﴾ مفعول به. ﴿**ربك**﴾ مضاف إليه. ﴿**فوقهم**﴾ متعلق بيحمل. ﴿**يومئذ**﴾ كذلك. ﴿**ثمانيةٌ**﴾ فاعل.

﴿**يومئذ**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**تعرضون**﴾ الفعل ونائب الفاعل بدل من فيومئذ وقعت الواقعة. ﴿**لا تخفى**﴾ فعل مضارع منفى بلا. ﴿**منكم**﴾ متعلق بتخفى. ﴿**خافية**﴾ فاعل، وجملة لا تخفى منكم خافية حال من نائب الفاعل في تعرضون. ﴿**فأما**﴾ أداة تفصيل، والفاء للتعقيب. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ. ﴿**أوتى**﴾ فعل ماض مبنىّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلتها. ﴿**كتابَه**﴾ مفعول به. ﴿**بيمينه**﴾ متعلق بأوتى.

﴿**فيقول**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**هاؤمُ**﴾ اسم فعل أمر. ﴿**اقرأوا**﴾ فعل أمر موجه إلى المخاطبين. ﴿**كتابيهْ**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة قبل ياء المتكلم، وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى كتاب، وحركت بالفتحة لمناسبة هاء السكت، وجملة فيقول: هاؤم اقرأوا كتابيه خبر المبتدإ - من أوتى - وقرن بالفاء لمشابهة الشرط. ﴿**إنّى**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ظننت**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر إنّ. ﴿**أنّى**﴾ أنّ واسمها. ﴿**ملاقٍ**﴾ خبر أنّ مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وأصل الكلمة: ملاقىٌ استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان الياء والتنوين، فحذفت الياء على حد قول النحاة: إن ساكنان التقيا اكسر ما سبق وإن يكن لينا فحذفه أحق. ﴿**حسابِيهْ**﴾ مفعول به مثل كتابيهْ، وجملة أنى ملاق حسابيهْ سدّت مسد مفعولى ظن. فهو في محل رفع مبتدأ. ﴿**فى عيشة**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**راضية**﴾ نعت لعيشة. ﴿**فى جنّة**﴾ متعلق بما تعلق به في عيشة راضية. ﴿**عالية**﴾ نعت لجنة. ﴿**قطوفُها**﴾ مبتدأ. ﴿**دانيةٌ**﴾ خبر المبتدإ، والجملة نعت ثان لجنة. ﴿**كلوا**﴾ فعل أمر موجه إلى أهل الجنة. ﴿**واشربوا**﴾ معطوف على كلوا. ﴿**هنيئا**﴾ نعت لمفعول مقدر، أى: أكلا وشربا هنيئا. ﴿**بما**﴾ متعلق بكلوا واشربوا. ﴿**أسلفتم**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**فى الأيام**﴾ متعلق بأسلفتم. ﴿**الخالية**﴾ نعت لأيام. ﴿**وأما من أوتى كتابه بشماله**﴾ إعرابه مثل إعراب ﴿**فأما من أوتى كتابه بيمينه**﴾. فيقولُ مثل نظيره فيما سبق. ﴿**يا ليتنى**﴾ ياحرف نداء، والمنادى محذوف، ليت حرف تمنٍّ ينصب الاسم ويرفع الخبر، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب اسم ليت. ﴿**لم أوت**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول مجزوم بلم، ونائب الفاعل ضمير المتكلم - أنا -. ﴿**كتابيهْ**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى كتاب، وحركت بالفتحة لمناسبة هاء السكت،

وجملة لم أوت كتابيه في محل رفع خبر ليت، وجملة يا ليتنى مقول القول. ﴿**ولم أدر**﴾ معطوف على لم أوت، مجزوم بلم، والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ.

﴿**حسابيه**﴾ خبر المبتدإ، مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، وياء المتكلم فيه مثل ياء المتكلم في كتابيه، وجملة ما حسابيه في محل نصب مفعول ثانٍ. ﴿**يا ليتها**﴾ مثل ياليتنى، فضمير الغائب اسم ليت مثل ياء المتكلم في ياليتنى. ﴿**كانت القاضية**﴾ كان وخبرها، واسمها ضمير يعود على موتة الدنيا التي مَاتَها، والجملة في محل رفع خبر ليت. ﴿**ما أغنى**﴾ فعل ماض منفىّ بما. ﴿**عنّى**﴾ متعلق بأغنى. ﴿**ماليه**﴾ فاعل مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، وياء المتكلم وهاء السكت مثل ما سبق. ﴿**هلك**﴾ فعل ماض. ﴿**عنى**﴾ متعلق بهلك. ﴿**سلطانيهْ**﴾ فاعل، ﴿**وهو**﴾ مثل ماليه. ﴿**خذوه**﴾ أمر موجه من الله إلى الزبانية. ﴿**فغلوه**﴾ مرتب عليه، والضمير في الفعلين مفعول به. ﴿**ثم الجحيم**﴾ مفعول ثانٍ مقدم. ﴿**صلوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة مرتبة بثُمّ على ما قبلها. ﴿**ثمّ في سلسلة**﴾ متعلق بآخر الكلام في قوله: فاسلكوه. ﴿**ذرعُها**﴾ مبتدأ. ﴿**سبعون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ذراعا**﴾ منصوب على التمييز، ﴿**وجملة ذرعها سبعون ذراعا**﴾ نعت لسلسلة. ﴿**فاسلكوه**﴾ أمر موجه إلى الزبانية. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ من أوتى كتابه بشماله. ﴿**لا يؤمن**﴾ فعل مضارع منفىّ بلا، والفاعل ضمير يعود على اسم كان، والجملة خبر كان، وجملة كان لا يؤمن خبر إنّ، وجملة إنه كان لا يؤمن تعليل. ﴿**بالله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**العظيم**﴾ نعت لله. ﴿**ولا يحضّ**﴾ معطوف على لا يؤمن. ﴿**على طعام**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**المسكين**﴾ مضاف إلى طعام. ﴿**فليس**﴾ فعل ماض ناقص، والفاء للتعقيب. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**اليوم**﴾ ههنا الظرفان متعلقان بما تعلق به له. ﴿**حميمٌ**﴾ اسم ليس مؤخر. ﴿**ولا طعام**﴾ معطوف على حميم. ﴿**إلا من غسلين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لطعام، أى: طعام كائن من غسلين. ﴿**لا يأكله**﴾ فعل مضارع منفىّ بلا، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**إلا الخاطئون**﴾ فاعل، والجملة نعت لغسلين. ﴿**فلا أقسم**﴾ فعل مضارع دخلت عليه لا الزائدة، والفاء للتعقيب، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**بما**﴾ متعلق بأقسم. ﴿**تبصرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**وما لا تبصرون**﴾ معطوف على ما تبصرون. ﴿**إنّه**﴾

إنّ واسمها. ﴿**لقول**﴾ خبر إنّ، واللام لتوكيد الخبر. ﴿**رسولٍ**﴾ مضاف إلى قول. ﴿**كريمٍ**﴾ نعت لرسول، والجملة جواب القسم.

﴿**وما هو**﴾ في محل رفع اسم ما. ﴿**بقول**﴾ خبر ما، جر بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**شاعرٍ**﴾ مضاف إلى قول. ﴿**قليلا**﴾ نعت لمفعول مطلق. ﴿**ما**﴾ صلة. ﴿**تؤمنون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ولا بقول كاهنٍ**﴾ معطوف على ما هو بقول شاعر. ﴿**قليلا ما تذكرون**﴾ مثل قليلا ما تؤمنون، أي: تؤمنون إيمانا قليلا، وتذَّكَّرون تذكّرا قليلا في قولكم: شاعر وكاهن. ﴿**تنزيل**﴾ خبر لمبتدإ محذوف ـ هو ـ. ﴿**من رب**﴾ متعلق بتنزيل. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**ولو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**تقول**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الرسول. ﴿**علينا**﴾ متعلق بتقول. ﴿**بعض**﴾ مفعول به. ﴿**الأقاويل**﴾ مضاف إلى بعض. ﴿**لأخذنا**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب شرط لو، واللام لتقوية الجواب. ﴿**منه باليمين**﴾ متعلقان بأخذنا. ﴿**ثم لقطعنا**﴾ مرتب على لأخذنا. ﴿**منه**﴾ متعلق بقطعنا. ﴿**الوتينَ**﴾ مفعول به. ﴿**فما**﴾ مثل ليس، والفاء للتعقيب. ﴿**منكم**﴾ متعلق بمحذوف حال من أحد. ﴿**من أحد**﴾ اسم ما في محل رفع جرت بحرف الجر الزائد. ﴿**عنه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**حاجزين**﴾ خبر ما. ﴿**وإنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لتذكرةٌ**﴾ خبر إنّ، واللام لتقوية الخبر. ﴿**للمتقين**﴾ متعلق بتذكرة. ﴿**وإنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لنعلم**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن، والجملة خبر إنّ، واللام لتقوية الخبر. ﴿**أنّ منكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدم. ﴿**مكذبين**﴾ اسمها مؤخر، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بنعلم. ﴿**وإنّه لحسرة**﴾ إعرابه مثل إعراب وإنّه لتذكرة. ﴿**على الكافرين**﴾ متعلق بحسرة. ﴿**وإنّه لحقُ**﴾ كذلك. ﴿**اليقين**﴾ مضاف إلى حق. ﴿**فسبح**﴾ أمر من الله موجه إلى رسوله. ﴿**باسم**﴾ متعلق بسبح. ﴿**ربِّك**﴾ مضاف إلى اسم. ﴿**العظيم**﴾ نعت لربِّك.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**الحاقة ما الحاقة ؟. وما أدراك ما الحاقة**﴾؟. فهذه السورة لها علاقة وطيدة بالسورة التي قبلها، فهى امتداد لها، ببيان ما في حقائق القرآن من حجة على صحة دعوة محمد وبرهان. فالسورة بجملتها تلقى في الحس بكل قوة وعمق

إحساسا واحدا بمعنى واحد، فهذا الأمر: أمر الدين والعقيدة جدّ خالص حازم جازم. جدٌّ كله لا هزل فيه، ولا مجال فيه للهزل. جدٌّ في الدنيا وجد في الآخرة، وجدٌّ في ميزان الله وحسابه. جدٌّ لا يحتمل التلفّت عنه هنا أو هناك كثيرا ولا قليلا. فأىّ تلفّت عنه من أىّ أحد يستنزل غضب الله الصارم وأخذه الحاسم، ولو كان الذي يتلفّت عنه هو الرسول، فالأمر أكبر من الرسول وأكبر من البشر، إنه الحق، حق اليقين من رب العالمين. يبرز هذا المعنى في اسم القيامة المختار في هذه السورة، والذى سميت به السورة عنوانا لها: الحاقة. ما الحاقة ؟!. وما أدراك ما الحاقة ؟!. فهى بلفظها وجرسها ومعناها تلقى في الحسّ معنى الجد والصرامة، والحق والاستقرار، فالحاقة هي التي تحق فتقع. ثم يبدأ الحديث عن المكذبين بهذا الحق. . .

﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾: فهذا اسم جديد للحاقة، إنها فوق أنها تحق فهى تقرع. فالقارعة تقرع القلوب بالهول والرعب، وتقرع الكون بالدمار والتحطيم، وقد كذبت بها عاد وثمود، فلتنظر كيف كانت عاقبة التكذيب. . . **﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾**: فالطاغية هنا هو معنى الصيحة والرجفة في مواضع أخرى من القرآن الكريم، فهذا الوصف ـ الطاغية ـ يفيض بالهول المناسب لجوّ السورة ؛ ولأنّ إيقاع اللفظ يتفق مع إيقاع الفاصلة في هذا المقطع منها. ويكتفى السياق هنا بهذه الآية الواحدة، تطوى ثمودَ طيّا وتغمرهم غمرا وتعصف بهم عصفا وتطغى عليهم، فلا تُبقى لهم ظلا!. وأما عاد فيفصل السياق في أمر نكبتها ويطيل، فقد استمرت وقعتها سبع ليال وثمانية أيام حسوما ؛ على حين كانت وقعةُ ثمود خاطفة، صيحة واحدة طاغية. . . **﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾**: فناسبت عتوّ عاد وجبروتها المحكى في القرآن، فهذه الريح الصرصر العاتية. . . **﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما﴾**: فالتعبير يرسم مشهد العاصفة المزمجرة المدمّرة المستمرة هذه الفترة الطويلة المحددة بالدقة. ثم يعرض المشهد بعدها شاخصا. . . **﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾**: فالمنظر معروض يراه كل سامع لهذا المخاطب به كل أحد، فهو مشهد حاضر شاخص، مشهد ساكن كئيب بعد العاصفة المزمجرة المدمرة. . . **﴿فهل ترى لهم من باقية﴾**؟. لا!. فليس لهم من بقيّة!. فذلك شأن عاد وثمود، ثم هو شأن غيرهم من المكذبين، وفى آيتين اثنتين يجمل وقائع شتى. . . **﴿وجاء فرعون ومن قبله**

والمؤتفكات بالخاطئة﴾: ففرعون جاء بالفعلة الخاطئة، ومن قبله من الأمم جاءوا بها كذلك، ومثل هؤلاء أصحاب القرى المؤتفكات، وهم قوم لوط. . .

﴿فعصوا رسول ربهم﴾: فكل أمة من هؤلاء كذبت رسولها بما جاءهم به من ربهم، فهم رسل عديدون، ولكن حقيقتهم واحدة، ورسالتهم في صميمها واحدة، فهم إذن رسول واحد يمثل حقيقة واحدة، وذلك من بدائع الإشارات القرآنية الموحية. وفى إجمال يذكر مصيرهم في تعبير يلقى الهول والحسم حسب جوّ السورة. . . **﴿فأخذهم أخذة رابية﴾**: عالية غامرة طامية، فهى تناسب الطاغية التي أخذت ثمود، والعاتية التي أخذت عادا، وتناسب جوّ الهول والرعب في السياق بدون تفصيل ولا تطويل!. ثم بعد هذا يرسم السياق مشهد الطوفان والسفينة الجارية، مشيرا بهذا المشهد إلى مصرع قوم نوح حين كذبوا، ومُمْتَنًّا على البشر بنجاة أصولهم التي انبثقوا منها. . . **﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية. لنجعلها لكم تذكرة. وتعيها أذن واعية﴾**: فمشهد طغيان الماء، ومشهد الجارية على الماء الطاغى، كلاهما يتناسق مع مشاهد السورة وظلالها. . . **﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾**: هذا شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها، إثر بيان عظم شأنها بإهلاك مكذبيها. وكل ما سبق من المشاهد المروعة الهائلة القاصمة الحاسمة تبدو ضئيلة صغيرة إلى جانب الهول الأكبر: هول الحاقة والقارعة التي يكذب بها المكذبون!. فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة: فتبع هذه النفخة تلك الحركة الهائلة. . . **﴿وحملت الأرض والجبال فدكّتا دكّة واحدة﴾**: فإذا وقع هذا بما فيه من تغيير وتبديل، فهو حينئذ الأمر الذي تتحدث عنه السورة. . . **﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾**: فهى الواقعة؛ لأنها لا بُدّ واقعة. ولا يقتصر الهول على حمل الأرض والجبال ودكّها دكّة واحدة، فالسماء في هذا اليوم الهائل ليست بناجية. . . **﴿وانشقت السماء فهى يومئذ واهية﴾**: ثم يغمر الجلالُ المشهدَ ويغطيه، وتسكن الضجة التي تملأ الحس من النفخة والدكّة والتشقق والانتشار، يسكن هذا كله ويظهر عرش الرحمن الواحد القهار. . . **﴿والملك على أرجائها. ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية. يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾**: فالمقصود من ذكر هذه الأحداث ـ وهى من الغيبيات التي لا علم للإنسان بها إلا ما قص الله في هذا الكتاب العزيز ـ إشعار القلب البشرى بالجلال والرهبة والخشوع في ذلك اليوم العظيم! وفى ذلك الموقف الجليل!.

وهذا الكلام يمثل عظمة الله تعالى بما يشاهد من أحوال الملوك والسلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام، لكونها أقصى ما يُتصوّر من العظمة والجلال!. وإلاّ فشؤون الله سبحانه أجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والإشارة!، فجاءت عبارة يومئذ تعرضون تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم، فلا يخفى منها شيء. وبعدئذ يُعرض مشهد الناجين ومشهد الهالكين كأنّه حاضر تراه العيون. . . ﴿**فأمّا من أوتى كتابه بيمينه فيقول: هاؤم اقرأوا كتابيه**﴾!: فقد يكون هذا النص تمثيلا لغويا جاريا على اصطلاحات اللغة العربية من تعبيرهم عن وجهة الخبر باليمين، فالمشهد المعروض هنا هو مشهد الناجى في ذلك اليوم العصيب، وهو ينطلق في فرحة غامرة بين الجماعة الحاشدة، تملأ الفرحة جوانحه، وتغلبه على لسانه، فيهتف: ﴿**هاؤم اقرأوا كتابيه!.. إنّى ظننت أنّى ملاق حسابيه**﴾: فالتعبير بالظن عن العلم النظرى قبل تحققه عيانا لا يقدح في الاعتقاد؛ كما عبر به أيضا في سورة البقرة «الذين يظنون أنّهم ملاقوا ربهم».. ﴿**فهو في عيشة راضية**﴾: مبالغة في رضاء صاحبها ..﴿**في جنة عالية**﴾: عالية المكان والمرتبة. . . ﴿**قطوفها دانية**﴾: ثمرها سهل التناول قريب متنازل! ..﴿**كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾: هذا القول يقال لهم زيادة في التكريم والتبجيل! ..﴿**وأمّا من يوتى كتابه بشماله فيقول: يا ليتنى لم أوت كتابيه!. ولم أدر ما حسابيه. يا ليتها كانت القاضية**﴾: السياق هنا يطيل عرض هذه الوقفة، حتى ليخيل إلى السامع أنّها لا تنتهى إلى نهاية، وذلك من عجائب العرض القرآنى في إطالة بعض المواقف وتقصير بعضها، وفق الإيحاء النفسى الذي يريد أن يتركه في النفوس، وهنا يريد طبع موقف الحسرة، وإيحاء الفجيعة من وراء هذا المشهد الحسير!، ومن ثَمّ يطول ويطول، في تنغيم وتفصيل، ويتمنى ذلك البائس أنه لم يأت هذا الموقف، ولم يُؤت كتابه، ولم يدر ما حسابه ؛ كما تمنى أن لو كانت هذه القارعة هي القاضية التي تنهى وجوده أصلا، فلا يعود بعدها شيئا. ثم يتحسر أن لا شيء نافعه مما كان يعتزّ به. . . ﴿**ما أغنى عني ماليهْ. هلك عني سلطانيهْ**﴾: فلا المال أغنى أو نفع، ولا السلطان بقى أو دفع!.

ولا يقطع هذا الأنين الحسير والتفجع المرير، إلاّ الأمر الجازم، والحكم القاضى الحاسم. . . ﴿**خذوه. فغلوه. ثم الجحيم صلوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه**﴾!. فالأسلوب هنا لا يحتاج إلى توضيح ولا تعليق ؛ لما

فيه من إعجاز في التعبير!، وما فيه من توضيح للأمر خطير!. فإذا انتهى الأمر جاء ذكر السبب بذكر حيثيات الحكم الأخير... **﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم. ولا يحض على طعام المسكين﴾**: فهذا تعليل لقاعدتين مهمتين معدومتين عند هذا: الإيمان بالله العظيم، والشفقة والرحمة على المحتاج للحليم المشفق الرحيم، فهذان الوصفان ينطوى تحتهما كل القبائح والرذائل، فأقبح العقائد الكفر، وأشنع الرذائل البخل... **﴿فليس له اليوم ههنا حميم!. ولا طعام إلا من غسلين!. لا يأكله إلا الخاطئون﴾**: فكل توضيح لهذا التوضيح يزيده غموضا وتلميحا بعد التصريح. ثم يجئ القسم بتحقيق الحق الذي ليس بعده حق... **﴿فلا أقسم بما تبصرون. وما لا تبصرون﴾**: فهو قسم بكل شيء يُرى وبكل شيء لا يُرى... **﴿إنّه لقول رسول كريم﴾**: جاء به من عند ربه العظيم! ..**﴿وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين﴾**: فعدم الإيمان من هؤلاء، وعدم التذكر في أمر الرسول محمد ﷺ هو الذي جعلكم تقولون في أمر هذا الحق ما تقولون!. فالرسول جاء بالحق من عند ربه، فلو فرض أنّه اختلقه من عند نفسه، لحصل له ما هو مقرر في هذه الآية... **﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾**!: فهذه هي القضية من الناحية التقريرية، ولكن المشهد المتحرك الذي ورد فيه هذا التقرير شيء آخر، يلقى أهدافا بعيدة وراء المعنى التقريرى؛ فيها حركة الأخذ باليمين وقطع الوتين!. فالأمر جدٌّ جدٌّ لا يحتمل تسامحا ولا مجاملة لأحد كائنا من كان؛ ولو كان الرسول الكريم عند الله الأثير الحبيب!. وأخيراً تجئ الخاتمة التقريرية بحقيقة هذا الأمر وطبيعته القوية...

﴿وإنّه لتذكرة للمتقين. وإنّا لنعلم أنّ منكم مكذبين. وإنّه لحسرة على الكافرين. وإنّه لحق اليقين﴾: فهذا القرآن يذكر القلوب التقية فتذكّر، فأمّا الذين لا يتقون فقلوبهم مطموسة، فيصرون على التكذيب، ولكن هذا لا يؤثر في حقيقة هذا الأمر، بل فيه ما يكون حجة عليهم في الدنيا، وحسرة عليهم يوم القيامة، فهذا القرآن أحق الحقائق وأعمق الدلائل في إبراز الأمر الصادق، فليس هو مجرد اليقين، ولكنه الحق في هذا اليقين. وفى هذا رد العجز على الصدر، وربط السورة آخرها بأولها؛ ليتّسق مع السورة السابقة، ليتكامل الهدف الواحد من سورتى القلم والحاقة: «نُ والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون» كما

يقولون: «إن هو إلاّ ذكر للعالمين». «وإنّه لقول رسول كريم». «وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون». فإذا كان ذلك كذلك. . . ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾!. فبهذا الكلام يُحَسِّنُ الختام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**الحاقة ما الحاقة ؟. وما أدراك ما الحاقة**﴾؟!: هذه السورة هائلة رهيبة!، قلّ أن يتلقاها الحس إلاّ بهزّة عميقة، فهى من افتتاحها إلى ختامها تقرع هذا الحس وتطالعه بالهول القاصم، والجدّ الصارم. والمشهد تلو المشهد، هو كله إيقاع مُلحّ على الحس، بالهول آنا، وبالجلال آنا، وبالعذاب آنا، وبالحركة القوية في كل آن. والسورة كلها موضوع واحد، وعنوانها الإجمالى هو مطلعها: الحاقة ما الحاقة؟. وما أدراك ما الحاقة ؟!. فهذا الأمر: أمر الدين والعقيدة والعبادة والسلوك، هو جدٌّ خالص حازم جازم، جدٌّ كله لا هزل فيه، ولا مجال فيه للهزل!. جدٌّ في الدنيا وجدٌّ في الآخرة، جدٌّ في ميزان الله وحسابه. ويبرز هذا المعنى في اسم القيامة المختار في هذه السورة، والذى سميت به السورة، فذلك المعنى الذي تتمحض السورة لإلقائه في الحس، يتكفل أسلوبها وإيقاعها ومشاهدها وصورها وظلالها بإلقائه وتقريره وتعميقه بشكل مؤثّر حَيٍّ عجيب!. فهذه مصارع ثمود وعاد شاهدة على من يصر على التكذيب. . . ﴿**كذبت ثمود وعاد بالقارعة. فأمّا ثمود فأهلكوا بالطاغية**﴾: فبهذه الآية الواحدة تَطْوِى ثمود طيًّا، وتغمرهم غمرا، وتعصف بهم عصفا، وتطغى عليهم فلا تبقى لهم أثرًا!. فأمّا عاد فيفصّل السياق أمر نكبتها ويطيل، على حين كانت وقعة ثمود خاطفة. . . ﴿**وأمّا عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما. فترى القوم فيها صرعى كأنّهم أعجاز نخل خاوية**﴾: فعاد قوم هود كانوا أشدّاءَ جبارين بطّاشين، فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا: من أشدّ منّا قوّة؟!. فهؤلاء عاد وثمود. . . ﴿**فهل ترى لهم من باقية**﴾؟!. ذلك شأن عاد وثمود، أمّا شأن غيرهم من الأمم ممن كذبوا الرسل فمصيرهم مصير عاد وثمود. . . ﴿**وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة. فعصوا رسول ربهم. فأخذهم أخذة رابية**﴾: فيجمل السياق فعال هؤلاء جميعا، فيقول: إنّهم جاءوا بالخاطئة المتعمّدة؛ من تكذيبهم البعث والحساب، وعصيانهم كل رسول أرسله الله ـ ربهم

ـ إليهم. . . ﴿**إنّا لمّا طغى الماء حملناكم في الجارية. لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية**﴾: قبل هؤلاء وأولئك قوم نوح، كما يقول عنهم في آية أخرى: «وقوم نوح من قبل، إنّهم كانوا هم أظلمَ وأطغى». فمشهد طغيان الماء ومشهد الجارية على الماء الطاغي كلاهما يتناسق مع مشاهد السورة، ويتناسب مع طغيان القوم وجبروتهم، فهذا الهول في هذه المصارع ـ على ضخامتها ـ محدودةٌ إذا قيس إلى هول القارعة المطلق من الحدود المدخر لذلك اليوم المشهود. . . ﴿**فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة. وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة. فيومئذ وقعت الواقعة. وانشقت السماء فهي يومئذ واهية. والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية. يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**﴾: فهذه الأمور التي ستقع من نفخ الصور وحمل الأرض والجبال ودكّها دكّا، وانشقاق السماء وصيرورتها واهية، ونزول الملائكة وإحاطتهم بأهل الموقف، والعرش وحملته الثمانية، وعرض الناس في ذلك الموقف عرضا لا خفاء فيه. كل هذه الأمور غيب لا علم لنا بها، ولم يكلّفنا الله من علمها إلا ما قصّ علينا في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمقصود من ذكر هذه الأحداث أن يشعر القلب البشرى بالجلال والرهبة والخشوع في ذلك اليوم العظيم، وفى ذلك الموقف الجليل!.

ألا إنّه لأَمْرٌ عَصيبٌ ؛ أصعب من دكّ الأرض والجبال، وأشد من تشقق السماء، فأعصب من ذلك كله وقوف الإنسان عريان الجسد، عريان النفس، عريان المشاعر أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله ؛ من الإنس والجن والملائكة، تحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجميع!. ثم تأتى نتيجة كل إنسان بما كان له وما عليه في نهاية الامتحان. . . ﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه. إني ظننت أني ملاق حسابيه**﴾: فهذه هي الفرحة الغامرة يعلنها المؤمن أمام الأشهاد وعلى مسمع الجميع، يعلنها صريحة مدوية؛ تملأ الفرحة جوانحه وتعليه على لسانه، فيهتف: هاؤم اقرأوا كتابيه. . . ﴿**فهو في عيشة راضية. في جنة عالية. قطوفها دانية**﴾: فهذه هي جائزة النجاح والفوز والفلاح؛ عيشة راضية في جنة عالية. ثم يأتي النداء بالأمر الموجه إلى كل ناج من هؤلاء المؤمنين. . . ﴿**كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾. ﴿**وأمّا من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه**﴾؟!: فقد عرف أنه مؤاخذ

بسيئاته، وأن مصيره إلى العذاب، فيقف في هذا المعرض الحافل الحاشد وقفة المتحسّر الكسير الكئيب، فيتمنى ذلك البائس أنّه لم يأت هذا الموقف، ولم يُؤت كتابه، ولم يدر: ما حسابه ؟!، كما يتمنى أن لو كانت موتته السابقة هي القاضية التي تنهى وجوده أصلا، فلا يعود بعدها شيئا. . . **﴿يا ليتها كانت القاضية﴾!**. ثم يتحسر: أن لا شيء نافعه مما كان يعتز به. . . **﴿ما أغنى عنى ماليه﴾!**. ويعلن: أنّه لا حجة له تدفع عنه. . . **﴿هلك عنى سلطانيه﴾**. فلا يقطع هذه اللهفة الحزينة إلا الأمر يأتى من الله إلى الزبانية. . . **﴿خذوه. فغلوه. ثم الجحيم صلوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا. فاسلكوه﴾**. فإذا انتهى الأمر نشرت أسبابه على الحشود. . . **﴿إنّه كان لا يؤمن بالله العظيم. ولا يحض على طعام المسكين﴾**: فقد خلا قلبه من الإيمان بالله والرحمة بالعباد، فلم يعد هذا القلب يصلح إلا لهذه النار وذلك العذاب، فالحضّ على طعام المسكين واجب شرعى في عنق كل مؤمن قادر على إنفاق المال، فهو وثيق الصلة بالإيمان ؛ يليه في النص، ويليه في الميزان!. ثم تأتى تكملة هاتين القصتين. . . **﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾**: فقد كان لا يؤمن بالله العظيم، وكان لا يحض على طعام المسكين، فهو هنا اليوم مقطوع من كل صلة، وهو ممنوع إلاّ من طعام لا يسمن ولا يغنى من جوع. . . **﴿ولا طعام إلاّ من غسلين. لا يأكله إلاّ الخاطئون﴾!**. وفى ظل هذه المشاهد العميقة الأثر في المشاعر، يجئ التقرير الحاسم الجازم عن حقيقة هذا القول الذي جاءهم به الرسول الكريم، فتلقوه بالشك والسخرية والتكذيب. . . **﴿فلا أقسم بما تبصرون. ومالا تبصرون. إنّه لقول رسول كريم!. وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين﴾**: قد سبق مثل هذا القسم في سورة الواقعة، في قوله تعالى: «فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم، إنّه لقرآن كريم. في كتاب مكنون لا يمسه إلاّ المطهرون. تنزيل من رب العالمين!.». فهذا القسم في السورتين يلفت نظر الناس إلى ما في القرآن من دلائل ظاهرة مشاهدة، أو خفية مستترة، لا تدركها طاقة البشر، فهذا القرآن من عند الله أنزله على رسوله محمد ﷺ فلم يكن قوْلَ شاعر، ولا قول كاهن!، والدليل على ذلك: أنّ الله صدق الرسول فيما أخبر به عنه، فلو تقوله من عند نفسه لحصل ما حصل ؛ كما قال الله عنه. . . **﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه**

حاجزين﴾: فمفادُ هذا القول من الناحية التقريرية: أنّ محمدا ﷺ صادق فيما أبلغهم، وأنّه لو تقول بعض الأقاويل التي لم يوح بها إليه، لأخذه الله وأنهى أمره على هذا النحو الذي وصفته الآيات!. ولمّا كان هذا لم يقع فهو لا بدّ صادق. . . **﴿وإنّه لتذكرة للمتقين. وإنّا لنعلم أنّ منكم مكذبين. وإنّه لحسرة على الكافرين. وإنّه لحق اليقين﴾**: فكل هذه الآيات التي جاءت بعد القسم جواب القسم، فهو قول رسول كريم!، وهو تنزيل من رب العالمين!، وإنّه لتذكرة للمتقين!، وإنّه لحق اليقين! ..**﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾**: فإذا كان القرآن كما وصفه رب العالمين فلا يهمك أمر المكذبين والمتقوّلين!، وما عليك إلا أن تنزه ربك وتعبده حتى يأتيك اليقين «فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين». جاءت هاتان الآيتان عقب آية: «ولقد نعلم أنّك يضيق صدرك بما يقولون»، وحق اليقين مقدم على عين اليقين، وعين اليقين مقدم على علم اليقين، وهذه المراتب الثلاث ذكرت في القرآن على حسب الغرض المقصود من الكلام.

4 ـ سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿1﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿2﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿3﴾
تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿4﴾
فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿5﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿6﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿7﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْمُهْلِ ﴿8﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿9﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿10﴾
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿11﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿12﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿13﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿14﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿15﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿16﴾ تَدْعُو مَنْ
أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿17﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿18﴾ * إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿19﴾
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿20﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿21﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿22﴾
الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿23﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿24﴾
لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿25﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿26﴾
وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿27﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿28﴾

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ
هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34)
أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35) فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (36)
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (37) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (39)
* فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (40) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ
خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا
يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (42) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصْبٍ
يُوفِضُونَ (43) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (44)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**سال سائل بعذاب واقع**﴾: سال بتخفيف الهمزة بقلبها ألفا على لغة قريش... ﴿**للكافرين ليس له دافع. من الله ذى المعارج**﴾: صاحب المصاعد المرتفعة... ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه**﴾: الروح: جبريل ؛ كما بُيّن في القرآن: «نزل به الروح الأمين»... ﴿**في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾: العدد معلوم والكيف مجهول... ﴿**فاصبر صبرا جميلا. إنّهم يرونه بعيدا ونراه قريبا**﴾: الضمير في «إنّه» يعود على يوم القيامة... ﴿**يوم تكون السماء كالمهل**﴾:

المهل: المعدن المذاب... ﴿**وتكون الجبال كالعهن**﴾: العهن: الصوف الملوّن ألوانا، على حد قوله تعالى: «ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود»، عندما تندك وتذهب هباء يرى هذا الهباء ملونا مثل ما يرى السحاب في الجو، ثم تكون سرابا، ثم تتلاشى... ﴿**ولا يسأل حميم حميما. يبصّرونهم**﴾: يُبصَّرُ بعضُهم بعضا... ﴿**يود المجرم**﴾: يتمنى الكافر الذي أجرم هذه الجريمة الفظيعة... ﴿**لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه. وصاحبته وأخيه. وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعا. ثم ينجيه. كلاّ**﴾! : ردع للمجرم عن الودادة... ﴿**إنها لظى. نزاعة للشوى**﴾: تفصل المفاصل بعضها عن بعض... ﴿**تدعو**﴾: تجذب وتأخذ... ﴿**من أدبر وتولى**﴾: من أدبر عن الحق، وتولى عن الطاعة... ﴿**وجمع**﴾: جمع المال... ﴿**فأوعى**﴾: جعله في وِعَاءٍ وَكَنَزَه، ولم ينفقه في أوجه الخير... ﴿**إنّ الإنسان خلق هلوعا. إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا. إلاّ المصلين**﴾: استثناء من جنس الإنسان الموصوف بالهلع والمنع، فهم متصفون بالطاعة... ﴿**الذين هم على صلاتهم دائمون. والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم. والذين يصدقون بيوم الدين. والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. إنّ عذاب ربهم غير مأمون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم بشهادتهم قائمون. والذين هم على صلاتهم يحافظون. أولئك في جنات مكرمون**﴾: فهؤلاء الموصوفون بهذه الأوصاف يكرمون بدخول الجنات التي فوق ما يتصوّر البشر!.. ﴿**فمال الذين كفروا**﴾: استفهام عن حال كفار مكة في اجتماعهم فرقا حول الرسول... ﴿**قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين. أيطمع كل امرئ منهم أن يُدخل جنة نعيم ؟!. كلاّ!. إنّا خلقناهم مما يعلمون!. فلا أقسم برب المشارق والمغارب**﴾: مشارق الشمس ومغاربها على مدى ستة أشهر شمسية، ففى كل يوم لها مشرق ولها مغرب... ﴿**إنّا لقادرون على أن نبدّل خيرا منهم**﴾: جواب القسم... ﴿**وما نحن بمسبوقين**﴾: لسنا بمسبوقين بهذا الخلق، كما أنّنا لسنا بعاجزين على إعادته... ﴿**فذرهم يخوضوا ويلعبوا. حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون**﴾: فاترك هؤلاء في لهوهم ولعبهم إلى لقائهم ما يوعدون يوم القيامة... ﴿**يوم يخرجون من الأجداث سراعا**﴾: يخرجون من قبورهم مسرعين مثل من

يوفض إلى نصب يريد السبق إليه. . . ﴿**كأنّهم إلى نصب يوفضون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة. ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون**﴾: الكلمات في هذه الآيات واضحة لا تحتاج إلى بيان من الناحية اللغويّة.

مبحث الإعراب

﴿**سال سائلٌ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بعذاب**﴾ متعلق بسال. ﴿**واقع**﴾ نعت لعذاب. ﴿**للكافرين**﴾ متعلق بمحذوف نعت ثانٍ لعذاب. ﴿**ليس**﴾ من أخوات كان. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**دافع**﴾ اسمها مؤخر، والجملة نعت ثالث لعذاب. ﴿**من الله**﴾ متعلق بدافع. ﴿**ذى**﴾ نعت لله. ﴿**المعارج**﴾ مضاف إلى ذى. ﴿**تعرج الملائكةُ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**والروح**﴾ معطوف على الملائكة. ﴿**إليه في يوم**﴾ متعلقان بتعرج. ﴿**كان مقدارُه**﴾ كان واسمها. ﴿**خمسين**﴾ خبرها. ﴿**ألف**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**سنة**﴾ مضاف إلى ألف. ﴿**فاصبر**﴾ أمر موجه إلى الرسول مفرع بالفاء عما قبله. ﴿**صبرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**جميلا**﴾ نعت له.

﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يرونه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**بعيدا**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ونراه**﴾ معطوف على يرونه. ﴿**قريبا**﴾ مثل بعيدا. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بقريبا. ﴿**تكون السماءُ**﴾ تكون واسمها. ﴿**كالمهل**﴾ الكاف في محل نصب خبر تكون، والمهل مجرور بالكاف. ﴿**وتكون الجبال كالعهن**﴾ مثل ما قبله في الإعراب، وهو معطوف عليه. ﴿**ولا يسأل حميم حميما**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى، والواو للعطف. ﴿**يُبصّرونهم**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول، ونائب الفاعل واو الجماعة، وضمير الغائبين مفعول، والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿**يودّ المجرمُ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لو يفتدى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على المجرم، ولو مصدرية يؤول ما بعدها بمصدر مفعول يودّ، أى: يود المجرم افتداءه. ﴿**من عذاب**﴾ متعلق بيفتدى. ﴿**يومئذ**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**ببنيه**﴾ متعلق بيفتدى. ﴿**وصاحبته وأخيه وفصيلته**﴾ عطف على بنيه. ﴿**التى**﴾ في محل جر نعت لفصيلته. ﴿**تؤويه**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على فصيلته، وجملة تؤويه صلة التى. ﴿**ومَن**﴾ في محل جر معطوف على بنيه.

﴿**فى الأرض**﴾ متعلق بمحذوف صلة مَن. ﴿**جميعا**﴾ حال من الصلة. ﴿**ثم ينجيه**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما سبق من جميع ما يفتدى به المجرم. ﴿**كلاّ**﴾ حرف ردع وزجر. ﴿**إنّها**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لظى**﴾ خبر إنّ. ﴿**نزاعةٌ**﴾ نعت للظى. ﴿**للشوى**﴾ متعلق بنزاعة. ﴿**تدعو**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على لظى. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول. ﴿**أدبر**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلتها. ﴿**وتولى**﴾ معطوف على أدبر. ﴿**وجمع**﴾ كذلك. ﴿**فأوعى**﴾ مرتب على جمع، وجملة تدعو خبر ثان لإنّ. ﴿**إنّ الإنسان**﴾ إنّ واسمها. ﴿**خُلق**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على الإنسان، والجملة خبر إنّ، وجملة إنّ الإنسان خلق تعليل. ﴿**هلوعا**﴾ حال من نائب الفاعل. ﴿**إذا**﴾ ظرف متعلق بالحال الآتى. ﴿**مسّه**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الشرُّ**﴾ فاعل. ﴿**جزوعا**﴾ حال ثانية من ضمير الإنسان. ﴿**وإذا مسه الخير منوعا**﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب، أى: حالة كون الإنسان منوعا إذا مسه الخير. ﴿**إلاّ المصلين**﴾ مستثنى منصوب بالياء. ﴿**الذين**﴾ في محل نصب نعت للمصلين. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**على صلاتهم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**دائمون**﴾ خبر المبتدإ، والجملة صلة الموصول. ﴿**والذين**﴾ معطوف على الموصول الأول. ﴿**فى أموالهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**حقٌّ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**معلوم**﴾ نعت لحق، والجملة صلة الذين. ﴿**للسائل**﴾ متعلق بحق معلوم. ﴿**والمحروم**﴾ عطف على السائل. ﴿**والذين**﴾ معطوف على الموصول الأول. ﴿**يصدقون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة. ﴿**بيوم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الدين**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**والذين**﴾ معطوف مثل سابقه. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**من عذاب**﴾ متعلق بالخبر الآتى. ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**مشفقون**﴾ خبر المبتدإ، والجملة صلة. ﴿**إنّ عذاب**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ربهم**﴾ مضاف إلى عذاب. ﴿**غيرُ**﴾ خبر إنّ. ﴿**مأمون**﴾ مضاف إلى غير، والجملة تعليل. ﴿**والذين**﴾ مثل سابقه. هم في محل رفع مبتدأ. ﴿**لفروجهم**﴾ متعلق بما بعده.

﴿**حافظون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**إلا على أزواجهم**﴾ مستثنى من قوله: لفروجهم حافظون. ﴿**أو ما**﴾ اسم موصول في محل جر معطوف على أزواجهم. ﴿**ملكت أيمانُهم**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**فإنّهم**﴾ إنّ واسمها، والفاء للتعقيب.

﴿**غيرُ**﴾ خبر إنّ. ﴿**ملومين**﴾ مضاف إلى غير. ﴿**فمن ابتغى**﴾ فعل ماض دخل عليه اسم الشرط، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**وراءَ**﴾ مفعول به. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى وراء. ﴿**فأولئك**﴾ مبتدأ في محل رفع. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل. ﴿**العادون**﴾ خبر المبتدإ، والجملة جواب شرط مَنْ، والفاء رابط. ﴿**والذين هم لأماناتهم**﴾ مثل والذين هم لفروجهم في الإعراب. ﴿**وعهدهم**﴾ معطوف على أماناتهم. ﴿**راعون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**والذين هم بشهاداتهم قائمون**﴾ إعرابها مثل إعراب ما سبقها. ﴿**والذين هم على صلاتهم**﴾ كذلك. ﴿**يحافظون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فى جنات**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**مُكرَمون**﴾ خبر ثانٍ. ﴿**فما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**للذين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين، والجملة تعقيب على ما سبق من سؤالهم وشكهم في البعث وتتبعهم لما يقول الرسول. ﴿**قبلك**﴾ ظرف متعلق بما بعده. ﴿**مهطعين**﴾ حال من الذين كفروا. ﴿**عن اليمين وعن الشمال**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**عزين**﴾ حال كذلك. ﴿**أيطمع كل**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**امرئ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لامرئ. ﴿**أن يُدخَل**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول منصوب بأن المصدرية، ونائب الفاعل ضمير يعود على كل امرئ، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بيطمع، أى: أيطمع كل امرئ منهم في إدخاله. ﴿**جنّة**﴾ مفعول به. ﴿**نعيم**﴾ مضاف إلى جنة. ﴿**كلا!**﴾ مثل كلا إنها لظى. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**خلقناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر إنّ، وجملة إنا خلقناهم تعليل. ﴿**مما**﴾ متعلق بخلقناهم. ﴿**يعلمون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**فلا أقسم برب**﴾ مثل إعراب فلا أقسم بما. ﴿**المشارقِ**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**والمغارب**﴾ معطوف على المشارق. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لقادرون**﴾ خبرها، واللام لتقوية الخبر، وجملة إنّا لقادرون جواب القسم.

﴿**على أن نبدّل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية، والفاعل نحن. ﴿**خيرا**﴾ مفعول به. ﴿**منهم**﴾ متعلق به، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى متعلق بقادرون، أى: إنّا لقادرون على تبديل أناس خير منهم. وما نحن ما واسمها. ﴿**بمسبوقين**﴾ خبر ما جرت بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**فذرهم**﴾ أمر موجّه إلى الرسول، والفاء فاءُ الفصيحة. ﴿**يخوضوا**﴾ فعل وفاعل،

جزم الفعل في جواب الأمر. ﴿**ويلعبوا**﴾ معطوف على يخوضوا. ﴿**حتى يلاقوا يومَهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الغاية، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى التي بمعنى إلى، متعلق بذرهم. الذي في محل نصب نعت ليومهم. ﴿**يُوعَدون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل صلة الذى. ﴿**يوم**﴾ بدل من يومهم. ﴿**يخرجون**﴾ فعل وفاعل، والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**من الأجداث**﴾ متعلق بيخرجون. ﴿**سراعا**﴾ حال من واو الجماعة في يخرجون. ﴿**كأنهم**﴾ كأنّ واسمها. ﴿**إلى نصب**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يوفضون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كأنّ. ﴿**خاشعةً**﴾ حال من واو الجماعة في يوفضون. ﴿**أبصارهُم**﴾ فاعل باسم الفاعل. ﴿**ترهقهم**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ذلّةٌ**﴾ فاعل. ذلك في محل رفع مبتدأ. ﴿**اليومُ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الذى**﴾ في محل رفع نعت لليوم. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يُوعدون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر كان، وجملة كانوا يوعدون صلة الموصول.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**سال سائل بعذاب واقع**﴾: فهذه السورة لها ارتباط بما قبلها، من حيث تقرير حقيقة البعث الذي شك فيه الشاكون، وكذب به المكذبون، فهم يسألون مكذبين بهذا العذاب الذي يوعدون به: ﴿**سال سائل بعذاب واقع. . . للكافرين ليس له دافع. من الله ذى المعارج**﴾: فهذا العذاب واقع فعلا، فالسؤال عنه والاستعجال به ـ وهو واقع ليس له من دافع ـ يبدو تعاسة من السائل المستعجل!، فهو واقع من الله ذى المعارج، وهو تعبير عن الرفعة والتعالى ؛ لما قال في سورة غافر: «رفيع الدرجات ذو العرش». فبعد هذا الافتتاح الذي يقرر كلمة الفصل في موضوع العذاب ووقوعه ومستحقّيه ومصدره، وعلو هذا المصدر ورفعته، مما يجعل قضاءه أمرا علويا نافذا، لا مرد له ولا دافع، بعد هذا يأخذ السياق في وصف ذلك اليوم الذي سيقع فيه هذا العذاب، والذى يستعجلون به وهو منهم قريب، ولكن تقدير الله غير تقدير البشر، ومقاييسه غير مقاييسهم. . . ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾: فإذا كان يوم واحد من أيام الله يساوى خمسين ألف سنة، فإن عذاب يوم القيامة قد يرونه هم بعيدا وهو عند الله قريب!.

فمن ثَمَّ يدعو اللهُ نبيَّه إلى الصبر الجميل على استعجالهم وتكذيبهم بذلك العذاب القريب. . . ﴿**فاصبر صبرا جميلا. إنّهم يرونه بعيدا ونراه قريبا**﴾: فهذا اللون من الصبر هو الجدير بصاحب الدعوة، فهى دعوة الله، وهى دعوة إلى الله ليس للرسول منها شيء، وليس له وراءها من غاية، فكل ما يلقاه فيها فهو في سبيل الله، وكل ما يقع في شأنها هو من أمر الله، فالصبر الجميل إذنْ ينبعث متناسقا مع هذه الحقيقة، ومع الشعور بها في أعماق الضمير. والخطاب هنا للرسول ﷺ تثبيتا لقلبه على ما يلقى من عنت المناوأة والتكذيب، وتقريرا للحقيقة الأخرى؛ وهى أنّ تقدير الله للأمور غير تقدير البشر. ثم يرسم السياق مشاهد اليوم الذي يقع فيه ذلك العذاب الواقع الذي يرونه بعيدا ويراه الله قريبا، يرسم مشاهده في مجالى الكون وأغوار النفس، وهى مشاهد تَشِى بالهول المذهل المزلزل في الكون، وفى النفس سواء. . . ﴿**يوم تكون السماء كالمهل. وتكون الجبال كالعهن. ولا يسأل حميم حميما**﴾: فلقد قطع الهول المرَوّع جميع الوشائج، وحبس النفوس على همها لا تتعدّاه، وإنّهم ليعرضون بعضهم على بعض. . . ﴿**يُبصَّرونهم**﴾!: فلا يهجس في خاطر صديق أن يسأل صديقه عن حاله، ولا أن يسأله عَوْنَه، فالكرب يلف الجميع. . . ﴿**يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه و صاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه. ومن في الأرض جميعا. ثم ينجيه**﴾!: إنّ الهول في ذلك اليوم ليأخذ المجرم بحسه، وإنّ الرعب ليذهب بنفسه، وإنّه ليود لو يفتدى من عذاب ذلك اليوم بأعز الناس إليه: ببنيه!. وزوجه!. وأخيه!. وعشيرته القريبة التي تؤويه وتحميه!، بل إنّ لهفته في النجاة لتفقده الشعور بغيره على الإطلاق، فيود لو يفتدى بمن في الأرض جميعا. فهى صورة للهفة الطاغية، والفزع المذهل والرغبة الجامحة في الإفلات: ثم ينجيه، فهى صورة مبطنة بالهول مغمورة بالكرب موشاة بالفزع، ترتسم من خلال التعبير بهذا الأسلوب الموحى!. فبينما المجرم في هذه الحال، يتمنى ذلك المُحال؛ يسمع ما يُيئس ويقنط من كل بارقة من أمل، أو كل حديث خادع من النفس، كما يسمع الملأُ جميعا حقيقة الموقف وما يجرى فيه. . . ﴿**كلا!. إنّها لظى نزاعةٌ للشوى تدعو من أدبر وتولّى وجمع فأوعى**﴾: فكلمة كلاّ هنا تأتى ردعا وزجرا وتبكيتا وتخْييبا لكل ما تعلقت به نفس المجرم من تلك الأمانى المستحيلة في الافتداء بالبنين والصاحبة والأخ والعشيرة، ومن في الأرض جميعا. واللظى هنا تلتهم كل

ما تلم به من لحم قابل للشئ فتأتى عليه، ومع هذا فهى تدعو وتقول هل من مزيد ؟ : تدعو من أدبر وتولى، وجمع فأوعى. فقد تقدم في سورة القلم مشهد الشحيح البخيل، وفى سورة الحاقة السبب الأصيل في دخول الذي لا يحضُّ على طعام المسكين النار المتأججة والسلاسل المسلسلة، فمن ثَمَ تكرر الأمر في هذا الشأن، وتكرر التحذير في ثلاث سور متكررة متوالية. ثم بعد هذا يتجه السياق إلى تصوير حقيقة النفس البشرية في مواجهة الشر والخير، في حالتى إيمانها وخلوها من الإيمان، ويقرر مصير المؤمنين كما قرر مصير المجرمين... ﴿**إنّ الإنسان خلق هلوعا. إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا**﴾: فصورة الإنسان غير صادق الإيمان كما يرسمها القرآن، صورة عجيبة في صدقها ودقتها وتعبيرها الكامل عن الملامح الأصيلة في هذا المخلوق؛ والتى لا يعصمه منها ولا يرفعه عنها إلا العنصر الإيمانى الذي يصله بمصدر يجد عنده الطمأنينة التي تمسك به من الجزع عند ملاقاة الشر، ومن الشح عند امتلاك الخير... ﴿**إلاّ المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون. والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم. والذين يصدقون بيوم الدين. والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. إنّ عذاب ربهم غير مأمون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم بشهادتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون. أولئك في جنات مكرمون**﴾: فتكرير الموصولات في هذه الآيات ؛ لتنزيل اختلاف تلك الصفات منزلة اختلاف الذوات ؛ إيذانا بأنّ كل واحدة من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله، لها شأن خطير مستتبع لأحكام جَمّةٍ، حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل، ولا يجعل شيء منها تتمّة للآخر. ثم يعرض السياق مشهدا من مشاهد الدعوة في مكة، والمشركون يسرعون الخطى إلى المكان الذي يكون فيه الرسول ﷺ يتلو القرآن ثم يتفرقون حواليه جماعات... ﴿**فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين**﴾؟!: ففى التعبير بهذا الأسلوب تهكم خفى بحركتهم هذه المريبة ؛ وتصوير لهذه الحركة وللهيئة التي تتمّ بها، وتعجب وتساؤل عن هذه الحال منهم، وهم لا يسرعون الخطى تجاه الرسول ليسمعوا ويهتدوا، ولكن فقط ليستطلعوا في دهشة، ثم يتفرقوا كى يتحلّقوا حلقات، يتناجون في الكيد والرد على ما يسمعون!. مالهم ؟ ..﴿**أيطمع كل امرئ**

منهم أن يدخل جنة نعيم ؟!. كلا!. إنّا خلقناهم مما يعلمون﴾! : فالتعبير القرآني المبدع يلمسهم هذه اللمسة الخفيفة العميقة في الوقت ذاته، فيمسح بها كبريائهم مسحا، وينكس بها خيلاءهم تنكيسا، دون لفظة واحدة نابية، أو تعبير واحد جارح، بينما هذه الإشارة العابرة تصور الهوان والزهادة والرخص أكمل تصوير، فكيف يطمعون أن يدخلوا جنة نعيم على الكفر وسوء الصنيع وهم مخلوقون مما يعلمون؟!. ثم يأخذ السياق استطرادا في تهوين أمرهم، وتصغير شأنهم، وتنكيس كبرائهم، يقرر على أنّ الله قادر على أن يخلق خيرا منهم، وأنّهم لا يعجزونه فيذهبون دون ما يستحقون من جزاء أليم... **﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنّا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين﴾**: فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق خيرا منهم، وأنّهم لا يسبقونه ولا يفوتونه ولا يهربون من مصيرهم المحتوم. وعندما يبلغ السياق هذا المقطع بعد تصوير هول العذاب في ذلك اليوم المشهود، وكرامة النعيم للمؤمنين، وهوانِ شأن الكافرين، يتجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ ليدَعَهم لذلك اليوم ولذلك العذاب ويرسم مشهدهم فيه، وهو مشهد مكروب... **﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾**: وفى هذا الخطاب من تهوين شأنهم، ومن التهديد لهم من بقائهم على حالهم، ما يثير الخوف والترقب، وفى مشهدهم وهيئتهم وحركتهم في هذا اليوم ما يثير الفزع والتخوف ؛ كما أن في التعبير من التهكم والسخرية ما يناسب اغترارهم بأنفسهم واعتزازهم بمكانتهم... **﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنّهم إلى نصب يوفضون﴾**: فهؤلاء الخارجون من القبور يسرعون الخطى كأنّما هم ذاهبون إلى نصب يعبدونها، ففى هذا التهكم تناسق مع حالهم في الدنيا، فقد كانوا يذهبون إلى الأنصاب في الأعياد ويتجمعون حولها، فهاهم أولاء يسارعون اليوم، ولكن شتان ما بين يوم ويوم!. ثم تتم سماتهم بهذا التعبير الساخر...

﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾! : فتلمح من خلال الكلمات سيماهم كاملة، وترتسم من قسماتهم صورة واضحة، صورة ذليلة مرهقة!. فقد كانوا يخوضون ويلعبون فهم اليوم أذلاء مرهقون!... **﴿ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾**: الإشارة بهذا الكلام إلى اليوم الذي كانوا يكذبون به ويستهزئون، ويطلبون تعجيله ووقوعه بهم، فقد تحقق هذا الوعد، وخسر هنالك الكافرون!. بهذا يلتئم المطلع والمقطع، ويرد العجز على الصدر، وهو من الأسلوب البلاغي. ومنه براعة المقطع في الختام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع**﴾!. فقد كان المشركون في مكة يتساءلون عن هذا النبأ العظيم، ويقولون: متى هو ؟!. فالحقيقة الأساسية التي تعالج السورة إقرارها، هي حقيقة الآخرة التي كان المشركون يكذبون ويستهزئون بها، ويستريبون في تحقيقها، فهاهي الآن تُقرّرُ كأنها واقعة ﴿**من الله ذى المعارج**﴾. وبعد هذا الافتتاح الذي يقرر كلمة الفصل في موضوع العذاب ووقوعه ومستحقيه؛ أخذ السياق في وصف ذلك اليوم الذي يقع فيه العذاب للكافرين الشاكين فيه، المنكرين له، المستهزئين به، وهو منهم قريب... ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة!. فاصبر صبرا جميلا. إنّهم يرونه بعيدا ونراه قريبا!. يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن. ولا يسأل حميم حميما. يبصرونهم!. يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه**﴾!: وهم أقرب الناس إليه وأعزهم عليه... ﴿**وصاحبته**﴾: فهى عشيرة العمر، والصاحبة في اليسر والعسر! ..﴿**وأخيه**﴾: فهو المدافع والمساند والمعاضد، والمعدّ لدفع الأهوال والشدائد!..

﴿**وفصيلته التي تؤويه**﴾: فهى العشيرة التي نشأ فيها، والملجأ التي يأوى إليها! ..﴿**ومن في الأرض جميعا. ثم ينجيه**﴾!. فبينما المجرم في هذه الحال يتمنى ذلك المُحال، يسمع الرد القاطع لهذه الآمال... ﴿**كلا**﴾!. فليس هنا شيء ينجى المجرم من العقاب وعذاب النار... ﴿**إنّها لظى**﴾: فهى نار تتلظى وتلتهب وتحرق وتفرّق الأجزاء، وتمزق وتشوى كل لحم يتهرى ويتحرّق... ﴿**نزاعة للشوى**﴾: فهى غُولٌ مفزعة، ذات نفس مدركة تنادى أهلها بلسان يعبّر وينطق... ﴿**تدعو من أدبر وتولى. وجمع فأوعى**﴾: فالنار الآن تدعوه، كما كان يُدعى من قبل إلى الهدى فيدبر ويتولى، ولكنه اليوم حين تدعوه هذه النار لا يملك أن يدبر ويتولّى!، فقد كان من قبل مشغولا عن الدعوة بجمع المال وحفظه في الأوعية، فأمّا اليوم فالدعوة من هذه النار الملتهبة المحرقة لا يملك أن يلهو عنها، ولا يملك أن يفتدى بما في الأرض كله منها!. فكان هذا التوضيح بهذا التوكيد والتصريح ـ في هذه السورة والسورة السابقة قبلها، وفى سورة القلم كذلك ـ على منع الخير، وعدم الحض على طعام المسكين، وجمع المال في الأوعية، إلى جانب الكفر والتكذيب والمعصية!، فهذا التوكيد بهذا التصريح يدل على أن

الدعوة كانت تواجه في مكة حالات خاصة، يجتمع فيها البخل والحرص والجشع، إلى الكفر والتكذيب والضلالة؛ مما اقتضى تكرار الإشارة إلى هذا الأمر، والتخويف من عاقبته، بوصفه من موجبات العذاب بعد الكفر والشرك بالله. وفى هذه السورة إشارات أخرى تفيد هذا المعنى وتؤكد ملامح البيئة المكية التي كانت تواجهها الدعوة، فقد كانت بيئة مشغولة بجمع المال من التجارة ومن الربا، فكان كبراء قريش هم أصحاب هذه المتاجر، وأصحاب القوافل في رحلتى الشتاء والصيف، فكان هنالك تكالب على الثراء، وشح النفوس يجعل الفقراء محرومين، واليتامى مضيَّعين. ومن ثَمّ تكرر الأمر في هذا الشأن وتكرر التحذير، وظل القرآن يعالج هذا الجشع وهذا الحرص، ويخوض هذه المعركة مع الجشع والحرص في أغوار النفس ودروبها قبل الفتح وبعده على السواء، فهذه الحملات المتتابعة العنيفة الدالة على الكثير من ملامح البيئة مما يدل على تفشى هذا الداء في المجتمع المكى الجاهلى!، مع هذا، فهي تدل على توجيهات دائمة لعلاج النفس الإنسانية في كل بيئة. وحبُّ المال والحرص عليه، وشح النفس به والرغبة في احتجابه آفةٌ تساور النفوس مساورة عنيفة، وتحتاج للانطلاق من إسارها والتخلص منها إلى معارك متلاحقة وإلى علاج طويل!.

والآن وقد انتهى السياق من تصوير الهول في مشاهد ذلك اليوم، وفى صورة ذلك العذاب، فإنه يتجه إلى تصوير حقيقة النفس البشرية في مواجهة الشر والخير، في حالتي إيمانها، وخلوها من الإيمان، ويقرر مصير المؤمنين، كما قرر مصير المجرمين... ﴿**إنّ الإنسان خلق هلوعا. إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا**﴾: فصورة الإنسان عند خواء قلبه من الإيمان ـ كما يرسمها القرآن ـ صورة عجيبة في صدقها ودقتها وتعبيرها الكامل عن الملامح الأصيلة في هذا المخلوق؛ والتى لا يعصمه منها ولا يرفعه عنها إلا العنصر الإيمانى الذي يصله بمصدر يجد عنده الطمأنينة التي تمسك به من الجزع والهلع عند ملاقاة الشر، ومن الشح عند امتلاك الخير. ومن ثَمَّ يبدو الإيمان مسألة ضخمة في حياة الإنسان لا كلمة تقال باللسان، فهى حالة نفس ومنهج حياة، وتصور كامل للقيم والأحداث والأحوال، فالإيمان كسب في الدنيا يتحقق قبل الآخرة، يتحقق بالراحة والطمأنينة والثبات والإستقرار طوال رحلة الحياة الدنيا. وصفة المؤمنين المستثنين من الهلع، تلك السمة العامة للإنسان يفصلها السياق هنا ويحددها... ﴿**إلاّ المصلين الذين هم**

على صلاتهم دائمون﴾: فالصلاة فوق أنّها ركن الإسلام وعلامة الإيمان، هي وسيلة الاتصال بالله والاستمداد من ذلك الرصيد، ومظهر العبودية الخالصة التي يتجرد فيها مقام الربوبية ومقام العبودية في صورة معينة. وصفة الدوام التي خصصها بها هنا، تعطى صورة الاستقرار والاستطراد، فهى صلاة لا يقطعها الترك والإهمال والكسل، وهى صلة بالله مستمرة غير منقطعة... **﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾**: القصد بهذا النص هنا ذكر حكم الزكاة التي ستبين أنواعها ومقاديرها على وجه الخصوص، بعدما كانت الزكاة عامة في كل ما يملك المسلم، عندما كان الناس في حاجة إلى المال ؛ كما جاء في سورة الذاريات «وفى أموالهم حق للسائل والمحروم».

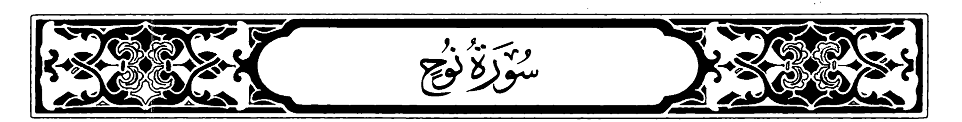
فالزكاة فريضة ذات دلالات شتّى في عالم النفس وعالم الواقع سواء، وذكرها هنا فوق أنّه يرسم خطًّا في ملامح النفس المؤمنة، فهو حلقة من حلقات العلاج للشح والحرص في السورة... **﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾**: وهذه الصفة ذات علاقة مباشرة بموضوع السورة الرئيسى؛ وهى في الوقت ذاته ترسم خطّا أساسيا في ملامح النفس المؤمنة، فالتصديق بيوم الدين شطر الإيمان، وهو ذو أثر حاسم في منهج الحياة شعورا وسلوكا، فالمصدق بيوم الدين يعمل وهو ناظر لميزان السماء لا لميزان الأرض، ولحساب الآخرة لا لحساب الدنيا، ويتقبل الأحداث خيرها وشرها، وفى حسابه أنها مقدمات نتائجها هنالك... **﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾**: وهذه درجة أخرى وراء مجرد التصديق بيوم الدين؛ درجة الحساسية المرهفة، والرقابة اليقظة، والشعور بالتقصير في جنب الله على كثرة العبادة، والخوف من تلفت القلب واستحقاقه للعذاب في أية لحظة، والتطلع إلى الله للحماية والوقاية، وفى قوله... **﴿إنّ عذاب ربهم غير مأمون﴾**: إيحاء بالحساسية الدائمة، التي لا تغفل لحظة، فقد تقع موجبات العذاب في لحظة الغفلة فيحق العذاب، والله لا يطلب من الناس إلا هذه اليقظة وهذه الحساسية، فإذا غلبهم ضعفهم معها، فرحمته واسعة ومغفرته حاضرة، وباب التوبة مفتوح ليست عليه مغاليق! ..**﴿والذين هم لفروجهم حافظون. إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾**: فهذه تعنى طهارة النفس والجماعة، فالإسلام يريد مجتمعا طاهرا نظيفا، وفى الوقت ذاته ناصعا صريحا. مجتمعا تؤدى فيه كل الوظائف الحيوية، وتُلبى فيه كلُّ دوافع

الفطرة، ولكن بغير فوضى ترفع الحياء الجميل، وبغير التواء يقتل الصراحة النظيفة!، مجتمعا يقوم على أساس الأسرة الشرعية المتينة القوائم، وعلى البيت العلنى الواضح المعالم، مجتمعا يعرف فيه كل طفل أباه، ولا يخجل من مولده. فمن هذا يقرر النص نظافة الاتصال بالأزواج، وبما ملكت الأَيْمان من الإماء حين يوجدن بسبب مشروع... ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾: وهذه من القوائم الأخلاقية التي يقيم الإسلام عليها نظام المجتمع، ورعاية الأمانات والعهود في الإسلام، تبدأ من رعاية الأمانة الكبرى التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، وهى أمانة العقيدة والاستقامة عليها اختيارا لا اضطرارا، فمن رعاية تلك الأمانة وهذا العهد، تنبثق رعاية سائر الأمانات والعهود في معاملات الأرض.

وقد شدد الإسلام في الأمانة والعهد، وكرّر وأكّد ليقيم المجتمع، على أسس متينة من الخُلُق والثقة والطمأنينة، وجعل رعاية الأمانة والعهد سمةَ النفس المؤمنة، كما جعل خيانة الأمانة وإخلاف العهد سمة النفس المنافقة والكافرة... ﴿**والذين هم بشهادتهم قائمون**﴾: وقد ناط الله بأداء الشهادة حقوقا كثيرة، بل ناط بها حدود الله التي تقام بقيام الشهادة فلم يكن بدّ أن يشدّد الله في القيام بالشهادة وعدم التخلف عنها ابتداء، وعدم كتمانها عند التقاضى، ومن القيام بها أداؤها بالحق دون ميل ولا تحريف، وقد جعلها الله شهادة له هو ليربطها بطاعته، فقال: «وأقيموا الشهادة لله»، وجعلها هنا سمة من سمات المؤمنين، وهى أمانة من الأمانات، أفردها بالذكر للتعظيم من شأنها وإبراز أهميتها. وكما بدأ سمات النفوس المؤمنة بالصلاة ختمها كذلك بالصلاة... ﴿**والذين هم على صلاتهم يحافظون**﴾: فهى صفة غير صفة الدوام التي ذكرت في صدر هذه الصفات، تتحقق بالمحافظة على الصلاة في مواعيدها، وفى شروطها، وأركانها، وسننها ومستحباتها، وفى هيئتها، وفى الروح التي تُؤدّى بها، فلابد من الدوام عليها في أوقاتها المحددة، ولابد من المحافظة على ما يطلب فيها، فبين الدوام والمحافظة خصوص وعموم من وجه. وعندئذ يقرر السياق مصير هذا الفريق من الناس بعدما قرر من قبل مصير الفريق الآخر... ﴿**أولئك في جنات مكرمون**﴾: فيجمع هذا النص القصير بين لون من النعيم الحسّى ولون من النعيم الروحى، فهم في جنات، وهم يلقون الكرامة في هذه الجنات، فتجتمع لهم اللذة بالنعيم مع التكريم

جزاء على هذا الخلق الكريم الذي يتميز به المؤمنون. . . **﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين﴾**؟! : هنا يأتى السؤال عن حال المشركين في مكة عندما كانوا يأتون ليسمعوا القرآن من الرسول جماعات من هنا وهناك، فتأخذهم العزة بالإثم فيتولون عنه معرضين مستكبرين، يحسبون أنفسهم شيئا عظيما عند الله. . . **﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم ؟!. كلا!. إنا خلقناهم مما يعلمون﴾**: فكيف يطمعون أن يدخلوا جنة نعيم على الكفر وسوء الصنيع ؟!، وهم مخلوقون مما يعلمون ـ من ماء مهين ـ، وهم أهون على الله من أن تكون لهم دالة عليه، لخرق سنته في الجزاء العادل باللظى لمن أدبر وتولى، وبالنعيم لمن آمن واتقى. . . **﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين﴾**: هذا القسم تقدم مثله في سورة الواقعة من قوله تعالى: «فلا أقسم بمواقع النجوم»، فهو قسم على كرامة القرآن وعظمته وقدسيته عند الله تعالى وعباده المقربين المطهرين، وفى سورة الحاقة من قوله تعالى: «فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم»، فهو قسم على صدق الرسول في دعوته بالقرآن، ردا على قول المشركين: إنّه مجنون، والقرآن سحر وقول كاهن، والقسم في هذه السورة بصحة خبر القرآن في وقوع البعث والحساب، وما ينتج عنه من ثواب وعقاب. فهؤلاء المنكرون المكذبون بهذا الوعيد الذي سيحل بهم عن قريب، فالله كما بدأهم قادر على تبديلهم في الدنيا وفى الآخرة فلا يسبقونه، ولا يفوتونه، ولا يهربون من مصيرهم المحتوم. . . **﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾**: إذا كان الأمر كما ذكر فاتركهم في غيهم وضلالهم يخوضوا ويلعبوا فيه، إلى أن يأتى اليوم الموعود. . . **﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نَصْب يوفضون﴾**: فهؤلاء الخارجون من القبور يسرعون الخطى كأنما هم ذاهبون إلى معبودهم ـ نصب ـ فرحين مستبشرين!. ففى هذا الأسلوب تهكم يتناسق مع حالهم في الدنيا. . . **﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾**: لقد كانوا في الدنيا يسرعون إلى أصنامهم تغمرهم الفرحة وتترآى عليهم النجدة والجدة، ولكن اليوم غير ما كان بالأمس: **﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة!.. ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾**: الذي كانوا يستريبون فيه، ويكذبون به ويستهزئون بمن يدعوهم إلى الخوف من هذا اليوم الموعود، «ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتّعون!».

5 ـ ذكر قصة نوح، تسلية لكل داع لقومه نصوح!



النص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1)
قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (2) أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3)
يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ
إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (4) قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا
وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ
لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟
وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا (10)
يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ
وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا (12) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ
لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14) * أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ
سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا (15) وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ

سِرَاجًا ﴿16﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿17﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿18﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿19﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿20﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿21﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿22﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿23﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿24﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿25﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿26﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿27﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿28﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**إنّا أرسلنا نوحا إلى قومه. أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم**﴾. ﴿**قال**﴾ نوح - ﴿**ياقوم إنّي لكم نذير مبين. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون. يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى**﴾: هناك أجلان: أجل محدد لكل نفس؛ وهو نهاية عمر الإنسان، وأجل مقدر بسبب الكفر وعصيان الرسل ؛ وهو الوعيد المحدد وقته، كما حصل للأمم المكذبة. . . ﴿**إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون**﴾: هو الوعيد الذي أنذر به نوح قومه، فلو كنتم تعلمون

لسارعتم إلى ما أمرتكم به. . . ﴿**قال ـ رب ـ: إنّى دعوت قومى ليلا ونهارا. فلم يزدهم دعائى إلا فرارا**﴾: نادى نوح ربه فقال هذا الكلام، فهو لم يأل جهدا في الدعوة ليل نهار، ولكن لم يزد هذا الكلام القوم إلا نفورا وهروبا مستنكرين مكذبين. . .

﴿**وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا**﴾: جعلوا أصابعهم في آذانهم: سدوها عن سماع الدعوة. واستغشوا ثيابهم: بالغوا في التغطية بثيابهم، لئلا يراهم نوح فيدعوهم. وأصروا: تمسكوا بما هم عليه من الكفر والعصيان. واستكبروا: تعالوا وتعاظموا على نوح استكبارا شديدا لا يماثله استكبار. . . ﴿**ثم إنى دعوتهم جهارا**﴾: زيادة في استمرار الدعوة أمام الأشهاد، حتى صارت الدعوة منتشرة في كل البلاد. . . ﴿**ثم إنى أعلنت لهم**﴾: صرحت لكل فرد منهم بالدعوة. . . وأسررت لهم إسرارا: أسررت لكل فرد منهم خفية، ﴿**فقلت. . . استغفروا ربكم إنه كان غفارا**﴾: دعوتهم بهذا القول مبينا لهم فائدة الاستغفار. . . ﴿**يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين. ويجعل لكم جنات. ويجعل لكم أنهارا. ما لكم لا ترجون لله وقارا ؟!. وقد خلقكم أطوارا**﴾: فمن خلق على هذه الكيفية يجب تعظيمه وتوقيره والعمل بطاعته، والخوف من بطشه ونقمته. . . ﴿**ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا. وجعل القمر فيهن نورا**﴾: نور القمر مستفاد من ضوء الشمس. . . ﴿**وجعل الشمس سراجا**﴾: ضوء الشمس ذاتى من الشمس لأنها جرم ملتهب بخلاف القمر؛ فهو كوكب نوره ليس منه. والسراج: المنير من ذاته، وفى سورة النبإ: «وجعلنا سراجا وهّاجا». . . ﴿**والله أنبتكم من الأرض نباتا**﴾: أنشأكم من الأرض فنبتُّم نباتا. . . ﴿**ثم يعيدكم فيها. ويخرجكم إخراجا**﴾: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى». . . ﴿**والله جعل لكم الأرض بساطا**﴾: فراشا ممهدا تتقلبون عليه بسهولة ويسر. . . ﴿**لتسلكوا منها سبلا فجاجا**﴾: طرقا مفتوحة أمامكم تسلكونها حسب إرادتكم. . . ﴿**قال نوح ـ رب ـ: إنّهم عصونى**﴾: خالفونى فيما أمرتهم به. . . ﴿**واتبعوا من لم يزده مالُه وولدُه إلاّ خسارا**﴾: واتبع السفلةُ الكبراء أهل الأموال والأولاد الذين كانوا سبب خسارة الآخرة. . . ﴿**ومكروا مكرا كبّارا**﴾: ومكر أولئك الكبراء مكرا أكبر من كل كبير، لا تدرك غايته في فظاعته ونكارته! ..﴿**وقالوا: لا تذرُنّ آلهتكم**﴾: قال الرؤساء

لأتباعهم: لا تتركوا معبوداتكم تبعا لقول نوح... ﴿**ولا تذرُنّ وُدًّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا**﴾: هذه المعبودات الخمس كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم، فخصوها بالذكر بعد العموم... ﴿**وقد أضلوا كثيرا**﴾: أضل الرؤساء أتباعهم وهم كثيرون... ﴿**ولا تزد الظالمين إلا ضلالا**﴾: دعاء من نوح على قومه بعدما عصوه وكفروا بما جاء به... ﴿**مما خطيّئتهم أغرقوا**﴾: من أجل ذنوبهم الكثيرة وكفرهم المستمر أغرقوا بالطوفان... ﴿**فأدخلوا نارا. فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا. وقال نوح ـ رب ـ: لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا**﴾: أحد يدور في الأرض، وديار مستعمل في النفى العام... ﴿**إنّك إن تذرهم يضلوا عبادك**﴾: إن تترك هؤلاء الكفرة الفجرة يضلوا عبادك، بدعوتهم إلى الضلال... ﴿**ولا يلدوا إلاّ فاجرا كفارا**﴾: الفاجر الكافر لا يلد إلاّ فاجرا كافرا على أكثر الأحوال... ﴿**رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا. وللمؤمنين والمؤمنات. ولا تزد الظالمين إلا تبارا**﴾!.

مبحث الإعراب

﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أرسلنا نوحا**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر إنّ. ﴿**إلى قومه**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**أن**﴾ تفسيرية. ﴿**أنذر**﴾ أمر موجه إلى نوح. ﴿**قومك**﴾ مفعول به، والجملة مفسّرة بأن لا محل لها من الإعراب، لما في لفظ أرسلنا معنى القول دون حروفه. ﴿**من قبل**﴾ متعلق بأنذر. ﴿**أن يأتيهم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**عذابٌ**﴾ فاعل. ﴿**أليمٌ**﴾ نعت له، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى قبل. ﴿**قال نوح**﴾ فعل وفاعل. ﴿**يا قوم**﴾ منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف. ﴿**إنّى**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لكم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**نذير**﴾ خبر إنّ. ﴿**مبين**﴾ نعت لنذير. ﴿**أنُ**﴾ تفسيرية حركت لالتقاء الساكنين، وكانت الحركة ضمة لمناسبتها لما بعدها. ﴿**اعبدوا**﴾ أمر موجه من نوح إلى قومه. ﴿**اللهَ**﴾ منصوب بعامله اعبدوا، والجملة مفسرة بأن لا محل لها من الإعراب. ﴿**واتقوه**﴾ معطوف على اعبدوا الله. ﴿**وأطيعونى**﴾ أمر من الله إلى قومه بطاعته واتباعه، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب مفعول به، وحذفت للتخفيف. ﴿**يغفرْ**﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، والفاعل ضمير يعود

على الله. ﴿**لكم من ذنوبكم**﴾ متعلقان بيغفر. ﴿**ويؤخّرْكم**﴾ معطوف على يغفر مجزوم بالسكون، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله.

﴿**إلى أجل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مسمًّى**﴾ نعت لأجل مجرور بكسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿**إنّ أجلَ**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى أجل. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**جاء**﴾ فعل الشرط، والفاعل ضمير يعود على أجل الله. ﴿**لا يؤخر**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول منفى بلا، ونائب الفاعل ضمير يعود على الأجل، وجملة لا يؤخّر جواب شرط إذا، وجملة إذا جاء لا يؤخّر خبر إنّ. وجملة إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخّر تعليل لقوله: ويؤخركم إلى أجل مسمّى. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعلمون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله، أى: لو كنتم تعلمون لسارعتم إلى الطاعة فتأخر العقاب. . . ﴿**قال**﴾ نوح فعل وفاعل. ﴿**ربّ**﴾ منادى حذفت منه ياء النداء وياء المتكلم تخفيفا. ﴿**إنّى**﴾ إن واسمها. ﴿**دعوت قومى**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**ليلا**﴾ منصوب على الظرفية متعلق بدعوت. ﴿**ونهارا**﴾ معطوف على الظرف. ﴿**فلم يزدهم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**دعائى**﴾ فاعل مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى دعاء، وحركت بالفتحة للتخفيف. ﴿**إلاّ فرارا**﴾ مفعول به، والجملة تعقيب بالفاء على ما قبلها. ﴿**وإنّى**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كلما**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**دعوتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، فعل الشرط. ﴿**لتغفر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير يعود على ربّ. ﴿**لهم**﴾ متعلق بتغفر. ﴿**جعلوا أصابعهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب شرط كلما. ﴿**فى آذانهم**﴾ متعلق بجعلوا. ﴿**واستغشوا ثيابهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جعلوا أصابعهم. ﴿**وأصرّوا واستكبروا**﴾ معطوفان على جعلوا. ﴿**استكبارا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ثمّ إنّى**﴾ إنّ واسمها. ﴿**دعوتُهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر إنّ، وجملة ثم إنّى معطوفة بثم على جملة قال رب إنّى دعوت قومى. ﴿**جهارا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ثم إنّى أعلنت**﴾ مثل إنّى دعوتهم في الإعراب. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعلنت. ﴿**وأسررت لهم**﴾ معطوف عليه. ﴿**إسرارا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**فقلت**﴾ فعل وفاعل. ﴿**استغفروا**﴾ أمر موجه من نوح إلى قومه.

﴿ربّكم﴾ منصوب باستغفروا، وجملة استغفروا ربكم مقول القول. ﴿إنّه﴾ إنّ واسمها. ﴿كان﴾ اسم كان ضمير يعود على ربكم. ﴿غفارا﴾ خبر كان، وجملة كان غفارا خبر إنّ، وجملة إنّه كان غفارا تعليل. ﴿يُرسل﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين، والفاعل ضمير يعود على ربكم. ﴿عليكم﴾ متعلق بيرسل. ﴿السماء﴾ مفعول به.

﴿مدرارا﴾ حال من السماء. ﴿ويمددكم﴾ معطوف على يرسل. ﴿بأموال﴾ متعلق بيمددكم. ﴿وبنين﴾ معطوف على أموال. ﴿ويجعلْ﴾ عطف مثل ما سبقها. ﴿لكم﴾ متعلق بيجعل. ﴿جنّات﴾ مفعول به. ﴿ويجعل لكم أنهارا﴾ مثل ويجعل لكم جنّات. ﴿ما﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿لكم﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿لا ترجون﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى، والجملة حال من ضمير لكم. ﴿لله﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل ترجون. ﴿وقارا﴾ مفعول به، وصحّ الحال من النكرة لتقدمه عليها، أى: أى شىء كائن لكم حالة كونكم لا ترجون كائنا لله وقارا. ﴿وقد خلقكم﴾ فعل ماض دخل عليه حرف التحقيق وواو الحال، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿أطوارا﴾ حال من الضمير المفعول، وجملة وقد خلقكم أطوارا حال من الضمير المرفوع في ترجون. ﴿ألم تروا﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى وحرف الاستفهام. ﴿كيف﴾ في محل نصب مفعول. ﴿خلق اللهُ سبعَ﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿سماوات﴾ مضاف إلى سبع. ﴿طباقا﴾ حال من سبع سماوات. ﴿وجعل﴾ معطوف على خلق. ﴿القمر﴾ مفعول أول. فيهن متعلق بجعل. ﴿نورا﴾ مفعول ثانٍ. ﴿وجعل الشمس سراجا﴾ معطوف على وجعل القمر فيهن نورا، وهو مثله في الإعراب. ﴿واللهُ﴾ مبتدأ. ﴿أنبتكم﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة خبر المبتدإ، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿من الأرض﴾ متعلق بأنبتكم. ﴿نباتا﴾ اسم مصدر مفعول مطلق. ﴿ثم يعيدكم﴾ فعل مضارع معطوف على أنبتكم، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿فيها﴾ متعلق بيعيدكم. ﴿ويخرجكم﴾ معطوف على يعيدكم. ﴿إخراجا﴾ مفعول مطلق. و﴿الله﴾ مبتدأ. ﴿جعل﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة خبر المبتدإ.

﴿لكم﴾ متعلق بجعل. ﴿الأرض﴾ مفعول أول. ﴿بساطا﴾ مفعول ثانٍ.

﴿**لتسلكوا**﴾ فعل وفاعل، نصب الفعل بأن مضمرة بعد لام التعليل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بجعل. ﴿**منها**﴾ متعلق بتسلكوا. ﴿**سبلا**﴾ مفعول به. ﴿**فجاجا**﴾ نعت له. ﴿**قال نوح**﴾ فعل وفاعل. ﴿**رب**﴾ منادى مثل ما سبق. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**عصونى**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر إنّ، وجملة إنّهم عصونى مقول القول. ﴿**واتبعوا**﴾ معطوف على عصونى. ﴿**من**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿**لم يزده**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**مالُه وولدُه**﴾ معطوف عليه. ﴿**إلاّ خسارا**﴾ مفعول ثانٍ بيزده، وجملة لم يزده صلة مَنْ. ﴿**ومكروا**﴾ فعل وفاعل، ﴿**وهو**﴾ معطوف على الصلة. ﴿**مكرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**كُبّارا**﴾ نعت له. ﴿**وقالوا**﴾ فعل وفاعل، والواو للعطف. ﴿**لا تذرنّ**﴾ فعل مضارع دخلت عليه نون التوكيد الثقيلة، وهو مجزوم بلا الناهية بحذف النون، وحذف واو الجماعة الفاعل لالتقاء الساكنين، والجملة مقول القول. ﴿**آلهتكم**﴾ مفعول به. ﴿**ولا تذرُنّ ودًّا**﴾ معطوف على لا تذرنّ آلهتكم، وهو مثله في الإعراب. ﴿**ولا سواعا**﴾ معطوف على ودًّا. ﴿**ولا يغوث ويعوق ونسرا**﴾ معطوفات كذلك. ﴿**وقد أضلوا كثيرا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق وواو العطف. ﴿**ولا تزد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الموضوعة هنا للدعاء، والفاعل ضمير يعود على رب. ﴿**الظالمين**﴾ مفعول أول. ﴿**إلا ضلالا**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**مما خطيآتهم أغرقوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل يتعلق به الجار والمجرور قبله، أى: أغرقوا من أجل خطيآتهم، وما صلة. ﴿**فأدخلوا**﴾ مرتبة على ما قبلها. ﴿**نارا**﴾ مفعول ثان، أى: فأدخلهم الله نارا. ﴿**فلم يجدوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى الجازم، وفاء التعقيب. ﴿**لهم من دون**﴾ متعلقان بيجدوا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دون. ﴿**أنصارا**﴾ مفعول به. ﴿**وقال نوح ـ رب ـ**﴾ تقدم إعراب مثله. ﴿**لا تذر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الدعائية، والفاعل ضمير المخاطب يعود على رب. ﴿**على الأرض من الكافرين**﴾ متعلقان بلا تذر. ﴿**ديّارا**﴾ مفعول به، وجملة لا تذر مقول القول. ﴿**إنّك**﴾ إنّ واسمها.

﴿**إن تَذْرْهم**﴾ فعل مضارع، فعل إن الشرطية، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على رب. ﴿**يضلوا عبادك**﴾ فعل وفاعل ومفعول جواب شرط إنْ، وجملة إن تذرهم خبر إنّ، وجملة إنّك إن تذرهم تعليل. ﴿**ولا يلدوا**﴾

معطوف على يضلوا. ﴿إلاّ فاجرا﴾ مفعول به. ﴿كفّارا﴾ نعت لفاجر. ﴿رب﴾ منادى كما تقدم. ﴿اغفر﴾ فعل دعاء من نوح إلى ربه. ﴿لى﴾ متعلق باغفر. ﴿ولوالدىّ﴾ معطوف على لى. ﴿ولمن﴾ اسم موصول في محل جر معطوف على لى. ﴿دخل﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿بيتى﴾ مفعول به. ﴿مؤمنا﴾ حال من فاعل دخل، وجملة دخل بيتى صلة مَنْ. ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ معطوفان كذلك على لى. ﴿ولا تزد الظالمين إلاّ تبارا﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب الجملة التي تقدمت عند قوله تعالى: ولا تزد الظالمين إلاّ ضلالا!.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه. أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾: فهذه السورة جاءت متصلة بما قبلها، فقد كذبت قريش برسالة محمد ﷺ وقد دعاهم إلى الله كما دعا نوح ـ عليه السلام ـ قومه من قبل. فتعرض قصة نوح على المشركين في مكة، ليروا فيها مصير أسلافهم المكذبين، ويدركوا نعمة الله عليهم في إرساله إليهم رسولا رحيما بهم، لا يدعو عليهم بالهلاك الشامل، فلم تصبهم من نبيئهم دعوة كدعوة نوح على قومه. فجاءت بداية هذه السورة ـ سورة نوح ـ بتقرير مصدر الرسالة والعقيدة وتوكيده، ثم تذكر فحوى رسالة نوح في اختصار، وهى الإنذار: أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم. ومن مشهد التكليف ينتقل السياق مباشرة إلى مشهد التبليغ في اختصار. . . ﴿قال ـ ياقوم ـ: إنى لكم نذير مبين. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون. يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمّى﴾: فهذه الخطوط العريضة التي دعا نوح إليها قومه في فجر البشرية، هي خلاصة دعوة كل جيل بعده، فجزاء الاستجابة للدعوة إلى عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله هي المغفرة والتخليص من الذنوب التي سلفت، وتأخير الحساب إلى الأجل المضروب له حد في علم الله، وهو يوم القيامة، وعدم الأخذ في الحياة الدنيا بعذاب الاستئصال.

ثم بين لهم أنّ ذلك الأجل المضروب حتمى، يجئ في موعده. . . ﴿إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾: فهناك موعدان ؛ موعد إن بقوا على كفرهم، وهو موعد عذاب الاستئصال، وموعد إن آمنوا واتقوا وأطاعوا رسولهم،

وهو موعد الحساب والجزاء على الأعمال يوم القيامة. ثم عاد نوح في نهاية المطاف يقدم حسابه لربه الذي كلفه هذا الواجب وذلك الجهد... ﴿**قال ـ رب ـ: إنّى دعوت قومى ليلا ونهارا. فلم يزدهم دعائى إلاّ فرارا**﴾: فالفرار في الأسلوب أشدّ وأبلغ من الهروب، فإذا لم يستطيعوا الفرار لأنّ الداعى واجههم مواجهة، وتحين الفرصة ليصل إلى أسماعهم بدعوتهم كرهوا أن يصل صوته إلى أسماعهم... ﴿**وإنّى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم**﴾!: فمن شدة الحرص على عدم السماع أدخلوا كل أصابعهم في آذانهم. ثم كرهوا مواجهته، فتخفوا في داخل ثيابهم... ﴿**واستغشوا ثيابهم. وأصروا. واستكبروا استكبارا**﴾: فالأسلوب في التعبير يرسم صورة العناد الكامل. تبرز الصورة في وضع الأصابع في الآذان، وستر الجسم بالثياب، ثم الإصرار على ما هم عليه من الكفر والعناد بإظهار التجبر والاستكبار غير المعتاد: واستكبروا استكبارا! ..﴿**ثم إنّى دعوتهم جهارا. ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا. فقلت: استغفروا ربكم إنّه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**﴾. ثم يمضى نوح ـ عليه السلام ـ في جهاده النبيل الطويل، فيأخذ بقومه إلى آيات الله في أنفسهم وفى الكون من حولهم، وهو يعجب من استهتارهم وسوء أدبهم مع ربهم، وينكر عليهم ذلك الاستهتار... ﴿**مالكم لا ترجون لله وقارا؟!. وقد خلقكم أطوارا**﴾!: فقد وجه نوح قومه إلى النظر في أنفسهم، وأنكر عليهم أن يكون الله خلقهم أطوارا، ثم هم بعد ذلك لا يستشعرون في أنفسهم توقير الله الخالق الذي خلقهم على هذه الكيفية. كذلك وجههم إلى كتاب الكون المفتوح... ﴿**ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ؟ وجعل القمر فيهن نورا. وجعل الشمس سراجا**﴾: فهذا التوجيه يكفى لإثارة التطلع والتدبر فيما وراء هذه الخلائق الهائلة من قدرة مبدعة!، فهذا هو المقصود من ذلك التوجيه. ثم عاد نوح، فوجه قومه إلى النظر في نشأتهم من الأرض وعودتهم إليها بالموت، ليقرر لهم حقيقة إخراجهم منها بالبعث...

﴿**والله أنبتكم من الأرض نباتا. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا**﴾: فالتعبير بهذا الأسلوب عن نشأة الإنسان من الأرض تعبير عجيب!، فهى ظاهرة تستدعى النظر ولا ريب. وأخيرا وجه نوح قومه إلى نعمة الله عليهم في تيسير الحياة لهم على هذه الأرض، وتذليلها لسيرهم ومعاشهم وانتقالهم وطرائق حياتهم... ﴿**والله**

جعل لكم الأرض بساطا. لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾: هكذا حاول نوح أن يسلك إلى آذان قومه وقلوبهم وعقولهم بشتى الأساليب، ومتنوع الوسائل في دأب طويل، وفى صبر جميل، وفى جهد نبيل: ألف سنة إلاّ خمسين عاما!. ثم عاد إلى ربه الذي أرسله إليهم يقدم حسابه ويبث شكواه، في هذا البيان المفصل، وفى هذه اللهجة المؤثّرة... ﴿**قال نوح ـ رب ـ: إنّهم عصونى. واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا**﴾: فبعد كل هذا الجهاد، وبعد كل هذا العناء، وبعد كل هذا التوجيه؛ بعد هذا كله كان العصيان: إنّهم عصونى، فكان السير وراء القيادات الضالة المضللة، التي تخدع بما تملك من المال والولد، فلم يكن وراءها إلاّ الشقاء والحرمان، فهؤلاء القادة لم يكتفوا بالضلال، بل استمروا في المكر والإضلال... ﴿**ومكروا مكرا كبارا**﴾!: فكان من مكرهم تحريض أتباعهم على الاستمساك بالأصنام التي يسمونها آلهة... ﴿**وقالوا**﴾: قال الكبراء للضعفاء... ﴿**لا تذرن آلهتكم**﴾. وخصصوا من هذه الأصنام أكبرها شأنا، فخصوها بالذكر ليهيج ذكرها في قلوب العامة المضلَّلين الحمية والاعتزاز... ﴿**ولا تذرُنّ وُدًّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا. وقد أضلوا كثيرا**﴾: أضل هؤلاء الرؤساء أتباعهم من الضعفاء، فتوجههم من هذا إلى حيث تشاء، وتبقيهم على الضلال الذي يكفل لها الطاعة والانقياد. من هنا انبعث من قلب النبئ الكريم نوح ـ عليه السلام ـ ذلك الدعاء على الظالمين الضالين المضلين الماكرين الكائدين... ﴿**ولا تزد الظالمين إلاّ ضلالا**﴾. ثم قبل أن يعرض السياق بقية دعاء نوح، يعرض ما صار إليه الظالمون الخاطئون في الدنيا والآخرة جميعا... ﴿**ممّا خطيآتهم أغرقوا فأدخلوا نارا. فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا**﴾: فالتعقيب بالفاء مقصود هنا، لأنّ إدخالهم النار موصول بإغراقهم. والفاصل الزمنى قصير ـ يوم أو بعض يوم ـ كأنّه غير موجود، ففى آيتين اثنتين قصيرتين ينتهى أمر هؤلاء العصاة العتاة!، فلا يفصل السياقُ هنا قصة غرقهم ولا قصّة الطوفان الذي أغرقهم ؛ لأنّ الظل المراد إبقاؤه في هذا الموقف هو ظل الإجهاز السريع، حتى ليعبر المسافة بين الإغراق والإحراق في حرف الفاء!، على طريقة القرآن في إيقاعاته التعبيرية والتصويريّة المبدعة!.

ثم يكمل السياق دعاء نوح الأخير، وابتهاله إلى ربه في نهاية المطاف... ﴿**وقال نوح ـ رب ـ: لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا. إنّك إن تذرهم**

يضلوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجرا كفارا!﴾: فمن أجل هذا دعا نوح دعوته الماحقة الساحقة، ومن أجل هذا استجاب الله دعوته فغسل وجه الأرض من ذلك الشر بطوفان جارف ماحق لا يبقى ولا يذر!. وبعد هذا الدعاء الساحق الماحق يأتى الدعاء من القلب الخاشع الواثق... **﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا. وللمؤمنين والمؤمنات﴾**. وفى مقابل هذا الحب للمؤمنين كان الكره للظالمين... **﴿ولا تزد الظالمين إلاّ تبارا﴾**!: فخص نوح دعاءه أولاً لنفسه ثم لوالديه، ولمن دخل بيته مؤمنا، ليخرج ابنه الكافر، وامرأته الكافرة، ثم عمم دعاءه للمؤمنين في كل زمان ومكان، ودعاء على الظالمين في كل زمان ومكان، وكان هذا الدعاء براعة المقطع في السورة.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿إنّا أرسلنا نوحا إلى قومه. أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾: فهذه السورة كلها تقص قصة نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرّر للبشرية، وشوط من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل. هذه التجربة تكشف عن صورة من صور البشرية العنيدة الضالة الذاهبة وراء القيادات المضللة المستكبرة عن الحق، المعرضة عن دلائل الهدى وموجبات الإيمان، المعروضة أمامها في الأنفس والآفاق، ثم هي بعد هذا وذلك تعرض صورة من صور الجهد المضنى والعناء المرهق والصبر الجميل والإصرار الكريم من جانب الرسل ـ عليهم السلام ـ لهداية هذه البشرية الضالة العنيدة العصيّة الجامحة، وهم لا مصلحة لهم في القضيّة ولا أجر يتقاضونه من المهتدين على الهداية، ولا مكافأة ولا جُعل يحصلونه على حصول الإيمان، كالمكافأة أو النفقة التي تتقاضاها المدارس والجامعات والمعاهد والمعلمون في زماننا هذا وفى كل زمان في صورة نفقات للتعليم!. فهذه الصورة التي يعرضها نوح ـ عليه السلام ـ على ربه، وهو يقدم له حسابه الأخير بعد ألف سنة إلاّ خمسين عاما قضاها في هذا الجهد المضنى والعناء المرهق مع قومه المعاندين الذاهبين وراء قيادة ضالة مضللة ذات سلطان ومال وعزة!، وهو يقول: **﴿رب إنّي دعوت قومي ليلا ونهارا﴾**.

﴿**فلم يزدهم دعائي إلاّ فرارا**﴾: الى آخر ما قال، فهى حصيلة مريرة، ولكن الرسالة هي الرسالة!. هذه التجربة المريرة تُعرض على رسول الله محمد ﷺ وهو الذي انتهت إليه أمانة دعوة الله في الأرض كلها في آخر الزمان، واضطلع بأكبر عبء كُلّفه رسول، ليرى صورة الكفاح النبيل الطويل لأخ له من قبلُ لإقرار حقيقة الإيمان في الأرض، ويطلع منها على عناد البشرية أمام دعوة الحق، وفساد القيادة الضالة وغلبتها على القيادة الراشدة. ثم تعرض على الجماعة المسلمة في مكة، وعلى الأمة المسلمة عامة، وهى الوارثة لدعوة الله في الأرض، وللمنهج الإلهى المنبثق من هذه الدعوة القائمة عليه في وسط الجاهلية المشركة يومذاك، وفي وسط كل جاهلية تالية. وتعرض على المشركين ليروا فيها مصير أسلافهم المكذبين. ومن خلال عرض هذه الحلقة من حلقات الدعوة الإلهية على البشرية تتجلّى حقيقةُ وَحدةِ العقيدة، وثبات أصولها وتأصّل جذورها!.

ولإقرار هذه الحقيقة في نفوس المسلمين قيمته في شعورهم بحقيقة دعوتهم، وحقيقة نسبهم العريق!، وحقيقة موكبهم المتصل من مطلع البشرية، وحقيقة دورهم في إقرار هذه الدعوة والقيام عليها، وهى منهج الله القويم القديم. ونوح ـ عليه السلام ـ كان أول من قاوم الكفر المتمثل في جماعات وقيادات ونزعات وشهوات، بعدما كان الناس أمة واحدة على هداية واحدة ؛ هداية على دين الحق قبل أن يختلفوا، «وما كان الناس إلاّ أمة واحدة فاختلفوا»، فقد اختلف الناس بعدما كانوا أمة واحدة على دين الحق، فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين، فكان أولَهم نوح. . . ﴿**قال ـ ياقوم ـ: إنّي لكم نذير مبين. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون. يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى. إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون**﴾: فالذى يدعو إليه نوح بسيط واضح مستقيم ؛ عبادة الله وحده بلا شريك، وتقوى لله تهيمن على الشعور والسلوك، وطاعة لرسوله تجعل أمره هو المصدر الذي يستمدون منه نظام الحياة وقواعد السلوك، وعبادة الله وحده منهج كامل للحياة، يشمل تصور الإنسان لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، ولحقيقة الصلة بين الخلق والخالق. وتقوى الله هي الضمانة الحقيقية لاستقامة الناس على ذلك المنهج، وعدم التلفت عنه هنا أو هناك، وطاعة الرسول هي الوسيلة للاستقامة على الطريق، وتلقى الهدى من مصدره المتصل بالمصدر الأول للخلق والهداية، وبقاء الاتصال بالملإ الأعلى عن طريق محطّة الاستقبال

المباشرة السليمة المضمونة!. فهذه الخطوط العريضة التي دعا نوح إليها قومه في فجر البشرية، هي خلاصة دعوة الله في كل جيل بعده، وقد وعدهم عليها ما وعد الله به التائبين الثابتين، فجزاء الاستجابة للدعوة إلى عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله، هي المغفرة والتخليص من الذنوب التي سلفت، وتأخير الحساب إلى الأجل المضروب له في علم الله، وهو اليوم الآخر وعدم الأخذ في الحياة الدنيا بعذاب الاستئصال. ثم بين لهم أن ذلك الأجل المضروب حتمى يجئ في موعده، ولا يؤخر كما يؤخر عذاب الدنيا، فهاهو نوح -عليه السلام- يواصل جهوده النبيلة الخالصة الكريمة لهداية قومه، بلا مصلحة له ولا منفعة، ويحتمل في سبيل هذه الغاية النبيلة ما يحتمل من إعراض واستكبار واستهزاء - ألف سنة إلا خمسين عاما - وعدد المستجيبين له لا يكاد يزيد، ودرجة الإعراض والإصرار على الضلال ترتفع وتزداد. ثم عاد في نهاية المطاف يقدم حسابه لربه الذي كلفه هذا الواجب النبيل وذلك الجهد الثقيل، عاد يصف ما صنع وما لاقى إلى الجهة الوحيدة التي يشكو إليها الأنبئاء والرسل والمؤمنون - إلى الله -. . . ﴿**قال - رب -: إنّي دعوت قومي ليلا ونهارا**﴾.

﴿**فلم يزدهم دعائي إلاّ فرارا. وإنّى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا. ثم إنى دعوتهم جهارا. ثم إنّى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا. فقلت استغفروا ربكم إنّه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**﴾: فنوح عليه السلام اتبع كل الأساليب فجهر بالدعوة تارة، ثم زاوج بين الإعلان والإسرار تارة أخرى، وفى أثناء ذلك كله أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم، فهو - سبحانه - غفار الذنوب، وأطمعهم في الرزق الوفير الميسور من أسبابه التي يعرفونها ويرجونها، وهى المطر الغزير الذي تنبت به الزروع وتتدفق به الأنهار، كما وعدهم بالذرية التي يحبونها - وهى البنين - والأموال التي يطلبونها ويعزونها، فهذه القاعدة التي يقررها القرآن في مواضع متفرقة قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله ومن سنة الحياة، كما أن الواقع العملى يشهد بتحققها على مدار القرون. ثم بعد الإطماع يأتى التأنيب والتعجيب من موقفهم على ما هم عليه من الاستهتار. . . ﴿**مالكم لا ترجون لله وقارا ؟!. وقد خلقكم أطوارا**﴾: فقد وجّه نوح قومه إلى النظر في أنفسهم، وأنكر عليهم أن يكون الله خلقهم أطوارا،

ثم هم بعد ذلك لا يستشعرون في أنفسهم توقير الله الذي خلقهم. كذلك وجههم إلى كتاب الكون المفتوح. . . ﴿**ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا. وجعل القمر فيهن نورا. وجعل الشمس سراجا**﴾: فقد وجه نوح قومه إلى السماء، وأخبرهم أنها سبع طباق، فيهن القمر نور، وفيهن الشمس سراج، وهم يرون القمر ويرون الشمس، ويرون ما يطلق عليه اسم السماء، وهذا التوجيه يكفى لإثارة التطلع والتدبر فيما وراء هذه الخلائق الهائلة من قدرة مبدعة!. ثم عاد نوح فوجه قومه إلى النظر في نشأتهم من الأرض وعودتهم إليها بالموت، ليقرر لهم حقيقة إخراجهم منها بالبعث. . . ﴿**والله أنبتكم من الأرض نباتا. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا**﴾: فهو يشير في هذا إلى نشأة الناس كنشأة النبات، وهى ظاهرة توحى بالوحدة بين أصول الحياة، فهذه ميزة المعرفة القرآنية الفريدة!، والناس الذين نبتوا من الأرض يعودون إلى جوفها مرة أخرى، ثم يخرجهم الذي أخرجهم أول مرة، ونوح ـ عليه السلام ـ وجه قومه إلى هذه الحقيقة لتستشعر قلوبهم يدَ الله وهى تنبتهم من هذه الأرض نباتا، وهى تعيدهم فيها مرة أخرى، ثم تتوقع النشأة الأخرى وتحسب حسابها، وهى كائنة بهذا اليسر وبهذه البساطة ؛ بساطة البداهة التي لاتقبل جدلا!..

﴿**والله جعل لكم الأرض بساطا. لتسلكوا منها سبلا فجاجا**﴾: وهذه الحقيقة القريبة من مشاهدتهم وإدراكهم تواجههم مواجهة كاملة، ولا يملكون الفرار منها كما كانوا يفرون من صوت نوح وإنذاره، فهذه الأرض بالقياس إليهم مبسوطة ممهّدة، وفى سبلها ودروبها يمشون ويركبون وينتقلون ويبتغون من فضل الله، ويتعايشون في يسر وتبادل للمنافع والأرزاق، وهم كانوا يدركون هذه الحقيقة المشاهدة لهم بدون حاجة إلى دراسات علمية عويصة، وكلما زاد الإنسان علما أدرك من هذه الحقيقة جوانب جديدة وآفاقا بعيدة!. ثم عاد نوح إلى ربه الذي أرسله إليهم، يقدم حسابه ويبث شكواه، في هذا البيان المفصل، وفى هذه اللهجة المؤثرة، ومن هذا البيان الدقيق نطّلع على تلك الصورة النبيلة من الصبر والجهد والمشقة، وهى حلقة واحدة في سلسلة الرسالات السماوية لهذه البشرية الضالة العصيّة!، فماذا كان بعد كل هذا البيان ؟! ..﴿**قال نوح ـ رب ـ: إنّهم عصوني. واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلاّ خسارا**﴾: فبعد كلِ هذا الجهد، وبعد كل هذا العناء، وبعد كل هذا التوجيه، وبعد الإنذار والإطماع والوعد بالمال والبنين

والرخاء، بعد هذا كله كان العصيان!، وكان السير وراء القيادات الضالة المضللة، التي تخدع الأتباع بما تملك من المال والأولاد، ومظاهر الجاه والسلطان، فقد أغراهم المال والولد بالضلال والإضلال، فلم يكن وراءهما إلاّ الشقاء والحرمان، فهؤلاء القادة لم يكتفوا بالضلال. . . **﴿ومكروا مكرا كبّارا﴾**: فمكروا لإبطال الدعوة، وإغلاق الطريق في وجهها إلى قلوب الناس، ومكروا لتزيين الكفر والضلال والجاهلية التي تخبّط فيها القوم، فكان من مكرهم تحريض الأتباع على الاستمساك بالأصنام التي يسمونها آلهة. . . **﴿وقالوا: لا تذرنّ آلهتكم﴾**: فأضافوا الآلهة إلى الأتباع ؛ لإثارة النخوة الكاذبة، والحمية الآثمة في قلوبهم. وخصصوا من هذه الأصنام أكبرها شأنا، فخصوها بالذكر ليهيّج ذكرُها في قلوب العامة المضللين الحميّة والاعتزاز. . . **﴿ولا تذرنّ وُدًّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾**: فهذه أكبر آلهتهم التي ظلت تُعبد في الجاهلية بعدهم إلى عهد الرسالة المحمدية!. وهكذا تلك القيادات الضالة المضللة، تقيم أصناما تختلف أسماؤها وأشكالها وفق النعرة السائدة في كل جاهلية، فتجمع حواليها الأتباع، وتهيّج في قلوبهم الحمية لهذه الأصنام. . . **﴿وقد أضلوا كثيرا﴾**!: لقد أضل هؤلاء القادة كثيرا من الناس، ككل قيادة ضالة تجمع الناس حول الأصنام؛ أصنام الأحجار، وأصنام الأشخاص، وأصنام الأفكار سواء!، للصد عن دعوة الله، وتوجيه القلوب بعيدا عن الدعاة بالمكر الكبّار والكيد والإصرار.

هنا انبعث من قلب النبئ الكريم نوح ـ عليه السلام ـ ذلك الدعاء على الظالمين الضالين المضللين الماكرين الكائدين. . . **﴿ولا تزد الظالمين إلاّ ضلالا﴾**!: ذلك الدعاء المنبعث من قلب جاهد طويلا وعانى كثيرا وانتهى بعد كل وسيلة إلى اقتناع بأن لا خير في القلوب الظالمة الباغية العاتية، وعلم أنّها لا تستحق الهدى ولا تستأهل النجاة. . . **﴿ممّا خطيآتهم أغرقوا فأُدخلوا نارا﴾**: فمن أجل خطيآتهم وذنوبهم وكثرة عصيانهم أغرقوا فأدخلوا نارا!. والتعقيب بالفاء مقصود هنا، لأنّ إدخالهم النار موصول بالإغراق، فالترتيب مع التعقيب كائن بين إغراقهم في الدنيا وإدخالهم النار في الآخرة. . . **﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾**!. ثم يكمل دعاء نوح الأخير ..**﴿وقال نوح ـ رب ـ: لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا﴾**: فقد أُلهم نوح أنّ الأرض تحتاج إلى غسل يطهر وجهها من الشر العارم الخالص الذي انتهى إليه القوم في زمانه، فلا يصلح أيُّ علاج آخر غير

تطهير وجه الأرض من الظالمين، لأنّ وجودهم يُجمّد الدعوة إلى الله نهائيا، ويحول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين، وهى الحقيقة التي عبّر عنها نوح وهو يطلب الإجهاز على أولئك الظالمين إجهازًا كاملاً لا يبقى منهم ديارا! ..﴿**إنّك إن تذرهم يضلوا عبادك. ولا يلدوا إلاّ فاجرا كفّارا**﴾!. ثم بعد هذا كله يتجه نوح إلى ربه داعيا غفران ذنبه ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنا على وجه الخصوص، وللمؤمنين والمؤمنات على وجه العموم... ﴿**رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا. وللمؤمنين والمؤمنات**﴾. ثم بعدما دعا على قومه خاصة دعا على جميع الظالمين عامة في كل زمان ومكان... ﴿**ولا تزد الظالمين إلاّ تبارا**﴾!.

6 ـ موضوع سورة الجن،
بيان حقيقة التصور الواضح المتّزن



النص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿1﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿2﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿3﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿4﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿5﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿6﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿7﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿8﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿9﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿10﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿11﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿12﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿13﴾

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟
رَشَدًا ﴿14﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿15﴾ وَأَن لَّوِ
ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿16﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿17﴾ * وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿18﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿19﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى
وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿20﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿21﴾
قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ
مُلْتَحَدًا ﴿22﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿23﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟
مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿24﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ
أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿25﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ
عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿26﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿27﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿28﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**قل أوحى إليّ**﴾: أوحى الله إليّ هذا القرآن. والوحى: الإعلام بالأمر الخفى، وهذا الوحى هو... ﴿**أنه استمع نفر من الجن**﴾. والنفر: الجماعة من الثلاثة إلى العشرة. والجن: عالم غيبى، لا يُعلم إلا من الوحى الشرعى... ﴿**فقالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا**﴾: سمعنا كتابا مقروءًا بديعا مباينا لكلام البشر في حُسْنِ النظم ودقة المعنى... ﴿**يهدى إلى الرشد**﴾: فالرشد: الحق والصواب... ﴿**فآمنا به. ولن نشرك بربنا أحدا. وإنّه تعالى جدُّ ربنا**﴾: تعالى قدرُه وعظمته، مأخوذ من قول العرب: جد فلان في عينى... ﴿**ما اتخذ صاحبة ولا ولدا. وإنّه كان يقول سفيهنا على الله شططا**﴾: سفيه الجن يقول مثل ما يقول سفيه الإنس. والسفيه: ضد الرشيد. والشطط: الأمر البعيد عن القصد، مأخوذ من قول العرب: شطت الدار إذا بعدت... ﴿**وإنّا ظنّنا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا وإنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن**﴾: كان الرجل من العرب في الجاهلية، إذا نزل بأرض قفر يقُول: أعوذ برب هذا الوادى من شر سفهائه... ﴿**فزادوهم رهقا**﴾: خوفا وهلعا من الجن حيث ظنوا أنّهم يستطيعون ضرهم... ﴿**وإنّهم ظنّوا**﴾: ظن الجن... ﴿**كما ظننتم**﴾: أنتم أيها العرب... ﴿**أن لن يبعث الله أحدا**﴾: فالمشركون من الجن مثل المشركين من الناس يكذبون بالبعث والجزاء... ﴿**وإنّا لمسنا السماء**﴾: طلبنا بلوغ السماء، لنعرف ما يجرى فيها من أمور الغيب... ﴿**فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**﴾: وجدنا السماء محروسة بجمع من الملائكة ذوو قوة وشدة، وشهبا كثيرة ملتهبة تحرق من يقترب من السماء... ﴿**وإنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع**﴾: كان الجن يترصدون خبر السماء ليلقوه إلى أتباعهم الكهنة، فمنعوا منه نهائيا عند نزول القرآن... ﴿**فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا**﴾: فمنعوا الآن من الاستراق أصلا بوجود الشهب المرصدة لهم... ﴿**وإنّا لا ندري: أشرٌ أريد بمن في الأرض. أم أراد بهم ربهم رشدا ؟. وإنّا منا الصالحون. ومنا دون ذلك. كنا طرائق قددا**﴾: مذاهب مختلفة متفرقة. والقدد: جمع قدة كالقطع جمع قطعة، وزنا ومعنى... ﴿**وإنّا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض**﴾: لن نفوته... ﴿**ولن نعجزه هربا**﴾: ولن نعجزه هاربين

من الأرض إلى السماء... ﴿**وإنا لما سمعنا الهدى آمنا به**﴾: لما سمعنا هذا القرآن الداعى إلى الهدى صدقنا بما فيه من الوعد والوعيد ..﴿**فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا**﴾: البخس النقص في الجزاء. والرهق: ظهور الذلة والكآبة... ﴿**وإنّا منا المسلمون. ومنا القاسطون**﴾: الجائرون عن طريق الحق... ﴿**فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا**﴾: تحرى الرشد: توخى القصد الموصل إلى السلامة... ﴿**وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**﴾: كانوا وقودا للنار، مثل الكافرين من الإنس: «إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم». «قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة»... ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءًا غدقا**﴾: أوحى إليّ أنّ الشأن والحال ؛ لو استقام الناس على الطريقة المثلى ـ وهى طريقة الإسلام ـ لأسقيناهم ماء كثيرا مغدقا عاما شاملا نافعا... ﴿**لنفتنهم فيه**﴾: لنختبرهم في هذا الأمر... ﴿**ومن يعرض عن ذكر ربه نسلكه عذابا صعدا**﴾: من يعرض عن القرآن ندخله عذابا شاقا لا يطيقه من يسلكه... ﴿**وأنّ المساجد لله**﴾: وأوحى إليّ أنّ المساجد لله...

﴿**فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾: فلا تدعوا فيها أحداً غير الله تعالى... ﴿**وإنّه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**﴾: لما قام محمد ـ عبد الله ورسوله ـ يدعو الناس إلى عبادة الله وحده، ويدعوه مخلصا له الدين قارب المشركون من قريش متعاونين معارضين لما جاء به الرسول من التوحيد متماسكين فيما هم عليه من الكفر والشرك... ﴿**قال: إنّما أدعوا ربى ولا أشرك به أحدًا**﴾: كما تلبد هؤلاء على الكفر صمّم الرسول على ما هو عليه من الإيمان بالله، وبما جاءه من عند الله... ﴿**قل: إنّى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا**﴾: الضر يقابله النفع، والرشد يقابله الغى، والمعنى قل يا محمد لقومك المشركين: لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا، ولا غيًا ولا رشدًا. ﴿**قل: إنّى لن يجيرنى من الله أحدٌ**﴾: لا أحد يمنعنى من الله إن أرادنى بسوء... ﴿**ولن أجد من دونه ملتحدا**﴾: ولن أجد من غير الله ملجئًا ومعتصما... ﴿**إلاّ بلاغا من الله ورسالاته**﴾: لكنى أبلغكم ما أرسلت به إليكم، فهذا مما يجعلنى قريبا منكم ومتصلا بكم، ولولاه لفارقتكم... ﴿**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا**﴾: طاعة الرسول أمر محتم، لأنه من أمر الله... ﴿**حتى إذا رأوا ما يوعدون، فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا**﴾: هم بقوا على كفرهم، لما لهم من العَدَدِ والعُدَد، وسيعلمون

ما بعد هذا! ..﴿قل: إن﴾ - لا - . . . ﴿أدرى أقريبٌ ما توعدون. أم يجعل له ربّى أمدا﴾؟!: فهذا رد لما يقوله المشركون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ؟!.. ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد﴾: الله عالم الغيب ومنه علم الساعة. . . ﴿إلا من ارتضى من رسول. فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾: لكن الذي ارتضاه الله رسولا فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحفظون الرسالة من تخليط الشياطين. . . ﴿ليعلم﴾: الله. . . ﴿أن﴾: الشأن. . . ﴿قد أبلغوا رسالات ربهم. وأحاط بما لديهم. وأحصى كل شىء عددا﴾: أحصى عددَ كل شيء، فلا يغيب عن علم الله شيء!.

مبحث الإعراب

﴿قل﴾ أمر موجه إلى الرسول محمد ﷺ. ﴿أوحى﴾ فعل ماض مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على القرآن، والجملة مقول القول. ﴿إلىّ﴾ متعلق بأُوحى. ﴿أنّه﴾ أنّ واسمها. ﴿استمع نفرٌ﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر أنّ. ﴿من الجن﴾ متعلق بمحذوف نعت لنفر، وجملة أنه استمع نفر من الجن تفسير لأوحى إلى: ﴿فقالوا﴾ فعل وفاعل، أى: قال الجن، والفاء للترتيب والتعقيب. ﴿إنّا﴾ إنّ واسمها. ﴿سمعنا قرآنا﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر إنّ، وجملة إنّا سمعنا قرآنا مقول القول. ﴿عجبا﴾ نعت لقرآنا. ﴿يهدى﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على القرآن، والجملة حال من قرآنا عجبا لوصفه بالنعت.

﴿إلى الرشد﴾ متعلق بيهدى. ﴿فآمنا﴾ فعل وفاعل، والجملة مرتبة على ما قبلها بالفاء. ﴿به﴾ متعلق بآمنا. ﴿ولن نشرك﴾ فعل مضارع منصوب بلن، والفاعل نحن، والجملة معطوفة على آمنا. ﴿بربنا﴾ متعلق بنشرك. ﴿أحدا﴾ مفعول به. ﴿وإنّه﴾ إنّ واسمها. ﴿تعالى جدُّ﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر إنّ. ﴿ربّنا﴾ مضاف إلى جدُّ، وجملة وإنّه تعالى معطوفة على جملة إنّا سمعنا قرآنا عجبا، مقول فقالوا. ﴿ما اتخذ﴾ فعل ماض منفىّ بما، والفاعل ضمير يعود على ربنا. ﴿صاحبة﴾ مفعول به. ﴿ولا ولداً﴾ معطوف على ما اتخذ صاحبة، أى: ولا اتخذ ولدا. ﴿وإنّه﴾ إنّ واسمها. ﴿كان﴾ اسمها ضمير الشأن. ﴿يقول سفيهُنا﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجملة كان يقول سفيهنا خبر إنّ، وإنه كان معطوف على مقول القول: إنا سمعنا قرآنا عجبا. ﴿على الله﴾ متعلق بيقول. ﴿شططا﴾

نعت لمفعول مطلق، أي: يقول قولا شططا. ﴿**وإنّا**﴾ إنّ واسمها، مثل ما سبق. ﴿**ظننا**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر إنّ. ﴿**أن لن تقول الإنس**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى الناصب، وأن المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولن تقول الإنس خبرها، وجملة أن لن تقول الإنس سدّت مسد مفعولى ظنّ. ﴿**والجنُّ**﴾ معطوف على الإنس. ﴿**على الله**﴾ متعلق بتقول. ﴿**كذبا**﴾ نعت لمفعول مطلق، مثل شططا. ﴿**وإنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان رجالٌ**﴾ كان واسمها. ﴿**من الإنس**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرجال. ﴿**يعوذون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجملة كان رجال من الإنس يعوذون خبر إنّ. ﴿**برجال**﴾ متعلق بيعوذون. ﴿**من الجن**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرجال. ﴿**فزادوهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول.

﴿**رهقا**﴾ مفعول ثان، والفاء للتعقيب، وضمير الفاعل للجن، وضمير المفعول للإنس، أي: فزاد الجنُّ الإنسَ رهقا ـ ذلة وخوفا وخنوعا لهم ـ. ﴿**وإنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ظنوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر إنّ. ﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق، أي: ظنوا ظنا مثل. ما اسم موصول في محل جر بالكاف. ﴿**ظننتم**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**أن لن يبعث الله أحدا**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى الناصب، وأن مخففة من الثقيلة، مثل إنّا ظننا أن لن تقول الإنس. ﴿**وإنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمسنا السماء**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر إنّ. ﴿**فوجدناها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة مرتبة على الجملة قبلها. ﴿**مُلئت**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على السماء. ﴿**حرسا**﴾ مفعول به. ﴿**شديدا**﴾ نعت له، وجملة ملئت مفعول ثان لوجدنا. ﴿**وشهبا**﴾ معطوف على حرسا. ﴿**وإنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كنّا**﴾ كان واسمها. ﴿**نقعد**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن، والجملة من الفعل والفاعل خبر كان، وجملة كنّا نقعد خبر إنّ، وجملة وإنّا كنّا نقعد مقول القول. ﴿**منها**﴾ متعلق بنقعد. ﴿**مقاعدَ**﴾ مفعول مطلق. ﴿**للسمع**﴾ متعلق بنقعد. ﴿**فمن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يستمع**﴾ فعل الشرط، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**الآن**﴾ ظرف زمان متعلق بيستمع. ﴿**يجدْ**﴾ جواب الشرط مجزوم بالسكون. ﴿**له**﴾ متعلق برصدا. ﴿**شهابا**﴾ مفعول به. ﴿**رصدا**﴾ نعت له، وجملة فمن يستمع الآن، تعقيب بالفاء على ما قبله. ﴿**وإنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا**

ندرى﴾ فعل مضارع منفى بلا، والفاعل نحن. **﴿أشرٌ﴾** مبتدأ دخل عليه حرف الاستفهام. **﴿أُريد﴾** فعل ماض مبنىّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على شر، والجملة خبر المبتدإ. **﴿بمن﴾** متعلق بأريد. **﴿فى الأرض﴾** متعلق بمحذوف صلة مَنْ. **﴿أم أراد﴾** معطوف بأم على أشر أريد. **﴿بهم﴾** متعلق بأراد. **﴿ربُّهم﴾** فاعل. **﴿رشدا﴾** مفعول به، وجملة أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا في محل نصب مفعول بلا ندرى.

﴿وإنّا﴾ إنّ واسمها. **﴿منّا﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿الصالحون﴾** خبرالمبتدإ، والجملة خبر إنّ. **﴿ومنّا﴾** مثل ما قبله. **﴿دون﴾** مبنى على الفتح في محل رفع لإضافته إلى مبنى. **﴿ذلك﴾** في محل جر مضاف إلى دون، والجملة معطوفة على الجملة قبلها. **﴿كنّا﴾** كان واسمها. **﴿طرائق﴾** خبر كان. **﴿قددا﴾** نعت لطرائق، والجملة بيان لما قبلها. **﴿وإنّا ظننا﴾** تقدم إعراب مثله. **﴿أن﴾** مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. **﴿لن نعجز﴾** فعل مضارع دخل عليه حرف النفى الناصب، والفاعل نحن. **﴿الله﴾** معمول لنعجز. **﴿فى الأرض﴾** متعلق بنعجز. ولن نعجزه معطوف على لن نعجز الله في الأرض. **﴿هربا﴾** منصوب على التمييز. **﴿وإنّا﴾** إنّ واسمها. **﴿لمّا﴾** ظرف متضمن معنى الشرط. **﴿سمعنا الهدى﴾** فعل وفاعل ومفعول. **﴿آمنا﴾** فعل وفاعل، والجملة جواب شرط لمّا. **﴿به﴾** متعلق بآمنا. **﴿فمن يؤمن﴾** فعل مضارع مجزوم بمَن الشرطية، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. **﴿بربه﴾** متعلق بيؤمن. **﴿فلا يخاف﴾** فعل مضارع منفى بلا، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة جواب الشرط، والفاء رابط لوجود حرف النفى ـ لا ـ. **﴿بخسا﴾** مفعول به. **﴿ولا رهقا﴾** معطوف على فلا يخاف بخسا، أى: ولا يخاف رهقا. **﴿وإنّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون﴾** مثل إعراب وإنّا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك. **﴿فمن﴾** اسم شرط، والفاء للتعقيب. **﴿أسلم﴾** فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة فعل الشرط. **﴿فأولئك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿تحرّوا رشدا﴾** فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر المبتدإ، وجملة فأولئك تحروا رشدا جواب الشرط، والفاء رابط. **﴿وأمّا﴾** أداة تفصيل. **﴿القاسطون﴾** مبتدأ. **﴿فكانوا﴾** كان واسمها، والفاء رابط لما في أمّا من معنى الشرط. **﴿لجهنم﴾** متعلق بما بعده. **﴿حطبا وقودا لها﴾** خبر كان، وجملة فكانوا لجهنم حطبا خبر المبتدإ، وبهذا ينتهى قول الجن الذي بُدئ بقوله تعالى: فقالوا: إنا سمعنا قرآنا

عجبا. وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط. ﴿**استقاموا**﴾ فعل وفاعل، فعل شرط لو. ﴿**على الطريقة**﴾ متعلق باستقاموا. ﴿**لأسقيناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب شرط لو، واللام رابط. ﴿**ماءً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**غدقا**﴾ نعت لماء، وجملة وأن لو استقاموا ..الخ معطوفة على جملة أنه استمع، نائب فاعل أوحى إليّ، وجملة لو استقاموا خبر أن المخففة. ﴿**لنفتنهم**﴾ فعل ومفعول، والفاعل نحن، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بأسقيناهم. ﴿**فيه**﴾ متعلق بالفعل قبله.

﴿**ومن يعرض**﴾ فعل مضارع دخل عليه اسم الشرط الجازم، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**عن ذكر**﴾ متعلق بيعرض. ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى ذكر. ﴿**نسلكْه**﴾ فعل مضارع مجزوم، جواب الشرط، والفاعل نحن، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**عذابا**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**صعدا**﴾ نعت له. ﴿**وأن المساجد**﴾ أن واسمها. ﴿**لله**﴾ متعلق بمحذوف خبر أنّ، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع نائب فاعل، وهو معطوف على نائب الفاعل من قوله تعالى أوحى إليّ أنّه استمع، أي: أوحى إلى استماع نفر من الجن، وأن لو استقاموا على الطريقة وكون المساجد لله. ﴿**فلا تدعوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النهى الجازم، والفاء رابط للجملة قبله. ﴿**مع**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**أحدا**﴾ مفعول به. ﴿**وإنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لمّا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**قام عبدُ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى عبد. ﴿**يدعوه**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على عبد الله، وجملة يدعوه حال من عبد الله. ﴿**كادوا**﴾ كاد واسمها. ﴿**يكونون**﴾ يكون واسمها. ﴿**عليه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**لبدا**﴾ خبر يكون، وجملة يكونون عليه لبدا خبر يكاد، وجملة يكاد يكون عليه لبدا جواب شرط لما قام عبد الله. ﴿**قال**﴾ عبد الله محمد ﷺ. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**أدعو**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**ربى**﴾ معمول بأدعو منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، وجملة إنّما أدعو ربى مقول القول .﴿**ولا أشرك**﴾ فعل مضارع منفى بلا، والفاعل ضمير المتكلم، والجملة معطوفة على جملة أدعو ربى. ﴿**به**﴾ متعلق بأشرك. ﴿**أحدا**﴾ مفعول به. ﴿**قل**﴾ أمر موجه إلى الرسول محمد ﷺ.

﴿**إنّى**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لا أملك**﴾ فعل مضارع منفىّ بلا، والفاعل ضمير المتكلم، والجملة خبر إنّ. ﴿**لكم**﴾ متعلق بأملك. ﴿**ضرًّا**﴾ مفعول به. ﴿**ولا رشدا**﴾ معطوف على لا أملك لكم ضرًّا، وجملة إنّى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا مقول قُلْ.

﴿**قل**﴾ مثل ماسبق. ﴿**إنّى**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لن يجيرنى**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى الناصب، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب مفعول به. ﴿**من الله**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أحدٌ**﴾ فاعل، وجملة لن يجيرنى من الله أحد خبر إنّ. ﴿**ولن أجد**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى الناصب، والفاعل ضمير المتكلم، والجملة معطوفة على الجملة قبلها. ﴿**من دونه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ملتحدا**﴾ مفعول به. ﴿**إلاّ بلاغا**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف نعت لبلاغا، أى: بلاغا كائنا من الله. ﴿**ورسالاته**﴾ معطوف على بلاغا منصوب بالكسرة. ﴿**ومن**﴾ اسم شرط جازم. ﴿**يعص**﴾ فعل الشرط مجزوم بحذف الياء، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**اللهَ**﴾ معمول بيعص. ﴿**ورسولَه**﴾ معطوف على الله. ﴿**فإن له**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**نارَ**﴾ اسم إنّ مؤخر. ﴿**جهنم**﴾ مضاف إلى نار مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث، وجملة فإن له نار جهنم جواب الشرط، والفاء رابط. ﴿**خالدين**﴾ حال من خبر إنّ، وجمع باعتبار معنى مَنْ. ﴿**فيها**﴾ متعلق بخالدين. ﴿**أبدًا**﴾ منصوب على الظرفية، متعلق بخالدين. ﴿**حتى إذا رأوا**﴾ جملة شرطية مقرونة بحتى الابتدائية. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول بِرَأَوْا. ﴿**يُوعدون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل صلة ما. ﴿**فسيعلمون**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب شرط إذا، والفاء رابط. ﴿**مَنْ**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**أضعفُ**﴾ خبره، والجملة في محل نصب مفعول به. ﴿**ناصرا**﴾ تمييز. ﴿**وأقلُّ عددًا**﴾ معطوف على أضعف ناصرًا. ﴿**قل**﴾ مثل ما سبق. ﴿**إنْ**﴾ نافية بمعنى ما. ﴿**أدرى**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى، والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**أقريب**﴾ مبتدأ دخل عليه الاستفهام. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**توعدون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل صلة ما. ﴿**أم يجعل**﴾ معطوف بأم على أقريب ما توعدون. ﴿**له**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**ربِّىَ**﴾ فاعل مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى رب، وحركت بالفتحة للتخفيف.

﴿**أمدًا**﴾ مفعول به، وجملة أقريب ما توعدون في محل نصب مفعول إن ـ لا

ـ أدرى. ﴿**عالم**﴾ خبر لمبتدإ محذوف، أي: هو عالم. ﴿**الغيب**﴾ مضاف إلى عالم. ﴿**والشهادة**﴾ معطوف على الغيب. ﴿**فلا يُظهر**﴾ فعل مضارع منفيّ بلا، والفاء لترتيب الجملتين، والفاعل ضمير يعود على عالم الغيب. ﴿**على غيبه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**أحدًا**﴾ مفعول به. ﴿**إلاّ من**﴾ في محل نصب بالاستثناء. ﴿**ارتضى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على عالم الغيب. ﴿**من رسول**﴾ متعلق بارتضى. ﴿**فإنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يسلك**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على عالم الغيب. ﴿**من بين**﴾ متعلق بيسلك. ﴿**يديه**﴾ مضاف إلى بين، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ومن خلفه**﴾ معطوف على من بين يديه، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**رصدًا**﴾ مفعول به، وجملة يسلك خبر إنّ، وجملة فإنه يسلك تعقيب على قوله: إلا من ارتضى من رسول. ﴿**ليعلم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير عالم الغيب. ﴿**أنْ**﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿**قد أبلغوا رسالاتِ**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف التحقيق، والجملة خبر أن المخففة من الثقيلة. ﴿**ربّهم**﴾ مضاف إلى رسالات، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بيعلم، وفعل يعلم مؤول بمصدر مع أنْ، مجرور باللام متعلق بيسلك. ﴿**وأحاط**﴾ فعل ماض، والواو للعطف، والفاعل ضمير عالم الغيب. ﴿**بما**﴾ متعلق بأحاط. ﴿**لديهم**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وأحصى**﴾ معطوف على أحاط. ﴿**كلّ**﴾ مفعول به. ﴿**شيءٍ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**عددًا**﴾ منصوب على التمييز.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**قل أُوحى إليّ أنّه استمع نفر من الجن**﴾: فهذه السورة ابتداء شهادة من عالم آخر: عالم الجن، بكثير من قضايا العقيدة التي كان المشركون يجحدونها ويجادلون فيها أشد الجدل، ويزعمون أحيانا أنّ محمدا ﷺ يتلقى من الجن ما يقوله لهم عنها!. فتجئ الشهادة من الجن أنفسهم بهذه القضايا التي يجحدونها ويجادلون فيها، وبتكذيب دعوى المشركين في استمداد محمد من الجن شيئا. فالجن لم يعلموا بهذا القرآن إلا حين سمعوه من الرسول فهالهم وراعهم ومسهم منه ما يدهش ويذهل!. فانطلقوا يتحدثون في روعة المأخوذ، ووهلة المشدوه عن هذا الحدث العظيم!.

وتجئ هذه السورة عقب ذكر قوم نوح المكذبين بهذا الأمر العظيم مثل ما حصل من مشركى العرب الذين كذبوا واستهزأوا بما ذكّرهم به محمد من الوعيد بالمكذبين. فقد كان العرب المخاطبون بهذا القرآن أول مرة يعتقدون أن للجن سلطانا في الأرض، كذلك كانوا يعتقدون أن الجن تعلم الغيب وتخبر به الكهان، فيتنبأون بما يتنبأُون. فجاءت الآيات الأولى في هذه السورة تصحح أوهام العرب فيما يتعلق بأمر الجن، تأمر الرسول بأن يقول للناس: أوحى إليّ أنّه استمع نفر من الجن... **﴿فقالوا: إنّا سمعنا قرآنا عجبا﴾**!: فوصفوا القرآن بأنه عجب، مبالغة في حسن النظم، ودقة المعنى، وهذه صفة القرآن عند مَن يتلقاه بحسّ واع وقلب مفتوح. ثم بعد كونه عجبا في أسلوبه، فهو... **﴿يهدى إلى الرشد﴾**: فهذه هي الصفة الثانية البارزة كذلك في هذا القرآن، والذى أحسّها النفر من الجن حين وجدوا حقيقتها في قلوبهم، وكلمة الرشد في ذاتها ذات دلالة واسعة المدى، فهو يهدي إلى الهدى والحق والصواب، ولكن كلمة الرشد تلقى ظلا آخر وراء هذا كله، ظل النضوج والاستواء والمعرفة الرشيدة للهدى والحق والصواب!. ظل الإدراك الذاتى البصير بهذه الحقائق والمقومات، فالرشيد هو الذي وصل إلى مستوى مستقل للإدراك... **﴿فآمنا به﴾**: مرتب على ما قبله، فهى الاستجابة الطبيعية المستقيمة لسماع القرآن وإدراك مغزاه يعرضها الوحى على المشركين الذين كانوا يسمعون هذا القرآن ثم لا يؤمنون!، وفى الوقت ذاته ينسبونه إلى الجن، فيقولون عن الرسول: كاهن أو شاعر أو مجنون، وكلها صفات للجنّ فيها تأثير، وهؤلاء هم الجن مبهورين بالقرآن مسحورين متأثرين أشد التأثّر! ..**﴿ولن نشرك بربنا أحدا﴾**: جملة وُصلت بالعطف على ما قبلها، إذعانا بالإيمان الخالص الصريح الصحيح غير منسوب بشرك، ولا ملتبس بوهم، ولا ممتزج بخرافة؛ الإيمان الذي ينبعث من إدراك حقيقة التوحيد بالله بلا شريك... **﴿وإنه تعالى جدُّ ربنا. ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾**: وصل بما قبله بالعطف، مقام يناسب المقام، وهو التعبير عن الشعور باستعلاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ وبعظمته وجلاله عن اتخاذ الصاحبة والولد!، وكانت العرب تزعم أن الملائكة بنات الله!، جاءته من صهر مع الجن!، فجاءت الجن تكذب هذه الخرافة الأسطورية في تسبيح لله وتنزيه، واستنكاف من هذا التصور أن يكون!. وكانت الجن حريّةً أن تفخر بهذا الصهر الخرافى الأسطورى لو كان يشبه أن يكون!. فهى قذيفة محرقة تطلق على ذلك

الزعم الواهى في تصورات المشركين!، وكل تصور يشبه هذه التصورات ممن زعموا أن لله ولدا ـ سبحانه ـ في أية صورة، وفى أىّ تصوير!..

﴿**وإنّه كان يقول سفيهنا على الله شططا**﴾: قول النفر من الجن حكاية عما كان يقول سفهاؤهم على الله من القول الباطل والبعيد عن الصواب! ..﴿**وإنّا ظنّنا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا**﴾: هذا رجوع من هؤلاء النفر الذين كانوا قبل سماع القرآن يصدقون سفهاءَهم فيما كانوا يقولون، فهذا الشعور من هؤلاء النفر بنكارة الكذب على الله هو الذي أهلهم للإيمان، فهو دلالة على أن قلوبهم نظيفة مستقيمة، إنما جاءها الضلال من الغرارة والبراءة، فلما مسها الحق انتفضت، وأدركت وتذوقت وعرفت... ﴿**وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن. فزادوهم رهقا**﴾: هؤلاء النفر من الجن يحكون ما كان يحدث من عرب الجاهلية من خوفهم من الجن وما يعتقدون فيهم من قوة وتأثير على البشر!. فالقلب البشرى حين يلجأ إلى غير الله، طمعا في نفع، أو دفعا لضر لا يناله إلا القلق والحيرة، وقلة الاستقرار وعدم الطمأنينة، وهذا هو الرهق في أسوإ صوره... ﴿**وإنّهم ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا**﴾: هؤلاء النفر من الجن يتحدثون إلى قومهم عن أولئك الرجال من الإنس الذين كانوا يعوذون برجال من الجن، يقولون لهم: إنهم كانوا يظنون ـ كما أنكم تظنون ـ أن الله لن يبعث رسولا إلى البشر يخبرهم بأن يكون حشر ونشر، فكذبوا ما وعدهم الرسول، فهؤلاء النفر من الجن يصحّحون لقومهم ظنهم، والقرآن في حكايته عنهم يصحّح للمشركين أوهامهم. ويمضى الجن في حكاية ما لقوه وما عرفوه من شأن هذه الرسالة في جنبات الكون، وفى أرجاء الوجود، وفى أحوال السماء والأرض؛ لينفضوا أيديهم من كل محاولة لا تتفق مع إرادة الله بهذه الرسالة، ومن ادعاء بمعرفة الغيب، ومن كل قدرة على شيء من هذا الأمر ..﴿**وإنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا. وإنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع. فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا. وإنّا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا**﴾؟!.

بعد ذلك أخذ هذا النفر يصفون حالهم وموقفهم من هدى الله، بما يفهم منهم أن لهم طبيعة مزدوجة كطبيعة الإنسان في الاستعداد للهدى والضلال. ويحدث هذا النفر عن عقيدتهم في ربهم، وقد آمنوا به، وعن ظنهم بعاقبة من

يهتدى ومن يضل. . . ﴿**وإنّا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك. كنا طرائق قددا. وإنّا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا. وإنّا لما سمعنا الهدى آمنا به. فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا. وإنّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون. فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا. وأمّا القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**﴾: وإلى هنا تنتهى مقالة النفر من الجن. ثم يأتى القسم الثانى مما أوحى إلى الرسول المأمور به بقل. . . ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا. لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربّه نسلكه عذابا صعدا**﴾: فهذه الآية وما عطف عليها موصولة بالعطف على قوله تعالى: أنه استمع نفر من الجن، إلى آخر ما قال النفر من الجن. ثم يأتى الإيحاء الثالث متصلا بالعطف كذلك. . . ﴿**وأن المساجد لله. فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾: فالمساجد هنا هي مساجد العبادة في الإسلام، وهى بيوت الله في الأرض، فلا يذكر فيها غير اسم الله. . . ﴿**وإنّه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**﴾: هذه الآية مستأنفة استئنافا ابتدائيا مع وصلها بما قبلها بالعطف على جملة الكلام الموحى به إلى الرسول عبد الله محمد ﷺ تكملة لموضوع السورة، فالمعنى: لما قام عبدالله في مكة يدعو ربه مخلصا له الدين مخالفا للمشركين، كاد المشركون يكونون عليه لبدا، بالإنكار والتكذيب بما جاء به من التوحيد. . . ﴿**قال: إنّما أدعوا ربى. ولا أشرك به أحدا**﴾: ليس في هذا القول ما يوجب الإنكار والإعراض عنه بالتجمع ضده، إنما هي الحقيقة التي كلّفنى ربى بها، وأمرنى بأن أعلنها لكم واضحة صريحة. . . ﴿**قل: إنّى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا**﴾: فأنا لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، ولا أملك لكم غيًّا ولا رشدًا فالله وحده هو الذي يملك الضرر والنفع والغيّ والرشد. . . ﴿**قل: إنى لن يجيرنى من الله أحد. ولن أجد من دونه ملتحدا. إلاّ بلاغا من الله ورسالاته**﴾: هذه هي القولة الرهيبة التي تملأ القلب بجدية هذا الأمر، فهذا هو الملجأ الوحيد، وهذه هي الإجارة المأمونة، إن الأمر ليس أمرى، وليس لى فيه شىء إلا التبليغ، ولا مفر لى من هذا التبليغ، فأنا مطلوب به من الله، ولن يجيرنى منه أحد، ولن أجد من دونه ملجأ يعصمنى إلاّ أن أبلّغ وأؤدّى!. وهكذا يتبين أمر الدعوة ويتحدد، فهى تكليف وواجب؛ وراءه الهول، ووراءه الجد، ووراءه الله الكبير المتعال. . .

﴿**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا. حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقلّ عددا**﴾؟!: فهو التهديد الظاهر

والملفوف لمن يَبْلغُه هذا الأمرُ، ثم يعصى بعد التبليغ والتلويح بالحد الصارم في التكليف بذلك البلاغ!. ثم يأمر الله رسوله أن يتجرد، وينفض يديه من أمر الغيب أيضا. . . ﴿**قل: إن أدرى أقريب ما توعدون. أم يجعل له ربى أمدا**﴾؟!: فالله سبحانه وتعالى هو المختص بالغيب دون العالمين. . . ﴿**عالم الغيب. فلا يظهر على غيبه أحدا. إلاّ من ارتضى من رسول. فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا**﴾: فالرسل الذين يرتضيهم الله لتبليغ دعوته يطلعهم على جانب من غيبه، هو هذا الوحى؛ موضوعه، وطريقته، والملائكة الذين يحملونه، إلى آخر ما يتعلق بموضوع رسالتهم، وفى الوقت ذاته يحيط هؤلاء الرسل بالأرصاد والحراس من الحفظة للحفظ والرقابة. فالتعبير بهذا الأسلوب: فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا: يصوّر الرقابة الدائمة الكاملة للرسول، وهو يؤدّى هذا الأمر العظيم!. فهذا تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته، وقوله تعالى. . . ﴿**ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم**﴾: غاية لما قبله من حيث إنه مرتب على الإبلاغ المترتب عليه. . . ﴿**وأحاط بما لديهم**﴾: جيء بهذه الجملة ليتحقق استغناء الله تعالى في العلم بالإبلاغ قبل وقوعه. . . ﴿**وأحصى كل شيء عددا**﴾: فائدة هذه الجملة بيان أن علم الله تعالى بالأشياء ليس على وجه كلّيّ إجماليّ، بل على وجه جزئيّ تفصيلى. وبهذا الإيقاع الهائل الرهيب تختم السورة التي بدأت بروعة النفر من الجن حين قال: إنا سمعنا قرآنا عجبا!. فهذا الأسلوب فيه رد العجز على الصدر، وفيه براعة المقطع عندما ينتهى السياق برصد الحقائق وجمعها وحصرها حصرا دقيقا عدًّا وإحصاءً!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**قل: أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن. فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدى إلى الرشد. فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا**﴾: فالكلام هنا في هذه السورة تفصيل لما سبق في سورة الأحقاف من قوله تعالى: «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن. فلما حضروه قالوا أنصتوا. فلما قضى ولُّوا إلى قومهم منذرين. قالوا ـ ياقومنا ـ: إنّا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم»، إلى آخر كلامهم. فكما عبر هنا بالنفر عبر هناك به أيضا، والنفر: مأخوذ من نفر إذا اتجه إلى شيء يرى فيه نفعا له ولغيره، مثل

قوله تعالى: «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم»، فهؤلاء النفر من الجن هم رسل إلى قومهم ليفقهوهم في الدين، ولينذروهم عاقبة النفور والإعراض. فالجن لم يعلموا بهذا القرآن إلاّ حين سمعه النفر الذي صرفه الله إلى استماعه من رسول الله محمد ﷺ، والنفر بلغوا قومهم الجن بهذا القرآن. فمن هذه السورة وسور أخرى في القرآن نعلم أنّهم مكلفون كما كلّف الإنس بعبادة الله وحده لا شريك له، وهم قابلون للهداية والضلال، مستعدون لإدراك القرآن سماعا وفهما وتأثُّرا. فمقالة النفر من الجن هنا تبتدئ بقولهم: إنّا سمعنا قرآنا عجبا، إلى قوله: ولن نشرك بربنا أحدا. ﴿**وإنّه تعالى جدّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**﴾، هي المقالة الثانية، وهى تبين معنى ما قبلها من قولهم: إنّا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحد، والمقالة الثالثة والرابعة. . . ﴿**وإنّه كان يقول سفيهنا على الله شططا. وإنّا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا**﴾: فهذه مراجعة من النفر لما كانوا يسمعون من سفهائهم من الشرك بالله، وادّعاء الصاحبة والولد والشريك، بعدما تبين لهم من سماع القرآن أنّه لم يكن حقا ولا صوابا، وأن قائليه إذنْ سفهاء، فيهم خرق وجهل!. فهم يعللون تصديقهم لهؤلاء السفهاء من قبل، بأنهم كانوا لا يتصوّرون أن أحدا يمكن أن يكذب على الله من الإنس أو الجن، فهم يستعظمون ويستهولون أن يجرؤ أحد على الكذب على الله، فلما قال لهم سفهاؤهم: إنّ لله صاحبة وولدا، وإن له شريكا صدّقوهم ؛ لأنهم لم يتصوروا أنهم يكذبون على الله. وهذا الشعور من هؤلاء النفر بنكارة الكذب على الله، هو الذي أهلهم للإيمان، فهو دلالة على أن قلوبهم نظيفة مستقيمة، إنّما جاءها الضلال من الغرارة والبراءة، فلما مسها الحق انتفضت وأدركت وتذوقت وعرفت، وكان منهم هذا الهتاف المدوى الذي حكته الآية عنهم، وهذه الانتفاضة من مس الحق جديرة بأن تنبه قلوبا كثيرة مخدوعة في كبراء قريش وزعمهم أن لله شركاء أو صاحبة وولدا، وأن تثير في هذه القلوب الحذر واليقظة والبحث عن الحقيقة فيما يقوله محمد ﷺ وما يقوله كبراء قريش، وأن تزلزل الثقة العمياء في مقالات السفهاء من الكبراء!.

وقد كان هذا كله مقصودا بذكر هذه الحقيقة، وكان جولة من المعركة الطويلة بين القرآن وبين قريش العصية المعاندة، وحلقة من حلقات العلاج البطئ لعقابيل الجاهلية وتصوراتها في تلك القلوب التي كان الكثير منها غرا بريئا، ولكنه مضلل

مقود بالوهم والخرافة وأضاليل المضللين من القادة الجاهليّين! ..﴿**وإنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**﴾: هذه المقالة الخامسة من مقالات النفر من الجن، فهذه إشارة منهم إلى ما كان متعارفا في الجاهلية من أن للجن سلطانا على الأرض وعلى الناس، وأنّ لهم قدرة على النفع والضر، مما كان يقتضى القوم إذا باتوا في فلاة أو مكان موحشٍ أن يستعيذوا بسيد الوادى من سفهاء قومه. فالقلب البشرى حين يلجأ إلى غير الله طمعا في نفع أو دفعا لضر، لا يناله إلاّ القلق والحيرة وقلة الاستقرار والطمأنينة، وهذا هو الرهق في أسوإ صوره! ..﴿**وإنّهم ظنّوا كما ظننتم: أن لن يبعث الله أحدا**﴾: هذه هي المقالة السادسة من مقالات النفر من الجن لقومهم، يقولون عن الإنس: إنّهم كانوا يظنّون ـ كما أنّكم تظنون ـ أن الله لن يبعث رسولا، أو أنّهم ظنّوا أن لن يكون هناك بعث ولا حساب ـ كما ظننتم أنتم كذلك ـ وكلا الظنين لا ينطبق على الحقيقة، وفيه جهل وقلة إدراك لحكمة الله في خلق الجن والإنس، فقد خلقهم باستعداد مزدوج للخير والشر والهدى والضلال، كما هو معروف من نصوص القرآن. وهؤلاء النفر من الجن يصحّحون لقومهم ظنّهم، والقرآن في حكايته عنهم يصحّح للمشركين أوهامهم. . . ﴿**وإنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا. وإنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع. فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا**﴾: هاتان مقالتان للنفر من الجن السابعة والثامنة، فهذه الوقائع التي حكاها القرآن عن الجن من قولهم، توحى بأنّهم قبل هذه الرسالة الأخيرة، كانوا يحاولون الاتصال بالملإ الأعلى، واستراق شيء مما يدور فيه بين الملائكة عن شؤون الخلائق في الأرض، ثم يوحون بما التقطوه لأوليائهم من الكهّان والعرافين، ليقوم هؤلاء بفتنة الناس وفق خطة إبليس على أيدى هؤلاء الكهان والعرافين، وهذا النفر من الجن يقول: إنّ استراق السمع لم يعُد ممكنا، وأنهم حين حاولوه الآن وجدوا الطريق إليه محروسا بحرس شديد يرجمهم بالشهب. . .

﴿**وإنّا لا ندرى: أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا**﴾؟!: هذه هي المقالة التاسعة من مقالات النفر من الجن، فهم يعلنون: أنّهم لايدرون شيئا عن الغيب المقدر للبشر، فهذا الغيب موكول لعلم الله لا يعلمه سواه، فأمّا نحن فلا نعلم ماذا قدّر الله لعباده في الأرض ؟!. أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ؟!. فإذا كان المصدر الذي يزعم الكهان أنّهم يستقون منه معلوماتهم

عن الغيب يقرر أنّه هو لا يدرى عن ذلك شيئا فقد انقطع كل قول وبطل كل زعم، وانتهى أمر الكهانة والعرافة وتمحض الغيب لله، لا يجترئ أحد على القول بمعرفته، ولا على التنبئ به، وأعلن القرآن تحرير العقل البشرى من كل وهم وكل زعم من هذا القبيل، وأعلن رشد البشرية منذ ذلك اليوم وتحررها من الخرافات والأساطير. . . ﴿**وإنّا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك. كنّا طرائق قددا**﴾: هذه هي المقالة العاشرة من مقالات النفر من الجن، فيحدث هذا النفر عن عقيدتهم في ربهم، وهذا التقرير منهم بأنّ منهم صالحين وغير صالحين يفيد ازدواج طبيعة الجن واستعدادهم للخير والشر كالإنسان. . . ﴿**وإنّا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض. ولن نعجزه هربا**﴾: المقالة الحادية عشرة، فهم يعرفون قدرة الله عليهم في الأرض، ويعرفون عجزهم عن الهرب من سلطانه ـ سبحانه ـ والإفلات من قبضته، فلا هم يعجزون الله وهم في الأرض، ولا هم يعجزونه بالهرب منها، فهذا هو ضعف العبد أمام الرب!. وهؤلاء الجن هم الذين يعوذ بهم رجال من الإنس!. وهم الذين يستعين بهم الإنس في الحوائج!. هؤلاء الجن يعترفون بعجزهم وقدرة الله، وضعفهم وقوة الله، فيصححون لا لقومهم فحسب، بل للمشركين كذلك. . . ﴿**وإنّا لما سمعنا الهدى آمنا به. فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا**﴾: هذه المقالة الثانية عشر، فهم يصفون حالهم عندما سمعوا الهدى من هذا القرآن العجب، ثمّ يقررون ثقتهم بربهم، وهى ثقة المؤمن في مولاه، وهى ثقة المطمئن إلى عدل الله، فسيحمى عبده المؤمن من البخس؛ وهو نقص الاستحقاق، ومن الرهق: وهو الجهد والمشقة فوق الطاقة، فالمؤمن إذن في أمان نفسى من البخس ومن الرهق!.

وصدق النفر المؤمن من الجن في تصوير هذه الحقيقة المنيرة. . . ﴿**وإنّا منا المسلمون ومنا القاسطون. فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا. وأمّا القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**﴾: هذه المقالة الثالثة عشر والأخيرة من مقالات النفر من الجن الذين سمعوا القرآن فآمنوا به، وبما فيه من عقيدة صحيحة وتوجيه سليم، فدلّ هذا على أن الجن يثابون ويعاقبون بالنار كما يعاقب الإنس بالنار، ثم ما ينطبق على الجن مما بينه النفر منهم لهم ينطبق على الإنس، وقد قاله لهم الوحى بلسان نبيئهم محمد ﷺ خاتم النبيئين وإمام المرسلين. ثم بعد ما أوحى الله إلى الرسول استماع النفر من الجن القرآن، فآمنوا به وبلغوا قومهم به حسب ما ذكر هنا وما ذكر في

سورة الأحقاف، أمر الله رسوله بأن يقول للناس: أوحى الله إلى أن الشأن لو استقام الناس على طريقة الإسلام لأغدق عليهم الرزق بوفرة الماء ونفعه... ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**﴾: فهذا أمر من الله لرسوله بأن يقول للناس هذا الكلام، كما أمره أن يقول لهم قصة النفر من الجن. فهذه اللفتة هنا تحتوى على جملة حقائق، تدخل في تكوين عقيدة المسلم وتصوره عن مجريات الأمور وارتباطاتها: الحقيقة الأولى الارتباط بين استقامة الناس على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله تعالى، وبين إغداق الرخاء وأسبابه. وأول أسبابه توافر الماء واغدوداقه، وما تزال الحياة تجرى على خطوات الماء في كل بقعة، وما يزال الرخاء يتبع هذه الخطوات. وهذا الارتباط بين الاستقامة على الطريقة وبين الرخاء والتمكين في الأرض حقيقة قائمة، وقد كان العرب في جوف الصحراء يعيشون في جظف من العيش، حتى استقاموا على الطريقة، ففتحت لهم الأرض التي يغدودق فيها الماء، وتتدفق فيها الأرزاق، ثم حادوا عن الطريقة فاستلبت منهم خيراتهم استلابا!، وما يزالون في نكد وجظف حتى يفيئوا إلى الطريقة فيتحقق فيهم وعد الله. والحقيقة الثانية التي تنبثق من هذا النص: إن الرخاء ابتلاء من الله للعباد وفتنة... ﴿**لنفتنهم فيه**﴾: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة»، والصبر على الرخاء، والقيام بواجب الشكر عليه والإحسان فيه، أشق وأندر من الصبر على الشدة، إنّ الابتلاء بالنعمة في حاجة ملحّة إلى يقظة دائمة تعصم من الفتنة. والحقيقة الثالثة أنّ الإعراض عن ذكر الله الذي قد تنتهى إليه فتنة الابتلاء بالرخاء مُؤدٍّ إلى عذاب الله...

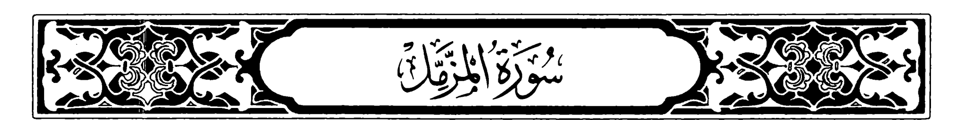
﴿**ومن يعرض عن ذكر ربه نسلكه عذابا صعدا**﴾: فالنص هنا يذكر صفة العذاب التي توحى بالمشقة: نسلكه عذابا صعدا!. فهى حقيقة مادية معروفة، والتقابل واضح بين الفتنة بالرخاء، وبين العذاب الشاق عند الجزاء... ﴿**وأن المساجد لله. فلا تدعو مع الله أحدا**﴾: هذا مما أوحاه الله إلى رسوله من جملة ما أوحى من خبر النفر من الجن، ومن كون الاستقامة على طريق الإسلام سببا في إغداق الماء ووفرة الرزق، ففى مساجد الله يكون التوحيد الخالص، فيتوارى كل ظل لكل أحد، ولكل قيمة، ولكل اعتبار. ويتفرد الجو ويتمحض للعبودية الخالصة لله، ودعاء غير الله قد يكون بعبادة غيره، وقد يكون بالالتجاء إلى سواه، وقد يكون باستحضار القلب لأحد غير الله... ﴿**وإنّه لما قام عبد الله**

يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾: هذا كلام مستأنف مسوق لبيان موقف المشركين في مكة من الرسول حين قام يدعو ربه بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن، وهم يتسمعون إليه متجمعين متكتلين متلبّدين متفقين على الإنكار والإعراض!. وقد تقدم معنى هذا الكلام في عدة مواضع منها: «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا» ومنها «وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر». ومنها «فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ؟!.»... **﴿قل: إنّى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا﴾**: من جملة ما أمر به رسول الله ﷺ هذا القول، وهو أن ينفض يديه من كل ادعاء، لشىء هو من خصائص الله الواحد الذي يعبده ولا يشرك به أحدا، فالله وحده الذي يملك الضر والنفع، يملك الغى والرشد... **﴿قل: إنّى لن يجيرنى من الله أحد. ولن أجد من دونه ملتحدا إلاّ بلاغا من الله ورسالاته﴾**!. فالأمر ليس أمر الرسول، وإنّما هو أمر الله الذي ينفع ويضر ويهدى ويضل، فليس للرسول إلا تبليغ الرسالة كما جاءته من ربه، ولا مفر له من هذا التبليغ، فهذا التبليغ ليس تطوعا يتقدم به صاحب الدعوة، إنّما هو التكليف الصارم الجازم!.

وهكذا يتبين أمر الدعوة ويتحدّد... **﴿ومن يعص الله ورسوله فإنّ له نار جهنم خالدين فيها أبدا. حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا ؟!. قل: إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا﴾**: إنّ الدعوة ليست من أمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس له فيها شىء إلا أن يبلغها قياما بالتكليف، والتجاءً بنفسه إلى منطقة الأمان الذي لا يَبْلَغُه إلا من يبلّغ ويؤدّى، وإن ما يوعدونه على العصيان و التكذيب هو كذلك من أمر الله، وليس للرسول فيه يد، ولا يعلم له موعدا، فما يدرى: أقريب هو أم بعيد ؟. فالله ـ سبحانه ـ هو المختصّ بالغيب دون العالمين... **﴿عالم الغيب. فلا يظهر على غيبه أحدا. إلاّ من ارتضى من رسول﴾**: فالرسل الذين يرتضيهم الله لتبليغ دعوته يطلعهم على جانب من غيبه... **﴿فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾**: ففى الوقت ذاته يحيط هؤلاء الرسل بالأرصاد والحراس من الحفظة، للحفظ والرقابة، يحمونهم من وسوسة الشيطان ونزعه، ومن وسوسة النفس وتمنيتها، ومن الضعف البشرى في أمر الرسالة، ومن النسيان والانحراف، ومن سائر ما يعترض البشر من النقص والضعف... **﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾**:

فعل الله هذا بالرسل ليظهر علم الله للبشر: أنّ الرسل أبلغوا رسالات ربهم. . . ﴿**وأحاط بما لديهم**﴾: أحاط الله بما لدى الرسل من الوحى إحاطة كاملة بالحفظ والرعاية والرقابة التامة، حتى لا يختلط الوحى بالأوهام والخيالات. . . ﴿**وأحصى كل شىء عددا**﴾: وعلم الله محيط بكل شىء، فلا يخفى على الله منهم شىء، ولا يقتصر علم الله بما لدى الرسل فقط، بل يحيط بكل شىء إحصاءً وعدًّا!.

7 ـ أظهر ما في سورة المزمل، قيام الليل بترتيل القرآن والتبتّل



النص

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المزمل (1) قم الليل إلا قليلا (2) نصفه أو انقص منه قليلا (3)
أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا (4) إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا (5)
إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا (6) إن لك في النهار سبحا
طويلا (7) واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا (8) رب المشرق والمغرب
لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا (9) واصبر على ما يقولون واهجرهم
هجرا جميلا (10) وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا (11)
إن لدينا أنكالا وجحيما (12) وطعاما ذا غصة وعذابا أليما (13)
يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا (14)
إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا (15)
فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا (16) فكيف تتقون
إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا (17) السماء منفطر به كان وعده
مفعولا (18) إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا (19)

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿20﴾﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**ياأيّها المزمل**﴾: نداء من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ بوصف ما حصل له عند مفاجأة الوحى، فرجع إلى خديجة وبوادره ترجف، فقال زملونى زملونى!. المزمل: المتعمم بالعمامة التي تلف على الرأس... ﴿**قم الليل إلاّ قليلا. نصفه. أو انقص منه قليلا. أو زد عليه**﴾: أمر الله رسوله بقيام الليل ـ بالصلاة ـ، نصفه أو أقل منه أو أكثر من النصف، وهو اختيار الثلث أو النصف أو الثلثين كما يأتى بيانه آخر السورة... ﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾: اقرإ القرآن على تؤدة وتبيين الحروف، وحفظ الوقوف. والشىء المرتل: المتساوى المتتابع بعضه إثر بعض... ﴿**إنّا سنلقى عليك قولا ثقيلا**﴾: سنوحى إليك يا محمد قرآنا له وزن وقيمة، فليس قولا تافها مثل قول الناس، لما فيه من الأوامر والنواهى بالأدلة القوية والتوجيه الجادّ القاطع! ..﴿**إن ناشئة الليل هي أشد وطئًا وأقوم قيلا**﴾: إن عبادة الله في أول الليل لها اعتبارها وقيمتها في القلب واللسان والجوارح، بهدوء البال وخفوت الأصوات وقلة الحركات... ﴿**إن لك في النهار سبحا طويلا**﴾: إن

لك يا محمد في النهار مجالا واسعا تتمكن فيه من قضاء حوائجك التي تهمك... ﴿**واذكر اسم ربك**﴾: داوم على ذكر اسم ربك ليلَ نهار... ﴿**وتبتل إليه تبتيلا**﴾: انقطع إليه، واترك ما عليه الناس من انقطاعهم إلى الدنيا... ﴿**رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا**﴾: هذا هو الملجأ لك، والمطلوب منك من ذكر ربك... ﴿**واصبر على ما يقولون**﴾: اصبر على ما يقول أهل مكة في شأن القرآن وفيك من الإفك والأباطيل... ﴿**واهجرهم هجرا جميلا**﴾: جانبهم ودارهم ولا تكافئهم بما يقولون، وكِلْ أمورهم إلى ربهم... ﴿**وذرني والمكذبين أولي النعمة**﴾: النعمة بالفتح: التنعُّم والتفكُّه، «ونَعْمة كانوا فيها فاكهين»، وبالكسر: المصدر ـ الإنعام ـ أو اسم المصدر ـ نفس النعمة ـ، وبالضم: الفرح والمسرّة بالنعمة... ﴿**ومهّلهم قليلا**﴾: أمهلهم ودعهم زمنا قليلا ـ مدة حياتهم في الدنيا ـ، ثم يوم القيامة يلقون أشد العذاب... ﴿**إن لدينا أنكالا وجحيما. وطعاما ذا غصة. وعذابا أليما. يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا**﴾!: الأنكال: القيود. والغُصّة: حصول الطعام في البلعوم، فلا يستساغ بلعه ولا يمكن ردّه. والكثيب المهيل: التراب الدقيق المتراكم يسهل انتقاله من مكان إلى مكان، كما يرى في كثبان الصحراء... ﴿**إنّا أرسلنا إليكم رسولا**﴾: محمدا ﷺ... ﴿**شاهدا عليكم. كما أرسلنا إلى فرعون رسولا**﴾: موسى ـ عليه السلام ـ... ﴿**فعصى فرعون الرسول**﴾: الذي أرسل إليه... ﴿**فأخذناه أخذا وبيلا**﴾!: فالأخذ الوبيل: الأخذ بالقوة المتناهية في الفظاعة والوخامة. والوبيل: كل ما فيه شدّة وضخامة وكثرة، مأخوذ من الوابل ـ المطر الغزير ـ، والوبال: الداء الشديد... ﴿**فكيف تتقون: إن كفرتم... يوما يجعل الولدان شيبا**﴾: مثل يضرب لشدة الهول!. يقال: يوم يُشيب نواصي الأطفال، لشدة ما فيه من هول... ﴿**السماء منفطر به**﴾: تنفطر السماء بشدة الهول الذي في ذلك اليوم... ﴿**كان وعده مفعولا**﴾: كان وعد الله حقا، لابدّ أن يأتي... ﴿**إنّ هذه تذكرة. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**﴾. ﴿**إن ربك يعلم أنّك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفِه وثلثِه**﴾: وهذا معنى ما تقدم من قوله تعالى: «قم الليل إلاّ قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه»... ﴿**وطائفة من الذين معك**﴾: يقومون هذا القيام... ﴿**والله يقدر الليل والنهار**﴾: فلا يقدر على تقديرهما أحد... ﴿**علم أن لن تحصوه. فتاب عليكم**﴾: رجع عليكم بتخفيف الفرض من

قيام الليل. . . ﴿**فاقرأوا ما تيسر من القرآن. علم أن سيكون منكم مرضى**﴾: فهو سبب آخر في ترك قيام الليل الواجب، ومثله. . . ﴿**وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله. وآخرون يقاتلون في سبيل الله. فاقرأوا ما تيسر منه**﴾: من القرآن. أعاده ليعطف عليه قوله. . . ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة. وأقرضوا الله قرضا حسنا**﴾: قرضا ينفع الفقير دون تقتير ولا تبذير! ..﴿**وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا**﴾: أيَّ خير تقدمونه لأنفسكم تجدونه عند الله خيرا وأعظم أجرا. . . ﴿**واستغفروا الله**﴾: اطلبوا المغفرة من الله، من التقصير في عمل الخير. . . ﴿**إنّ الله غفور رحيم**﴾: ساتر لذنوبكم رحيم بكم، فلا تقصروا في هذا الخير المطلوب منكم، فأنتم في حاجة إلى ستر ذنوبكم ورحمة ربكم!.

مبحث الإعراب

﴿**يا أيُّها**﴾ منادى مبنى على الضم في محل نصب، وها للتنبيه. ﴿**المزمّلُ**﴾ بيان لأيُّ باعتبار لفظها. ﴿**قم**﴾ فعل أمر، والفاعل ضمير المزمّل. ﴿**الليل**﴾ مفعول به، وحرك قُم بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿**إلاّ قليلا**﴾ منصوب على الاستثناء من الليل. ﴿**نصفَه**﴾ بدل من الليل. ﴿**أو انقص**﴾ معطوف على ما قبله، وهو فعل أمر، أى: قم نصف الليل أو انقص. ﴿**منه**﴾ متعلق بانقص. ﴿**قليلا**﴾ مفعول به. ﴿**أو زد**﴾ معطوف على انقص. ﴿**عليه**﴾ متعلق بزد. ﴿**ورتّل**﴾ فعل أمر معطوف على قم، والفاعل هو الفاعل. ﴿**القرآنَ**﴾ مفعول به. ﴿**ترتيلا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**سنلقى**﴾ فعل مضارع، والسين دال على الاستقبال، والفاعل نحن. ﴿**عليك**﴾ متعلق بسنلقى. ﴿**قولا**﴾ مفعول به. ﴿**ثقيلا**﴾ نعت له، والجملة خبر إنّ. ﴿**إنّ ناشئةَ**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الليل**﴾ مضاف إلى ناشئة. ﴿**هي**﴾ ضمير فصل. ﴿**أشدُّ**﴾ خبر إنّ. ﴿**وطْئًا**﴾ تمييز. ﴿**وأقومُ قيلاً**﴾ معطوف على أشدُّ وَطْئًا. ﴿**إنّ لك في النهار**﴾ متعلقان بمحذوف خبر إن مقدّم. ﴿**سبحا**﴾ اسمها مؤخّر. ﴿**طويلا**﴾ نعت لسبحا، وهذه الجملة والتى قبلها تعليل أيضا. ﴿**واذكر**﴾ فعل أمر معطوف على قم وما عطف عليه. ﴿**اسمَ**﴾ معمول اذكر. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى اسم. ﴿**وتبتل**﴾ فعل أمر معطوف على اذكر. ﴿**إليه**﴾ متعلق بتبتل. ﴿**تبتيلا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ربُّ**﴾ مبتدأ. ﴿**المشرقِ**﴾ مضاف إلى رب.

﴿**والمغرب**﴾ معطوف على المشرق. ﴿**لا إله**﴾ لا واسمها. ﴿**إلا هو**﴾ في محل رفع خبر لا، والجملة خبر ربُّ. ﴿**فاتخذه**﴾ فعل أمر مرتب بالفاء على ما قبله. ﴿**وكيلا**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**واصبر**﴾ معطوف على فاتخذه. ﴿**على ما**﴾ متعلق باصبر. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**واهجرْهم**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**هجرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**جميلا**﴾ نعت له. ﴿**وذرنى**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**والمكذبين**﴾ منصوب على المعيّة. ﴿**أولى**﴾ نعت للمكذبين.

﴿**النعمةِ**﴾ مضاف إلى أولى. ﴿**ومهّلهم**﴾ معطوف على ذرنى. ﴿**قليلا**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**إنّ لدينا**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**أنكالاً**﴾ اسم إنّ مؤخر. ﴿**وجحيما**﴾ معطوف على أنكالا. ﴿**وطعاما**﴾ كذلك. ﴿**ذا**﴾ نعت لطعاما منصوب بالألف. ﴿**غُصّةٍ**﴾ مضاف إلى ذا. ﴿**وعذابا**﴾ عطف على أنكالا. ﴿**أليما**﴾ نعت لعذابا. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بما تعلق به لدينا. ﴿**ترجُف الأرض**﴾ فعل وفاعل، والجملة مضافة إلى يوم. ﴿**والجبال**﴾ معطوف على الأرض. ﴿**وكانت الجبالُ**﴾ كان واسمها. ﴿**كثيبا**﴾ خبرها. ﴿**مهيلا**﴾ نعت لكثيبا. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أرسلنا**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر إنّ. ﴿**إليكم**﴾ متعلق بأرسلنا. ﴿**رسولا**﴾ مفعول به. ﴿**شاهدًا**﴾ نعت له. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بشاهد. ﴿**كما**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق، وما في محل جر بالكاف. ﴿**أرسلنا**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. إلى فرعون متعلق بأرسلنا. ﴿**رسولا**﴾ مفعول به. ﴿**فعصى فرعونُ الرسولَ**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة مرتبة على أرسلنا. ﴿**فأخذناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة مرتبة على فعصى. ﴿**أخذا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وبيلا**﴾ نعت له. ﴿**فكيف**﴾ في محل نصب. ﴿**تتقون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**إن كفرتم**﴾ جملة شرطية جوابها مقدر، يدل عليه فكيف تتقون. ﴿**يوما**﴾ مفعول بتتقون. ﴿**يجعلُ**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على اليوم. ﴿**الولدانَ**﴾ مفعول أول بيجعل. ﴿**شيبا**﴾ مفعول ثانٍ به، وجملة يجعل الولدان شيبا نعت لليوم. ﴿**السماءُ**﴾ مبتدأ. ﴿**منفطر**﴾ خبره. ﴿**به**﴾ متعلق بمنفطر. ﴿**كان وعده**﴾ كان واسمها. ﴿**مفعولا**﴾ خبرها. ﴿**إنّ هذه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**تذكرةٌ**﴾ خبر إنّ. ﴿**فمن شاء**﴾ جملة شرطيّة، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**اتخذ**﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير مثل فاعل شاء، والجملة جواب الشرط. ﴿**إلى ربه**﴾ متعلق باتخذ. ﴿**سبيلا**﴾ مفعول به. ﴿**إنّ ربَّك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يعلم**﴾ فعل مضارع، والفاعل

ضمير يعود على ربك، والجملة خبر إنّ. ﴿**أنّك**﴾ أنّ واسمها. ﴿**تقوم**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المخاطب، والجملة خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يعلم. ﴿**أدنى**﴾ ظرف منصوب بفتحة مقدرة على الألف، متعلق بتقوم. ﴿**من ثلثى**﴾ متعلق بأدنى. ﴿**الليل**﴾ مضاف إلى ثلثى. ﴿**ونصفِه**﴾ معطوف على ثلثى الليل.

﴿**وثلثه**﴾ كذلك. و﴿**طائفة**﴾ معطوف على فاعل تقوم، أى: تقوم أنت وطائفة. ﴿**من الذين**﴾ متعلق بمحذوف نعت لطائفة. ﴿**معك**﴾ متعلق بمحذوف صلة الذين. ﴿**واللهُ**﴾ مبتدأ. ﴿**يقدّر**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**الليلَ**﴾ مفعول به. ﴿**والنهار**﴾ معطوف عليه. ﴿**علم**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**أن**﴾ مخفّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿**لن تحصوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى الناصب، وجملة لن تحصوه خبر أن المخففة، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول به، أى: علم عدم إحصائكم إياه. ﴿**فتاب**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**عليكم**﴾ متعلق بتاب، والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**فاقرأوا**﴾ أمر للمخاطبين، مرتب على ما قبله. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول. ﴿**تيسّر**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**من القرآن**﴾ متعلق بتيسّر، وجملة تيسّر صلة ما. ﴿**علم أن**﴾ مثل علم أن السابقة. ﴿**سيكون**﴾ فعل مضارع تام. ﴿**منكم**﴾ متعلق بيكون. ﴿**مرضى**﴾ فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الألف، وجملة سيكون منكم مرضى خبر أنْ، واسمها ضمير الشأن، والمصدر المؤوّل مع أن مفعول بعلم. ﴿**وآخرون**﴾ معطوف على مرضى. ﴿**يضربون**﴾ فعل وفاعل، والجملة نعت لآخرون. ﴿**فى الأرض**﴾ متعلق بيضربون. ﴿**يبتغون**﴾ فعل وفاعل، والجملة حال من فاعل يضربون. ﴿**من فضل**﴾ متعلق بيبتغون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى فضل. ﴿**وآخرون يقاتلون**﴾ إعراب هذا مثل إعراب وآخرون يضربون. ﴿**فى سبيل**﴾ متعلق بيقاتلون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى سبيل. ﴿**فاقرأوا ما تيسر منه**﴾ مثل ما تقدم من إعراب فاقرأوا ما تيسر من القرآن. ﴿**وأقيموا**﴾ أمر للمخاطبين من أصحاب الرسول. ﴿**الصلاة**﴾ مفعول به. ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**وأقرضوا الله**﴾ مثل أقيموا الصلاة في الإعراب. ﴿**قرضا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**حسنا**﴾ نعت له. ﴿**وما تقدموا**﴾ جملة شرطية.

﴿**لأنفسكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**من خير**﴾ بيان لما. ﴿**تجدوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب الشرط. ﴿**عند**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**خيرا**﴾ مفعول ثان بتجدوه. ﴿**وأعظمَ**﴾ معطوف على المفعول الثانى. ﴿**أجرًا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**واستغفروا**﴾ أمر للمخاطبين. ﴿**الله**﴾ معمول لاستغفروا. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**غفورٌ رحيمٌ**﴾ خبر بعد خبر، والجملة تعليل لطلب الاستغفار.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**يأيّها المزمل قم الليل إلاّ قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه**﴾: ففى هذا الكلام كلمة السر، بأنّه رسول الله إلى الناس كما قالت خديجة أوّل ما أخبرها بما حصل له، وكما قال له ورقة بأنّ ما أتاه هو الذي أتى إلى موسى، فعندما جاء إلى خديجة وقال: زملونى، لم يكن يسمعه أحد، وعندما جاءه الوحى بإعلان ما قال فقد علم علم اليقين بأنّه رسول الله إلى الناس!. وهذه السورة جاءت بعد سورة الجن في ترتيب المصحف، لأنّ سورة الجن إعلام من رسل الجن ـ النفرـ أنّهم سمعوا هذا القرآن العجب الذي يهدى إلى الرشد، وهو القرآن الثقيل الوزن العجيب التركيب في لفظه ومعناه، وهو القرآن العجيب الذي يجب ترتيله والقيام به في أوقات العبادة المهيأة لفهمه في صلاة الليل!. فقوله. . . ﴿**ورتّل القرآن ترتيلا**﴾: في تلك الصلاة المفروضة عليه وعلى من آمن به في ذلك الوقت، وعلله بقوله. . . ﴿**إنّا سنلقى عليك قولا ثقيلا. إنّ ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلاً**﴾: استئناف بيانى لما في قوله: إنّا سنلقى عليك قولا ثقيلا، بعد أمره بقيام نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه، وأمره بترتيل القرآن فيه. والكلام مؤكّد من عدة وجوه: بالنون المؤكِّدة، وكلمة ناشئة مصدر جئ به للمبالغة، وكلمة الفصل ـ هي ـ، وأفعل التفضيل في أشدُّ وأقوم، وتمييز أشد وطئا، وأقوم قيلاً. كل هذه الكلمات حوافز ودوافع للاهتمام بقيام الليل في أول أيام البعثة استعدادا لتهيئة الجسم وحفز النفس للأمر المهم، وقوله. . . ﴿**إن لك في النهار سبحا طويلا**﴾: زيادة في طلب الاستعداد لما سيلقى إليه من الأمر الخطير، فالرسول ﷺ يدعى لهذا كله ليل نهار تمهيدا لقوله. . . ﴿**واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا**﴾: فالرسول لم يكن له شغل غير عبادة ربه وترتيل كتابه، والاطلاع على مراميه وأغراضه،

فالانقطاع لله هو المطلوب منه. وقد كان محمد ﷺ قبل أن يأتيه الوحى مستعدا لهذا كله، فقد كان يختلى بنفسه بعيدا عن مجتمعه الضال الغارق في مطالب الدنيا وزخارفها، يعبد ربه ذاكرا له حسب ما له من الفطرة السليمة، وبقية ما لدين إبراهيم ـ عليه السلام ـ من تحنث وتبتل وتحنف، مما عرفه بعض المؤمنين الباقين على فطرة الدين الحنيف!... ﴿**رب المشرق والمغرب لا إله إلاّ هو. فاتخذه وكيلا**﴾!. ولمّا ذكر التبتّل، وهو الانقطاع إلى الله عما عداه، ذُكر بعده ما يفيد أنّه ليس في الكون إلاّ الله، يتجه إليه من يريد الاتجاه، فالرسول الذي يُنادَى: قم، لينهض بعبئه الثقيل في حاجة ابتداءًا ؛ للتبتل لله والاعتماد عليه دون سواه، فمن هنا يستمد القوة والزاد للعبء الثقيل في الطريق الطويل!.

ثم وجه اللهُ الرسولَ إلى الصبر الجميل على ما يلقاه من قومه من الإعراض والصد والتعطيل... ﴿**واصبر على ما يقولون. واهجرهم هجرا جميلا**﴾: فيجئ التوجيه إلى الصبر بعد التوجيه إلى القيام والتبتل والذكر، فكلاهما شاق وعسير، واهجرهم هجرا جميلا: وصل هذا الكلام بالعطف على ما قبله، لأن الهجر الجميل مع التطاول والتكذيب يحتاج إلى الصبر بعد الذكر، فكانت هذه التوجيهات هي خطة الدعوة في مكة اصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا، وخلّ بينى وبين المكذبين، فأنا كفيل بهم... ﴿**وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهّلهم قليلا**﴾!: فاسترح أنت من التفكير في شأن المكذبين المترفين!. ثم علّل ذلك الأمر بقوله... ﴿**إن لدينا أنكالا وجحيما. وطعاما ذا غصة وعذابا أليما**﴾!: فكل هذه جزاء مناسب لأولى النعمة. ثم يرسم السياق مشهد هذا اليوم المخيف... ﴿**يوم ترجف الأرض والجبال. وكانت الجبال كثيبا مهيلا**﴾: فهاهى ذى صورة للهول تتجاوز الناس إلى الأرض في أكبر مجاليها، فترجف وتتفتّت وتنهار، فكيف بالناس المهازيل الضعاف ؟!. ويلتفت السياق أمام مشهد الهول المفزع إلى المكذبين أولى النعمة يذكرهم بحال فرعون الجبار، وكيف أخذه الله أخذ عزيز قهّار... ﴿**إنّا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم. كما أرسلنا إلى فرعون رسولا. فعصى فرعون الرسول. فأخذناه أخذا وبيلا**﴾!: فهذا أخذ الدنيا، وذلك أخذ الآخرة، فكيف تنجون بأنفسكم وتَقُوهَا هذا الهول الرهيب ؟! ..﴿**فكيف تتقون: إن كفرتم... يوما يجعل الولدان شيبا. السماء منفطر به**﴾؟!: فإنّ صورة الهول هنا لتنشق لها السماء، ومن قبل رجفت لها الأرض والجبال، ومن هولها تَشيب الولدان!، وإنّه

لهول ترتسم صوره في الطبيعة الصامتة، وفى الإنسانية الحيّة، في مشاهد ينقلها السياق القرآنى إلى حسّ المخاطبين كأنها واقعة. ثم يؤكّدها تأكيدا... ﴿**كان وعده مفعولا**﴾. وأمام هذا الهول الذي يتمثل في الكون كما يتمثل في النفس، يلمس قلوبهم لتتذكر وتتدبر وتختار طريق السلامة ؛ طريق الله... ﴿**إنّ هذه تذكرة. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**﴾: فطريق الله مفتوح، فمن شاء سلوكه فليأخذ السير في هذا الطريق...

﴿**إنّ ربك يعلم أنّك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك**﴾: هذا الشطر الثانى من السورة يأتى بتخفيف ما وقع في الشطر الأول منها، وهو: قيام الليل ـ نصفه أو ثلثه أو ثلثيه ـ، ففى هذا الشطر من البلاغة رد العجز على الصدر، وفى آخر الآية براعة المقطع. وهذه الآية هنا هي أطول آية في القرآن بعد آية الدين، وبعد هذه الآية آية الكرسى ففى هذه الآية لمسة التخفيف التي تمسح التعب والنصب على النفس التي لم تتعوّد مشقّة السهر والتهجد بالتبتيل والترتيل، فربك قد علم ما قمت به، وما قام به أصحابك معك... ﴿**والله يقدّر الليل والنهار**﴾: هذه الجملة وصلت بالعطف على جملة يعلم أنّك تقوم، ليكون التخفيف له سبب يقتضيه، وفى هذه الجملة حصر العلم لله في تقدير الوقت المحدد بالثانية والدقيقة، فلا يقدر على تقديرها أحد... ﴿**فتاب عليكم**﴾: مرتب على ما تقدم من اختصاص الله تعالى بعلم مقادير الزمان... ﴿**فاقرأوا ما تيسر من القرآن**﴾: فقوموا من الليل ما تيسر بقراءة ما تيسر من القرآن... ﴿**علم أن سيكون منكم مرضى**﴾: وجه آخر من وجوه سبب التخفيف... ﴿**وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله. وآخرون يقاتلون في سبيل الله**﴾: فكل هذه أسباب تقتضى التخفيف مما فرض عليكم من قيام نصف الليل أوثلثه أوثلثيه... ﴿**فاقرأوا ما تيسر منه. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا. وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله. هو خيرا وأعظم أجرا. واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم**﴾!. فما بعد هذا الكلام كلام!. ولا بعد هذا التوضيح توضيح. ومن أحسن من الله حديثا ؟!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**ياأيّها المزمل قم الليل ـ إلاّ قليلا ـ. نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد**

عليه﴾: فهذه السورة من السور الأوائل جاءت لتبين للرسول محمد ﷺ صحة رسالته بالدليل القاطع ـكلمة السرـ: يا أيّها المزمل يذكره ما حصل له حين جاء إلى خديجة يرجف فؤاده خشية ما لقى في بدء نزول الوحى من مجئ جبريل له في غار حراء، وألقى عليه أول ما ألقى: اقرأ باسم ربك الذي خلق ..الخ، فقال زملونى زملونى، ولتبين له كيفية الاستعداد لما سيلقى إليه من القول الثقيل والأمر الجليل، وليكون على استعداد كامل بما يجب لهذا القرآن من تأهب وعناية ورعاية في آدائه وتبليغه للناس... **﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾**. **﴿إنّا سنلقى عليك قولا ثقيلا﴾**: هذا القرآن وما وراءه من التكاليف ثقيل في ميزان الحق، وثقيل في أثره في القلب، وإنّ تلقى هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل... **﴿إنّ ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا! إنّ لك في النهار سبحا طويلا. واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا. رب المشرق والمغرب لا إله إلاّ هو فاتخذه وكيلا﴾**: فالرسول ﷺ الذي يناديه ربه لينهض بعبئه الثقيل في حاجة ابتداءًا للتبتل لله، والاعتماد عليه دون سواه، فمن هذه التوجيهات يستمد القوة والزاد للعبء الثقيل في الطريق الطويل، ولأجل هذا كله يأتى الأمر بالصبر والهجر الجميل، على ما يسمع من قومه من القول الهزيل... **﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا﴾**: فالتوجيه إلى الصبر بعد التوجيه إلى القيام والذكر، كلاهما شاق عسير، والهجر الجميل مع التطاول والتكذيب يحتاج إلى الصبر بعد الذكر. والصبر هو الوصية من الله لكل رسول من رسله مرّة ومرّة ومرّة، فما يمكن أن يقوم على هذه الدعوة أحد إلاّ والصبر زاده وعتاده، والصبر جُنّته وسلاحه، والصبر ملجؤه وملاذه... **﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا. إنّ لدينا أنكالا وجحيما. وطعاما ذا غصّة وعذابا أليما. يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾**. فاصبر على ما يقولون: واتركهم في طغيانهم يعمهون، وخلّ بينى وبينهم، فأنا عليم بما يقولون ويفعلون، فإنّ عندنا قيودا تنكل بهم وتؤذيهم، وجحيما تجحمهم وتصليهم، وطعاما تلازمه الغصّة في الحلق والبلعوم، وعذابا أليما في يوم مخيف معلوم! ..**﴿إنّا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم. كما أرسلنا إلى فرعون رسولا. فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا﴾**: إنّا أرسلنا إليكم يا أهل مكة رسولا ـ محمدا ـ شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ـ موسى عليه السلام ـ، فعصيتم محمدا كما عصى فرعون

موسى، فأخذناه أخذا وبيلا، وأنتم كذلك ستؤخذون أخذا وبيلا ؛ هزيمة في الدنيا وقهرا، وعذابا في الآخرة شديدا منكرا. . . ﴿**فكيف تتقون: إن كفرتم. . . يوما يجعل الولدان شيبا. السماء منفطر به. كان وعده مفعولا ؟!. إنّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**﴾: فهذه هي التذكرة التي تذكر المؤمن، وتحذر المنكر المغتر من هول ما يقع في ذلك اليوم المنتظر، وإن هي إلاّ مهلة قصيرة إلى أجل معلوم، ثم يقضى الأمر حينما يجيء الأجل، ويأخذ الله أعداءه المكذبين بالنكال والجحيم والعذاب الأليم!. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يدع أولياءَه لأعدائه، ولو أمهل أعداءه إلى حين. . . ومهلهم قليلا: فالحياة كلها قليل بالنسبة لما عند الله «وإنّ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون»، فإنّ الحياة كلها يوما أو بعض يوم في حساب الله!. «وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب»، حتى في حساب الناس أنفسهم عندما يسألون يوم القيامة: «كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟. قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم. فاسأل العادين!.»، فهذه تذكرة ما بعدها تذكرة. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا! ..﴿**إنّ ربك يعلم أنّك تقوم أدنى من ثلثى الليل. ونصفه وثلثه. وطائفة من الذين معك**﴾: لقد علم منك ربك أنّك قمت بالأمر الواجب كما طلب منك: قم الليل إلاّ قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه، فما كان الله يريد لرسوله أن يشقى بهذا القرآن: «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى»، فلا يكن في صدرك حرج منه، إنما كان يريد أن يُعدّه للأمر العظيم، الذي سيواجهه طوال ما بقىَ له من الحياة!، هو والمجموعة القليلة من المؤمنين الذين قاموا معه، فظهروا على ساحة التاريخ أبطالا مغاوير!، علماء نحارير! ..﴿**والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه. فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن. علم أن سيكون منكم مرضى. وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله. وآخرون يقاتلون في سبيل الله**﴾: لقد خفف الله على النبئ والذين معه من قيام الليل الذي استمر مدة طويلة، ثم جاء التخفيف بندب قيام الليل لمن شاء القيام بعد فرض الصلوات الخمس، وبعد فرض الجهاد في طلب الرزق والقتال في سبيل الله! ..﴿**فاقرأوا ماتيسر منه. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾: فهذا هوالمطلوب منكم. . . ﴿**وأقرضوا الله قرضا حسنا. وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجراً واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم**﴾: فياله من ختام آخر هذا الكلام!

8 - يا أيها المدثر، قم فأنذر!



النص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿1﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿2﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿3﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿4﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿5﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿6﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿7﴾ فَإِذَا نُقِرَ
فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿8﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿9﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿10﴾ ذَرْنِى وَمَنْ
خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿11﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿12﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿13﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ
تَمْهِيدًا ﴿14﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿15﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿16﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿17﴾
إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿18﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿19﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿20﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿21﴾
ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿22﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿23﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿24﴾
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿25﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿26﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿27﴾
لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿28﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿29﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿30﴾
* وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿31﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿32﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿33﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿34﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿35﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿36﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿37﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿38﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿39﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿40﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿41﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿42﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿43﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿44﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿45﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿46﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿47﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿48﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿49﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿50﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿51﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿52﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿53﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿54﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿55﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿56﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**يا أيّها المدّثر**﴾: المتدثّر بالدّثار، وهو اللحاف الذي يغطى جميع الجسم... ﴿**قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر. ولا تمنن تستكثر. ولربك فاصبر**﴾: فكل الكلمات في هذه الآيات واضحات.. ﴿**فإذا نقر في الناقور**﴾: نفخ في الصور النفخة الثانية، والنقر: التصويت القويّ... ﴿**فذلك يومئذ يوم عسير**﴾: شديد الوقع... ﴿**على الكافرين غير يسير. ذرني ومن خلقت**

وحيدا﴾: فريدا دون مال ولا بنين... **﴿وجعلت له مالا ممدودا﴾**: مبسوطا كثيرا، من كل أنواع المال... **﴿وبنين شهودا﴾**: حضورا معه يتمتع بمشاهدتهم، لا يفارقونه للتصرف في عمل... **﴿ومهدت له تمهيدا﴾**: وبسطت له الرياسة والجاه... **﴿ثم يطمع أن أزيد﴾**: ثم يطمع في الزيادة على ما أوتيه... **﴿كلا!. إنّه كان لآياتنا عنيدا﴾**: معاندا مخالفا لما جاء به القرآن من الآيات البينات على صدق الرسول محمد ﷺ... **﴿سأرهقه صعودا﴾**: عقبة شاقة يتعنتها ويذوق عقابها الشديد... **﴿إنّه فكّر﴾**: فكّر ماذا يقول في شأن القرآن... **﴿وقدّر﴾**: وهيّأ في نفسه ما يقوله... **﴿فقتل﴾**: هلك... **﴿كيف قدّر!. ثم قتل كيف قدّر﴾!**: دعاء عليه باللعن والطرد والهلاك والبعد... **﴿ثم نظر﴾**: نظر في القرآن مرة بعد مرة... **﴿ثم عبس﴾**: كلح وجهه...

﴿وبسر﴾: تغيّر وجهه وتلون زيادة في الكلوح والعبوس... **﴿ثم أدبر﴾**: أعرض عن الحق واستكبر، **﴿فقال﴾** عن القرآن بعد طول الفكر وطول النظر وما اعتراه من الهم والنكد... **﴿إن هذا إلاّ سحر يؤثر﴾**: فهذا الكلام الذي يقوله محمد سحر منقول ومأثور عن أهل السحر الأوائل... **﴿إن هذا إلاّ قول البشر﴾**: فليس كلاما منزلا من عند الله... **﴿سأصليه سقر﴾**: علم على جهنم... **﴿وما أدراك ما سقر﴾؟ .﴿لا تبقى ولا تذر. لواحة للبشر. عليها تسعة عشر﴾**: فهي نار لا تترك شيئا ولا تبقيه على حاله، بل تحرق البشر، جمع بشرة وتغيره إلى قترة وسواد، وعليها ملائكة غلاظ شداد، عدتهم تسعة عشر! ..**﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾**: لا بشرًا... **﴿وما جعلنا عدّتهم﴾**: تسعة عشر... **﴿إلا فتنة﴾**: اختبارا وامتحانا... **﴿للذين كفروا. ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾**: لأن في التوراة والإنجيل قبل التغيير هذا العدد... **﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾**: لتوافق القرآن مع التوراة والإنجيل... **﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب﴾**: اليهود والنصارى... **﴿والمؤمنون﴾**: المسلمون... **﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾**: المنافقون **﴿والكافرون... ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟!. كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء﴾**: جواب لسؤال ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟. يضل من شاء إضلالا مثل ذلك الإضلال، ويهدى من يشاء هداية مثل تلك الهداية... **﴿وما يعلم جنود ربك إلاّ هو﴾**: فهو وحده العالم بها تفصيلا؛ كما وكيفا وهيئة وحالا... **﴿وما هي إلاّ ذكرى للبشر﴾**: ما ذكر عدة خزنة جهنم وتحديدها إلاّ

تذكرة وموعظة وتحذيرا وإنذارا. . . ﴿**كلاّ!. والقمر. والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر إنّها لإحدى الكبر**﴾: قسم بعظمة هذه المخلوقات الثلاث على أن الأمر أكبر وأكثر مما يتصور، فهذه إحداها. . . ﴿**نذيرًا للبشر**﴾: حال كون هذا الأمر نذيرًا للناس، فليعتبر من يعتبر. . . لمن شاء منكم أن يتقدم: يعمل خيرا. . . ﴿**أو يتأخر**﴾: بالتواطؤ وترك التسابق. . . ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾: مرهونة بكسبها لا من كسب أحد آخر. . . ﴿**إلاّ أصحاب اليمين. في جنّات**﴾: هم في جنّات، ليس لهم أعمال سيّئة ترهنهم. . . ﴿**يتساءلون عن المجرمين. ما سلككم في سقر ؟!. قالوا: لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذّب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين**﴾!: فهذا كله هو السبب في دخولهم سقر. . . ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾: فمالهم من شافعين ولا صديق حميم! ..﴿**فمالهم عن التذكرة معرضين ؟. كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة**﴾: فهو تشبيه المعرضين عن القرآن بحمر الوحوش، عندما تستنفرها وتفزعها صورة الأسد المقبلة، والقسورة مأخوذة من القسوة وقوة السطوة بالغير، خصوصا بفصيلة الحمير! ..﴿**بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة. كلا!. بل لا يخافون الآخرة**﴾: هذا هو السبب في إعراضهم عن التذكرة. . . ﴿**كلا!. إنه تذكرة**﴾: القرآن تذكرة لمن يتذكر، وعبرة لمن يعتبر. . . ﴿**فمن شاء ذكره**﴾: فمن شاء أن يذكر القرآن ذكره، وحاز بسببه سعادة الدارين. . . ﴿**وما تذكرون إلاّ أن يشاء الله**﴾: ذكر العبد معلق بمشيئة الله تعالى. . . ﴿**هو أهل التقوى**﴾: هو أهل بأن يُتقى رَهْبَةً. . . ﴿**وأهل المغفرة**﴾: أهل بأن ترجى رحمته ومغفرته رغبة فيما عنده.

مبحث الإعراب

﴿**يا أيها المدثّر**﴾ إعرابه مثل إعراب ياأيها المزمل. ﴿**قُمْ**﴾ فعل أمر، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**فأنذر**﴾ مرتب بالفاء على قم، وفاعله هو فاعل قم. ﴿**وربَّك**﴾ معمول مقدم لكبر، والفاء رابط للكلمتين. ﴿**فكبّر**﴾ مرتب على فأنذر. ﴿**وثيابك فطهر**﴾ مثل وربك فكبر. ﴿**والرجز فاهجر**﴾ كذلك. ﴿**ولا تمنن**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**تستكثرُ**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المخاطب كذلك، والجملة حال من فاعل تمنن. ﴿**ولربك**﴾ متعلق بما

بعده. ﴿**فاصبر**﴾ فعل أمر مثل: قم، وأنذر. ﴿**فإذا**﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه منصوب بجوابه. ﴿**نقر**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. ﴿**فى الناقور**﴾ نائب الفاعل. ﴿**فذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بعسير الآتى. ﴿**يومٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**عسيرٌ**﴾ نعت ليوم، والجملة جواب شرط إذا، والفاء رابط. ﴿**على الكافرين**﴾ متعلق بعسير، والمعنى: فإذا نقر في الناقور فذلك يوم عسير على الكافرين يومئذ!، وجملة فإذا نقر في الناقور تعقيب بالفاء على قوله: ولربك فاصبر. ﴿**غيرُ**﴾ نعت ثان ليوم. ﴿**يسير**﴾ مضاف إلى غير.

﴿**ذرنى**﴾ فعل أمر، والفاعل ضمير يعود على كل مخاطب، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به في محل نصب. ﴿**ومن**﴾ في محل نصب معطوف على ياء المتكلم في ذرنى. ﴿**خلقت**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة مَنْ، والعائد محذوف، أى: خلقته. ﴿**وحيداً**﴾ حال من الضمير العائد على مَنْ. ﴿**وجعلت**﴾ معطوف على خلقت. ﴿**له**﴾ متعلق بجعلت. ﴿**مالا**﴾ مفعول به. ﴿**ممدودا**﴾ نعت له. ﴿**وبنين شهودا**﴾ معطوف عليه. ﴿**ومهدت**﴾ معطوف على جعلت. ﴿**له**﴾ متعلق بمهدت. ﴿**تمهيدا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ثم يطمع**﴾ فعل مضارع معطوف بثم على ما قبله، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**أن أزيدَ**﴾ فعل مضارع منصوب بأن، والفاعل ضمير المتكلم ـأناـ، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بفى متعلق بيطمع، أى: ثم يطمع بعد هذا في الزيادة. ﴿**كلاَّ!**﴾ حرف ردع وزجر. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ اسمها ضمير يعود على مَن. ﴿**لآياتنا**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**عنيدا**﴾ خبر كان، وجملة كان لآياتنا عنيدا خبر إنّ، وجملة إنّه كان لآياتنا عنيدا بيان لما قبله. ﴿**سأرهقه**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول أول، والفاعل ضميرالمتكلم. ﴿**صعودا**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**فكّر**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ خلقت، والجملة خبر إنّ، وجملة إنّه فكّر تعليل لقوله: سأرهقه صعودا. ﴿**وقدّر**﴾ معطوف على فكّر. ﴿**فقُتل**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول مرتب على ما قبله، ونائب الفاعل ضمير المفكّر والمقدّر .﴿**كيف**﴾ في محل نصب. ﴿**قدّر**﴾ فعل ماض. ﴿**ثمّ قتل كيف قدّر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر**﴾ أفعال مرتبة بثم على بعضها، وفاعل كلٍّ ضمير يعود على من خلقت وحيدا. ﴿**فقال**﴾ تعقيب على الجمل السابقة. ﴿**إنْ هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ دخل عليه حرف النفى. ﴿**إلاّ سحرٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**يُؤثرُ**﴾ فعل مضارع

مبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على سحر، والجملة نعت له. ﴿**إنْ هذا إلا قولُ**﴾ إعرابه مثل إعراب إن هذا إلا سحر يؤثر. ﴿**البشر**﴾ مضاف إلى قول، وهذه الجملة والتى قبلها مقول القول. ﴿**سأصليه**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول أول، والفاعل ضميرالمتكلم. ﴿**سقرَ**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**أدراك**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول أول، والفاعل ضمير يعود على ما، وجملة أدراك خبر المبتدإ، والجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**سقرُ**﴾ خبر المبتدإ، وجملة ما سقر في محل نصب مفعول ثانٍ بأدراك. ﴿**لا تبقى**﴾ فعل مضارع منفى بلا، والفاعل ضمير يعود على سقر، والجملة تفسير لسقر. ﴿**ولا تذر**﴾ معطوف على لا تبقى. ﴿**لوّاحةٌ**﴾ خبر لمبتدإ محذوف، أي: هي لواحة. ﴿**للبشر**﴾ متعلق بلوّاحة، والجملة بيان لسقر. ﴿**عليها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**تسعةَ عشرَ**﴾ مبتدأ مؤخر مبنى على الفتح لأنه عدد مركب، وهذا بيان آخر لسقر. ﴿**وما جعلنا أصحاب**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى. النار مضاف إلى أصحاب. ﴿**إلا ملائكة**﴾ مفعول به. ﴿**وما جعلنا عدتهم إلا فتنة**﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب. ﴿**للذين**﴾ متعلق بفتنة. ﴿**كفروا**﴾ صلة الموصول. ﴿**ليستيقن**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل بيستيقن. ﴿**أوتوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿**الكتابَ**﴾ مفعول به. ﴿**ويزداد الذين آمنوا**﴾ معطوف على ليستيقن الذين أوتوا الكتاب. ﴿**إيمانا**﴾ مفعول به. ﴿**ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب**﴾ معطوف على ما قبله مؤكد له، وإعرابه واضح. ﴿**والمؤمنون**﴾ معطوف على الذين أوتوا الكتاب. ﴿**وليقول**﴾ معطوف على ليستيقن وما عطف عليه. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع فاعل يقول. ﴿**فى قلوبهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**مرض**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الذين. ﴿**والكافرون**﴾ معطوف على الذين في قلوبهم مرض. ﴿**ماذا**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**أراد اللهُ**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**بهذا**﴾ متعلق بأراد. ﴿**مثلا**﴾ مفعول به، وجملة ماذا أراد الله بهذا مثلا مقول القول. كذلك الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر، وذلك في محل جر بالكاف. ﴿**يضلُّ اللهُ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**مَنْ**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يشاء**﴾

فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة صلة مَنْ. **﴿ويهدى من يشاء﴾** معطوف على يضل الله من يشاء. **﴿وما يعلم﴾** فعل مضارع منفى بما. **﴿جنودَ﴾** مفعول به. **﴿ربك﴾** مضاف إلى جنود. **﴿إلا هو﴾** في محل رفع فاعل، وإلاّ ملغاة لا عمل لها، والجملة معطوفة على جملة عليها تسعة عشر والجمل المعطوفة قبلها. **﴿وما هِىَ﴾** في محل رفع مبتدأ، وما نافية.

﴿إلاّ ذكرى﴾ خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة على الألف. **﴿للبشر﴾** متعلق بذكرى، والجملة معطوفة مثل ما قبلها. **﴿كلاّ!﴾** حرف ردع وزجر. **﴿والقمر﴾** قسم مجرور بالواو. والليل معطوف على القمر. **﴿إذ﴾** ظرف متعلق بفعل القسم، أى: أقسم بالليل حين إدباره. **﴿أدبر﴾** فعل ماضٍ، والفاعل ضمير يعود على الليل، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. **﴿والصبح﴾** معطوف على القمر مثل الليل. **﴿إذا أسفر﴾** مثل إذ أدبر في الإعراب، والمعنى: حين أسفر. **﴿إنّها﴾** إنّ واسمها. **﴿لإحدى﴾** خبر إنّ مرفوع بضمة مقدرة على الألف، واللام لتقوية الخبر. **﴿الكبرِ﴾** مضاف إلى إحدى، والجملة جواب القسم. **﴿نذيرا﴾** منصوب على التمييز. **﴿للبشر﴾** متعلق به. **﴿لمن﴾** بدل من قوله للبشر. **﴿شاء﴾** فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلتها. **﴿منكم﴾** متعلق بشاء. **﴿أن يتقدّم﴾** فعل مضارع منصوب بأن، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بشاء. **﴿أو يتأخر﴾** معطوف على أن يتقدم. **﴿كلُّ﴾** مبتدأ. **﴿نفسٍ﴾** مضاف إلى كل. **﴿بما﴾** متعلق بالخبر الآتى. **﴿كسبت﴾** فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على نفس، والجملة صلة ما. **﴿رهينةٌ﴾** خبر المبتدإ. **﴿إلاّ أصحابَ﴾** منصوب على الاستثناء. **﴿اليمين﴾** مضاف إلى أصحاب. **﴿فى جنات﴾** متعلق بمحذوف خبر لمبتدإٍ محذوف، أى: هم كائنون في جنات. **﴿يتساءلون﴾** فعل وفاعل. **﴿عن المجرمين﴾** متعلق بيتساءلون. **﴿ما﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿سلككم﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة خبر المبتدإ. **﴿فى سقر﴾** متعلق بالفعل قبله، وجملة ما سلككم مفعول بيتساءلون. **﴿قالوا﴾** فعل وفاعل. **﴿لم نكُ﴾** فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، وحذفت النون المجزومة تخفيفا، واسم نكُ ضمير المتكلمين ـ نحن ـ. **﴿من المصلين﴾** متعلق بمحذوف خبر نكُ، والجملة مقول القول. **﴿ولم نكُ﴾** مثل ما سبقها. **﴿نطعم﴾** فعل مضارع، والفاعل نحن.

﴿**المسكين**﴾ مفعول به، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**وكنّا**﴾ كان واسمها ﴿**نخوض**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن، والجملة خبر كان. ﴿**مع**﴾ متعلق بنخوض. ﴿**الخائضين**﴾ مضاف إلى الظرف.

﴿**وكنّا نكذّب**﴾ معطوفة على كنا نخوض. ﴿**بيوم**﴾ متعلق بنكذّب. ﴿**الدين**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**حتى**﴾ حرف عطف وجر. ﴿**أتانا**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**اليقينُ**﴾ فاعل، أي: دمنا على هذا إلى إتيان اليقين إلينا. ﴿**فما تنفعهم**﴾ فعل مضارع منفى بما، والفاء للتعقيب والترتيب، والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**شفاعةُ**﴾ فاعل. ﴿**الشافعين**﴾ مضاف إلى شفاعة. ﴿**فما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**عن التذكرة**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**معرضين**﴾ حال من الخبر، والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**كأنّهم**﴾ كأنّ واسمها. ﴿**حُمرٌ**﴾ خبر كأنّ، والجملة حال مثل سابقتها. ﴿**مستنفَرة**﴾ اسم مفعول نعت لحمر. ﴿**فرّت**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على حمر. ﴿**من قسورة**﴾ متعلق بفرّت. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب وعطف. ﴿**يريد كلُّ**﴾ فعل وفاعل. ﴿**امرئٍ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لامرئ. ﴿**أن يؤتى**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على امرئ. ﴿**صحفا**﴾ مفعول به. ﴿**منشّرة**﴾ نعت لصحفا، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بيريد، أي: يريد كل امرئ منهم إعطاءَه صحفا منشرة. ﴿**كلاّ!**﴾ ردع وزجر عن هذه الإرادة. ﴿**بل لا تخافون الآخرة**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفى وحرف الإضراب. ﴿**كلاّ!**﴾ مثل سابقتها. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**تذكرةٌ**﴾ خبر إنّ. ﴿**فمن شاء**﴾ جملة شرطية مرتبة على ما قبلها. ﴿**ذكره**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة جواب الشرط. ﴿**وما تذكرون**﴾ فعل وفاعل، دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**إلاّ أن يشاء الله**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور، أي: وما تذكرون في أى حال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله تعالى. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أهلُ**﴾ خبره. ﴿**التقوى**﴾ مضاف إلى أهل مجرور بكسرة مقدرة على الألف. ﴿**وأهل المغفرة**﴾ معطوف على أهل التقوى، والجملة بيان لتحقيق الترهيب والترغيب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**يا أيّها المدثر قم فأنذر**﴾: فهذه السورة متآخية مع السورة قبلها في الافتتاح بنداء النبىء ﷺ بوصفين كان عليهما عندما جاء إلى خديجة ـ رضى الله عنها ـ يرجف فؤاده من خشية ما وجد عند ابتداء الوحى، فقال: زملونى دثرونى، وفيهما دليل صحة رسالته. ففى سورة المزمل التهيّؤ والاستعداد بقيام الليل وترتيل القرآن، وفى هذه السورة بيان مبادئ الدعوة مفصلة لما ذكر في السورة قبلها. . . ﴿**قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهّر. والرجز فاهجر. ولا تمنن تستكثر. ولربك فاصبر**﴾: والمشابهات كثيرة بين اتّجاهات هذه السورة، واتجاهات سورة المزمل، وسورة القلم مما يدل على أنها جميعا كانت متقاربة في النزول لمواجهة حالات متشابهة. وهذه السورة قصيرة الآيات إلا آية واحدة فجاءت طويلة، وهى: وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة ..الخ، وهى سريعة الجريان، منوعة الفواصل. وتبدأ السورة بعد النداء بنذارة الناس وإيقاظهم وتخليصهم من الشر في الدنيا ومن النار في الآخرة، فالإنذار هنا أظهر، فهو تنبيه للخطر القريب الذي يترصد للغافلين السادرين في الضلال. فإذا انتهى هذا التوجيه الذي يحمل مبادئ هذه الرسالة، اتجه السياق إلى بيان معنى هذا الإنذار الذي يتحقق بوقوع اليوم العسير الذي أنذر بمقدمه كلُّ نذير. . . ﴿**فإذا نقر في الناقور. فذلك يومئذ يوم عسير**﴾: فالتعبير بهذا الأسلوب ـ فإذا نقر في الناقور ـ له شدة في الحس أشد وقعا من الصوت الذي تسمعه الآذان. ومن بعده يصف اليوم بأنّه عسير على الكافرين، ويؤكد هذا العسر بنفى كل شائبة للبشر فيه. . . ﴿**على الكافرين غير يسير**﴾!. فهو عسر كلّه. فلا يفصّل أمر هذا العسر، بل يدعُه مجملا مُجْهَلاً يوحى بالاختناق والكرب والضيق، فما أجدرَ الكافرين أن يستمعوا للنذير قبل أنْ يُنقر في الناقور، فيواجههم هذا اليوم العسير!. ثم ينتقل السياق من هذا التهديد العام إلى مواجهة فرد بذاته من المكذبين، ليكون نموذجا لكل فرد يماثله من السابقين واللاحقين. . . ﴿**ذرنى ومن خلقت وحيدا**﴾!: فالخطاب للرسول، ويطيل النص في وصف حال هذا المخلوق، فهو قد خلقه وحيدا مجردا من كل شىء، حتى من ثيابه، ثم جعل له مالا كثيرا. . . ﴿**وجعلت له مالا ممدودا**﴾: ورزقه بنين ـ لا بنات ـ حاضرين شهودا، فهو منهم في أنس وبهجة. . . ﴿**وبنين شهودا**﴾. ثم مهد الله له في الحياة تمهيدا، ويسرها له تيسيرا. . . ﴿**ومهدت له تمهيدا**﴾: فهو لا يقنع بما أوتى ولا

يشكر ويكتفى، بل لعله يطمع في أن ينزل عليه الوحى. . . **﴿ثم يطمع أن أزيد!. كلاّ﴾!**: فهذا ردع وزجر عن الطمع، فهى كلمة ردع وزجر وتبكيت! ..**﴿إنّه كان لآياتنا عنيدا﴾**: هذا تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقى، فإنّ معاندة آيات المنعم مع وضوحها، وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلّية، وإنّما أوتى ما أوتي استدراجا. ثم يعقب السياق على الردع والزجر بالوعيد الذي يبدل اليسر عسرا، والتمهيد مشقة. . . **﴿سأرهقه صعودا﴾**: فهو تعبير مصور لحركة المشقّة، فالتصعيد في الطريق هو أشق السير وأشده إرهاقا، خصوصا إذا كان دفعا من غير إرادة من المرهق. ثم يرسم السياق تلك الصورة المبدعة المثيرة للسخرية، والرجل يكدّ ذهنه ويعصر أعصابه ويقبض جبينه، وتكلح ملامحه وقسماته، كل ذلك ليجد عيبا يعيب به هذا القرآن، وليجد قولا يقوله فيه. . . **﴿إنّه فكّر! وقدّر!. فقتل كيف قدّر. ثم قتل كيف قدّر. ثم نظر. ثم عبس وبسر!. ثم أدبر واستكبر. فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر!. إن هذا إلاّ قول البشر﴾!**: لمحة لمحة، وخطرة خطرة، وحركة حركة يرسمها التعبير، كما لو كانت ريشة تصوّر، لا كلمات تعبّر، بل كما لو كانت شريطا متحركا يلتقط المشاهد لمحة لمحة!. لمحة وهو يفكّر ويدبّر، ومعها دعوة وهو قضاء - فقتل - واستكبار كله واستهزاء - كيف قدّر ؟. ثم تكرر الدعوة والاستنكار لزيادة الإيحاء بالتكرار. ولقطة وهو ينظر هكذا وهكذا في جدّ مصطنع متكلف يوحى بالسخرية منه والاستهزاء. ولقطة وهو يقطب حاجبيه عابسا، ويقبض ملامح وجهه باسرا، ليستجمع فكره في هيئة مضحكة!. بعد هذا المخاض كله، وهذا الخزق كله، لا يفتح عليه بشىء!. فيقول: إن هذا إلاّ سحر يؤثر. إن هذا إلاّ قول البشر: إنّها لمحات حيّة يثبتها التعبير القرآنى في المخيلة أقوى مما تثبتها الريشة في اللوحة، وأجمل مما يعرضها الشريط المتحرك على الأنظار، وإنّها لتدع صاحبها سخرية الساخرين أبد الدهر، وتثبت صورته المزرية في صلب الوجود تتملاها الأجيال بعد الأجيال!. فإذا انتهى عرض هذه اللمحات الحيّة الشاخصة لهذا المخلوق المضحك، عقب السياق عليها بالوعيد المفزع. . . **﴿سأصليه سقر﴾**، وزاد هذا الوعيد تهويلا بتجهيل سقر. . . **﴿وما أدراك ما سقر﴾؟**. فهى شىء أعظم وأهول من الإدراك، ثم عقب على التجهيل بشىء من صفاتها أشدّ هولا. . . **﴿لا تبقى ولا تذر﴾**: فهى تكنس كنسا وتبلع بلعا، وتمحو محوا، فلا يقف لها شىء، ولا يبقى وراءها شىء، ولا يفضل منها شىء!.

ثم هي تتعرض للبشر وتلوّح. . . **﴿لوّاحة البشر﴾**: فهي تدل على نفسها إن فسّر البشر بالناس، أمّا إن فسّر البشر بجمع بشرة، فهي مغيّرة لظاهر الجسم بالسواد. ويقوم عليها حراس. . . **﴿عليها تسعة عشر﴾**. **﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾**: ملائكة من ذلك الخلق المغيب الذي لا يعلم طبيعته وقوته إلا الله. . . **﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾**: فيقولون ما يقولون في هذا العدد! ..**﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾**: فإذا سمعوها من القرآن استيقنوا أنه مصدق لما بين يديهم عنها. . . **﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾**: فكل قول من ربهم يزيدهم إيمانا، لأن قلوبهم مفتوحة، وتثبت هذه الحقيقة في قلوب هؤلاء وهؤلاء، فلا يرتابون بعدها فيما يأتيهم من عند الله. . . **﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون. وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون. ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾**؟!: فبينما الذين أوتوا الكتاب يستيقنون، والذين آمنوا يزدادون إيمانا، إذا بالذين كفروا وضعاف القلوب المنافقون في حيرة يتساءلون. . . **﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء﴾**: مثل ذلك الإضلال وتلك الهداية يضل من يشاء ويهدى من يشاء. لقد كشف الله للناس طريق الهدى وطريق الضلال فيما أنزل الله للناس من كتب على أيدى الرسل، والناس مكلفون باتباع شرع الله كما أنزله الله، وليسوا مطالبين بما غيّب الله عنهم مما لم يكلفوا بعلمه. . . **﴿وما يعلم جنود ربك إلاّ هو﴾**: فليس إلى إدراك ما ذكر من عدد الملائكة بتسعة عشر وسره من سبيل. . . **﴿وما هي إلاّ ذكرى للبشر﴾**: فهى للتذكير والإنذار والتحذير، لا لتكون موضوعا للجدل والسؤال الذي لا طائل معه. . . **﴿كلا﴾**!. ردع وزجر عن الوقوع في هذه المسائل من علم الغيب التي لم يبيّنها النص بيانا واضحا. ثم يأتى السياق بهذا القسم الملفت للأنظار، والمنبّه عن قيمة هذا الإنذار. . . **﴿والقمر﴾**. **﴿والليل إذ أدبر. والصبح إذا أسفر. إنّها لأحدى الكبر. نذيرا للبشر﴾**!: فالقسم ذاتُه ومحتوياتُه، والمقسم عليه بهذه الصورة، كلها مطارق تطرق قلوب البشر بعنف وشدّة، وتتسق مع النقر في الناقور وما يتركه من صدى في الشعور. ومع مطلع السورة بالنداء الموقظ ـ ياأيّها المدّثر ـ والأمر بالنذارة ـ قم فأنذر ـ!. فالجو كله نقر وطرق وخطر!..

﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر. كل نفس بما كسبت رهينة﴾: فكل فرد يحمل همّ نفسِه وتبعتها، ويضع نفسه حيث شاء أن يضعها ؛ يتقدم بها أو يتأخّر،

وقد بيّن الله للنفوس طريقه. . . ﴿**إلاّ أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين. ما سلككم في سقر**﴾؟. لكن أصحاب اليمين الذين فكوا رهانهم بالعمل الصالح في جنّات يتساءلون المجرمين مواجهة عن حالهم، فيجيبونهم. . . ﴿**قالوا: لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذّب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين**﴾: فهذا الاعتراف الطويل المفصل يتناول الجرائم والجرائر الكثيرة التي انتهت بالمجرمين إلى سقر، يعترفون بها هم أنفسهم في ذلّة المستكين أمام المؤمنين!. ويعقب السياق على هذا الموقف السيّئ المهين، بقطع كل أمل في تعديل هذا المصير. . . ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾: حتى على فرض ما لا وجود له!، فما تنفعهم شفاعة الشافعين. وأمام هذا الموقف الميؤوس منه في الآخرة، يردهم السياق إلى موقفهم في الفرصة المتاحة لهم في الدنيا قبل مواجهة ذلك الموقف في الآخرة، فيرسم لهم صورة مضحكة تثير السخرية والعجب من أمرهم الغريب. . . ﴿**فمالهم عن التذكرة معرضين؟!. كأنّهم حمر مستنفرة. فرّت من قسورة**﴾!: ومشهد حمر الوحش، وهى مستنفرة تفر في كل اتجاه حين تسمع زئير الأسد، أو تشم رائحته، أو يتراأى لها منظره، مشهد يعرفه العرب، فهى الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد وتسجله في الكتاب الخالد، تتملاه النفوس في هيئتهم الخارجية ؛ حمر مستنفرة فرّت من قسورة، وفى نفوسهم الداخلية وما يُعتلج فيها من المشاعر. . . ﴿**بل يريد كل امرئ منهم. أن يؤتى صحفا منشّرة**﴾: فكان الحنق الذي يغلى في الصدور، والذى يكشف عنه القرآن، وهو يعلل ذلك الشماس والنفار!. ثم يستمر السياق في رسم صورة النفوس من داخلها، فيضرب عما ذكر من ذلك الطمع والحسد، فيذكر سببا آخر للإعراض والجحود. . . ﴿**كلا!. بل لا يخافون الآخرة**﴾: فلو استشعرت قلوبهم حقيقة الآخرة لكان لهم شأن غير هذا الشأن المريب!. ثم يردعهم مرة أخرى، وهو يلقى إليهم بالكلمة الأخيرة، ويدعهم لما يختارون لأنفسهم من طريق ومصير. . . ﴿**كلا!. إنّه تذكرة. فمن شاء ذكره**﴾: فهو هذا القرآن الذي يَعرضون عن سماعه، وينفرون كالحمر، وهم يضمرون لأنفسهم الحسد لرسول الله محمد ﷺ والاستهتار بالآخرة، فإنّه تذكرة تنبّه وتذكّر. وبعد أن يثبت السياق مشيئتهم في اختيار الطريق، يعقب بطلاقة المشيئة الإلهية، وعودة الأمور إليها في النهاية. . . ﴿**وما تذكرون إلاّ أن يشاء الله: فالعبد لا يدرى ماذا يشاء الله به،**

ولكنه يعلم ماذا يريد الله منه، فهذا مما بينه له. . . هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾: هو أهل لأن يتقى رهبة منه، وأهل لأن ترجى مغفرته رغبة منه وإليه. وبهذا الأسلوب تظهر براعة المقطع واضحة جلية «ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون».

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿ياأيّها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر. ولا تمنن تستكثر. ولربك فاصبر﴾: تمثل هذه السورة حلقة من حلقات الكفاح النفسى الذي كافحه القرآن للجاهلية وتصوراتها في قلوب قريش، وهم يمثلون كل من يعاند ويعارض من البشر في كل زمان ومكان. والمشابهات كثيرة بين اتجاهات هذه السورة، واتجاهات سورة المزمل وسورة القلم، مما يدل على أنها جميعا نزلت متقاربة، من أوائل ما نزل من سور القرآن. فأول الأمر في هذه السورة إنذار القوم السادرين في الضلال، التائهين في الغفلة تحذيرا من الخطر القريب. وثانى الأمر: تكبير الله رب العالمين، وهو توجيه يقرر جانبا من التصور الإيمانى لمعنى الألوهية ومعنى التوحيد، ولهذا جعل التكبير من فرائض الصلاة وأول ما تفتتح به، والتكبير ينادى به على رؤوس الأشهاد في النداء للصلاة، كل يوم خمس مرّات. وثالث الأمر: التوجيه إلى تطهير الثياب، فبما أنّ التكبير اعتبر عنوانا للصلاة، فكذلك الطهارة جعلت شرطا لصحة الصلاة، ومن هذين الأمرين ينطلق المسلم عفيفا نظيفا، لا يخشى إلا الله، ولا يدنس نفسه بما يغضب الله. . . والرجز فاهجر: ورابع الأمر: مجانبة ما يغضب الله حتى لا تتعرض نفس المؤمن لعذاب الله تعالى. وخامس الأمر: عدم المن بما يُقدّم من جهد ؛ استكثاره واستعظامه. وسادس الأمر: الصبر لله على مشاق الدعوة، وما يلاقيه من إعراض ونفور من المشركين المجرمين، فهى الوصية التي تتكرر عند كل تكليف بهذه الدعوة إلى الله، والصبر هو هذا الزاد الأصيل في هذه المعركة الشاقة؛ معركة الدعوة إلى الله، وهى معركة طويلة عنيفة، لا زاد لها إلاّ الصبر الذي يقصد فيه وجه الله، ويتجه به إليه احتسابا عنده وحده سبحانه وتعالى. . . فإذا نقر في الناقور.

﴿فذلك يومئذ يوم عسير. على الكافرين غير يسير﴾: من جملة الإنذار الذي ينذر به الرسول الناس يوم ينقر في الناقور، ذلك يوم ينفخ في الصور النفخة

الثانية، نفخة البعث من القبور، ذلك يومئذ يوم عسير، على الكافرين غير يسير!. ثم يتجه السياق إلى بيان من يعارض هذه الدعوة ويقف في سبيلها موقف اللداد والعناد، فيوجه الله إلى رسوله هذا الأمر بما فيه من تذكير وإرشاد. . . ﴿**ذرني ومن خلقت وحيدا. وجعلت له مالا ممدودا. وبنين شهودا. ومهدت له تمهيدا. ثم يطمع أن أزيد. كلا!. إنّه كان لآياتنا عنيدا. سأرهقه صعودا**﴾: فيطيل النص في وصف حال هذا المخلوق، وما آتاه الله من نعمه وآلائه، قبل أن يذكر إعراضه وعناده. ثم يفصّل السياق في موقفه من هذه الآيات البينات ..﴿**إنّه فكّر وقدّر. فقتل كيف قدّر ؟. ثم قتل كيف قدّر ؟!. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال: إن هذا إلاّ سحر يؤثر. إن هذا إلاّ قول البشر. سأصليه سقر. وما أدراك ما سقر. لا تبقى ولا تذر. لواحة للبشر. عليها تسعة عشر. وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة. وما جعلنا عدتهم إلاّ فتنة للذين كفروا. ليستيقن الذين أوتوا الكتاب. ويزداد الذين آمنوا إيمانا. ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون. وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون. ماذا أراد الله بهذا مثلا**﴾؟!: فهذه الآيات تكشف عن حكمة الله في ذكر هذا العدد بالذات ـ تسعة عشر ـ وترُدُّ علم الغيب إلى الله، فهم من ذلك الخلق المغيّب الذي لا يعلم طبيعته وقوته إلاّ الله، فقد قال عنهم ربهم الذي يعلم حقيقتهم: إنّهم ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فهم إذنْ مزودون بالقوة التي يقدرون بها على كل ما يكلفهم الله به إياه، فإذا كان قد كلفهم القيام على سقر، فهم مزودون من قبله سبحانه بالقوة المطلوبة لهذه المهمة كما يعلمها الله، فلا مجال لقهرهم أو مغالبتهم من هؤلاء البشر المغلوبين الضعفاء.

فالناس أمام عدّة حراس سقر مختلفون، فبعضهم مستيقن من صحة النص: ليستيقن الذين أوتوا الكتاب، فهم يعلمون ذلك من كتابهم، فإذا سمعوها من القرآن استيقنوا بهذا، وبعضهم يزداد إيمانا: ويزداد الذين آمنوا إيمانا، لأنّ قلوبهم مفتوحة تتلقى الحقائق تلقيا مباشرا، فتستشعر قلوبهم حكمة الله في هذا العدد، وتقديره الدقيق في الخلق، وتثبت هذه الحقيقة في قلوب هؤلاء وهؤلاء، فلا يرتابون بعدها فيما يأتيهم من ربهم: ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون. وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون: ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟!. فهكذا تترك الحقيقة الواحدة أثرين مختلفين في القلوب المختلفة، فبينما الذين أوتوا

الكتاب يستيقنون، والذين آمنوا يزدادون إيمانا، إذا بالذين كفروا وضعاف القلوب في حيرة يتساءلون: ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟! ..﴿**كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء**﴾: كذلك يذكر الله الحقائق وعرض الآيات، فتتلقاها القلوب المختلفة تلقيا مختلفا، ويهتدى بها فريق وفق مشيئة الله، ويضل بها فريق حسب مشيئة الله، فكل أمْر مرجعه في النهاية إلى إرادة الله المطلقة التي ينتهى إليها كل شيء، وهؤلاء البشر خرجوا من يد القدرة باستعداد مزدوج للهدى والضلال، فمن اهتدى ومن ضلّ كلاهما يتصرف داخل حدود المشيئة التي خلقتهم بهذا الاستعداد المزدوج، ويسرت لهم التصرف في هذا أو ذاك في حدود المشيئة المطلقة، ووفق حكمة الله المكنونة. وتُصوّر طلاقةِ المشيئةِ وانتهاء كلٍّ ما يقع في هذا الوجود إليها، تصوّرا كاملا واسع المدلول، يعفى العقول من الجدل الضيق حول ما يسمونه الجبر والاختيار، وهو الجدل الذي لا ينتهى إلى تصور صحيح، بسبب أنّه يتناول المسألة من زاوية ضيقة، ويضعها في أشكال محددة نابعة من منطق الإنسان وتجاربه وتصوراته المحدودة!، بينما هو يعالج قضية من قضايا الألوهية غير المحدودة!، فقد كشف الله لنا عن طريق الهدى وطريق الضلال، وحدد لنا نهجا نسلكه فنهتدى ونسعد ونفوز، وبيّن لنا نهوجا ننحرف إليها فنضلّ ونشقى ونخسر، ولم يكلفنا أن نعلم وراء ذلك شيئا، ولم يهبنا القدرة على علم شيء وراء هذا، وقال لنا: إنّ إرادتى مطلقة، وإن مشيئتى نافذة، فعلينا أن نعالج ـ بقدر طاقتنا ـ تصوّر حقيقة الإرادة المطلقة والمشيئة النافذة، وأن نلتزم المنهج الهادى، ونتجنّب النهوج المضلّلة، ولا ننشغل في جدل عقيم، حول ما لم نُوهب القدرة على إدراك كنهه من الغيب المكنون، ومن ثَمّ ننظر فنرى كل ما أنفقه المتكلمون في مسألة القدر على النحو الذي تكلموا به جهدا ضائعا لا طائل وراءه، لأنّه في غير ميدانه. إنّنا لا نعلم مشيئة الله المغيّبة بنا، ولكنّنا نعلم: ماذا يطلب الله منا لنستحقّ فضله الذي كتبه الله على نفسه، وعلينا إذنْ أن ننفق طاقتنا في أداء ما كُلّفنا، وأن ندَع له هو غيبَ مشيئته فينا، والذى سيكون هو مشيئته، فهذا هو طريقه في التصور ومنهجه في التفكر. . .

﴿**وما يعلم جنود ربك إلاّ هو**﴾: فهي غيب، حقيقتها ووظيفتها، وقدرتها، وهو يكشف عما يريد الكشف عنه من أمرها، وقوله هو الفصل في شأنها، وليس لقائل بعده أن يجادل أو يماحك أو يحاول معرفة ما لم يكشف الله عنه، فليس

إلى معرفة هذا من سبيل. . . ﴿**وما هي إلاّ ذكرى للبشر**﴾: كل ما ذكر سابقا من جنود ربك، جاءت تذكرة وموعظة للناس، لا تكون موضوعا للجدل والأخذ والرد، فالقلوب المؤمنة هي التي تتعظ وتذّكر بالذكرى، أمّا القلوب الضالة فتتخذها مماحكةً وجدلا! ..﴿**كلا!. والقمر. والليل إذ أدبر. والصبح إذا أسفر. إنّها لأحدى الكبر. نذيرا للبشر**﴾: يقسم الله سبحانه بهذه الحقائق بعدما ردع وزجر المعارضين والمجادلين في حقائق ما ذكر من صفة سقر وما عليها من خزنة ـ تسعة عشر ـ، لتنبيه الغافلين لأقدارها العظيمة ودلالاتها المثيرة. يقسم على أنّ سقر والجنود التي عليها، والآخرة وما سيقع فيها، هي إحدى الأمور الكبيرة العجيبة المنذرة للبشر بما وراءهم من خطر. . . ﴿**لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**﴾: قد بين الله للنفوس طريقه، لتسلك إليه على بصيرة، وهو إعلان في مواجهة المشاهد الكونية الموحية، ومشاهد سقر التي لا تبقى ولا تذر، له وقْعُه وله قيمته! ..﴿**كل نفس بما كسبت رهينة. إلاّ أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين. ما سلككم في سقر**﴾؟!: وعلى مشهد النفوس الرهينة بما كسبت، المقيدة بما عملت، يُعلَن إطلاق أصحاب اليمين من العقال، وإرسالُهم من القيد، وتخويلهم حقَّ سؤال المجرمين عما انتهى بهم إلى هذا المصير!. ثم يأتى الجواب الطويل المفصّل يتناول الجرائر الكثيرة التي انتهت بالمجرمين إلى سقر يعترفون بها هم أنفسهم بألسنتهم في ذلّة المستكين أمام المؤمنين. . . ﴿**قالوا: لم نك من المصلين**﴾: فالصلاة كيان هذه الرسالة ورمز الإيمان ودليله، فيدل إنكارها والنفور من أهلها على الكفر، ويعزل أولئك عن صف المؤمنين. . . ﴿**ولم نك نطعم المسكين**﴾: فهذه من دلائل عدم الإيمان كذلك، بوصفها عبادة الله في خلقه، بعد عبادته ـ سبحانه بالصلاة ـ في ذاته. . . ﴿**وكنّا نخوض مع الخائضين**﴾: فهذه تصف حالة الاستهتار بأمر العقيدة، وحقيقة الإيمان، وأخذها مأخذ الهزل واللعب والخوض بلا مبالاة ولا احتفال بها!، وهى أعظم وأخطر الأمر في حياة الإنسان! ..﴿**وكنّا نكذب بيوم الدين**﴾: فهذه أسُّ البلايا، وداهية الدواهى، فالذى يكذب بيوم الدين تختل في يده جميع الموازين، وتضطرب في تقديره جميع القيم، ويضيق في حسه مجال الحياة، حين يقتصر على هذا العمر القصير المحدود في هذه الحياة الدنيا، فالمجرمون يقولون: إننا ظللنا على هذه الأحوال. . .

﴿**حتى أتانا اليقين**﴾: فاليقين قد رأوه اليوم ماثلا أمامهم في كل شيء، فقد قضى الأمر، وحق القول، وتقرر المصير... ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين. فما لهم عن التذكرة معرضين**﴾: فمالهم بعد هذا الإنذار والتحذير من المصير الخطير معرضين عن تذكرة القرآن، بل نافرين نفور الثيران في ساعة الهيجان... ﴿**كأنّهم حمر مستنفرة. فرّت من قسورة**﴾!: فهو مشهد يتحولون به من آدميين إلى حمر!، لا لأنّهم خائفون مهدّدون، بل لأنّ مذكّراً يذكّرهم بربهم وبمصيرهم، ويمهد لهم الفرصة ليتقوا ذلك الموقف الزرىّ المهين، وذلك المصير العصيب الأليم! ..﴿**بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشّرة**﴾: إنّه الحسد للنبئ ﷺ أن يختاره الله ويوحى إليه، والرغبة الملحّة أن ينال كل منهم هذه المنزلة، وأن يؤتى صحفا تُنشر على الناس وتُعلن. ولا بد أنّ الإشارة هنا كانت بصدد الكبراء من قريش الذين شق عليهم أن يتخطاهم الوحى إلى محمد بن عبد الله، فقالوا: «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؟!». وقالوا: « لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله»، فكان الحنق الذي يغلى في الصدور.

ثم يستمر السياق في رسم صورة النفوس من داخلها، فيضرب عما ذكره من ذلك الطمع والحسد، فيذكر سببا آخر للإعراض والجحود، وهو يردع في نفوسهم ذلك الطمع، الذي لا يستند إلى سبب من صلاح ولا من استعداد لتلقى وحى الله وفضله... ﴿**كلا! بل لا يخافون الآخرة**﴾: فعدم خوفهم من الآخرة هو الذي ينأى بهم عن التذكرة، وينفرهم من الدعوة هذه النفرة، ولو استشعرت قلوبهم حقيقة الآخرة لكان لهم شأن غير هذا الشأن المريب!. ثم يردعهم مرة أخرى، وهو يلقى إليهم الكلمة الأخيرة، ويدعهم لما يختارون لأنفسهم من طريق ومصير... ﴿**كلا!. إنّه تذكرة. فمن شاء ذكره**﴾: فهذا هو القرآن الذي يعرضون عن سماعه وينفرون منه كالحمر، وهم يضمرون في أنفسهم الحسد للرسول، والاستهتار بالآخرة، فالقرآن تذكرة تنبّه وتذكر، فمن شاء فليتذكّر، ومن لم يشأ فهو وشأنه، وهو ومصيره، وهو ما يختار من جنّة وكرامة أو من سقر ومهانة... ﴿**وما تذكرون إلاّ أن يشاء الله**﴾: وهى الحقيقة التي يحرص القرآن على تحقيقها في كل مناسبة لتصحيح التصور الإيمانى، فكل ما يقع في هذا الوجود مشدود إلى المشيئة الكبرى، يمضى في اتجاهها وفى داخل مجالها، فلا يقع أن يشاء أحد من خلقه، ما يتعارض مع مشيئة الله سبحانه. ومشيئته تسيطر على أقدار الوجود كله،

فهى التي أنشأته وأنشأت نواميسه وسنته، فهو يمضى بكل ما فيه وكل من فيه في إطار من تلك المشيئة المطلقة من كل إطار ومن كل حدّ ومن كل قيد. والذكر توفيق من الله ييسّره لمن يعلم من حقيقة نفسه أنّه يستحق التوفيق، فإذا علم الله من العبد صدق النية وجهه إلى الطاعات، والعبد لا يعرف ماذا يشاء الله به، فهذا من الغيب المحجوب، ولكنه يعرف ماذا يريد الله منه، فهذا بينه له، فإذا صدقت نيته في النهوض بما كلف، أعانه الله ووجهه وِفْق مشيئته الطليقة. والذى يريد القرآن أن يطبعه في حس المسلم، هو طلاقة هذه المشيئة وإحاطتها بكل مشيئة، حتى يكون التوجّه إليها من العبد خالصا، والاستسلام لها مُمحّضا. فهذه هي حقيقة الإسلام القلبية التي لا يستقر في قلب بدونها، وإذا استقرّت فيه كيّفته تكييفا خاصا من داخله، وأنشأت فيه تصوُّرا خاصا يحتكم إليه في كل أحداث الحياة، وهذا هو المقصود ابتداء من تقرير طلاقة المشيئة الإلهية وشمولها، عقب الحديث عن كل وعد بجنّة، أو وعيد بنار، وبِهُدَى أو ضلال. فأما أخذ هذا الإطلاق، والانحراف به إلى جدل حول الجبر والاختيار، فهو اقتطاع لجانب من تصوّر كلّى وحقيقة مطلقة، والتحيّز بها في درب ضيق مغلق لا ينتهى إلى قول صريح، لأنّها لم تجئ في السياق القرآنى بمثل هذا التحيّز في الدرب الضيق المغلق، والله سبحانه وتعالى. . . ﴿**هو أهل التقوى**﴾: يستحقها من عباده، فهم مطالبون بها. . . ﴿**وأهل المغفرة**﴾: يتفضل بها على عباده وفق مشيئته.

9 ـ لا أقسم بيوم القيامة،
ولا أقسم بالنفس اللوّامة!



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (4) بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (15) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30)

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿30﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿31﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿32﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿33﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿34﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿35﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿36﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿37﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿38﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿39﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾: النفس اللوامة: النفس التي تلوم صاحبها على كل تقصير يقع فيه... ﴿**أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه**﴾: أيشك الإنسان الكافر في عدم جمع عظامه التي تفرقت بعد الموت واختلطت بالتراب ؟! ..﴿**بلى**﴾: نجمعها... ﴿**قادرين على أن نسوى بنانه**﴾: نجمعها ونعيدها كما كانت في الدنيا، وتسوية البنان رد بصماتها المميزة لكل شخص عن شخص آخر... ﴿**بل يريد الإنسان ليفجر أمامه**﴾: بل يريد الإنسان الكافر بإنكاره البعث، ليدوم على فجوره وكفره وضلاله... ﴿**يسأل: أيّان يوم القيامة**﴾ ؟!: سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة... ﴿**فإذا برق البصر**﴾: تحيّر فزعا، مأخوذ من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فرمش بصره... ﴿**وخسف القمر**﴾: ذهب نوره بزوال الشمس من مكانها... ﴿**وجمع الشمس والقمر**﴾: يجمعان في المحشر أمام عابديهما... ﴿**يقول الإنسان يومئذ. أين المفر ؟!. كلا!. لا وزر**﴾: لا ملجأ ولا منجى من هول ذلك اليوم! ..﴿**إلى ربك يومئذ المستقر. يُنبّأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر**﴾: يُخبر الإنسان في ذلك اليوم الخبر اليقين بما قدم من عمل وبما أخر منه، ممّا هو مطلوب... ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾: حجّة قائمة عليه... ﴿**ولو ألقى معاذيره**﴾: فالمعاذير: اسم جمع لمعذرة، والمعذرة: التملص من العمل السيئ... ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به. إنّ علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه. ثم إنّ علينا بيانه**﴾: فالقرآن هنا

مصدر بمعنى القراءة، مثله: «ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه». . . ﴿**كلا!. بل تحبون العاجلة**﴾: فأنتم تحبون العاجلة لأنّكم خلقتم من عجل، والعجل غير مطلوب، ولو كان في الأمر المحبوب!..

﴿**وتذرون الآخرة**﴾: تتركون العمل للآخرة، وهى آتية لا ريب فيها. . . ﴿**وجوه يومئذ ناضرة**﴾: وجوه المؤمنين بالآخرة بهيّة متهلّلة يشاهد عليها نضرة النعيم. . . ﴿**إلى ربّها ناظرة**﴾: ناظرة إلى ربّها بالمشاهدة بلا كيف ولا تحيز ولا مسافة. . . ﴿**ووجوه يومئذ باسرة**﴾: وجوه الكفرة في ذلك اليوم كالحة شديدة العبوسة «عليها غبرة ترهقها قترة». . . ﴿**تظن أن يفعل بها فاقرة**﴾: تتوقع تلك الوجوه أن ذلك المفعول بها، داهية عظيمة تقصم فقار الظهر. . . ﴿**كلا!. إذا بلغت**﴾: الروح. . . ﴿**التراقى**﴾: جمع ترقوة، وهى العظام المكتنفة لنعرة النحر عن يمين وشمال والصدر أسفل منها. . . ﴿**وقيل: من راق**﴾؟. قال من حضر المحتضر الذي في سباق الموت، من يرقيه وينجيه مما هو فيه. . . ﴿**وظن أنّه الفراق**﴾: وأيقن المحتضر أنّ ما نزل به الفراق من الدنيا. . . ﴿**والتفّت الساق بالساق**﴾: ملتفّتان حول بعضهما ممتدتان بلا حركة، وهى نهاية حياة الإنسان في هذه الحياة الدنيا. . . ﴿**إلى ربك يومئذ المساق**﴾: المساق بعد الموت إلى الله رب العالمين. . . ﴿**فلا صدق**﴾: ما يجب تصديقه من الله والرسول والقرآن. . . ﴿**ولا صلى**﴾: ما فرض عليه من الصلوات الخمس. . . ﴿**ولكن كذّب وتولّى. ثم ذهب إلى أهله يتمطّى**﴾: استمر في كبريائه وتبختره مُتمطّيا، فثم للاستبعاد في الكبرياء والشموخ! ..﴿**أولى لك. فأولى. ثم أولى لك. فأولى**﴾: أولى لك هذا المصير الخطير في نهاية المسير! ..﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدىً**﴾: أيحسب الإنسان المكذب بالبعث تركه مهملا، فلا يُكلف ولا يُجزى. . . ﴿**ألم يك نطفة من منّى تمنى!. ثم كان علقة فخلق فسوى ؟!. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى**﴾؟!.

مبحث الإعراب

﴿**لا أقسم**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلم ـ أنا ـ، وإدخال لا النافية صورة على فعل القسم مستفيض في كلام العرب. ﴿**بيوم**﴾ متعلق بأقسم. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**ولا أقسم بالنفس**﴾ معطوف على القسم قبله.

﴿**اللّوامة**﴾ نعت لنفس، وجواب القسم محذوف ليبعث دلّ عليه ما بعده. ﴿**أيحسب الإنسانُ**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**أنْ**﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿**لن نجمع**﴾ فعل مضارع منصوب بحرف النفى، والفاعل ـ نحن ـ. ﴿**عظامه**﴾ مفعول به، وجملة لن نجمع عظامه خبر أن المخففة، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول بيحسب. ﴿**بلى**﴾ حرف إيجاب لما سبقه من النفى. ﴿**قادرين**﴾ حال من الفاعل للفعل المقدر بعد بلى، أى: نجمعها قادرين.

﴿**على أن نسوى**﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية دخل عليه حرف الجر، والفاعل نحن. ﴿**بنانَه**﴾ مفعول به، وأن وما دخلت عليه مؤول بمصدر مجرور بعلى متعلق بقادرين، أى: قادرين على تسوية بنانه. ﴿**بل يريد الإنسان**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الإضراب العاطف. ﴿**ليفجر**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل ضمير يعود على الإنسان. ﴿**أمامه**﴾ ظرف متعلق بيفجر. ﴿**يسأل**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الإنسان. ﴿**أيّان**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**يومُ**﴾ خبر المبتدإ، والجملة بيان ليسأل. ﴿**القيامة**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**فإذا برق البصر**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه إذا الشرطية، والفاء للتعقيب. ﴿**وخسف القمر**﴾ معطوف على برق البصر. ﴿**وجمع**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. ﴿**الشمس**﴾ نائب الفاعل. ﴿**والقمر**﴾ معطوف على الشمس، والجملة معطوفة كذلك على برق البصر. ﴿**يقول الإنسان**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب شرط إذا. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بيقول. ﴿**أين**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**المفرُّ**﴾ خبره، وجملة أين المفر مقول القول. ﴿**كلاّ**﴾! حرف ردع وزجر .﴿**لا وزر**﴾ لا واسمها مبنى على الفتح في محل نصب، وخبر لا مقدّر، أى: لا وزر كائن يومئذ. ﴿**إلى ربك**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. يومئذ متعلق بالخبر. المستقر مبتدأ مؤخر. يُنبّأ فعل مضارع مبنى للمجهول. الإنسان نائب الفاعل. ﴿**يومئذ بما**﴾ متعلقان بيُنبّأ. ﴿**قدم**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الإنسان، والجملة صلة ما. ﴿**وأخّر**﴾ معطوف على قدّم. ﴿**بل الإنسان**﴾ مبتدأ دخل عليه حرف الإضراب. ﴿**على نفسه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**بصيرة**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ولو ألقى**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف المبالغة، والواو للحال، والفاعل ضمير يعود على الإنسان. ﴿**معاذيره**﴾ مفعول به، والضمير فيه مضاف

إليه، والجملة حال من ضمير الإنسان. ﴿**لا تحرّكْ**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**به**﴾ متعلق بتحرّك. ﴿**لسانَك**﴾ مفعول به. ﴿**لتعجل**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**به**﴾ متعلق بتعجل، واللام جارة لمصدر مؤول مع أن المضمرة متعلق بتحرّك، أي: لا تحرك لسانك بالقرآن لأجل العجلة به. ﴿**إنّ علينا**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**جمعَه**﴾ اسمها مؤخّر.

﴿**وقرآنه**﴾ معطوف على جمعه، وجملة إنّ علينا جمعه تعليل لعدم العجلة. ﴿**فإذا قرأناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخلت عليه إذا الشرطية، والفاء للتعقيب. ﴿**فاتبع**﴾ فعل أمر، والفاعل ضمير المخاطب، والجملة جواب شرط إذا، والفاء رابط. ﴿**قرآنه**﴾ مفعول به. ﴿**ثم إنّ علينا**﴾ مثل إنّ علينا جمعه. ﴿**بيانَه**﴾ اسم إن مؤخر، والجملة معطوفة بثم على ما قبلها. ﴿**كلا!**﴾ حرف ردع وزجر. ﴿**بل تحبون العاجلة**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الإضراب بعد حرف الردع. ﴿**وتذرون الآخرة**﴾ معطوف على تحبّون العاجلة، وهو مثله في الإعراب. ﴿**وجوهٌ**﴾ مبتدأ. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**ناضرةٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**إلى ربها**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**ناظرةٌ**﴾ خبر ثان لوجوه. ﴿**ووجوه**﴾ معطوف على وجوه السابقة. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**باسرة**﴾ خبر وجوه. ﴿**تظن**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الوجوه الباسرة. ﴿**أن يفعل**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول، منصوب بأن. ﴿**بها**﴾ متعلق بيفعل. ﴿**فاقرةٌ**﴾ نائب الفاعل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول، سد مسد مفعولَىْ ظن. ﴿**كلا!**﴾ حرف ردع وزجر. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**بلغت**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على النفس. ﴿**التراقىَ**﴾ مفعول به، وجواب الشرط مقدّر، والتقدير: إذا بلغت النفس التراقى انكشف الأمر واتضح المصير. ﴿**وقيل**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. ﴿**مَنْ**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**راقٍ**﴾ خبر المبتدإ، مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وأصل الكلمة: راقى، استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء الساكنة والتنوين، فحذفت الياء. ﴿**وظن**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الإنسان المحتضر. ﴿**أنّه**﴾ أنّ واسمها. ﴿**الفراق**﴾ خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول، سد مسدّ مفعولى ظنّ. ﴿**والتفّت الساق**﴾ فعل وفاعل، والجملة

معطوفة على بلغت. ﴿**بالساق**﴾ متعلق بالتفّت. ﴿**إلى ربك**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بالخبر. ﴿**المساق**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**فلا صدّق**﴾ فعل ماض منفيّ بلا، والفاء للتعقيب، والفاعل ضمير يعود على المحتضر.

﴿**ولا صلّى**﴾ معطوف على فلا صدق. ﴿**ولكن**﴾ حرف استدراك على ما قبله. ﴿**كذّب وتولّى**﴾ مقابل صدق وصلى. ﴿**ثم ذهب**﴾ معطوف على تولّى. ﴿**إلى أهله**﴾ متعلق بذهب. ﴿**يتمطى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير الإنسان السابق ذكره، والجملة حال من فاعل ذهب. ﴿**أولى**﴾ خبر لمبتدإ محذوف، أي: هذا المصير الناتج عن عدم الإيمان، والعمل الصالح أولى. ﴿**لك**﴾ متعلق بأولى. ﴿**فأولى**﴾ مرتب على أولى لك. ﴿**ثم أولى لك**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**فأولى**﴾ مرتب عليه، وجملة أولى لك وما عطف عليها بثم وبالفاء، تذييل مقرر لمضمون ما يدل عليه قوله: فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى. ﴿**أيحسب الإنسان**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**أن يُترك**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول منصوب بأن، ونائب الفاعل ضمير يعود على الإنسان، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب، سدّ مسد مفعولى يحسب. ﴿**سدى**﴾ حال من الضمير النائب عن الفاعل في يُترك، منصوب بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، وأصل سُدى سُدَىٌ، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فالتقى ساكنان الألف والتنوين، فحذفت الألف لأنّها حرف لين. ﴿**ألم يكُ**﴾ فعل مضارع ناقص حذفت منه النون الساكنة تخفيفا، دخلت عليه لم الجازمة وهمزة الاستفهام، واسم يك ضمير يعود على الإنسان. ﴿**نطفة**﴾ خبر يك. ﴿**من منيّ**﴾ متعلق بمحذوف نعت لنطفة. ﴿**تُمنى**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على نطفة، والجملة حال منها لوصفها بالنعت. ﴿**ثم كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الإنسان. ﴿**علقةً**﴾ خبر كان، والجملة معطوفة بثمّ على ما قبلها. ﴿**فخلق**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**فسوّى**﴾ مرتبة على فخلق. ﴿**فجعل**﴾ مرتبة على فسوى.

﴿**منه**﴾ متعلق بجعل. ﴿**الزوجين**﴾ مفعول به. ﴿**الذكرَ**﴾ بدل من الزوجين بدل بعض من كل. ﴿**والأنثى**﴾ معطوف على الذكر. ﴿**أليس**﴾ فعل ماض ناقص دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع اسم ليس. ﴿**بقادر**﴾ خبر ليس

مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**على أن يحيىَ**﴾ فعل مضارع منصوب بأن، والفاعل ضمير يعود على الله المفهوم من الإشارة. ﴿**الموتى**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعَلَى متعلق بقادر، أى: قادر على إحياء الموتى.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾: فهذه السورة لها علاقة بما قبلها، حيث ذكر في السورة السابقة عدم خوفهم من الآخرة، ذكر في هذه السورة الدليل على وقوع ما يكون فيها بأتم وجه، حيث أقسم الله به، وأكده بنفي غيره: لا أقسم بغير يوم القيامة هنا، ولا أقسم بغير النفس اللوامة!. فهذه السورة الصغيرة تحشد على القلب البشرى من الحقائق والمؤثرات والصور والمشاهد والإيقاعات واللمسات ما لا قبل له بمواجهته ولا التفلّت منه، تحشدها بقوة في أسلوب خاص!، يجعل لها طابعا قرآنيا مميزا ؛ سواء في أسلوب الأداء التعبيرى، أو أسلوب الأداء الموسيقى، حيث يجتمع هذا وذاك على إيقاع تأثير شعورى قوىّ، تصعب مواجهته، ويصعب التفلّت منه أيضا!. إنّها تبدأ في الآيتين الأوليين منها بإيقاع عن القيامة، وإيقاع عن النفس، ثم يستطردُ الحديث فيها متعلقا بالنفس ومتعلقا بالقيامة من المطلع إلى الختام ؛ تزاوج بين النفس وبين القيامة، حتى تنتهى السورة، وكأن هذا المطلع إشارة إلى موضوع السورة. فهذه النفس اللوامة المتيقظة التقية الخائفة المتوجسة التي تحاسب نفسها، وتتلفت حولها وتتبيّن حقيقة هواها، وتحذر خداع ذاتها، هى النفس الكريمة على الله، حتى ليذكرها مع القيامة، ثم هي الصورة المقابلة للنفس الفاجرة ؛ نفس الإنسان الذي يريد أن يفجر ويمضى قدما في الفجور، والذى يكذّب ويتولّى ويذهب إلى أهله يتمطى دون حساب لنفسه ودون تلوم ولا تحرج ولا مبالاة!، فهو الذي يستغرب ويتعجب من جمع العظام وردها على ما كانت عليه من دقّة ونظام! ..﴿**أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟. بلى. قادرين على أن نسوى بنانه**﴾!: فهذا الأسلوب كناية عن إعادة التكوين الإنسانى بأدق ما فيه من البصمات التي تميّز كل شخص عن غيره!، والتى اعتمد عليها الآن في إثبات الشخصية!. وهو إعجاز علمى بعد الإعجاز البيانى. إن هذا الإنسان يريد أن يفجر، ويمضى قدما في الفجور، ولايريد أن

يصده شيء عن فجوره، ولا أن يكون هناك حساب عليه وعقاب، ومن ثمّ فهو يستبعد وقوع البعث، ويستبعد مجئ يوم القيامة. . . ﴿**بل يريد الإنسان ليفجر أمامه. يسأل: أيّان يوم القيامة**﴾؟! : فهو يحاول إزالة هذا الصد، وإزاحة هذا اللجام، لينطلق في الشر والفجور بلا حساب ليوم الحساب. ومن ثَمّ كان الجواب على التهكم بيوم القيامة واستبعاد موعدها سريعا خاطفا حاسما ليس فيه ريث ولا إبطاء، حتى في أسلوب النظم وجرس الألفاظ، وكان مشهدا من مشاهد القيامة تشترك فيه الحواس والمشاعر الإنسانية والمشاهد الكونية. . . ﴿**فإذا برق البصر. وخسف القمر. وجمع الشمس والقمر. يقول الإنسان يومئذ: أين المفر**﴾؟! : فيبدو في هذا السؤال الارتياع والفزع، وكأنما ينظر في كل اتجاه، فإذا هو مسدود دونه مأخوذ عليه، فلا ملجأ ولا وقاية، ولامفر من قهر الله وأخذه، والرجعة إليه، والمستقر عنده، ولا مستقر غيره. . . ﴿**كلا!. لا وزر. إلى ربك يومئذ المستقرّ**﴾: فما كان يرغب فيه الإنسان من المضيّ في الفجور بلا حساب ولا جزاء، لن يكون يومئذ، بل سيكون كل ما كسبه محسوبا، وسيذكّر به إن كان نسيه، ويؤخذ به بعد أن يذكره ويراه حاضرا. . . ﴿**ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر. بل الإنسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره**﴾: فالملاحظ في الأسلوب هنا: أن كل شيء سريع قصير؛ الفقرات، والفواصل، والإيقاع التعبيرى، والمشاهد الخاطفة، وكذلك عملية الحساب، هكذا في سرعة وإجمال. ذلك أنّه رد على استطالة الأمد، والاستخفاف بيوم الحساب!. ثم تجيء الآيات الأربع الخاصة بتوجيه الرسول ﷺ في شأن الوحى وتلقّى هذا القرآن. . . ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به. إنّ علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إنّ علينا بيانه**﴾: فتسجيل هذا الحادث في القرآن المتلو، له قيمته في تعميق هذه الإيحاءات التي ذُكرت هنا بهذا الخصوص. ثم يمضى سياق السورة في عرض مشاهد القيامة وما يكون فيها من شأن النفس اللوامة، فيذكر الناس المخاطبين بحقيقة نفوسهم وما يعتلج فيها من حب للدنيا وانشغال، ومن إهمال للآخرة وقلة احتفال. . . ﴿**كلا!. بل تحبون العاجلة**﴾.

﴿**وتذرون الآخرة**﴾: فأول ما يُلحظ من ناحية التناسق في السياق هو تسمية الدنيا العاجلة في هذا الموضع، ففيه تناسق بين ظل اللفظ هنا، وظل الموقف السابق المعترض في السياق، وهو قول الله للرسول: لا تحرك به لسانك لتعجل به، فهذه العجلة ـ سواء كانت في الخير أو في الشر ـ هي أحد السمات البشرية

في الحياة الدنيا، وهو تناسق في الحس لطيف دقيق يلحظه التعبير القرآنى في الطريق!. ثم تخلص السياق إلى الموقف الذي يرسمه هذا النص القرآنى الفريد. . . وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة: فهذا النص يشير إشارة سريعة إلى حالة تعجز الكلمات عن تصويرها، كما يعجز الإدراك عن تصورها بكل حقيقتها ؛ ذلك حين يعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبهها حالة، حتى لتتضاءل إلى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان النعيم، وبين ناضرة وناظرة جناس*!. وهناك نسمع ونلمح المقابل. . . ﴿**ووجوه يومئذ باسرة. تظن أن يفعل بها فاقرة**﴾: ثم ها هو مشهد آخر حاضر واقع، فلا تمر لحظة حتى يواجههم في هذه الأرض بقوته ووضوحه. . . ﴿**كلا!. إذا بلغت التراقى. وقيل من راق ؟. وظن أنه الفراق. والتفت الساق بالساق. إلى ربك يومئذ المساق**﴾: فالمشهد هنا يكاد يتحرك وينطق، وكل آية ترسم حركة، وكل فقرة تُخرج لمحة، وحالة الاحتضار ترتسم، ويرتسم معها الجزع، والحيرة واللهفة، ومواجهة الحقيقة القاسية المريرة، التي لا دافع لها ولا راد. وفى مواجهة المشهد المكروب الملهوف الجاد الواقع، يعرض السياق مشهد اللاهين المكذبين. . . ﴿**فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى. ثم ذهب إلى أهله يتمطى**﴾: فهذه صورة كل مكذب المتولى عن فرائض الله، وهو يتبختر بطرا وخيلاء!، والقرآن يواجه هذه الخيلاء الشريرة بالتهديد والوعيد. . .

﴿**أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى**﴾!. وفى النهاية يمسّ السياق القلوب بحقيقة أخرى واقعية في حياة الناس. . . ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾؟!: فقد كانت الحياة في نظر القوم، حركة لا علة لها ولا هدف ولا غاية ؛ أرحام تدفع وقبور تبلع!. وفى غير تعقيد ولا غموض يأتى السياق بالدلائل الواقعة البسيطة التي تشهد بأن الإنسان لن يترك سدى، إنها دلائل نشأته الأولى. . . ﴿**ألم يك نطفة من منىّ تُمنى. ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**﴾: وأمام هذه الحقيقة التي تفرض نفسها فرضا على الحس البشرى يجئ الإيقاع الشامل لجملة من الحقائق التي تعالجها السورة من مبدئها إلى نهايتها. . .

---

* الجناس نوع من البديع العربي، قد يكون كاملا، وقد يكون غير كامل كما إذا اختلفت الحركات أو تغيرت بعض الحروف.

﴿أليس ذلك بقادر على أن يحييَ الموتى﴾؟!: فما يملك الإنسان إلاّ أن يخشع أمام هذه الحقيقة التي تفرض نفسها فرضا، وتترك الإنسان المكذب بهذه الحقائق يلاقى مصيره المحتوم. وفى هذا الأسلوب براعة المقطع، وفيه رد العجز على الصدر بربط المقطع بالمطلع!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾: فهذه السورة يرتبط موضوعها برباط واحد من مبدئها إلى منتهاها ؛. تزاوج بين النفس وبين القيامة. فمن أبرز ما في هذه السورة من الحقائق الكبيرة: حقيقة الموت القاسية الرهيبة التي تواجه كلّ حيّ، فلا يملك لها ردًّا، ولا يملك لها أحد ممن حوله دفعا، وهى تتكرر في كل لحظة، ويواجهها الكبار والصغار، والأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، فيقف الجميع منها موقفا واحدا ؛ لا حيلة ولا وسيلة، ولا قوة ولا شفاعة، ولا دفع ولا تأجيل، مما يدل على أنها قادمة من جهة عليا لا يملك البشر معها شيئا، فلا مفر من الاستسلام لها. ومن تلك الحقائق الكبرى التي تعرضها السورة: حقيقة النشأة الأولى، ودلالتها على صدق الخبر بالنشأة الأخرى، وعلى أنّ هناك تدبيرا في خلق هذا الإنسان وتقديرا، وهى حقيقة يكشف الله للناس عن دقّة أدوارها، وتتابعها في صنعة مبدعة لا يقدر عليها إلا الله، ولا يدّعيها أحد ممن يكذبون بالآخرة ويتمارون فيها، فهى قاطعة في أن هناك إلها واحدا يدبر هذا الأمر ويُقدّره، كما أنّها بيّنة لا تُردّ على يسر النشأة الآخرة، وإيحاء قوى بضرورة النشأة الآخرة تمشيا مع التقدير والتدبير الذي لا يترك هذا الإنسان سدى، ولا يدَع حياته وعمله بلا وزن ولا حساب. وهذا هو الإيقاع الذي تمس السورة به القلوب، وهى تقول في أولها: **﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾**؟!.

ثم تقول في آخرها: أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟!. ففى الآية الأولى حكاية شك الإنسان في جمع العظام وتركيبها من جديد، فقد كانت المشكلة العارضة لأذهان الناس الذين لم يسمعوا لهذا القرآن، الذي كشف عن حقيقة الموت والحياة وعن البعث والجزاء. فالقرآن يرد على هذا الحسبان بعدم جمع العظام، مؤكدا وقوعه. . . **﴿بلى قادرين على أن نسوى بنانه. بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾**: هذه هي علة إنكار يوم القيامة وما فيها من جزاء، فهذا الإنسان

المكذب يريد أن يفجر ويستمر في فجوره دون عائق أو مانع يقف أمامه يصده عما يريد. . . ﴿**يسأل: أيّان يوم القيامة**﴾ ؟! : فمن أجل ما يريد يسأل هذا السؤال بهذا اللفظ المديد ﴿**أيّان**﴾ وذلك تمشيا مع رغبته في الفجور، لا يصده شبح البعث في يوم النشور، فالآخرة لجام للنفس الراغبة في عمل الشرور، فهو يحاول إزالة هذا اللجام الكابح له من الانطلاق في الفجور! ..﴿**فإذا برق البصر. وخسف القمر. وجمع الشمس والقمر. يقول الإنسان يومئذ: أين المفر**﴾؟! : هذا هو الجواب الحاسم على ذلك السؤال: أيان يوم القيامة ؟. فالبصر يخطف وينقلب سريعا تقلّب البرق وخطفه، والقمر يخسف ويطمس نوره، والشمس تجمع مع القمر في ذلك اليوم الرهيب!، فتصير الشمس نارا، والقمر حجارة: «وقودها الناس والحجارة». «إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم». وفى وسط هذا الذعر والهلع يتساءل الإنسان المرعوب: أين المفر ؟ ..﴿**كلا!. لا وزر. إلى ربك يومئذ المستقر. ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر**﴾: يُخبر بما قدمه من عمل قبل وفاته، وبما أخره وراءه من آثار هذا العمل خيرا كان أو شرا، فمن الأعمال ما يخلف وراءه آثارا تضاف لصاحبها في ختام الحساب!. ومهما اعتذر الإنسان بشتى المعاذير عما وقع منه فلن يُقبل منه عذر، لأن نفسه موكولة إليه، وهو موكّل بها، وعليه أن يهديها إلى الخير ويقودها. فإذا انتهى بها إلى الشر فهو مكلف بها وحجّة عليها. . . ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره! لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه**﴾: في هذه الآيات توجيه للرسول ﷺ في شأن الوحى وتلقى القرآن، والغرض من هذا التوجيه: أن الله تكفل بشأن هذا القرآن ؛ وحيًا وحفظا، وجمعا وبيانا، فليس للرسول إلا حمله وتبليغه. . . ﴿**كلا!. بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة**﴾: رجوع إلى الغرض الأساسى مما يطلب من الإنسان الاهتمام به، وهو سادر غافل يحب العاجلة ويذر الآخرة، وينسى مصيره وما تكون عليه حال الناس عندما تجئ الآخرة! ..﴿**وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة. ووجوه يومئذ باسرة. تظن أن يفعل بها فاقرة**﴾: هذه هي الآخرة التي يذرونها ويهملونها، ويتجهون إلى العاجلة يحبونها ويحفلون بها، ووراءهم هذا اليوم الذي تختلف فيه المصائر هذا الاختلاف الشاسع البعيد ؛ من وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، إلى وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة! ..﴿**كلا!. إذا بلغت التراقى. وقيل: من راق ؟. وظن أنه**

الفراق﴾: مشهد آخر حاضر قريب يتكرر كل يوم ويراه أكثر الناس ؛ مشهد الموت، الموت الذي يفرق الأحبّة، ويمضي في طريقه لا يتوقف ولا يتلفّت، ولا يستجيب لصرخة ملهوف، ولا لحسرة مفارق. الموت الذي يصرع الجبابرة بنفس السهولة التي يصرع بها الأقزام، ويقهر بها المتسلطين كما يقهر المستضعفين سواء، إنه مشهد الاحتضار، حين يكون النزع الأخير، والروح بلغت الحلقوم، وتنادى عنده القوم: هل من راق يرقيه ؟. بل لا أحد ينجيه!. وهو في حالة استسلام لما يكون بعد الفراق. . . **﴿والتفت الساق بالساق. إلى ربك يومئذ المساق﴾!**. ثم بعد مواجهة المشهد المكروب الملهوف الجاد الواقع الحاضر، يعرض السياق مشهد اللاهين المكذبين، الذين يعبثون ويلهون، وفى اختيال بالمعصية والتولى يمرحون. . . **﴿فلا صدق ولا صلى، ولكن كذب وتولى. ثم ذهب إلى أهله يتمطى. أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى﴾**!: فهنا ينتهى المطاف بكل من لا يتقى الله ولا يخشى ولا يخاف، وهو كلام يقال بعد أن يتم كل شيء، وينتهى إلى الله عمل كل أحد من خير أو شر من إيمان أو كفر. . . **﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟!. ألم يك نطفة من منيّ تُمنى ؟!. ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾!**.

﴿أليس ذلك بقادر على أن يحييَ الموتى﴾؟!: فلقد كانت الحياة في نظر أكثر الناس حركة لا علة لها ولا هدف ولا غاية، كما قالت دهرية العرب: أرحام تدفع وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر!. فأما أن يكون هناك ناموس وراءه هدف، ووراء الهدف حكمة، وأن يكون قدوم الإنسان أولا إلى هذه الحياة الدنيا، وفق قدر يجرى إلى غاية مقدرة، وأن ينتهى أخيرا إلى حساب وجزاء، وأن تكون رحلته على هذه الأرض ابتلاء، ينتهى إلى الحساب والجزاء. أما هذا التصور الدقيق المتناسق، والشعور بما وراءه من إله قادر مدبر حكيم، يفعل كل شيء بقدر، ولكل أجل كتاب، أمّا هذا فكان أبعد عن تصور أكثر الناس ومداركهم في ذلك الزمان وفى كل زمان!. «وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين». فهذا التصور الذي يوجه القرآن إليه الناس منذ ذلك العهد ـ عهد البعثة، ونزول القرآن ـ ينقلهم نقلة هائلة بالقياس إلى التصورات السائدة عند أهل الكتاب وعند عباد الأصنام والأنصاب. فهذه اللمسة هي إحدى لمسات القرآن التوجيهية للقلب البشرى، كى يتلفت ويستحضر الروابط والصلات والأهداف والغايات والعلل والأسباب التي

تربط وجوده بالوجود كله، وبالإرادة المدبّرة للوجود كله دنيا وآخرة. وهكذا تنتهى السورة بهذا الأسلوب الحاسم الجازم، القوى العميق، الذي يملأ الحسّ ويفيض بحقيقة الوجود الإنسانى وما وراءها من تدبير وتقدير.

10 ـ موضوع سورة الإنسان،
تمييز الكفر من الإيمان



النص

بسم الله الرحمن الرحيم

* هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا (1) إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا (2) إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا (3) إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا (4) إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا (5) عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا (6) يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا (7) ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا (8) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (9) إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا (10) فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا (11) وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (12) متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا (13) ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا (14) ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا (15) قواريرا من فضة قدروها تقديرا (16)

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿17﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿18﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿19﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿20﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿21﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿22﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿23﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿24﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿25﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿26﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿27﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿28﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿29﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿30﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿31﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**هل**﴾: أقد... ﴿**أتى**﴾: مضى... ﴿**على الإنسان**﴾: جنس الإنسان... ﴿**حين من الدهر**﴾: زمن طويل قبل وجوده... ﴿**لم يكن شيئا مذكورًا**﴾: كان شيئا منسيا لا يذكر... ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج**﴾: من ماء الرجل وماء المرأة، خلط بعضه ببعض فصار علقة، والمشج: الخلط والمزج... ﴿**نبتليه**﴾: مريدين اختباره بالتكليف... ﴿**فجعلناه سميعا بصيرا**﴾: ذا سمع وذا بصر،

ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ـ القرآن ـ، ومشاهدة الآيات الكونية الدالة على الخالق. . . ﴿**إنّا هديناه السبيل**﴾: بينّا له طريق الهدى بأدلة العقل والسمع. . . ﴿**إمّا شاكرا**﴾: مؤمنا منساقا مع الهدى. . . ﴿**وإما كفورا**﴾: كافرا منساقا إلى الردى. . . ﴿**إنّا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا**﴾: هيّئنا لفريق الإنسان الكفور سلاسلا يقاد بها، وأغلالا يُقيّد بها، وسعيرا يحرق بها. . . ﴿**إنّ الأبرار**﴾: فريق الإنسان الشاكر. . . ﴿**يشربون من كأس كان مزاجها كافورا. عينا يشرب بها عباد الله**﴾: يتفكه ويلتذ بهذا الشراب النقى الصافى البارد الشافى. . . ﴿**يفجرونها تفجيرا**﴾: يجرونها حيث شاءوا، وإجراءً سهلا مندفعا إليهم دون عناء في طلبه. . . ﴿**يوفون بالنذر**﴾: يوفون بما أوجبوه على أنفسهم. . . ﴿**ويخافون يوما كان شره مستطيرا**﴾: كان ذلك اليوم ـ يوم القيامة ـ يوما خطيرا، وشره ـ شدائده ـ مستطيرا: منتشرا فاشيا. . . ﴿**ويطعمون الطعام على حبه**﴾: على طيب نفس ورجاء ثواب، مع شدة الحاجة إلى الطعام. . . ﴿**مسكينا**﴾: ضعيفا عاجزا. . . ﴿**ويتيما**﴾: فاقد الأب. . . ﴿**وأسيرا**﴾: مأسور تحت سلطة الغير. . .

﴿**إنما نطعمكم لوجه الله. لانريد منكم جزاء ولا شكورا**﴾: فالجزاء: ما يجازى عليه، والشكور: ما يقال من ثناء. . . ﴿**إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا**﴾: القمطرير: شديد العبوس مخيف المنظر. . . ﴿**فوقاهم الله شر ذلك اليوم. ولقاهم نضرة وسرورا. وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا. متكئين فيها على الأرائك. لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا**﴾: فالزمهرير: البرد الشديد. . . ﴿**ودانية عليهم ظلالها**﴾: عطف تفسير لقوله: لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا. . . ﴿**وذللت قطوفها تذليلا**﴾: مثل قوله تعالى: «أُكُلُها دائِمٌ وظلُّها». . . ﴿**ويطاف عليهم بآنية من فضة. وأكواب كانت قواريرا. قواريرا من فضة**﴾: فالآنية والأكواب لها بريق وصفاء الزجاج، ومتانة وبقاء الفضة على الدوام. . . ﴿**قدروها تقديرا**﴾: كل واحد يختار شكل كوبه، ونوع شرابه!. «وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين». . . ﴿**ويسقون فيها كأسا. كان مزاجها زنجبيلا. عينا فيها تسمى سلسبيلا**﴾: فشراب أهل الجنة من الأبرار ممزوج بالكافور والزنجبيل. فالكافور: عين في الجنة يتفكه بها عباد الله، والزنجبيل: عين في الجنة تسمى سلسبيلا!. والسلسبيل: العذب الطيب في الرائحة والمنظر. . . ﴿**ويطوف عليهم ولدان مخلدون**﴾: من يموت صبيا وليس له في الجنة آباء يخدمهم، مثل أولاد الكفار،

أما الذين لهم آباء في الجنة فقد تقدم ذكرهم في قوله تعالى من سورة الطور: «ويطوف عليهم غلمان لهم»... **﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾**: وصف الولدان باللؤلؤِ المنثور لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم هنا وهناك، يتلألؤون مثل النجوم في السماء... **﴿وإذا رأيت ثَمّ رأيت نعيما وملكا كبيرا!. عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾**: تعلو أهل الجنة ثياب من سندس ـ رقيق الحرير ـ خضر، وإستبرق: جمال في اللون وبريق ولمعان غاية في الحسن والكمال... **﴿وحلوا أساور من فضة﴾**: تنوعت أساور أهل الجنة من ذهب تارة ومن لؤلؤ أخرى وفضة كذلك... **﴿وسقاهم ربّهم شرابا طهورا﴾**: يصفى الروح وينقى العقل ويحسن الجسم!. والطهور: الطاهر في نفسه المطهر لغيره، كما عرفه الفقهاء... **﴿إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورا﴾**: فيقال للأبرار هذا القول جزاءً لقولهم: لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا...

﴿إنّا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا. فاصبر لحكم ربك. ولاتطع منهم آثما أو كفورا!. واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا. ومن الليل فاسجد له. وسبحه ليلا طويلا﴾: شملت هذه الأوامر، الأمر بصلاة الفرض بكرة وأصيلا، صلوات النهار: الصبح والظهر والعصر، وصلاتى الليل: المغرب والعشاء، ومن الليل فاسجد له، وشملت صلاة التهجد، وسبحه ليلا طويلا... **﴿إنّ هؤلاء يحبون العاجلة. ويذرون وراءهم يوما ثقيلا﴾**: فهم تركوا المخبر عنه ـ القرآن ـ وراءهم... **﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾**: فهم تحت تصرفنا منقادون قهرا لإرادتنا... **﴿وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلا﴾**: بدلنا خلقهم يوم القيامة بخلق آخر... **﴿إنّ هذه تذكرة. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا. وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله. إنّ الله كان عليما حكيما. يدخل من يشاء في رحمته﴾**: من المؤمنين... **﴿والظالمين أعدّ لهم عذابا أليما﴾**.

مبحث الإعراب

﴿هل﴾ حرف استفهام بمعنى قد والهمزة ـ أقد ـ. **﴿أتى﴾** فعل ماض. **﴿على الإنسان﴾** متعلق بأتى. **﴿حينٌ﴾** فاعل. **﴿من الدهر﴾** متعلق بمحذوف نعت لحين. **﴿لم يكن﴾** يكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم النافية، واسم يكن ضمير يعود على الإنسان. **﴿شيئا﴾** خبر يكن. **﴿مذكورا﴾** نعت للخبر، وجملة لم يكن شيئا

مذكورا حال من الإنسان. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**خلقنا الإنسان**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**من نطفة**﴾ متعلق بخلقنا. ﴿**أمشاج**﴾ نعت لنطفة، والجملة خبر إنّ. ﴿**نبتليه**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل نحن، والجملة حال من فاعل خلقنا. ﴿**فجعلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿**سميعا بصيرا**﴾ مفعول ثانٍ، والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**هديناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿**السبيل**﴾ مفعول ثانٍ، والجملة خبرإنّ، وجملة إنّا هديناه السبيل تعليلية. ﴿**إمّا**﴾ أداة تفصيل. ﴿**شاكرا**﴾ حال من الضمير المفعول يعود على الإنسان. ﴿**وإمّا كفورا**﴾ معطوف على إمّا شاكرا. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أعتدنا**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر إنّ. ﴿**للكافرين**﴾ متعلق بأعتدنا.

﴿**سلاسلا**﴾ مفعول به. ﴿**وأغلالا**﴾ معطوف عليه. ﴿**وسعيرا**﴾ كذلك. ﴿**إنّ الأبرار**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يشربون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر إنّ. ﴿**من كأس**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كان مزاجُها**﴾ كان واسمها. ﴿**كافورا**﴾ خبر كان، وجملة كان مزاجها كافورا نعت لكأس. ﴿**عينا**﴾ بدل من كافورا. ﴿**يشرب**﴾ فعل مضارع. ﴿**بها**﴾ متعلق بيشرب. ﴿**عبادُ**﴾ فاعل. ﴿**اللهِ**﴾ مضاف إلى عباد، وجملة يشرب بها عباد الله نعت لعينا. ﴿**يفجرونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة نعت ثان لعينا. ﴿**تفجيرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**يوفون**﴾ فعل وفاعل، والجملة بيانية. ﴿**بالنذر**﴾ متعلق بيوفون. ﴿**ويخافون**﴾ معطوف على يوفون. ﴿**يوما**﴾ مفعول به. ﴿**كان شرُّه مستطيرًا**﴾ كان واسمها وخبرها نعت ليوما. ﴿**ويطعمون الطعام**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على يوفون. ﴿**على حبه**﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل يطعمون. ﴿**مسكينا**﴾ مفعول ثان ليطعمون، بمعنى يعطون. ﴿**ويتيما وأسيرا**﴾ معطوفان على مسكينا. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**نطعمكم**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل نحن. ﴿**لوجه**﴾ متعلق بنطعمكم. ﴿**اللهِ**﴾ مضاف إلى وجه. ﴿**لا نريد**﴾ معطوف بلا على نطعمكم. ﴿**منكم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**جزاءً**﴾ مفعول به. ﴿**ولا شكورا**﴾ معطوف على ما قبلها والمعنى: ولا نريد منكم شكورا. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**نخاف**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن، والجملة خبر إنّ. ﴿**من ربّنا**﴾ متعلق بنخاف. ﴿**يوما**﴾ مفعول به. ﴿**عبوسا**﴾ نعت له. ﴿**قمطريرا**﴾ نعت ثانٍ. ﴿**فوقاهم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول أول. اللهُ فاعل. ﴿**شرَّ**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر

مضاف إلى شر. ﴿**اليومِ**﴾ عطف بيان لذلك، والجملة مرتبة على ما قبلها بالفاء. ﴿**ولقّاهم**﴾ معطوف علىٰ وقاهم. ﴿**نضرةً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وسرورا**﴾ معطوف على نضرة. ﴿**وجزاهم**﴾ معطوف على وقاهم. ﴿**بما**﴾ متعلق بجزاهم. ﴿**صبروا**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما، أى: جزاهم بالصبر الذي صبروه. ﴿**جنةً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**وحريرا**﴾ معطوف على جنة. ﴿**متكئين**﴾ حال من الضمير المفعول في جزاهم. ﴿**فيها على الأرائك**﴾ متعلقان بمتكئين.

﴿**لا يرون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى. ﴿**فيها**﴾ متعلق بيرون. ﴿**شمسا**﴾ مفعول به. ﴿**ولا زمهريرا**﴾ معطوف على لا يرون فيها شمسا، أى: ولا يرون زمهريرا، والجملة حال ثانية مثل الحال السابقة ـ متكئين ـ. ﴿**ودانيةً**﴾ حال ثالثة. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بدانية. ﴿**ظلالُها**﴾ فاعل باسم الفاعل ـ دانية ـ. ﴿**وذللت**﴾ فعل ماض مبنى لمجهول. ﴿**قطوفُها**﴾ نائب الفاعل. ﴿**تذليلاً**﴾ مفعول مطلق، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**ويطاف**﴾ فعل مضارع مبنىّ للمجهول. ﴿**عليهم**﴾ نائب الفاعل. ﴿**بآنية**﴾ متعلق بيطاف. ﴿**من فضة**﴾ متعلق بمحذوف نعت لآنية. ﴿**وأكواب**﴾ معطوف على آنية. ﴿**كانت**﴾ اسم كانت ضمير يعود على أكواب. ﴿**قواريرا**﴾ خبر كانت. ﴿**قواريرا**﴾ بدل من قواريرا قبلها. ﴿**من فضة**﴾ متعلق بمحذوف نعت لقوارير. ﴿**قدّروها**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**تقديرا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**ويسقون**﴾ فعل مضارع مبنىّ للمجهول، وواو الجماعة نائب الفاعل، والجملة معطوفة على جملة ويطاف عليهم بآنية من فضة. ﴿**فيها**﴾ متعلق بيسقون. ﴿**كأسا**﴾ مفعول ثان ليسقون، والمفعول الثانى نائب الفاعل في يُسْقَوْن. ﴿**كان مزاجها**﴾ كان واسمها. ﴿**زنجبيلا**﴾ خبر كان. ﴿**عينا**﴾ بدل من زنجبيلا. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف نعت لعينا. ﴿**تُسمى**﴾ فعل مضارع مبنىّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على عين. ﴿**سلسبيلا**﴾ مفعول ثانٍ لتسمى. ﴿**ويطوف**﴾ فعل مضارع معطوف على قوله: إنّ الأبرار يشربون. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بيطوف. ﴿**ولدان**﴾ فاعل. ﴿**مخلدون**﴾ نعت لولدان. ﴿**إذا رأيتهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول فعل شرط إذا. ﴿**حسبتهم**﴾ الجملة من الفعل والفاعل والمفعول جواب شرط إذا كذلك. ﴿**لؤلؤا**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**منثورا**﴾ نعت له. ﴿**وإذا رأيت**﴾ معطوف على إذا رأيتهم. ﴿**ثَمَّ**﴾ ظرف متعلق برأيت. ﴿**رأيت نعيما**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب شرط إذا. ﴿**وملكا**﴾ معطوف على نعيما. ﴿**كبيرا**﴾ نعت لملكا. ﴿**عاليهم**﴾ مبتدأ

مرفوع بضمة مقدرة على الياء، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**ثيابُ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**سندس**﴾ مضاف إلى ثياب. ﴿**خضرٌ**﴾ نعت لثياب. ﴿**واستبرقٌ**﴾ معطوف على ثياب. ﴿**وحُلّوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل معطوف على عاليهم.

﴿**أساور**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**من فضّة**﴾ متعلق بمحذوف نعت لأساور. ﴿**وسقاهم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول أوّل. ﴿**ربُّهم**﴾ فاعل. ﴿**شرابا**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**طهورا**﴾ نعت له، والجملة معطوفة مثل الجملة قبلها. ﴿**إنّ هذا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على هذا. ﴿**لكم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**جزاء**﴾ خبر كان، وجملة كان لكم جزاء خبر إنّ. ﴿**وكان سعيكم مشكورا**﴾ جملة كان واسمها وخبرها، معطوفة على كان لكم جزاء. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**نحن**﴾ ضمير فصل مؤكِّد. ﴿**نزّلنا**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر إنّ. ﴿**عليك**﴾ متعلق بنزلنا. ﴿**القرآنَ**﴾ مفعول به. ﴿**تنزيلا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**فاصبر**﴾ أمر موجه إلى الرسول، والفاء للتعقيب على ما قبله. ﴿**لحكم**﴾ متعلق باصبر. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى حكم. ﴿**ولا تطع**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل ضمير يعود على الرسول، والجملة معطوفة على الأمر قبلها. ﴿**منهم**﴾ متعلق بمحذوف نعت لقوله ﴿**آثما**﴾، أي: آثما كائنا منهم. أو ﴿**كفورا**﴾ معطوف بأو على ما قبله. ﴿**واذكر**﴾ معطوف على فاصبر. ﴿**اسم**﴾ مفعول به. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى اسم. ﴿**بكرة**﴾ ظرف زمان متعلق باذكر. ﴿**وأصيلا**﴾ معطوف عليه. ﴿**ومن الليل**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**فاسجد**﴾ مرتب على اذكر. ﴿**له**﴾ متعلق باسجد. ﴿**وسبحه**﴾ معطوف على فاسجد. ﴿**ليلا**﴾ منصوب على الظرفية. ﴿**طويلا**﴾ نعت له. ﴿**إنّ هؤلاء**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يحبون العاجلة**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر إنّ. ﴿**ويذرون**﴾ معطوف على يحبون. ﴿**وراءَهم**﴾ متعلق بيذرون. ﴿**يومًا**﴾ مفعول به. ﴿**ثقيلا**﴾ نعت له. ﴿**نحن**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**خلقناهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**وشددنا أسرَهم**﴾ معطوف على خلقناهم، وهو مثله في الإعراب. ﴿**وإذا شئنا**﴾ فعل وفاعل، والجملة فعل شرط إذا. ﴿**بدّلنا أمثالهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب شرط إذا. ﴿**تبديلا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**إنّ هذه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**تذكرةٌ**﴾ خبرها. ﴿**فمن**﴾ اسم شرط. ﴿**شاء**﴾ فعل الشرط، والفاعل ضمير يعود على مَنْ.

﴿**اتخذ**﴾ جواب الشرط. ﴿**إلى ربّه**﴾ متعلق باتخذ. ﴿**سبيلا**﴾ مفعول به،

والفاء لترتيب الجملة على ما قبلها. ﴿**وما تشاءون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى وواو العطف. ﴿**إلاّ أن يشاء اللهُ**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مضاف إلى ظرف مقدّر، والتقدير: وما تشاؤون في أى وقت إلاّ وقت مشيئة الله. ﴿**إنّ الله**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على الله. ﴿**عليما حكيما**﴾ خبران لكان، وكان عليما حكيما خبر إنّ. ﴿**يدخل**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول. ﴿**يشاء**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة صلة الموصول. ﴿**فى رحمته**﴾ متعلق بيدخل. ﴿**والظالمين**﴾ مفعول بفعل يفسره. ﴿**أعدّ**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الله. ﴿**لهم**﴾ متعلق بأعدّ. ﴿**عذابا**﴾ مفعول به. ﴿**أليما**﴾ نعت له.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**﴾: فهذه الآية التي ابتدئت بها السورة جاءت تقدمة وتوطئة للآيات التي بعدها، وتأكيدا لخاتمة السورة التي قبلها، فالرباط بين السورتين رباط قوى، والمناسبة بينهما مناسبة واضحة. وفى هذه السورة لمسات وإيحاءات وإرشادات: تبدأ بلمسة موجهة للقلب البشرى: أين كان قبل أن يكون ؟!. تتلوها لمسة أخرى عن حقيقة أصله ونشأته، وحكمة الله في خلقه وتزويده بطاقاته ومداركه. ولمسة ثالثة عن هدايته إلى الطريق، وعونه على الهدى، وتركه بعد ذلك لمصيره الذي يختاره. ثم تأتى بعد ذلك نتائج الاختيار: إمّا إلى نعيم مقيم، وإمّا إلى جحيم ونار، فبئس القرار!. والسورة يرتبط موضوعها برباط واحد من البداية إلى النهاية، وبين المطلع والختام ترد أكمل صورة قرآنية لمشاهد النعيم. وهذا الاستفهام في مطلع السورة إنّما هو للتقرير، ولكن وروده بهذه الصيغة ـ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ـ كأنّما ليسأل الإنسانُ نفسَه: ألاّ يعرف أنّه أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟. ثم ألا يتدبر هذه الحقيقة ويتملاّها ؟. ثم ألا يفعل تدبّرها في نفسه شيئا من الشعور باليد التي دفعته إلى مسرح الحياة، وسلطت عليه النور، وجعلته شيئا مذكورا بعد أن لم يكن شيئا مذكورا ؟!. فأمّا امتداد هذا الإنسان بعد ذلك وبقاؤه، فكانت له قصة أخرى. . .

﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾: فالإظهار هنا ـ الإنسان في مقام الإضمار ـ خلقناه ـ لزيادة التقرير، وكلمة أمشاج هنا: تعبير علمى قصد به إعجاز علمى مع إعجازه البيانى!. فالأمشاج: الأخلاط، وهى إشارة إلى تكون النطفة من خلية الذكر، وبويضة الأنثى بعد التلقيح، فهى الوراثات الكامنة في النطفة، والتى يمثلها ما يسمونه علميا «الجينات» وهى وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميزة لجنس الإنسان أولا، ولصفات الجنين العائلية أخيرا، وإليها يعزى سير النطفة الإنسانية في رحلتها لتكوين جنين إنسان، لا جنين أيِّ حيوان آخر، كما تعزى إليها وراثة الصفات الخاصة في الأسرة!. فخلق الله الإنسان هكذا من نطفة أمشاج، لا عبثا ولا جزافا ولا تسلية، ولكنه خلق ليُبتلى ويُمتحن ويُختبر. . . **﴿نبتليه. فجعلناه سميعا بصيرا﴾**: مرتب هذا الجعل على الاختبار، فزود الله الإنسان بوسائل الإدراك، ليستطيع التلقى والاستجابة، وليدرك الأشياء والقيم ويحكم عليها ويختار، ويختار الابتلاء وفق ما يختار. ثم زوده إلى جانب المعرفة بالقدرة على اختيار الطريق، وبين له الطريق الواصل، ثم تركه ليختاره، أو ليضل ويشرد فيما وراءه من طرق لا تؤدى إلى الله. . . **﴿إنّا هديناه السبيل. إمّا شاكرا. وإمّا كفورا﴾**: فالإنسان في فترة امتحان يقضيها على الأرض. ومن ثمّ يأخذ السياق في عرض ما ينتظر الإنسان بعد الابتلاء واختياره طريق الشكر أو طريق الكفران، فيجمل ما ينتظر الكافر، ويسهب ويطيل ويفصّل ما ينتظر الأبرار من نعيم الجنان ..**﴿إنّا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا. إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا. عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾**: تقديم ذكر عذاب الكافرين على ذكر نعيم المؤمنين على طريقة اللف والنشر المشوش؛ على حد قوله تعالى: «يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه، فأمّا الذين اسودّت وجوههم»، ولأنّ الإنذار أوقع في الزجر. وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن، والتعبير يسميهم في الآية الأولى «الأبرار» ويسميهم في الآية الثانية «عباد الله» إيناسا وتكريما وإعلانا للفضل تارة، وللقرب من الله تارة في معرض النعيم والتكريم. ثم يعرف بهؤلاء الأبرار عباد الله الذين قسم لهم هذا المتاع. . . **﴿يوفون بالنذر﴾**: فيفعلون ما اعتزموا من الطاعات، وما التزموا من الواجبات. . . **﴿ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾**: فهم يدركون صفة هذا اليوم، فيخافون أن ينالهم شىء من شره. . .

﴿**ويطعمون الطعام على حبه. مسكينا ويتيما وأسيرا. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**﴾: فهى الرحمة الفائضة من قلوب هؤلاء الأبرار، حين تتجه إلى الله تطلب رضاه، كما تتقى بها يوما عبوسا شديد العبوس تتوقعه وتخشاه... ﴿**إنّا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا**﴾. فمن ثَمَّ كان ذلك التصوير الكريم لذلك الشعور الكريم... ﴿**فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسرورا**﴾: فيعجل السياق بذكر وقايتهم من شر ذلك اليوم الذي كانوا يخافونه، ليطمئنهم في الدنيا وهم يتلقون هذا القرآن ويصدقونه!، ويذكر أنّهم تلقوا من الله نضرة وسرورا، لا يوما عبوسا قمطريرا، جزاءً وفاقا على خشيتهم وخوفهم. ثم يمضى السياق بعد ذلك في وصف متاع الجنة التي وجدوها... ﴿**وجزاهم بما صبروا جنّة وحريرا. متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا**﴾: فهم في جلسة مريحة مطمئنة، والجوّ حولهم رخاء ناعم دافئ في غير حر، نديّ في غير برد، فلا شمس تلهب النسائم، ولا زمهرير قارس النسائم، فهذا عالم آخر ليس فيه شمسنا الحارقة، ولا عواصفنا الخارقة!، إنّما هي ظلال رائقة وجنان وارفة... ﴿**ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا**﴾: فإذا دنت الظلال ودنت القطوف وسهل تناولها في الراحة والاسترواح على أمتع ما يمتد إليه الخيال!، فهذه هي الهيئة العامة لهذه الجنّة التي جزى الله بها عباده الأبرار الذين رسم لهم تلك الصورة المرهفة اللطيفة الوضيئة في الدنيا. ثم تأتى تفصيلات المناعم والخدمات... ﴿**ويُطافُ عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا. قواريرا من فضة قدروها تقديرا. ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا. عينا فيها تسمى سلسبيلا**﴾: فهم في متاعهم متكئين على الأرائك بين الظلال الوارفة والقطوف الدانية والجوّ الرائق، يطاف عليهم بأشربة في آنية من فضة، وفى أكواب من فضة كذلك، ولكنها شفافة كالقوارير، مما لم تعهده الأرض في آنية الفضة، وهى بأحجام مقدرة تقديرا يحقّق المتاع والجمال، ثم هي تمزج بالزنجبيل كما مزجت مرة بالكافور، وهى كذلك تُملأ من عين جارية تسمى سلسبيلا، فهذا الأسلوب المعبر به هنا أسلوب الإطناب!، وهو من مقاصد أرباب البلاغة.

وزيادة في المتاع فإنّ الذين يطوفون بهذه الأوانى والأكواب بالشراب هم ولدان صباح الوجوه. مُخلّدون ـ في سن الصباحة والنشاط والوضاءة، وهم هنا وهناك أينما كانوا كاللؤلؤ المنثور... ﴿**ويطوف عليهم ولدان مُخلّدون. إذا رأيتهم**

حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾: ثم يجمل السياق خطوط المنظر، ويلقى عليه نظرة كاملة تلخص وقعه في القلب والمنظر... ﴿**وإذا رأيت ثَمّ رأيت نعيما وملكا كبيرا**﴾!. ثم يخصص مظهرا من مظاهر النعيم والملك الكبير، كأنه تعليل لهذا الوصف وتفسير... ﴿**عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق. وحُلّوا أساور من فضة. وسقاهم ربهم شرابا طهورا**﴾: فهم ملوك في أبهى صورة الملك!، مكرمون من ملك الملوك ؛ الله ربهم ورب العالمين!. ثم يتلقون على هذا النعيم الود بالجزاء والتكريم... ﴿**إنّ هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا**﴾!. وهكذا ينتهى ذلك العرض المفصل بالأسلوب المُطنَب، بالهتاف إلى ذلك النعيم الطيب!، بأولئك الأبرار المقربين ينعمون بالقرب ونوائل الحب! ..﴿**إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا**﴾: هذه الجملة جاءت مستأنفة استئنافا بيانيا، تبين المصدر الذي يستقى منه هذه الأخبار بجزاء الجنة ونعيمها وعقاب النار وجحيمها... ﴿**فاصبر لحكم ربك**﴾: إذا كان الأمر كذلك فاصبر لحكم ربك... ﴿**ولا تطع منهم آثما أو كفورا. واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا. ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا**﴾: هذا هو الزاد، وهو الاتصال بالمصدر الذي نزّل عليك القرآن. ثم يمضى السياق في توكيد الافتراق بين منهج الرسول ومنهج الجاهلية، بما يقرره من غفلتهم عن رؤية الحق لأنفسهم، ومن تفاهة اهتماماتهم وصغر تصوراتهم، فيقول... ﴿**إنّ هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا**﴾: فهم يختارون العاجلة، ويذرون اليوم الثقيل الذي ينتظرهم هناك بالسلاسل والأغلال والسعير بعد الحساب العسير! ..﴿**نحن خلقناهم وشددنا أسرهم. وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا**﴾: جاء أولا بدليل إمكان البعث، ثم ثانيا بوقوعه وما يترتب عليه!. ثم يوقظهم السياق إلى الفرصة المتاحة لهم قبل وقوع اليوم الموعود... ﴿**إنّ هذه تذكرة. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا. وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله. إنّ الله كان عليما حكيما**﴾: فمن ثم فهو... ﴿**يدخل من يشاء في رحمته**﴾: إكراما، ويهين الظالمين انتقاما... ﴿**والظالمين أعد لهم عذابا أليما**﴾!. وهذا الختام يلتئم مع المطلع، ويصور نهاية الابتلاء. ففى هذا الأسلوب رد العجز على الصدر، وفيه براعة المقطع، ليرتبط المطلع بالمقطع، بأسلوب فائق وتعبير رائق!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**﴾؟!: فهذه إيحاءات كثيرة تنبع من وراء صيغة الاستفهام في هذا المقام، وهي إيحاءات عميقة تثير في النفس تأملات شتّى: واحدة منها تتجه بالنفس إلى ما قبل خلق الإنسان ووجوده ابتداءً وواحدة منها تتجه إلى اللحظة التي انبثق فيها أولُ إنسان، والتى أضافت إلى الوجود هذه الصورة الجديدة، المقدر أمرها في حساب قبل أن تكون: «إنّى جاعل في الأرض خليفة»، المحسوب دورها في خط سير هذا الكون الطويل!. وواحدة منها تتجه إلى تأمّل يدِ القدرة وهى تدفع بهذا الكائن الجديد على مسرح الوجود، وتعدّه لدوره، وتعدّ له دورَه، وتربط خيوط حياته بمحور الوجود كله، وتهيّئ له الظروف التي تجعل بقاءه وأداء دورِه ممكنا وميسورا، ونُتابعُه بعد ذلك في كل خطوة، ومعها الخيط الذي تشدّه به إليها مع سائر خيوط الكون الكبير، وإيحاءات كثيرة وتأملات شتى يطلقها هذا النص في الضمير، ينتهى منها القلب إلى الشعور بالقصد والغاية والتقدير في المنشإ وفى الرحلة وفى المصير، فأمّا امتداد هذا الإنسان بعد ذلك وبقاؤه فكانت له قصة أخرى... ﴿**إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا**﴾: فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من نطفة ـ أمشاج ـ لا عبثا ولا جزافا ولا تسلية، ولكنه خلقه ليبتليه: يمتحنه ويختبره، من أجل ذلك جعله سميعا بصيرا، فهما مناط التكليف، مع هذين السبيلين سبيل الهداية بوساطة الكتب التي أنزلها الله على الرسل... ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾: فبعد منحنا إياه السمع والبصر بينا له طريق الحق وطريق الباطل... ﴿**إمّا شاكرا وإمّا كفورا**﴾: فبعد هذه التوجيهات الثلاث يشعر الإنسان بجدية الأمر ودقته، ويدرك أنّه مخلوق لغاية، وأنّه مشدود إلى محور، وأنّه مزوَّد بالمعرفة، فمحاسب عليها. ومن أجل هذه يأخذ السياق في عرض ما ينتظره الإنسان بعد الابتلاء واختياره طريق الشكر أو طريق الكفر... ﴿**إنّا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا**﴾: فهو عرض مجمل لما يلقاه الكافر يوم القيامة، عندما اختار طريق الكفر في الدنيا، فقد هُيّئت له السلاسل والأغلال والسعير. فأمّا المؤمنون الشاكرون الأبرار فقد ذكر نعيمهم مفصلا لكل نوع، ومبينا سببه بيانا كاملا...

﴿إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا. عينا يشرب بها عباد الله. يفجرونها تفجيرا. يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا. ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا. إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا. إنّا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا. فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا. وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا. متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا. ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا. ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا. قواريرا من فضة قدروها تقديرا. ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا. عينا فيها تسمى سلسبيلا. ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا. وإذا رأيت ثَمّ رأيت نعيما وملكا كبيرا. عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق. وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا. إنّ هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾: فهذا أطول عرض لما أعد لعباد الله الأبرار من أوصافهم ومن أوصاف ما أعد لهم... **﴿إنّا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلا﴾**: يتوجه الخطاب إلى الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ يطمئنه بهذا القرآن الذي فصل كل شيء، ومنه موقف المشركين المعرضين عن هذا القرآن، فقد كان الرسول الكريم يواجه المشركين بالدعوة إلى الله، وهو لم يكن يواجه في نفوسهم مجرد عقيدة، ولو كان الأمر كذلك لكان أيسر كثيرا. فإنّ عقيدة الشرك المهلهلة التي كانوا عليها لم تكن من القوة والثبات بحيث يصمدون بها هكذا لعقيدة الإسلام القوية الواضحة البسيطة، إنما كانت الملابسات التي تحيط بالعقيدة وبالموقف، هي التي تقود إلى تلك المعارضة العنيدة، فكانت المكانة الاجتماعية والاعتزاز بالقيم السائدة في البيئة، وما يلتبس بها كذلك من مصالح مادية، هي العنصر الأول الذي يقود إلى التشبّت بالعقيدة الواهية الظاهرة البطلان، في وجه العقيدة القوية الظاهرة الاستقامة، ثم كانت صور الحياة الجاهلية ومتاعها ولذائذها وشهواتها إلى جانب ذلك، تزيد المقاومة والعناد والتأبّى على العقيدة الجديدة، وما فيها من اتجاهات أخلاقية وقيم رفيعة، لا تسمح بانطلاق الغرائز والشهوات، ولا بالحياة العابثة الماجنة المطلقة من كوابح الأخلاق. وأخذ هذا الدفاع العنيد صورا شتّى، فلهذا كان التوجيه للرسول ﷺ بهذه الآيات... **﴿فاصبر لحكم ربك. ولا تطع منهم آثما أو كفورا. واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا. ومن الليل فاسجد له. وسبحه ليلا طويلا﴾**.

﴿**إنّ هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا**﴾! : فإنّ الله رحيم: كلّف عبده الدعوة، ونزّل عليه القرآن، وعرّفهُ متاعب العبء وأشواك الطريق، فلم يدع نبيئه بلا عون أو مدد، وهذا هو المدد: الصبر والذكر صباح مساء، والصلاة آناء الليل وأطراف النهار، وهو الزاد الحقيقى الصالح لهذه الرحلة المضنية في ذلك الطريق الشائك. إنّ هؤلاء القريبى المطامح والاهتمامات، الصغار المطالب والتصورات، هؤلاء الصغار الزهيدين الذين يستغرقون في العاجلة، ويذرون وراءهم يوما ثقيلا، إن هؤلاء لا يطاعون في شيء، ولا يتبعون في طريق، لأنهم لا يعرفون إلا الإثم، ولا يسيرون إلا في تيهان الضلال، ومسارب الكفر والطغيان. فهذه الآيات تهدف أولاً إلى تثبيت الرسول والمؤمنين معه في مواجهة هؤلاء الذين أوتوا من هذه العاجلة ما يحبّون. وتهدف ثانيا إلى تهديد ملفوف لأصحاب العاجلة باليوم الثقيل! ..﴿**نحن خلقناهم وشددنا أسرهم. وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا**﴾: هذه الآية دليل على وقوع اليوم الثقيل، فكما خلقهم الله أولاً يعودون إليه ثانيا بما لهم من صفات في نفوسهم، وأعمال في صحائفهم: «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا». . . ﴿**إنّ هذه تذكرة. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**﴾: تكررت هذه التذكرة في عدة مواضع في السورة التي اتحدت موضوعاتها في الغرض الواحد. . . ﴿**وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله**﴾: هذا هو مجال هذه الحقيقة التي تجرى فيها مثل هذه النصوص، وهو تقرير ما شاءه الله للناس، من منحهم القدرة على إدراك الحق والباطل، والاتجاه إلى هذا أو ذاك وفق مشيئة الله. . . فجعلناه سميعا بصيرا. إنّا هديناه السبيل. إمّا شاكرا. وإمّا كفورا. ﴿**يدخل من يشاء في رحمته**﴾: ممن سبقت لهم الرحمة، فبقوا على أصل الفطرة، فهدوا إلى دين الحق. . . ﴿**والظالمين**﴾: أبعدهم عن مصدر النور، وتاهوا في ظلمات الظلم والفجور ..﴿**أعدّ لهم عذابا أليما**﴾!.

11 ـ أظهر ما في سورة المرسلات، توجيه القلوب إلى ما فيها من العبر والآيات



النص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿1﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿2﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿3﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿4﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿5﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿6﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿7﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿8﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿9﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿10﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿11﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿12﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿13﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿14﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿15﴾ * أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿16﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿17﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿18﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿19﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿20﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿21﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿22﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿23﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿24﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿25﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿26﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿27﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿28﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿29﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ

شُعَبٍ ﴿30﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿31﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿32﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿33﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿34﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿35﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿36﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿37﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿38﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿39﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿40﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿41﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿42﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿43﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿44﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿45﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿46﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿47﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿48﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿49﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿50﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**والمرسلات**﴾: جمع مرسلة، اسم مفعول، وهى الملائكة أرسلها الله بأوامره إلى الأنبياء... ﴿**عرفا**﴾: أرسلهن للإحسان والمعروف... ﴿**فالعاصفات عصفا**﴾: فالمسرعات إسراع الرياح العواصف... ﴿**والناشرات نشرا**﴾: موزعات ومفرقات الشرائع... ﴿**فالفارقات فرقا**﴾: فارقات بين الحق والباطل... ﴿**فالملقيات ذكرا**﴾: الموحيات إلى الأنبياء ذكرا من الله... ﴿**عُذْرًا أو نُذُرًا**﴾: مصدران، مأخوذ من عذَر إذا محا الإساءة، ومن أنذر إذا خوف من الإساءة... ﴿**إن ما توعدون لواقع**﴾: إن الذي توعدونه من مجئ القيامة حاصل لا محالة... ﴿**فإذا النجوم طمست**﴾: محيت ومحقت. والنجوم: جمع نجم، وهو ما كان

ضوؤه من ذاته مثل الشمس. . . ﴿**وإذا السماء فرجت**﴾: فتحت فكانت أبوابا. . . ﴿**وإذا الجبال نسفت**﴾: تفتتت وتفرقت، فصارت هباءً منبثًا. . . ﴿**وإذا الرسل أقتت**﴾: عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم. . . ﴿**لأى يوم أجلت ؟. ليوم الفصل. وما أدراك ما يوم الفصل؟ ويل يومئذ للمكذبين**﴾: عذاب وهلاك في ذلك اليوم ـ يوم الفصل ـ للمكذبين به. . . ﴿**ألم نهلك الأولين ؟!. ثم نتبعهم الآخرين ؟!. كذلك نفعل بالمجرمين**﴾: نفعل مثل ذلك الفعل بالمجرمين المكذبين بيوم الفصل أينما كانوا. . . ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾: فالويل الأول لعذاب الآخرة، وهذا لعذاب الدنيا. . . ﴿**ألم نخلقكم من ماء مهين؟!. فجعلناه في قرار مكين. إلى قدر معلوم**﴾: إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة. . . ﴿**فقدّرنا**﴾: مأخوذ من التقدير، وهو وجود الشيء حسب ما يراد منه. . . ﴿**فنعم القادرون**﴾: القادرون على ذلك التقدير. . . ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾. ﴿**ألم نجعل الأرض كفاتا. أحياءً وأمواتا**﴾: ألم نجعلها تضم الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها، مأخوذ من كفت الشيءَ إذا ضمّه وجمعه. . . ﴿**وجعلنا فيها رواسى شامخات**﴾: جبال ثابتات عاليات. . . ﴿**وأسقيناكم ماء فراتا**﴾: عذبا شديد الحلاوة صافيا باردا مثل الماء النابع من الجبال، وسمى نهر الفرات بهذا لمجيئه من الجبال شمالى الشام والعراق. . . ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾. ﴿**انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون**﴾: يقال للكافرين يوم القيامة هذا القول. . . ﴿**انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب**﴾: إلى دخان عظيم يغشى المكان، كما يغشى الظل ضوء الشمس، يتفرق إلى ثلاث فرق لعظمه وكثرته، يخنق الأنفاس ويشوى الوجوه. . . ﴿**لا ظليل ولا يغنى من اللهب!. إنّها ترمى بشررٍ كالقصر**﴾: إنّها النار التي علمت من السياق يتطاير منها شرر عظيم مثل القصر في الكبر. . . ﴿**كأنه جمالات صفر**﴾: في اللون والحركة والتطاير هنا وهناك. . . ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾. ﴿**هذا يوم لا ينطقون. ولا يؤذن لهم فيعتذرون. ويل يومئذ للمكذبين. هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين. فإن كان لكم كيد فكيدون. ويل يومئذ للمكذبين**﴾. ﴿**إنّ المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون**﴾: هذا مقابل ما يلقاه أهل النار. . . ﴿**كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون**﴾: يقال لهم هذا القول في الجنة. . . ﴿**إنا كذلك نجزى المحسنين**﴾. ﴿**كلوا وتمتعوا قليلا**﴾: في الدنيا، ثم تلقون العقاب يوم القيامة. . . ﴿**إنّكم مجرمون**﴾. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾. ﴿**وإذا قيل لهم اركعوا لا**

﴿يركعون﴾: هذا هو وجه الإجرام... **﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾**. **﴿فبأى حديث بعده يؤمنون﴾**؟!. فإن لم يؤمنوا بالقرآن وبما فيه، **﴿فبأى حديث بعده يؤمنون﴾**؟!

مبحث الإعراب

﴿والمرسلاتِ﴾ قسم بالواو مجرور بالكسرة. **﴿عرفا﴾** مفعول لأجله. **﴿فالعاصفات﴾** مرتب على ما قبله. **﴿عصفا﴾** مفعول مطلق. **﴿والناشرات﴾** معطوف على المرسلات. **﴿نشرا﴾** مفعول مطلق. **﴿فالفارقات﴾** مرتب على الناشرات. **﴿فرقا﴾** مفعول مطلق. **﴿فالملقياتِ﴾** مرتب على الفارقات. **﴿ذكرا﴾** مفعول به.

﴿عذْرا﴾ مفعول لأجله. **﴿أو نذُرا﴾** معطوف عليه. **﴿إنّما﴾** ما موصولة في محل نصب اسم إنّ. **﴿تُوعدون﴾** جملة الفعل ونائب الفاعل صلة ما. **﴿لواقعٌ﴾** خبر إنّ، وجملة إنّما توعدون لواقع جواب القسم. **﴿فإذا﴾** ظرف متضمن معنى الشرط، والفاء للتعقيب. **﴿النجومُ﴾** نائب فاعل بفعل مقدر يفسره المؤخر. **﴿طمست﴾** فعل ماض مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على النجوم، والجملة تفسيرية لا محل لها من الإعراب. **﴿وإذا السماء فرجت﴾**. **﴿وإذا الجبال نسفت. وإذا الرسل أقتت﴾** الجمل الثلاث معطوفة على جملة فإذا النجوم طمست، وهى مثلها في الإعراب. **﴿لأىّ﴾** متعلق بالفعل بعده. **﴿يوم﴾** مضاف إلى أىّ. **﴿أُجّلت﴾** فعل ماض مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على الرسل. **﴿ليوم﴾** متعلق بفعل مقدر، أى: أجلت ليوم. **﴿الفصل﴾** مضاف إلى يوم. **﴿وما﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿أدراك﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول أول، والجملة خبر المبتدإ. **﴿ما﴾** اسم استفهام خبر مقدم. يومُ مبتدأ مؤخّر. **﴿الفصل﴾** مضاف إلى يوم، والجملة في محل نصب مفعول ثان بأدْرَى، وجواب شرط إذا مقدّر، أى: إذا حصل ما حصل من هذه الأمور العظام وقع يوم الفصل. **﴿ويلٌ﴾** مبتدأ. **﴿يومئذ﴾** متعلق به، **﴿للمكذبين﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ، والجملة تذييل لما قبلها. **﴿ألم نهلك﴾** فعل مضارع دخل عليه حرف النفى الجازم وهمزة الاستفهام، والفاعل نحن. **﴿الأولين﴾** مفعول به. **﴿ثم نتبعهم﴾** فعل مضارع مرفوع بالضمة والجملة معطوفة على جملة ألم نهلك، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. **﴿الآخرين﴾** مفعول ثانٍ.

﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق من نفعل، أي: ﴿**نفعل**﴾ فعلا مثل فعلنا، ذا اسم اشارة، واللام للبعد والكاف حرف خطاب. نفعل فعل مضارع والفاعل نحن. ﴿**بالمجرمين**﴾ متعلق بنفعل. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ تذييل لما قبله. ﴿**ألم نخلقكم**﴾ فعل مضارع، دخل عليه حرف النفى الجازم وحرف الاستفهام، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**من ماءٍ**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**مهينٍ**﴾ نعت لماء. ﴿**فجعلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، مرتب على ما قبله. ﴿**فى قرار**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**مكين**﴾ نعت لقرار. ﴿**إلى قدر**﴾ متعلق بجعلناه، والمعنى: ينتهى إلى قدر. ﴿**معلوم**﴾ نعت لقدر. ﴿**فقدّرنا**﴾ فعل وفاعل، والفاء للتعقيب. ﴿**فنعم القادرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة مرتبة على ما قبلها. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ تذييل لهذه الجملة. ﴿**ألم نجعل الأرض**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة ألم نخلقكم. ﴿**كفاتا**﴾ مفعول ثانٍ بجعل. ﴿**أحياءً**﴾ مفعول بالمصدر - كفاتا -. ﴿**وأمواتا**﴾ معطوف على أحياء. ﴿**وجعلنا**﴾ فعل وفاعل معطوف على ألم نجعل الأرض. ﴿**فيها**﴾ متعلق بجعلنا. ﴿**رواسى**﴾ مفعول به. ﴿**شامخاتٍ**﴾ نعت لرواسى على جعل رواسى علما بالغلبة. ﴿**وأسقيناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والواو للعطف. ﴿**ماءً**﴾ مفعول ثانٍ. ﴿**فراتا**﴾ نعت لماء. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ تذييل لما قبله. ﴿**انطلقوا**﴾ أمر موجه للمكذبين في الدنيا. ﴿**إلى ما**﴾ جار ومجرور متعلق بالفعل قبله، والمعنى: انطلقوا إلى الحشر والعذاب الذى. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**تكذبون**﴾ فعل وفاعل والجملة خبر كان، وهى أيضا صلة ما. ﴿**انطلقوا إلى ظل**﴾ مثل انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون. ﴿**ذى**﴾ نعت لظل. ﴿**ثلاث**﴾ مضاف إلى ذى. ﴿**شعب**﴾ مضاف إلى ثلاث. ﴿**لا ظليل**﴾ نعت ثان لظل. ﴿**ولا يغنى**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفى، والفاعل ضمير يعود على ظل ﴿**من اللهب**﴾ متعلق بالفعل قبله، والجملة نعت ثالث لظل. ﴿**إنّها**﴾ إنّ واسمها.

﴿**ترمى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على ضمير جهنم، والجملة خبر إنّ. ﴿**بشرر**﴾ متعلق بترمى. ﴿**كالقصر**﴾ الكاف في محل جر نعت لشرر، والقصر مجرور بالكاف. ﴿**كأنّه**﴾ كأنّ واسمها. ﴿**جمالاتٌ**﴾ خبر كأنّ. ﴿**صفرٌ**﴾ نعت لجمالات. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ تذييل لما قبله. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يومُ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**لا ينطقون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفى، والجملة

في محل جر مضافة إلى يوم. ﴿**ولا يُؤذن**﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول دخل عليه حرف النفى معطوف على جملة لا ينطقون، ونائب الفاعل ضمير يعود على ما يعود عليه ضمير لا ينطقون، أى: المكذبون. ﴿**لهم**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**فيعتذرون**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ تذييل لما قبله. ﴿**هذا يومُ**﴾ مبتدأ وخبر. ﴿**الفصل**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**جمعناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**والأولين**﴾ معطوف على المفعول به ضمير المخاطبين. ﴿**فإن**﴾ حرف شرط، والفاء للتفريع. ﴿**كان لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان مقدم. ﴿**كيدٌ**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**فكيدون**﴾ أمر موجه إلى المخاطبين المكذبين، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة للتخفيف في محل نصب مفعول به، وجملة فكيدون جواب شرط إنْ، والفاء رابط. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ تذييل على ما سبقه. ﴿**إنّ المتقين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**فى ظلال**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**وعيون**﴾ معطوف على ظلال. ﴿**وفواكه**﴾ معطوف على ظلال مجرور بالفتحة. ﴿**مما**﴾ متعلق بمحذوف نعت لفواكه. ﴿**يشتهون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**كلوا**﴾ أمر موجه للمخاطبين المتقين. ﴿**واشربوا**﴾ معطوف على كلوا. ﴿**هنيئا**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدر، أى: أكلا هنيئا وشربا مريئا. ﴿**بما**﴾ متعلق بهنيئا. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**تعملون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجملة كنتم تعملون صلة ما. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كذلك**﴾ الكاف في محل نصب نعت لمفعول مطلق مقدر، ﴿**وذلك**﴾ مجرور بالكاف. ﴿**نجزى**﴾ فعل مضارع، والفاعل نحن، والتقدير: إنا نجزى. ﴿**المحسنين**﴾ مفعول به ؛ جزاء مثل ذلك الجزاء، وجملة نجزى خبر إنّ. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ تذييل لهذا الكلام.

﴿**كلوا**﴾ أمر موجه إلى المجرمين. ﴿**وتمتعوا**﴾ معطوف على كلوا. ﴿**قليلا**﴾ نعت لمفعول مطلق مقدّر، أى: أكلا وتمتعا قليلا. ﴿**إنّكم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**مجرمون**﴾ خبرها، والجملة تعليلية. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ تذييل لما قبله. ﴿**وإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**قيل**﴾ فعل ماض مبنى للمجهول. ﴿**لهم**﴾ نائب الفاعل. ﴿**اركعوا**﴾ أمر في محل نصب مقول القول. ﴿**لا يركعون**﴾ فعل وفاعل منفى بلا، والجملة جواب شرط إذا. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ تذييل لما قبله. ﴿**فبأى**﴾ الفاء فصيحة، ﴿**بأى**﴾ جار ومجرور متعلق بيؤمنون. والمعنى إذا كان كذلك فبأى. ﴿**حديث**﴾ مضاف إلى أى. ﴿**بعده**﴾ ظرف متعلق بما تعلق به

الجار والمجرور قبله، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**يؤمنون**﴾ فعل وفاعل، أى يؤمنون بعد هذا القرآن بأى حديث ؟!.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والمرسلات عرفا**﴾: فهذه السورة لها علاقة بآخر السورة قبلها من قوله تعالى: «يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما»، حيث أقسم عليهم بقوله: والمرسلات عرفا. . .

إن ما توعدون لواقع: فهذه السورة حادة المقاصد، عنيفة المشاهد، فهى تقف بالإنسان وقفة المحاكمة الرهيبة، حيث يواجه بسيل من الاستفهامات والاستنكارات والتهديدات، فعقب كل معرض ومشهد تلفح وجه المذنب لفحة كأنها من نار. . . ويل يومئذ للمكذبين!: فيتكرر هذا التعقيب والتعليق عشر مرات، فمنذ بداية السورة، والجو عاصف تثيره عوامل غيبية من عوالم لا يدرى الإنسان عنها شيئا!، فهى تبتدئ بذكر طوائف من الملائكة، ثم يأخذ السياق في عرض مشاهد يوم الفصل، ثم في عرض ما حصل للغابرين، لتذكر الغافلين اللاهين، وتهدد المعرضين المكذبين!. وما سيقع غيب، والمقسم به عليه غيب، فالإنسان أمام هذا الغيب: إمّا أن يؤمن بهذا الغيب، وإما أن يرتاب فيه، فيقع في مهاوى الريب. وكل مقطع من مقاطع هذه السورة شواظ لاذع يلفح كل مكذب بهذا الغيب، وكل مقطع من مقاطع السورة العشر بعد مطلع القسم وجوابه، يمثل جولة في عالم واسع يشمل الأرض والسماء، والدنيا والآخرة أوسع من مساحة الكلمات والعبارات!.

فالجولة الأولى تقع في مشاهد يوم الفصل، والجولة الثانية مع مصارع الغابرين، والجولة الثالثة مع النشأة الأولى، والجولة الرابعة في الأرض التي تضم أبناءها إليها أحياء وأمواتا، والجولة الخامسة مع المكذبين وما يلقونه يوم الفصل، والجولة السادسة والسابعة استطراد مع موقف المكذبين، والجولة الثامنة مع المتقين وما أعد لهم من نعيم، والجولة التاسعة وقفة مع المكذبين في موقف التأنيب، والجولة العاشرة وقفة مع المكذبين في موقف التكذيب. والخاتمة بعد هذه الجولات والاستعراضات والوخزات. . . ﴿**فبأى حديث بعده يؤمنون**﴾؟!.

فهذا هو براعة المقطع، وقد ربط ربطا وثيقا ببداية المطلع، حيث كان هذا

القرآن روحا من أمر الله، وغيبا من غيب الرحمن!، جاءت به رسل من الملائكة كرام!، أوحت به إلى رسول كريم عليه الصلاة والسلام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفا. والناشرات نشرا. فالفارقات فرقا. فالملقيات ذكرا. عذرا أو نذرا. إنّ ما توعدون لواقع﴾: فالقضية هنا قضية يوم القيامة التي كان يعسر على الناس فهمها على العموم، وعلى المشركين بوجه الخصوص، يعسر تصور وقوعها. فمن هذه الناحية أكدها لهم القرآن بشتّى المؤكدات في مواضع منه شتى، وكانت عنايته بتقرير هذه القضية في عقول الناس، وإقرار حقيقتها في مداركهم، مسألة ضرورة لا بد منها لبناء العقيدة الصحيحة في نفوسهم على أصولها. فالاعتقاد باليوم الآخر هو حجر الأساس في العقيدة الإسلامية، كما أنه حجر الأساس في تصور الحياة الإنسانية، وإليه مرد كل شيء في هذه الحياة القصيرة التي لم ينل فيها الإنسان ما يهدف إليه من عرض الحياة، فبدون عقيدة الخلود لا قيمة لهذا الإنسان الموجود! ..**﴿فإذا النجوم طمست. وإذا السماء فرجت. وإذا الجبال نسفت. وإذا الرسل أقتت. لأى يوم أجلت ؟. ليوم الفصل. وما أدراك ما يوم الفصل ؟. ويل يومئذ للمكذبين﴾**: فقد وردت مشاهد هذا الانقلاب الكونى في سور شتى من القرآن، وكلها توحى بانفراط عقد هذا الكون المنظور انفراطا مصحوبا بقرقعة ودويّ وانفجارات هائلة لا عهد للناس بها، فيما يرونه من الأحداث الصغيرة التي يستهولونها ويُرَوعون بها، من أمثال الزلازل والبراكين والصواعق، وما إليها. فليس هذا سوى مثل للتقريب، وإلاّ فالهول الذي ينشأ من تفجر هذا الكون وتناثره على هذا النحو، أكبر من التصور البشرى على الإطلاق!. وإلى جانب هذا الهول في مشاهد الكون تعرض السورة أمرا عظيما آخر مؤجلا إلى هذا اليوم، فهو موعد الرسل لعرض حصيلة الدعوة؛ دعوة الله في الأرض طوال الأجيال، فالرسل قد أقتت لهذا اليوم، وضرب لها الموعد هنالك، لتقديم الحساب النهائى عن ذلك الأمر العظيم، للفصل في جميع القضايا المعلقة في الحياة الدنيا، والقضاء بحكم الله، وإعلان الكلمة الأخيرة التي تنتهى إليها الأجيال والقرون.

ثم يعود السياق من هذه الجولة في أهوال يوم الفصل إلى جولة في مصارع

الغابرين السابقين واللاحقين... **﴿ألم نهلك الأولين ؟!. ثم نتبعهم الآخرين﴾**؟!: هكذا في ضربة واحدة تتتابع مصارع الأولين، وهم حشود، وفى ضربة واحدة تتتابع مصارع الآخرين بعد الأولين، وهم حشود، وعلى مد البصر تتبدى المصارع والأشلاء، وأمامها ينطلق الوعيد ناطقا بسنة الله في الوجود... **﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾**: فهى السنة الماضية التي لا تحيد. وبينما المجرمون يتوقعون مصرعا كمصارع الأولين والآخرين، يجئ الدعاء بالهلاك، ويجئ الوعيد بالثبور... **﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾**!. ومن الجولة في المصارع والأشلاء إلى جولة في الإنشاء والإحياء، مع التقدير والتدبير للصغير والكبير... **﴿ألم نخلقكم من ماء مهين ؟!. فجعلناه في قرار مكين. إلى قدر معلوم﴾**: فهذه رحلة مع النشأة الجنينية طويلة عجيبة، يجملها السياق هنا في لمسات معدودة: ماء مهين، يودع في قرار الرحم المكين، إلى قدر معلوم، وأجل مرسوم. وأمام التقدير الواضح في تلك النشأة ومراحلها الدقيقة، يجئ التعقيب الموحى بالحكمة العليا التي تتولى كل شىء بقدره في إحكام... **﴿فقدرنا. فنعم القادرون﴾**!. وأمام التقدير الذي لا يفلت منه شيء يجئ الوعيد المعهود... **﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾**!. ثم جولة في هذه الأرض، وتقدير الله فيها لحياة البشر، وإيداعها الخصائص الميسرة لهذه الحياة... **﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾**؟!: تحتضن بنيها... **﴿أحياء وأمواتا. وجعلنا فيها رواسى شامخات﴾**: تتجمع على قممها السحب وكتل الثلج، فتنحدر عنها مساقط المياه العذبة فتروى النبات والحيوان. أفيكون هذا إلا عن قدرة وتقدير، وحكمة وتدبير ؟!. أفبعد هذا يكذب المكذبون ؟! ..**﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾**!.

ثم بعد عرض تلك المشاهد ينتقل السياق فجأة إلى موقف الحساب والجزاء، يؤمر فيه المجرمون بالانطلاق إلى المصير المحتوم... **﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾**، فإلى أين ؟! ..**﴿إلى ظل ذى ثلاث شعب﴾**: فهو ممتد خانق حارق... **﴿لا ظليل ولا يغنى من اللهب﴾**: فتسميته بالظل صورة من التهكّم!، فأنتم مغمورون في نار جهنم... **﴿إنها ترمى بشرر كالقصر. كأنّه جمالات صفر﴾**!: فهذا هو الشر والظل، فكيف بالنار التي ينطلق منها ذاك الظل وهذا الشرر ؟!. ثم يجئ التعقيب المعهود... **﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾**!. ثم يأخذ السياق في استكمال المشهد بعد عرض الهول الغامر في صورة جهنم يأتى الهول الكامن في طوايا النفس... **﴿هذا يوم لا ينطقون. ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾**: فقد

انقضى وقت الجدل، ومضى وقت الاعتذار... ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾! .﴿**هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين. فإن كان لكم كيد فكيدون**﴾: فهذا يوم الفصل لا يوم الاعتذار، وقد جمعناكم والأولين أجمعين، فإن كان لكم تدبير فدبروه، وإن كان لكم قدرة على شيء فافعلوه... ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾!. فإذا انتهى مشهد التأنيب للمجرمين، اتجه الخطاب بالتكريم للمتقين... ﴿**إنّ المتقين في ظلال وعيون. وفواكه مما يشتهون. كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون**﴾: فظلال المتقين ظلال حقيقية، لا ظل ذى ثلاث شعب، وفى عيون من ماء لا في دخان خانق حارق، وفواكه مما يشتهون، وهم يتلقون فوق هذا النعيم على مرأى ومسمع عبارات الترحيب والتكريم بما نالوه من ربهم الكريم... ﴿**إنّا كذلك نجزى المحسنين**﴾: فيقابل هذا النعيم والتكريم ما يقال تعقيبا مناسبا لحال المجرمين... ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾. ﴿**كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون**﴾: خطاب موجه في الدنيا لكل من يسمع هذا الحديث ولا يرفع له رأسا ولا يلقى إليه بالا... ﴿**وإذا قيل لهم: اركعوا لا يركعون**﴾، فهؤلاء كالأنعام بل هم أضل!. «أولئك هم الغافلون»... ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾! .﴿**فبأى حديث بعده يؤمنون**﴾؟!.

1 ـ عم يتساءلون؟:
عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون!...



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿1﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿2﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿3﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿4﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿5﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿6﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿7﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿8﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿9﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿10﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿11﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿12﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿13﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿14﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿15﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿16﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿17﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿18﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿19﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿20﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿21﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿22﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿23﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿24﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿25﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿26﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿27﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿28﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿29﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿30﴾

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿31﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿32﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿33﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿34﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿35﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿36﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿37﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿38﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿39﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿40﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**عمّ يتساءلون؟. عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون!. كلاّ! سيعلمون. ثم. كلا! سيعلمون**﴾: فالنبأ هنا: هو الخبر الذي له شأن وخطر... ﴿**ألم نجعل الأرض مهادا**﴾؟: ممهدة مبسوطة مفروشة، فالمهاد: البساط والفراش يجعل للراحة والزينة... ﴿**والجبال أوتادا**﴾: ثابتة مستقرة كما يستقر الوتد في الأرض... ﴿**وخلقناكم أزواجا**﴾: ذكرا وأنثى، فالزوج مكمل لزوجه وبدونه لا يساوى شيئا... ﴿**وجعلنا نومكم سباتا**﴾: قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم، والسبت القطع... ﴿**وجعلنا الليل لباسا**﴾: يستركم بظلامه كما يستركم اللباس... ﴿**وجعلنا النّهار معاشا**﴾: وقتا لطلب المعاش الذي هو سبب حياتكم... ﴿**وبنينا فوقكم سبعا شدادا**﴾: سبع سماوات محكّمة قوية مستمرة لا يؤثر فيها مرّ الدهور وكرّ العصور... ﴿**وجعلنا سراجا وهاجا**﴾: شمسا مثل السراج في الإضاءة، وهاجا متلألئا وقّادا. فالسراج والوهاج وصفان للشمس لما فيها من قوة الإضاءة، وشدة الحرارة، يقال وهجت النار إذا اشتدت حرارتها

وانتشر لهيبها. . . ﴿**وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا**﴾: السحائب التي حان إنزال الماء منها، فالعصر له معنيان: صب الماء في وقت معيّن، ووقته الذي ينزل فيه. والثجاج: وصف للماء النازل، فهو ينزل متفرقا، لا ينصب دفعة متدفّقا. . . ﴿**لنخرج به حبا ونباتا**﴾: قوتا للإنسان وعلفا للأنعام ﴿**فأخرجنا به أزواجا من نبات شتّى، كلوا وارعوا أنعامكم**﴾. . . ﴿**وجنّات ألفافا**﴾: حدائق ذات أشجار متكاثفة متراكمة. . . ﴿**إنّ يوم الفصل كان ميقاتا. يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا. وفتحت السماء فكانت أبوابا. وسيّرت الجبال فكانت سرابا. إنّ جهنّم كانت مرصادا**﴾: موضع رصد، يرصد فيه الكفار الطاغين. . . ﴿**للطاغين مآبا**﴾: مرجعا يرجعون إليه، فليس لهم إلا هذا المكان!.

وهى جهنّم. . . ﴿**لابثين فيها أحقابا**﴾: أمدا طويلا، ليس له نهاية، فإن الحِقَبُ لا تكاد تستعمل إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها حقبا إثر حقبٌ. . . ﴿**لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا. إلا حميما وغساقا**﴾: ليس في جهنّم رَوْحٌ ينفس عنهم حرّ النار، ولا ماء يطفئ حرق الفؤاد، لكن فيها ماء يشوى ويقطّع الأمعاء. وغساقا: وهو خلاصة القاذورات التي تسيل من أجسام الكفار أهل النار، فهو خليط عكر منتن مظلم! ..﴿**جزاء وفاقا**﴾: مثل ما كان عملهم في الدنيا قبيحا وخبيثا جوزوا في الآخرة بمثله جزاء وفاقا! ..﴿**إنهم كانوا لا يرجون حسابا**﴾: كانوا مكذبين بيوم البعث للحساب، يتساءلون عنه مستهزئين. . . ﴿**وكذبوا بآياتنا كذابا**﴾: تكذيبا مفرطا في البشاعة والفظاعة. . . ﴿**وكل شيء أحصيناه كتابا**﴾: مثل قوله تعالى في سورة القمر ﴿**وكل شيء فعلوه في الزبر، وكل صغير وكبير مستطر**﴾. . . ﴿**فذوقوا فلن نزيدكم إلاّ عذابا**﴾. ﴿**إنّ للمتقين مفازا. حدائق وأعنابا. وكواعب أترابا. وكأسا دهاقا**﴾: فهذا الفوز خلاصته ما ذكر من الحدائق المتنوعة، والأزواج المطهّرة، والأشربة المترعة. . . ﴿**لا يسمعون فيها لغوا ولا كذّابا**﴾: ﴿**لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما، إلاّ قيلا سلاما سلاما!**﴾. . . ﴿**جزاء من ربك عطاء حسابا**﴾: حسب ماعملوا من خير جوزوا بهذا الخير الغزير!.. ﴿**رب السماوات والأرض وما بينهما. الرحمن لا يملكون منه خطابا. يوم يقوم الروح والملائكة صفا. لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا. ذلك اليوم الحق. فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا. إنّا أنذرناكم عذابا قريبا. يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه. ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا**﴾!.

مبحث الإعراب

﴿**عمّ يتساءلون**﴾ ؟! فعل وفاعل دخل عليه اسم الاستفهام المجرور بعن. ﴿**عن النبإ**﴾ متعلق بفعل مقدّر، أى: يتساءلون عن النبإ العظيم، والجملة جواب الاستفهام لا محل لها من الإعراب. ﴿**العظيم**﴾ نعت للنبإ. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت ثان للنبإ. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**فيه**﴾ متعلق بالخبر بعده. ﴿**مختلفون**﴾ خبر المبتدإ، والجملة صلة الموصول. ﴿**كلاّ سيعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الردع ردا لتساؤلهم، فجملة سيعلمون مستأنفة. ﴿**ثم كلا سيعلمون**﴾ تأكيد للجملة قبلها زيادة في الزجر والتبكيت. ﴿**ألم نجعل**﴾ فعل مضارع منفي بلم، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين، والفاعل نحن. ﴿**الأرض**﴾ مفعول أول. ﴿**مهادا**﴾ مفعول ثان، والهمزة للإستفهام التقريرى بما بعد النفي. ﴿**والجبال أوتادا**﴾ معطوف على الأرض مهادا. ﴿**وخلقناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿**أزواجا**﴾ مفعول ثان، والجملة معطوفة على قوله، ألم نجعل الأرض مهادا. ﴿**وجعلنا نومكم سباتا**﴾ مثل ما قبلها في الإعراب والعطف. ﴿**وجعلنا الليل لباسا**﴾. ﴿**وجعلنا النهار معاشا**﴾ معطوفان مثل ما قبلهما. ﴿**وبنينا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فوقكم**﴾ متعلق ببنينا. ﴿**سبعا**﴾ مفعول به. ﴿**شدادا**﴾ نعت له.

﴿**وجعلنا سراجا**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**وهّاجا**﴾ نعت لسراجا. ﴿**وأنزلنا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**من المعصرات**﴾ متعلق بأنزلنا. ﴿**ماء**﴾ مفعول به. ﴿**ثجاجا**﴾ نعت له. ﴿**لنخرج**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل نحن. ﴿**به**﴾ متعلق بنخرج. ﴿**حبا**﴾ مفعول به. ﴿**ونباتا**﴾ معطوف عليه. ﴿**وجنّات**﴾ معطوف على حبا. ﴿**ألفافا**﴾ نعت لجنّات. ﴿**إنّ يوم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الفصل**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على يوم. ﴿**ميقاتا**﴾ خبر كان، وجملة كان ميقاتا خبر إنّ. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بما قبله. ﴿**ينفخ**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**في الصور**﴾ ناب مناب نائب الفاعل. ﴿**فتأتون**﴾ فعل وفاعل، والفاء مرتبة على فعل مقدر، أي: يوم ينفخ في الصور فتبعثون فتأتون. ﴿**أفواجا**﴾ حال من واو الجماعة الفاعل. ﴿**وفتّحت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**السماء**﴾ نائب الفاعل. ﴿**فكانت**﴾ اسم كانت ضمير يعود على السماء. ﴿**أبوابا**﴾ خبر كانت، وجملة كانت أبوابا مرتبة بالفاء على فتّحت. ﴿**وسيّرت الجبال فكانت سرابا**﴾ مثل

وفتّحت السماء فكانت أبوابا في الإعراب. ﴿**إنّ جهنّم كانت مرصادا**﴾ إعراب هذا الكلام مثل إعراب إنّ يوم الفصل كان ميقاتا. ﴿**للطاغين**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**مآبا**﴾ بدل من قوله مرصادا. ﴿**لابثين**﴾ حال من الطاغين. ﴿**فيها**﴾ متعلق بلابثين. ﴿**أحقابا**﴾ ظرف زمان متعلق بلابثين. ﴿**لا يذوقون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**بردا**﴾ مفعول به، والجملة بيانيّة. ﴿**ولا شرابا**﴾ معطوف على قوله لا يذوقون فيها بردا. ﴿**إلاّ حميما**﴾ مفعول به مستثنى بإلا. ﴿**وغساقا**﴾ معطوف على حميما. ﴿**جزاء**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وفاقا**﴾ نعت لجزاء. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**لا يرجون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**حسابا**﴾ مفعول به، وجملة لا يرجون خبر كان، وجملة كانوا لا يرجون خبر إنّ، وجملة إنّهم كانوا لا يرجون حسابا تعليلية. ﴿**وكذّبوا**﴾ فعل وفاعل، والواو للعطف. ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بكذبوا. ﴿**كذابا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وكلّ**﴾ مفعول بفعل مقدّر. ﴿**شيء**﴾ مضاف إلى كل.

﴿**أحصيناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**كتابا**﴾ مصدر مفعول مطلق، والجملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب. ﴿**فذوقوا**﴾ أمر موجه إلى الطاغين في جهنم للتوبيخ والتقريع، فالفاء للتعقيب. ﴿**فلن نزيدكم**﴾ فعل مضارع منصوب بلن، والضمير المتصل به مفعول أول، والفاعل نحن، والفاء تعقيبا على التعقيب. ﴿**إلا عذابا**﴾ مفعول ثان. ﴿**إنّ للمتقين**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدّم. ﴿**مفازا**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**حدائق**﴾ بدل من مفازا. ﴿**وأعنابا**﴾ معطوف على حدائق. ﴿**وكواعب**﴾ كذلك. ﴿**أترابا**﴾ نعت لكواعب. ﴿**وكأسا**﴾ أيضا معطوف على حدائق. ﴿**دهاقا**﴾ نعت لكأسا. ﴿**لا يسمعون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**لغوا**﴾ مفعول به. ﴿**ولا كذّابا**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**جزاء**﴾ مفعول مطلق. ﴿**من ربك**﴾ متعلق بمحذوف نعت لجزاء. ﴿**عطاء**﴾ بدل من جزاء. ﴿**حسابا**﴾ نعت لعطاء. ﴿**ربّ**﴾ خبر لمبتدإ مقدر. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**وما**﴾ في محل جر معطوف على السماوات. ﴿**بينهما**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**الرحمن**﴾ خبر لمبتدإ محذوف. ﴿**لا يملكون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**منه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**خطابا**﴾ مفعول به، والجملة استئناف بياني. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بلا يملكون. ﴿**يقوم الروح**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل

جر مضافة إلى يوم. ﴿**والملائكة**﴾ معطوف على الروح. ﴿**صفا**﴾ حال من الفاعل. ﴿**لا يتكلّمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلاّ من**﴾ اسم موصول في محل رفع بدل من واو الجماعة في لا يتكلّمون. ﴿**أذن**﴾ فعل ماض. ﴿**له**﴾ متعلق به. ﴿**الرحمن**﴾ فاعل، وجملة أذن له الرحمن صلة من. ﴿**وقال**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على المأذون له. ﴿**صوابا**﴾ نعت لمفعول مقدّر، أي: وقال قولا صوابا. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**اليوم**﴾ خبره. ﴿**الحق**﴾ نعت لليوم. ﴿**فمن**﴾ اسم شرط. ﴿**شاء**﴾ فعل الشرط، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**اتخذ**﴾ جواب الشرط، والفاعل يعود على مَنْ كذلك. ﴿**إلى ربه**﴾ متعلق باتخذ. ﴿**مآبا**﴾ مفعول به، وجملة فمن شاء اتخذ جواب لشرط مقدّر، والتقدير: إذا كان الأمر كما ذكر، فمن شاء اتخذ. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أنذرناكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة خبر إنّ. ﴿**عذابا**﴾ مفعول ثان. ﴿**قريبا**﴾ نعت له. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بمحذوف نعت لعذاب أي: عذابا كائنا يوم. ﴿**ينظر المرء**﴾ فعل وفاعل. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**قدّمت يداه**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**ويقول الكافر**﴾ فعل وفاعل معطوف على ينظرالمرء. ﴿**يا ليتني**﴾ ليت واسمها دخل عليها ياء النداء. ﴿**كنت**﴾ كان واسمها. ﴿**ترابا**﴾ خبرها، وجملة كنت ترابا خبر ليت، وجملة يا ليتني كنت ترابا مقول القول.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**عم يتساءلون**﴾؟!: فهذا استفهام تقريري بدئت به سورة النبإ، كما ختمت سورة المرسلات باستفهام إنكاري تعجبي!. فالعلاقة بين السورتين واضحة، ففي سورة المرسلات قسم على وقوع يوم الفصل، وفي سورة النبإ تفصيل لما يقع في يوم الفصل. وتساؤل المشركين عنه يثير الإعجاب والاستغراب؛ حيث فصّل القرآن أمر البعث بالأدلة الواضحة المقنعة للعقل البشرى، ولكن مع هذه التفاصيل وهذه الأدلة لم تزل قريش تتساءل عن هذا النبإ العظيم!، فغير قريش والعرب أولى بهذا التساؤل، لأن بقية الأمم لم تأتها هذه التفاصيل، وهذه الأدلة في كتبها المحرّفة، وفي فلسفتها المزيّفة، فلهذا كان موقف قريش بوجه خاص والعرب جميعا بوجه عام مستغربا عجيبا، سواء كان السؤال واردا على سبيل الإنكار أو على سبيل التقرير. فالجواب يأتي مبهما إثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه،

وتنزيلهم منزلة المستفهمين. فعن أي شيء يتساءلون ؟!. ثم قيل بطريق الجواب: ﴿**عن النبإ العظيم**﴾!. ثم وصف هذا النبإ بوصف آخر... ﴿**الذي هم فيه مختلفون**﴾: فهو تأكيد لخطره إثر تأكيده بعظمته، وفيه إشعار بمدار هذا التساؤل. فيتساءلون منكرين، ويتساءلون مستهزءين، ويتساءلون مستغربين، فمن هذا جاء الاختلاف، فمن جازم باستحالته يقول: (إن هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر)، ومن شاك يقول: (ما ندري: ما الساعة؟. إن نظنّ إلا ظنا)، ومن الفلاسفة من أنكر البعث بالكليّة، ومنهم من أنكر البعث الجسماني، فالقرآن في هذه العبارة ـ عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون ـ أخبر عن قول الناس جميعا في أمر البعث!. وينتقل السياق إلى التلويح بالتهديد الملفوف ؛ وهو أوقع من الجواب المباشر، وأعمق في التخويف... ﴿**كلا!. سيعلمون. ثم كلا! سيعلمون**﴾: فهو تهديد للمنكرين والشاكين والمؤوّلين، بإخراج النص عن ظاهره. وقوله تعالى: ﴿**ألم نجعل الأرض مهادا؟. والجبال أوتادا**﴾؟: استئناف مسوق لتحقيق النبإ العظيم المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيّة هذا النبإ العظيم، والالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في الإلزام والتبكيت!. وجعل الأرض مهادا للحياة ـ وللحياة الإنسانية بوجه خاص ـ شاهد لا يمارى في شهادته، بوجود المدبّر الحكيم من وراء هذا الوجود الظاهر، وكذلك جعل الجبال أوتادا يدركها كل إنسان من الناحية الشكليّة بنظره المجرّد، فهذه هي اللمسة الأولى في هذه الجولة عن الأرض والجبال. واللمسة الثانية في ذوات النفوس في نواحى وحقائق شتى... ﴿**وخلقناكم أزواجا**﴾: فهذه الجملة موصولة بالعطف على ما قبلها، وهو الفعل المنفي بلم داخل في حكمه، فإنه في قوة أما جعلنا الأرض مهادا ؟!. والجبال أوتادا ؟! وخلقناكم أزواجا ؟!. وخلق الزوجين من ذكر وأنثى ظاهرة كذلك ملحوظة يدركها كل إنسان بيسر وبساطة... ﴿**وجعلنا نومكم سباتا**﴾: وهو مثل ما قبله موصول بالعطف، فكان من تدبير الله للبشر أن جعل النوم سباتا يدركهم قسرا، فيقطعهم عن الإدراك والنشاط، ويجعلهم في حالة لا هى موت ولا هي حياة، فكل هذا يتم بطريقة عجيبة لا يدرك الإنسان كنهها، ولا نصيب لإرادته فيها!. فهذا السبات ضرورة من ضرورات تكوين الحيّ، وسر من أسرار الخالق القدير العليم الحكيم، ونعمة من نعم الله لا يملك إعطاءها إلا إيّاه!. وتوجيه النظر إليها على هذا الأسلوب القرآني ينبه القلب الواعي إلى خصائص

ذاته، وإلى اليد التي أودعتها كيانه. . . ﴿**وجعلنا الليل لباسا. وجعلنا النهار معاشا**﴾: وكان من تدبير الله كذلك أن جعل حركة الكون موافقة لحركة الأحياء، فخرج هذا وذاك من يد القدرة المبدعة المدبّرة متّسقا أدق اتّساق! ..﴿**وبنينا فوقكم سبعا شدادا**﴾: موصول بالعطف مثل ما سبقه ـ وهذا ترق في إظهار القدرة وعمومها ـ، فهذه السبع الشداد لا يدرك الإنسان منها إلا ما يراه أين ذهب فوقه، محيطا به وبما على الأرض، فهو إشارة إلى أن بناء هذه السبع الشداد متناسق مع عالم الأرض والإنسان، فمن أجل هذا يذكر في معرض تدبير الله وتقديره لحياة الأرض والإنسان. يدل على هذا ما بعده. . . ﴿**وجعلنا سراجا وهّاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجا**﴾: فمن السراج الوهّاج وما يسكبه من أشعّة فيها ضوء وحرارة يتكون السحاب العاصر للماء الساكب له على وجه الرش الدقيق المكيف بحاجة النبات والإنسان، فلا ينصبُّ صبًّا متدفّقا حتى لا يهلك الحرث والنسل!.. ﴿**لنخرج به حبا ونباتا وجنّات ألفافا**﴾: فهذا التناسق في تصميم الكون لا يكون إلاّ وراءه يدٌ تنسّقه، وحكمة تقدّره، وإرادة تدبّره! إن لهذا الكون خالقا، وإن وراء هذا الكون تدبيرا وتقديرا وتنسيقا. وتوالي هذه الحقائق والمشاهد في هذا النص القرآني على هذا النحو؛ من جعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا، وخلق الناس أزواجا، وجعل نومهم سباتا، مع جعل الليل لباسا، وجعل النهار معاشا، ثم بناء السبع الشداد، وجعل السراج الوهاج، وإنزال الماء الثجاج من المعصرات ؛ لإنبات الحب والنبات والجنّات، فهذه الحقائق والمشاهد على هذا الأسلوب الفائق يوحي بالتناسق الدقيق، ويشي بالتدبير والتقدير، ويشعر بالخالق الحكيم القدير. ومن هنا يلتقي السياق بالنبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون. كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون؛ فسيعلمون حتما حقيقة ما يختلف فيه الناس ممن أنكروا البعث أو شكّوا فيه، أو غفلوا عنه بالكلّية، فلم يلقوا إليه بالا. واعلم أن فيما ذكر من أفعال الله عزّ وجلّ دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة: الأول: باعتبار قدرته تعالى، فإن من قدر على إنشاء هذه الأفعال البديعة من غير مثال يحتذيه، ولا قانون ينتحيه، كان على الإعادة أقدر وأقوى. والثانى: باعتبار علمه وحكمته، فإن من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة إلى الخلق، يستحيل أن ينفيها بالكليّة، ولا يجعل لها عاقبة باقية. الثالث: باعتبار نفس الفعل، فإن اليقظة بعد النوم نموذج للبعث بعد الموت

يشاهدونها كل يوم، وكذلك إخراج الحب والنبات، كل عام يعود من جديد من الأرض الميتة؛ يعاينونه كل حين!. كأنه قيل: ألم نفعل هذه الأفعال، الآفاقية والأنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للإيمان به. فمالكم تخوضون فيه إنكارا. وتتساءلون عنه استهزاء ؟.... ﴿**إن يوم الفصل كان ميقاتا**﴾: هذا الكلام شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟. ونوع تفصيلي لكيفية وقوعه، وما سيلقونه عند ذلك من فنون حسبما جرى به الوعيد...

وقوله تعالى: ﴿**يوم ينفخ في الصور. فتأتون أفواجا**﴾: بيان ليوم الفصل مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله، والفاء في قوله: فتأتون أفواجا فصيحة ؛ تفصح عن جملة مقدرة حذفت بدلالة الحال عليها، وإيذانا بغاية سرعة الإتيان، أي: فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى المحشر والموقف عقب ذلك سراعا مهطعين إلى الداعي. فهو مشهد شامل لجميع البشر، السابقين واللاحقين: أفواجا مبعوثين ـ قائمين ـ آتين من كل فجّ إلى حيث يحشرون، لا يعرف أولها آخرها. فهذه الحشود التي لم تتجمع قط في وقت واحد وفي ساعة واحدة إلا في هذا اليوم!. أين ؟. لاندرى!. (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهّار)... ﴿**وفتّحت السماء فكانت أبوابا. وسيّرت الجبال فكانت سرابا!. إن جهنّم كانت مرصادا**﴾: هذا شروع في تفصيل أحكام الفصل الذي أضيف إليه اليوم إثر بيان هوله، ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان... ﴿**للطاغين مآبا. لابثين فيها أحقابا. لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا. إلا حميما وغساقا!. جزاء وفاقا**﴾: فالجزاء من جنس العمل! ..﴿**إنهم كانوا لا يرجون حسابا. وكذبوا بآياتنا كذّابا**﴾: فهنا أطنب السياق في عرض ما أعد للطاغين من عذاب ونكال ووبال! ..﴿**وكل شيء أحصيناه كتابا. فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا**﴾: ففي الكلام التفات مقصود منه التشديد في التهديد، وإتيان لن المفيدة لحصر الزيادة في العذاب الذي لا عهد لهم به، فالعذاب ليس نوعا واحدا، حتى تتعود عليه نفس الطاغي، ولكن العذاب يتنوّع ويتلوّن وتزداد شدّته وقسوته لحظة بعد لحظة وحقب بعد حقب!. ثم يعرض السياق المشهد المقابل، مشهد التقاة في النعيم بعد مشهد الطغاة في الحميم... ﴿**إن للمتقين مفازا. حدائق وأعنابا. وكواعب أترابا وكأسا دهاقا**﴾: فمقابل الرصد والضيق السعة والفسحة؛ مفازا، ومقابل الحر والحميم والغساق نزهة الحدائق وما

فيها من ملاذّ مختلف الأذواق!. وزيادة في النعيم ؛ هناك زوجات حسان غاية في الجمال والإشراق، وشراب مترع ملئت به كؤوس دهاق ومقابل التأنيب والتنكيل والتقريع، سماع التكريم والتعظيم بكل كلام رائع وديع، ومقابل جزاء السي بالسيء، جزاء الخير من كريم غني، فجزاء الخير وعد كريم، وجزاء الشر من نفس الطاغي اللئيم، ذلك بما قدّمت أيديكم!.. جزاء وفاقا: والمقابل﴿: **جزاء من ربك عطاء حسابا. . . رب السماوات والأرض وما بينهما**﴾: فالعقاب منه عدل. والثواب منه فضل، فهو ﴿**الرحمن**﴾ «يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم». . . ﴿**لا يملكون منه خطابا**﴾: فلا أحد من الخلق يتدخل بزيادة ثواب، ولا في رفع عقاب! ..﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**﴾: فذكر قيام الروح والملائكة صفا خاشعين صامتين سامعين إذن الرحمن لهم، بالقول الفصل الصائب ؛ لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته، وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة إلى مقطعها.

والكلام استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى: لا يملكون منه خطابا، ومؤكد له كذلك على معنى أن أهل السماوات والأرض إذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلاّ من أذن الله له منهم في التكلم وقال صوابا، فكيف يملكون خطاب رب العزة سبحانه وتعالى ؟! ..﴿**ذلك اليوم الحق**﴾: إشارة إلى يوم قيام الخلق من الملائكة والإنس والجن على الوجه المذكور، فالفاء على هذا التوجيه في قوله: ﴿**فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا**﴾، فصيحة، تفصح عن شرط مقدّر والتقدير: إذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة، فمن شاء أن يتخذ مرجعا إلى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم، فعل ذلك بالإيمان والعمل الصالح! ..﴿**إنّا أنذرناكم عذابا قريبا. يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه. ويقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا**﴾!: فهذا هو يوم الفصل، وما فيه للمكذبين الطاغين، وما فيه للمتقين المحسنين. فهذا الكلام يربط موضوع السورة أوّله وآخره برباط واحد، ويستتبع كل ما تقدّم من السور التي فيها موضوع البعث والنشر والحساب، وهذا هو ردّ العجز على الصدر كما هو معروف في فنّ البلاغة، وبراعة الختام واضحة من تمام الكلام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿عمّ يتساءلون ؟.. عن النبإ العظيم، الذي هم فيه مختلفون ﴾..

فهذه السورة ـ سورة النبإ ـ نموذج كامل لما فيها من ذكر الحقائق والمشاهد، وهي خلاصة ما سبقها من سور المرسلات والإنسان والقيامة. فهذه السورة نموذج وتمهيد لاتجاه هذا الجزء كله من سورة النازعات حتى سورة الناس، بموضوعاته وحقائقه وإيقاعاته ومشاهده وصوره وظلاله ولمساته في الكون والنفس والدنيا والآخرة. وهي تفتح بسؤال موح مثير للاستهوال والاستعظام، وتضخيم الحقيقة التي يختلفون عليها، وهى أمر عظيم لا خفاء فيه ولا شبهة. ويعقب السياق على هذا بتهديدهم يوم يعلمون حقيقته... **﴿كلاّ! سيعلمون ثم كلاّ! سيعلمون﴾!**. ومن ثمّ يعدل السياق عن المعنى في الحديث عن هذا النبإ، ويدعه لحينه، ويلفتهم إلى ما هو واقع بين أيديهم وحولهم في ذوات أنفسهم، وفي الكون حولهم، من أمر عظيم يدل على ما وراءه، ويوحي بما سيتلوه... **﴿ألم نجعل الأرض مهادا ؟! والجبال أوتادا ؟!. وخلقناكم أزواجا ؟!. وجعلنا نومكم سباتا ؟!. وجعلنا الليل لباسا ؟!. وجعلنا النهار معاشا ؟!. وبنينا فوقكم سبعا شداداً؟!. وجعلنا سراجا وهاجا ؟!. وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ؟!. لنخرج به حبا ونباتا. وجنّات ألفافا﴾!** : ومن هذا الحشد من الحقائق والمشاهد والصور والإيقاعات، يعود بهم إلى ذلك النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون، والذى هدّدهم به يوم يعلمون، ليقول لهم: ماهو؟. وكيف يكون؟.... **﴿إن يوم الفصل كان ميقاتا. يوم ينفخ في الصور. فتأتون أفواجا. وفتّحت السماء. فكانت أبوابا. وسيّرت الجبال. فكانت سرابا!. إنّ جهنّم كانت مرصادا!. للطّاغين مآبا!. لابثين فيها أحقابا!. لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا. إلاّ حميما وغساقا!. جزاء وفاقا!. إنهم كانوا لا يرجون حسابا!. وكذّبوا بآياتنا كذّابا﴾!** : فالناس لم يخلقوا عبثا، ولن يتركوا سدى!. والذى قدر حياتهم ذلك التقدير، ونسّق حياتهم مع الكون الذي يعيشون فيه ذلك التنسيق، لا يمكن أن يتركهم يعيشون سدى، ويموتون هملا!، يصلحون في الأرض أو يفسدون، ثم يذهبون في التراب ضياعا!، ويهتدون في الحياة أو يضلّون، ثم يلقون مصيرا واحدا!، ويعدلون في الأرض أو يظلمون، ثم يذهب العدل والظلم جميعا!. إن هنالك يوما للحكم والفرقان، والفصل في كل ما

كان، وهو اليوم المرسوم الموعود، الموقوت بأجل عند الله معلوم محدود، وهو يوم ينقلب فيه نظام هذا الكون، وينفرط فيه عقد هذا النظام. فإذا كانت جهنّم هناك مرصدا ومآبا للطاغين لا يفلتون منها ولا يتجاوزونها، لأن الله أحصى ما عملوا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة...

﴿وكل شيء أحصيناه كتابا. فذوقوا فلن نزيدكم إلاّعذابا .... إنّ للمتقين مفازا. حدائق وأعنابا. وكواعب أترابا. وكأسا دهاقا. لا يسمعون فيها لغوا ولا كذّابا. جزاء من ربك عطاء حسابا﴾!: فهذه النعم التي فاز بها المتقون، نعم لا يدركها أهل الأرض وهم مقيّدون بمدارك أهل الأرض، وتصوراتها المحددة المقيّدة. ومع النعيم المقيم الجسماني، هناك نعيم روحانى تتلذذ به النفس فوق الإدراك الإنسانى... لا يسمعون فيها لغوا ولا كذّابا: «لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلاّ قيلا سلاما سلاما». وهذان النعيمان الجسماني والروحاني كانا... جزاء من ربك: يامحمد... عطاء حسابا. **﴿رب السماوات والأرض. ومابينهما!. الرحمن﴾**: فالجزاء من الرحمن فضل منه على ذوي الإحسان «وهل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان!.»، ثم مع هذه الرحمة، الجلال والهيبة في ذلك اليوم المهيب الرهيب... **﴿لا يملكون منه خطابا. يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا. ذلك اليوم الحق. فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا﴾**: فلا مجال للتساؤل والاختلاف بعد ما تبيّن كلّ شيء في نهاية المطاف!.. **﴿إنّا أنذرناكم عذابا قريبا. يوم ينظرالمرء ما قدّمت يداه. ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾!**

2 ـ موضوع سورة النازعات
مثل ما في موضوع سورة المرسلات



النص

بسم الله الرحمن الرحيم

* والنازعات غرقا (1) والناشطات نشطا (2) والسابحات سبحا (3)
فالسابقات سبقا (4) فالمدبرات أمرا (5) يوم ترجف الراجفة (6)
تتبعها الرادفة (7) قلوب يومئذ واجفة (8) أبصارها خاشعة (9) يقولون
أءنا لمردودون في الحافرة (10) أءذا كنا عظاما نخرة (11) قالوا تلك إذا كرة
خاسرة (12) فإنما هي زجرة واحدة (13) فإذا هم بالساهرة (14)
هل أتاك حديث موسى (15) إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى (16)
اذهب إلى فرعون إنه طغى (17) فقل هل لك إلى أن تزكى (18) وأهديك
إلى ربك فتخشى (19) فأراه الآية الكبرى (20) فكذب وعصى (21) ثم
أدبر يسعى (22) فحشر فنادى (23) فقال أنا ربكم الأعلى (24) فأخذه
الله نكال الآخرة والأولى (25) إن في ذلك لعبرة لمن يخشى (26)
ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها (27) رفع سمكها فسواها (28)
وأغطش ليلها وأخرج ضحاها (29) والأرض بعد ذلك دحاها (30) أخرج

مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿31﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿32﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿33﴾ فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿34﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿35﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿36﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿37﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿38﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿39﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿40﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿41﴾ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿42﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَا ﴿43﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَا ﴿44﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿45﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿46﴾

البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**والنازعات**﴾: جمع نازعة، وهم الملائكة الذين ينزعون أنفس الناس... ﴿**غرقا**﴾: مصدر غرق، واسم مصدر من أغرق، والإغراق في الشيء تقصّي ما فيه... ﴿**والناشطات نشطا**﴾: مأخوذ من نشط الدلو من البئر، إذا أخرجها بسرعة، ونشط في الشيء عمله بسرعة وسهولة، والناشط: الحاذق... ﴿**والسابحات سبحا**﴾: مأخوذ من قولهم: سبح في البحر إذا أسرع في عومه بمهارة فائقة... ﴿**فالسابقات سبقا**﴾: وهي التي تسبق غيرها في الجري المعدّ لغاية الغلبة والتفوّق... ﴿**فالمدبرات أمرا**﴾: وهى التي تدبر الأمر الذي تكلف بالتصرف فيه... ﴿**يوم ترجف الراجفة**﴾: الواقعة التي ترجف عندها الأجرام الساكنة، مثل قوله تعالى «يوم ترجف الأرض والجبال»... ﴿**تتبعها الرادفة**﴾: الواقعة التي تردف الأولى مباشرة، تابعة لها عن قرب، والمراد بهما النفخة الأولى

ـ نفخة الصعق ـ والنفخة الثانية ـ نفخة البعث ـ «ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون». . . ﴿**قلوب يومئذ واجفة**﴾: القلوب في ذلك اليوم مضطربة قلقة من شدة الخوف والهول. . .

﴿**أبصارها خاشعة**﴾: خاضعة متذللة من هيبة الموقف، وجلال وقعه على الناس! ..﴿**يقولون: أإنا لمردودون في الحافرة. إذا كنا عظاما نخرة**﴾؟!: عائدون إلى الحياة من جديد، بعد أن انخرت عظامنا واندرست!. فالحافرة وصف للحياة الأولى في الدنيا، من قولهم: رجع فلان في حافرته ؛ في طريقته التي جاء فيها فحفرها ـ أثّر فيها بمشيه ـ والعظم الناخر والنخر: العظم الأجوف قبل اندراسه، فتصوت فيه الريح. . . ﴿**قالوا: تلك**﴾: الرد إلى الحياة من جديد. . . ﴿**إذن**﴾: إذا كان الأمر كما ذكر. . . ﴿**كرّة**﴾: رجعة. . . ﴿**خاسرة**﴾: لاربح فيها. . . ﴿**فإنما هى**﴾: أمر القيامة والرجوع إلى الحياة. . . ﴿**زجرة**﴾: صيحة، من قولهم: زجر البعير إذا صاح عليه بصوت سريع له رنّة ونتّة. . . ﴿**واحدة**﴾: مرّة واحدة لا أكثر! ..﴿**فإذا هم بالساهرة**﴾: فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا في جوفها، والساهرة وصف لأرض الميعاد المبدلة بأرض الدنيا «يوم تبدل الأرض غير الأرض». . . ﴿**هل أتاك حديث موسى؟. إذ ناداه ربه بالوادى المقدّس طوى**﴾: حديث موسى تعدد ذكره في القرآن، وأوّله ليلة الطور، وهو أول لقاء مع وحي ربه. والمقدس: المطهر. وطوى اسم للوادى. . . ﴿**اذهب إلى فرعون**﴾: الوحي المأمور به موسى. . . ﴿**إنّه طغى**﴾: تجبّر وتكبّر ودعا إلى مالم يدع به أحد، وادعى مالم يكن في حسبان أحد!. . . ﴿**فقل: هل لك إلى أن تزّكّى ؟. وأهديك إلى ربّك فتخشى ؟. فأراه الآية الكبرى. فكذّب وعصى. ثمّ أدبر يسعى. فحشر فنادى. فقال: أنا ربكم الأعلى!. فأخذه الله نكال الآخرة**﴾: بالحرق. . . ﴿**والأولى**﴾: بالغرق. . . ﴿**إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى. أأنتم**﴾: أيها الناس. . . ﴿**أشدّ خلقا**﴾: أعظم وأكبر. . . ﴿**أم السماء ؟. بناها. رفع سمكها. فسوّاها**﴾: تسوية كما هي عليه الآن!. . . ﴿**وأغطش**﴾: أظلم ﴿**ليلها**﴾. . . ﴿**وأخرج ضحاها**﴾: بالشمس المشرقة في وقت الضحى. . .

﴿**والأرض بعد ذلك**﴾: بعد بناء السماء. . . ﴿**دحاها**﴾: هيّأها كما هي عليه

الآن. . . ﴿**أخرج منها ماءها ومرعاها**﴾: فالماء من الأرض سبب النبات، والنبات مادة المرعى للحيوان الذي هو بعض رزق الإنسان. . . ﴿**والجبال أرساها**﴾: نبّتها شامخة صلبة قويّة كما هي عليه الآن. . . ﴿**متاعا لكم. ولأنعامكم. فإذا جاءت الطامة الكبرى**﴾: الداهية العظمى التي تفوق وتعظم كل الدواهي والمصائب!، فهي تطم على الناس بأهوالها، ولا ينجو منها إلا من سبقت له من الله الحسنى. . . ﴿**يوم يتذكّر الإنسان ما سعى**﴾: في ذلك اليوم، يوم الفزع الأكبر يرى عمله حاضرا أمامه، فيتذكره بعد أن كان غافلا عنه، ليس في حسابه. . . ﴿**وبرّزت الجحيم لمن يرى!. فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى. وأما من خاف مقام ربه**﴾: مقامه أمام ربه. . . ﴿**ونهى النفس عن الهوى فإن الجنّة هي المأوى. يسألونك عن الساعة: أيّان مرساها ؟. فيم أنت من ذكراها ؟!. إلى ربك منتهاها**﴾: منتهى سير الساعة إلى الله يوم ترسوا في مقرّها النهائي، وتفرغ حمولتها من بني البشر، فيذهب كل إلى مقرّه الأخير ؛ إمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى الجحيم. . . ﴿**إنّما أنت منذر من يخشاها. كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا**﴾: في الدنيا. . . ﴿**إلاّعشيّة**﴾: يوم. . . ﴿**أو ضحاها**﴾: ضحى تلك العشيّة!.

مبحث الإعراب

﴿**والنازعات**﴾ مجرور بواو القسم. ﴿**غرقا**﴾ مفعول مطلق ؛ أغرقت في النزع إغراقا! .﴿**والناشطات**﴾ معطوف على النازعات. ﴿**نشطا**﴾ مفعول مطلق ﴿**والسابحات سبحا**﴾ مثله. ﴿**فالسابقات**﴾ مرتب بالفاء على السابحات. ﴿**سبقا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**فالمدبرات**﴾ مرتب على السابقات. ﴿**أمرا**﴾ مفعول باسم الفاعل. ﴿**يوم**﴾ متعلق بجواب القسم المقدّر، والتقدير: لتبعثنّ يوم. ﴿**ترجف الراجفة**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جرّ مضافة إلى يوم. ﴿**تتبعها**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الرادفة**﴾ فاعل، والجملة حال من الراجفة. ﴿**قلوب**﴾ مبتدأ. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**واجفة**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**أبصارها**﴾ مبتدأ. ﴿**خاشعة**﴾ خبر المبتدإ، وجملة أبصارها خاشعة خبر ثان لقلوب. ﴿**يقولون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أإنّا**﴾ إنّ واسمها دخل عليها حرف الاستفهام.

﴿**لمردودون**﴾ خبر إنّ، واللام لتقوية الخبر. ﴿**في الحافرة**﴾ متعلق بمردودون. ﴿**إذا كنّا**﴾ كان واسمها فعل شرط إذا. ﴿**عظاما**﴾ خبر كان. ﴿**نخرة**﴾

نعت للخبر، وجواب شرط إذا مقدّر دلّ عليه: أإنا لمردودون في الحافرة، أي: إذا كنّا عظاما نخرة أنبعث من جديد ؟! وجملة الشرط وجوابه تفسير لمقول القول: أإنا لمردودون في الحافرة. **﴿قالوا﴾** فعل وفاعل. **﴿تلك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿إذًا﴾** ظرف متضمن معنى الجواب المفهوم من السياق. **﴿كرّة﴾** خبر المبتدإ. **﴿خاسرة﴾** نعت لكرّة، والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر فالرجعة خاسرة لا محالة! . **﴿فإنّما﴾** كافة ومكفوفة. **﴿هى﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿زجرة﴾** خبر المبتدإ. **﴿واحدة﴾** نعت لزجرة. **﴿فإذا هم﴾** في محل رفع مبتدأ دخلت عليه إذا الفجائيّة. **﴿بالساهرة﴾** متعلّق بمحذوف خبر المبتدإ، والجملة مرتّبة بالفاء على ما قبلها. **﴿هل أتاك﴾** فعل ماض دخل عليه حرف الاستفهام، والضمير المتصل به مفعول. **﴿حديث﴾** فاعل. **﴿موسى﴾** مضاف إلى حديث. **﴿إذ﴾** ظرف متعلّق بحديث. **﴿ناداه﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. **﴿ربه﴾** فاعل. **﴿بالوادى﴾** متعلّق بنادى. **﴿المقدّس﴾** نعت للوادي. **﴿طوى﴾** اسم للوادي عطف بيان له. **﴿اذهب﴾** أمر موجّه إلى موسى. **﴿إلى فرعون﴾** متعلّق باذهب. **﴿إنّه﴾** إنّ واسمها. **﴿طغى﴾** فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على فرعون، والجملة خبر إنّ، وجملة إنّه طغى تعليل للأمر قبله. **﴿فقل﴾** مرتّب على إذهب. **﴿هل﴾** حرف استفهام. **﴿لك﴾** متعلّق بمحذوف خبر لمبتدإ مقدّر، والتقدير: هل لك ميل. **﴿إلى أن تزّكى﴾** فعل مضارع دخلت عليه أن المصدريّة الناصبة، والفاعل ضمير يعود على فرعون، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بإلى متعلّق بالمبتدإ المقدّر، والتقدير: هل لك ميل إلى تزكية نفسك. **﴿وأهديك﴾** معطوف على أن تزّكّى، والضمير المتصل بالفعل مفعول، والفاعل ضمير المتكلّم ـ أنا ـ. **﴿إلى ربك﴾** متعلّق بأهديك. **﴿فتخشى﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير المخاطب ـ فرعون ـ والفعل مرتب بالفاء على الفعل قبله أهديك. **﴿فأراه﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول أوّل، والفاعل ضمير يعود على موسى ـ عليه السلام ـ. **﴿الآية﴾** مفعول ثان. **﴿الكبرى﴾** نعت للآية. **﴿فكذّب﴾** فعل ماض مرتب على ما قبله، والفاعل ضمير يعود على فرعون. **﴿وعصى﴾** معطوف على كذّب. **﴿ثم أدبر﴾** معطوف بثمّ على عصى. **﴿يسعى﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على فرعون، والجملة حال من فاعل أدبر.

﴿فحشر﴾ مرتّب على أدبر. **﴿فنادى﴾** مرتّب على حشر. **﴿فقال﴾** مرتّب على

نادى، والفاعل في كل ضمير يعود على فرعون. ﴿**أنا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**ربكم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الأعلى**﴾ نعت لربكم. ﴿**فأخذه**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**نكال**﴾ مفعول مطلق من فعل مقدّر. ﴿**الآخرة**﴾ مضاف إلى نكال. ﴿**والأولى**﴾ معطوف على الآخرة. ﴿**إنّ في ذلك**﴾ متعلّق بمحذوف خبر إنّ مقدّم. ﴿**لعبرة**﴾ اسمها مؤخّر، واللام تقوية للكلام. ﴿**لمن**﴾ متعلّق بعبرة. ﴿**يخشى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على من، والجملة صلتها. ﴿**أأنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ، والهمزة الأولى للاستفهام. ﴿**أشدّ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**خلقا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**أم السماء**﴾ معطوف بأم على أنتم، أي: أم السماء أشد. ﴿**بناها**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله المفهوم من المقام. ﴿**رفع**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة بيان لبناها. ﴿**سمكها**﴾ مفعول به. ﴿**فسوّاها**﴾ مرتّب على رفع سمكها. ﴿**وأغطش**﴾ معطوف على بناها. ﴿**ليلها**﴾ مفعول به. ﴿**وأخرج**﴾ معطوف على أغطش. ﴿**ضحاها**﴾ مفعول به. ﴿**والأرض**﴾ مفعول بفعل مقدّر. ﴿**بعد**﴾ متعلق بالفعل الآتى. ﴿**ذلك**﴾ في محل جر مضاف إلى الظرف. ﴿**دحاها**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. ﴿**أخرج**﴾ فعل ماض. ﴿**منها**﴾ متعلّق بأخرج. ﴿**ماءها**﴾ مفعول به، والفاعل معلوم مما قبله. ﴿**ومرعاها**﴾ معطوف على ماءها. ﴿**والجبال**﴾ مفعول بفعل مقدّر يفسّره. ﴿**أرساها**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والجملة تفسيريّة لا محل لها من الإعراب. ﴿**متاعا**﴾ مفعول مطلق لفعل مقدّر، أي: يمنحكم متاعا. ﴿**لكم**﴾ متعلّق بمحذوف نعت لمتاعا. ﴿**ولأنعامكم**﴾ معطوف على لكم. ﴿**فإذا جاءت الطامة**﴾ فعل وفاعل، فعل شرط إذا، والفاء للتعقيب. ﴿**الكبرى**﴾ نعت للطامة. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلّق بجاءت. ﴿**يتذكّر الإنسان ما**﴾ فعل وفاعل ومفعول والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**سعى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الإنسان، والجملة صلة ما. ﴿**وبرّزت**﴾ فعل ماض مبنيّ للمجهول. ﴿**الجحيم**﴾ نائب الفاعل. ﴿**لمن**﴾ متعلّق ببرّزت. ﴿**يرى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على من، والجملة صلتها. ﴿**فأمّا**﴾ أداة تفصيل، والفاء رابط لجواب إذا. ﴿**من**﴾ مبتدأ. ﴿**طغى**﴾ فعل ماض دخلت عليه من الشرطيّة، والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**وآثر**﴾ معطوف على طغى.

﴿**الحياة**﴾ مفعول به. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**فإن الجحيم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**هي**﴾ ضمير فصل. ﴿**المأوى**﴾ خبر إنّ، والجملة جواب شرط من. ﴿**وأمّا من خاف**﴾ معطوف على أمّا من طغى. ﴿**مقام**﴾ مفعول به. ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى مقام. ﴿**ونهى**﴾ معطوف على خاف. ﴿**النفس**﴾ مفعول به. ﴿**عن الهوى**﴾ متعلّق بنهى. ﴿**فإنّ الجنّة هي المأوى**﴾ مثل إنّ الجحيم هي المأوى. ﴿**يسألونك**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**عن الساعة**﴾ متعلّق بالفعل قبله. ﴿**أيّان**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**مرساها**﴾ خبره. ﴿**فيم**﴾ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**أنت**﴾ في محل رفع مبتدأ مؤخّر .﴿**من ذكراها**﴾ متعلّق بما تعلّق به الخبر .﴿**إلى ربك**﴾ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**منتهاها**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**إنّما**﴾ كافة ومكفوفة. ﴿**أنت**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**منذر**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**مَنْ**﴾ في محل جر مضاف إلى منذر. ﴿**يخشاها**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلتها. ﴿**كأنّهم**﴾ كأنّ واسمها. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلّق بجملة الخبر الآتي. ﴿**يرونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة مضافة إلى يوم. ﴿**لم يلبثوا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي الجازم، والجملة خبر كأنّ، وهو المتعلّق به يوم يرونها. ﴿**إلاّ عشيّة**﴾ مفعول به، وإلاّ ملغاة. ﴿**أو ضحاها**﴾ معطوف على عشيّة.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والنازعات غرقا**﴾... فهذه السورة لها علاقة واضحة بما قبلها، من كون الفصل يكون فيه ما يجعل الكافر يتمنى أن يكون ترابا. حيث جاء هنا القسم بالملائكة التي تقبض الأرواح، والموت مقدمة البعث. ولها كذلك علاقة بالسور التي قبلها، فلما كانت الموت وحالها وما يكون بعدها من البعث والحشر والجزاء أمرا مغيبا على البشر أقسم الله سبحانه وتعالى عليه بما هو من الغيب أيضا بالملائكة الموكلة بقبض أرواح الناس مؤمنهم وكافرهم، تأكيدا بوقوع هذا الأمر الذي لا يدري الإنسان عنه شيئا إلا ما أخبره به الوحي. فهذا المطلع جاء في صيغة القسم على أمر تصوره الآيات التالية في السورة، وعطف على القسم ما يدخل كذلك تحت القسم... ﴿**والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمدبرات أمرا**﴾: وجواب القسم محذوف يعلم من السياق، أي: لتبعثن

بعد ما يقع مايقع من أهوال. . . ﴿**يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة!. قلوب يومئذ واجفة. أبصارها خاشعة!**﴾: فهذا هو الذي يتناوله القسم بالنازعات نزعا وما عطف عليه، فهو مشهد يتناسق في أسلوبه وإيقاعه مع المطلع، ومع هذا القسم وما فيه من تحذير وإنذار وتهديد، لازال الكفار مصرين على الإنكار والتكذيب. . . ﴿**يقولون: أإنا لمردودون في الحافرة. إذا كنّا عظاما نخرة**﴾؟!: وهو حكاية لكفر آخر متفرع على كفرهم السابق، وتوسيط «قالوا» بينهما للإيذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار، مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة أوقاتهم، حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع، أي: قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين إلى ما أنكروه من الرجعة في الحافرة مشعرين بغاية بُعدها من الوقوع. فقوله تعالى: ﴿**فإنما هي زجرة واحدة**﴾: تعليل لمقدر يقتضيه المقام، أي: لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة، وجملة. . . ﴿**فإذا هم بالساهرة**﴾: بيان لحضورهم الموقف عقيب الزجرة الواحدة فجأة دون إمهال، والزجرة تقال هنا بهذا اللفظ العنيف تنسيقا لجوّ المشهد. . . ﴿**هل أتاك حديث موسى**﴾؟!: هذا كلام مستأنف فصل بدون عطف، واردٌ لتسلية الرسول ﷺ من تكذيب قومه، بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم. . . ﴿**إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى**﴾: هذا الحديث وقع عند نداء الله موسى في الوادي المقدّس طوى، فقال له ربه. . . ﴿**اذهب إلى فرعون إنّه طغى. فقل: هل لك إلى أن تزّكى؟!. وأهديك إلى ربك فتخشى**﴾؟!: ولكن لن ينفع هذا الأسلوب الهادئ الخفيف مع الطاغية. . . ﴿**فأراه الآية الكبرى**﴾!: ولكن هذا وذاك لم يردّا طغيان هذا السخيف. . . ﴿**فكذّب وعصى. ثمّ أدبر يسعى. فحشر فنادى. فقال أنا ربكم الأعلى**﴾!: فجاء الأسلوب هنا على طريق الإيجاز، حيث أجمل السياق مشاهد سعيه وحشره، وندائه في قومه بقولة مليئة بالغرور والجهالة!. ثمّ ماذا حصل لهذا الطاغية المغرور ؟! ..﴿**فأخذه الله نكال الآخرة والأولى**﴾!: فنكال الآخرة يقدّم هنا، لأنه أشدّ وأبقى، فهو النكال الحقيقيي الذي يأخذ الطغاة، ولأنه الأنسب في هذا المقام، ولأنه يتّسق لفظيّا مع الإيقاع الموسيقي في الفاصلة، فهذا فرعون الجبّار ذو القوّة والسلطان، فكيف بغيره من المكذّبين ؟، مثل هؤلاء الذين وقفوا ضد الدعوة من المشركين! ..﴿**إن في ذلك لعبرة لمن يخشى!. أأنتم أشدّ خلقا. أم السماء**﴾؟!: فهذا الاستفهام لا يحتمل إلاّ إجابة واحدة ؛ السماء!.

بدليل: «لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس»، ففي هذا السؤال الموجّه أولا إلى أهل مكّة تبكيت وتوبيخ وتجهيل وتسفيه، حيث استصعبوا على الله تعالى بعث الناس بعد الموت، وقالوا: ما قالوا. وجملة قوله تعالى... ﴿**بناها**﴾: بيان وتفصيل لكيفيّة خلق السماء المستفاد من قوله: أم السماء ؟. وفي إضمار الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الأفعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عزّ وجلّ ما لا يخفى، فليس يوجد من يفعل هذا الفعل غير الله تعالى!. فجملة ﴿**رفع سمكها**﴾ بيان لكيفيّة البناء... ﴿**فسوّاها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم**﴾: بناء السماء وإغطاش الليل وإخراج الضحى ودحوّ الأرض وإخراج مائها ومرعاها وإرساء جبالها متاعا للإنسان وأنعامه، كل هذه إشارة توحى بحقيقة التدبير والتقدير، وهي حقيقة ظاهرة يشترك في إدراكها كل إنسان، في كل بيئة وفي كل زمان، فلا يحتاج إلى درجة من العلم والمعرفة تزيد على نصيب الإنسان حيث كان، حتى يعم الخطاب بالقرآن جميع الناس في كل زمان ومكان!. وتقرير حقيقة التدبير والتقدير في تصميم هذا الكون الكبير، وحساب مكان للإنسان فيه ملحوظ في خلقه وتطويره، أمرٌ يُعِدُّ القلب والعقل لتلقي حقيقة الآخرة وما فيها من حساب وجزاء باطمئنان وتسليم. فمن أجل هذا كله يجيء بعده ذكر الطامة الكبرى في موضعه وفي حينه... ﴿**فإذا جاءت الطامة الكبرى. يوم يتذكّر الإنسان ما سعى**﴾: فالحياة الدنيا متاع ينتهي إلى أجله، فإذا جاءت الطامة الكبرى غطّت على كل شيء، فهي أكبر من كل شيء، فعندئذ يتذكّر الإنسان سعيه الذي سعاه في دنياه، ولكن حيث لا يفيده التذكّر والاستحضار، إلا الحسرة والأسى حيث ضاع سعيه سدى!. وحيث لم ير أمامه إلاّ النار الكبرى... ﴿**وبرّزت الجحيم لمن يرى**﴾!: فعندئذ تختلف المصائر والعواقب، وتتجلى غاية التدبير والتقدير في النّشأة الأولى... ﴿**فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم هي المأوى. وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإنّ الجنة هي المأوى**﴾: فهذه وتلك هما المصير الطبيعي للارتكاس في الجحيم، وللارتقاء في درجات النعيم، فهما ميزان هذا الدين الذي يزن حقيقة الأشياء بهذا التقدير القويم. وأخيرا يجيء الإيقاع الأخير ناعيا على هؤلاء الذين جهلوا هذا المصير... ﴿**يسألونك عن الساعة: أيّان مرساها ؟!. فيم أنت من ذكراها ؟!. إلى ربّك منتهاها!. إنّما أنت منذر من**

يخشاها﴾!. فهذا العرض بهذا الأسلوب يحمل في طواياه ما لا يحمله تصور الإنسان وتخيله مهما حاول وتطاول على خفايا الغيوب!. وها هي الحقيقة في غايتها ومغزاها. . . **﴿كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيّة أو ضحاها﴾**: وهنا يرجع الأسلوب في الختام بما بدئ به الكلام ؛ فإنّما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة!. وفي هذا الكلام براعة حسن الختام.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

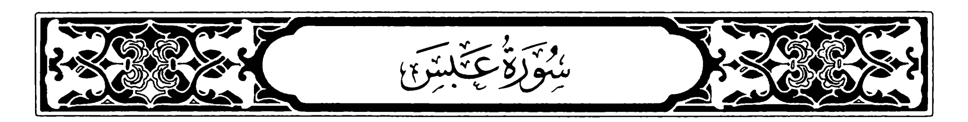
﴿والنازعات غرقا. والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمدبرات أمرا﴾: لتبعثن. . . **﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾**: فالراجفة هي النفخة الأولى في الصور التي ترجف لها الأرض والجبال والأحياء جميعا، ويصعق لها من في السماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله. والرادفة: هي النفخة الثانية التي يصحون عليها ويحشرون. فالأولى نفخة الصعق، والثانية نفخة البعث. . . **﴿قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة﴾**: هذا ما يحصل للناس بعد نفخة البعث، وهو داخل تحت مقصود القسم بالنازعات إلى المدبرات أمرا، وهو نزع الأنفس من الأجساد أولا بأول، إلى بعثها مرة واحدة وتدبير أمرها ؛ إمّا إلى جنّة وإمّا إلى نار!. ومع هذا لازال أكثر الناس شاكين مترددين في وقوع هذا الهول العظيم. . . **﴿يقولون: أإنا لمردودون في الحافرة. إذا كنّا عظاما نخرة﴾** ؟!: ثم يزداد الشك والإنكار، حتى يصل إلى الاستهزاء وعدم المبالاة. . . **﴿قالوا: تلك إذن كرّة خاسرة!. فإنّما هي زجرة واحدة. فإذا هم بالساهرة﴾**: يأتى الرد سريعا على موقفهم من البعث والجزاء وشكهم فيه واستهزاؤهم به بهذا الأسلوب المفاجىء بغرابة ما يكون من أمرهم وهم بأرض غريبة عجيبة. . . فإذا هم بالساهرة!. وهكذا تبقى هذه الساهرة مجهولة لكل أحد من الناس، حتى يأتي اليوم الذي يرى فيه الإنسان هذه الساهرة وهو بها ملتصق، وعليها يحاسب ويجازى: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا لله الواحد القهّار!». . . **﴿هل أتاك حديث موسى: إذ ناداه ربّه بالوادى المقدّس طوى: اذهب إلى فرعون إنّه طغى. فقل: هل لك إلى أن تزّكى ؟. وأهديك إلى ربك فتخشى. فأراه الآية الكبرى. فكذّب وعصى. ثمّ أدبر يسعى. فحشر فنادى. فقال: أنا ربكم الأعلى. فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾**: هنا ترد قصّة موسى وفرعون مختصرة سريعة

المشاهد، منذ أن نودي موسى بالوادى المقدّس وهو راجع من مدين إلى مصر، إلى أخذ فرعون حين كذّب بموسى ورسالته ؛ نكال الآخرة والأولى: فأغرق بالأولى وأحرق بالثانية ـ الآخرة ـ!. وتتضمن هذه الآيات القصار، عدّة حلقات ومشاهد من القصة: وهي تبدأ بتوجيه الخطاب إلى الرسول ﷺ باستفهام مقصود منه التمهيد وإعداد النفس، والإذن لتلقى القصة وتملّيها. ثم تأخذ في عرض الحديث، فتبدأ بمشهد المناداة والمناجاة، فيكلف الله موسى ـ عليه السلام ـ بالذهاب إلى فرعون الطاغي المتجبر المفسد، ثمّ يعلّم الله موسى كيف يخاطب الطاغية بأحب أسلوب، وأشده جاذبيّة للقلوب، فقد بلّغ موسى ما كُلّف بتبليغه بالأسلوب المأمور به، ولكن لم يفلح هذا الأسلوب، فلم يأت بما هو مطلوب، بل تحدى الطاغية وتعدى، فقال: «إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين»، كما ورد في غير هذه السورة. ثم يعرض السياق مشهدا آخر: مشهد فرعون وهو يسعى بجمع السحرة ليعارض دعوة موسى، ثم يسارع السياق هنا إلى عرض قولة فرعون الوقحة المملوءة بالغرور، مخدوعا بغفلة قومه وإذعانهم وإنقيادهم «فاستخفّ قومه فأطاعوه، إنّهم كانوا قوما فاسقين». فالطاغية وهو فرد، لا يمكن أن يكون أقوى من الألوف والملايين، لو أنها شعرت بإنسانيتها وكرامتها، ولكن الطاغية يخدعها فيوهمها أنه يملك لها شيئا!. فما يمكن أن يطغى فرد في أمّة كريمة أبدا!. وما يمكن أن يطغى فرد في أمّة رشيدة أبدا!. وما يمكن أن يطغى فرد في أمّة تعرف ربّها وتؤمن به، وتأبى أن تتعبد لواحد من خلقه لا يملك لها ضرا ولارشدا!. وأمام هذا التطاول الوقح بعد الطغيان البشع، تحركت القوة الكبرى. . . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى: فنكال الأولى كان عنيفا قاسيا، فكيف بنكال الآخرة وهو أشدّ وأنكى ؟!. وفرعون كان ذا قوّة وسلطان ومجد موروث عريق، فكيف بغيره من المكذّبين ؟!. وكيف بهؤلاء الذين يواجهون الدعوة من المشركين ؟! ..﴿**إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى**﴾!. فالذى يعرف ربّه ويخشاه هو الذي يدرك ما في حادث فرعون من العبرة لسواه!. ومن هذه الجولة في مصارع الطغاة المعتدين بقوتهم، يعود السياق إلى المشركين المعتزّين بعددهم وعددهم كذلك، فيردهم إلى شيء من مظاهر القوة الكبرى. . . ﴿**أأنتم أشد خلقا أم السماء**﴾؟!: فما الذي يغرّكم من قوتكم والسماء أشد خلقا منكم، والذى خلقها أشد منها ؟!. فماالذى تستصعبونه من أمر بعثكم ؟. فهذه السماء الأشد

خلقا بلا شك. . . ﴿**بناها**﴾: فهي بناء ثابت وطيد متماسك. . . ﴿**رفع سمكها. فسوّاها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها**﴾: فتوالي حالتي الظلام في الليل، والضياء في النهار، وخصوصا الضحى الذي هو وقت اشتداد ضوء الشمس، حقيقة يراها ويتفاعل لها كل أحد على اختلاف إدراكه وسعة نظره، فما بالك بأهل النظر الباحثين في مظاهر الكون!. وهذه الأرض كذلك لها فوائدها، وفيها دلائل القوة والقدرة والحكمة والتدبير. . . ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها**﴾: فالله كيّف الأرض بعد خلقها، لتكون مقرا للإنسان سكنا وعيشا ورفاهية، ففيها ماؤها الخارج منها من العيون والآبار، والنازل إليها بعد صعوده منها ليكوّن الأنهار والوديان، ليملأ ساحات القرار. . . ﴿**والجبال أرساها**﴾: لتستقر الحياة في ثبات واستمرار، حتى لا تكون الحياة في الصحارى والفيافي والقفار!. فهذا هو المتاع للإنسان وماله من أنعام من غنم وجمال وأبقار! ..﴿**متاعا لكم ولأنعامكم**﴾: وتقرير حقيقة التدبير والتقدير في هذا الكون لأجل الإنسان، أمر يُعِدّ القلب والعقل لتلقي حقيقة الآخرة وما فيها من حساب وجزاء باطمئنان وتسليم، فما يمكن أن يكون هذا، هو واقع النشأة الإنسانيّة ثم تنتهي قبل أن تكمل غايتها، بجزاء ما عملت في النشأة الأولى، فلا يكون مناسبا ولا مقبولا أن ينتهي أمرها بنهاية الحياة القصيرة، في هذه العاجلة الفانية، وأن يمضي الشر والطغيان والباطل ناجيا بما كان منه في هذه الأرض، وأن يمضي الخير والعدل والحق بما أصابه كذلك في هذه الأرض، فهذا الفرض مخالف في طبيعته لطبيعة التقدير والتدبير الواضحة في تصميم الكون الكبير. فمن أجل هذا تلتقى هذه الحقيقة التي أثارها السياق في هذا المقطع، بحقيقة الآخرة التي هي الموضوع الرئيسي في السورة، فكان ما تقدّم تمهيدا لما يأتي بعده. . . ﴿**فإذا جاءت الطامة الكبرى. يوم يتذكّر الإنسان ما سعى**﴾: إنّ الحياة الدنيا متاع، متاع مقدر بدقة وإحكام!، وفق تدبير مرتبط بالكون كله، ونشأة الحياة والإنسان، ولكنه متاع: متاع ينتهي إلى أجله، فإذا جاءت الطامة الكبرى، غطّت على كل شيء، وطمّت على كل شيء؛ على المتاع الموقوت، وعلى الكون المتين المقدّر المنظّم، على السماء المبنيّة، والأرض المدحيّة، والجبال المرسية، والأحياء والحياة بما فيها وما عليها. . . يوم يتذكّر الإنسان ما سعى: فقد كانت أحداث الحياة وشواغل المتاع أغفلته عنه وأنسته إيّاه. يتذكّر، ولكن حيث لا يفيده التذكّر إلاّ الحسرة والأسى، وتصور ما

وراءه من العذاب، حيث يرى جهنّم بارزة شاغرة... ﴿**وبرّزت الجحيم لمن يرى. فأمّا من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى**﴾: فالإنسان إذا أهمل في حساب الآخرة، وآثر عليها الدنيا اختلت موازينه، وإختلّت كل القيم في تقديره، واختلت كل قواعد الشعور والسلوك في حياته، وعدّ طاغيا وباغيا ومتجاوزا كل حدود المعايير والمقاييس... ﴿**وأمّا من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى**﴾: والذى يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشري، قاده خوف هذا المقام الجليل إلى التوبة والندم والاستغفار. ونهي النفس عن الهوى، هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة. والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة. وأخيرا يجيء الإيقاع الأخير في السورة هائلا عميقا مديدا... ﴿**يسألونك عن الساعة؛ أيان مرساها**﴾؟!: فكان المتعنتون من المشركين يسألون الرسول ﷺ كلّما سمعوا وصف أهوال الساعة وأحداثها، وما تنتهي إليه من حساب وجزاء، متى موعدها ؟. وأين ترسو عند حدها ؟!. فالجواب... ﴿**فيم أنت من ذكراها**﴾؟!: فأمرها إلى ربك، وهي من خاصة شأنه، وليست من شأنك... ﴿**إلى ربك منتهاها**﴾: فهو الذي ينتهي إليه أمرها، وهو الذي يعلم موعدها، وهو الذي حدد مكانها ومستقرها، وهو الذي يتولى كل شيء فيها، فوظيفتك التحذير منها، والإنذار بها... ﴿**إنّما أنت منذر من يخشاها**﴾. ثمّ يصوّر السياق هولها وضخامتها، وقياس الحياة الدنيا إليها، فالدنيا بالنسبة للآخرة لمحة عابرة لا تقاس... ﴿**كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيّة أو ضحاها**﴾!: ليس للإنسان في هذه الدنيا إلاّ لحظة بعد لحظة في حياته كلها، ولكن يخيل إليه بالماضي والمستقبل أنها فترة طويلة، فيحسب لنفسه كل حساب لآماله وأحلامه، ولكن الحقيقة ما حققه القرآن الكريم لمن يلقي السمع وهو شهيد!.

3 ـ الدليل المقتبس على صحة القرآن
في سورة عبس



النص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (1) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (3)
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (4) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (5) فَأَنتَ لَهُۥ
تَصَدَّىٰ (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (7) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (8)
وَهُوَ يَخْشَىٰ (9) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (10) كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَن
شَآءَ ذَكَرَهُۥ (12) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (13) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (14)
بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (16) قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (17)
مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (18) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (19) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ
يَسَّرَهُۥ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (21) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (22) كَلَّا
لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (23) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ إِنَّا صَبَبْنَا
ٱلْمَآءَ صَبًّا (24) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (25) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (26)
وَعِنَبًا وَقَضْبًا (27) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (28) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (29) وَفَٰكِهَةً
وَأَبًّا (30) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (31) * فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (32)

يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿33﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿34﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿35﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿36﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿37﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿38﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿39﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿40﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿41﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**عبس**﴾: كلح وتغيّر، وتجهّم وجهه، ومن هذا سُمّي ما يتراكم من أوساخ البهائم ـ عبسا ـ ..﴿**وتولّى**﴾: بسبب... ﴿**أن جاءه الأعمى**﴾: وهو عبدالله بن أم مكتوم صحابى معروف، فقد البصر ولم يفقد البصيرة... ﴿**وما يدريك؟!. لعلّه يزّكّى!. أو يذكّر!. فتنفعه الذكرى!. أما من استغنى. فأنت له تصّدّى**﴾: التصدي، التعرض للشيء حرصا على تحصيله... ﴿**وما عليك ألاّ يزّكّى. وأمّا من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهّى**﴾!: التلهي عكس التصدي، وهوالتشاغل عن الشيء غيرالمرغوب فيه... ﴿**كلاّ!. إنّها**﴾: موعظة يجب أن يتّعظ بها... ﴿**تذكرة**﴾: تذكّرالغافل وترد الجافل! ..﴿**فمن شاء ذكره**﴾: ذكر ما فيه من الموعظة والتذكرة، وهو القرآن... ﴿**في صحف**﴾: مكتوب في صحف... ﴿**مكرّمة**﴾: كرّمها الله تعالى! ..﴿**مرفوعة**﴾: رفع الله قدرها، فلا ينالها إلاّ المكرّمون... ﴿**مطهّرة**﴾: طهّرها الله من تعدّي البشر على تغييرها أو تبديلها، كما حصل للكتب قبلها... ﴿**بأيدى سفرة**﴾: مستقرة بأيدى أمينة: من الملائكة إلى الرسل إلى المخلَصين من البشر! ..﴿**كرام!. بررة**﴾! أتقياء. ﴿**إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾، صادقين بارين في عهودهم ومواثيقهم... ﴿**قتل الإنسان**﴾: دعاء على الإنسان الكافر بأشنع الدعوات... ﴿**ما أكفره**﴾!. فهو تعجّب من شدّة كفر الكافر، مع وضوح دلائل الإيمان في هذا القرآن... ﴿**من أي شيء خلقه ؟!. من**

نطفة خلقه فقدّره. ثمّ السبيل يسّره. ثم أماته فأقبره. ثم إذا شاء أنشره. كلاّ!. لمّا يقض ما أمره﴾: إلى الآن، ونوع الإنسان مقصّر فيما يجب عليه من ربه، «وما أكثر الناس ـ ولو حرصت ـ بمؤمنين!.»، «وأكثرهم للحق كارهون». «إلاّ من رحم ربك»، من هداهم بهذا الكتاب العظيم! ..**﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه!. إنّا صببنا الماء صبّا. ثمّ شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبّا وعنبا وقضبا﴾**: القضب كل نبات يقضب طريّا... وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا: والغلب غلاظ الأشجار المتكاثفة المرتفعة الكثيرة! ..**﴿وفاكهة. وأبّا﴾**: الأب النبات من الأعلاف المطلوبة للأنعام ؛ الإبل والبقر والضان!. مأخوذ من أبّه إذا قصده للقطع والخزن... **﴿متاعا لكم ولأنعامكم!. فإذا جاءت الصاخة!. يوم يفرّ المرء من أخيه﴾**: قد يكون الفرار من الأخ! ..**﴿وأمّه وأبيه﴾**: وهذا أصعب مما قبله... **﴿وصاحبته وبنيه﴾**: وهذا أصعب ما يقاسى الإنسان... **﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه. وجوه يومئذ مسفرة﴾**: مضيئة... **﴿ضاحكة﴾**: فرحة... **﴿مستبشرة﴾**: بنجاتها وفوزها... **﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾**: لونها قبيح كالح... **﴿ترهقها قترة﴾**: تعب ونصب ومشقّة... **﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾**!.

مبحث الإعراب

﴿عبس﴾ فعل ماض، والفاعل هو. **﴿وتولّى﴾** معطوف على عبس. **﴿أن جاءه﴾** فعل ماض دخلت عليه أن المصدريّة، والضمير المتصل به مفعول. **﴿الأعمى﴾** فاعل جاء، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل متعلق بعبس وتولى، أي: لأجل مجيء الأعمى إليه. **﴿ما﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿يدريك﴾** فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة خبر المبتدإ، والجملة معطوفة على ما قبلها. **﴿لعلّه﴾** لعلّ واسمها. **﴿يزّكّى﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الأعمى، والجملة خبر لعلّ، والجملة من لعلّه يزّكّى تعليليّة. **﴿أو يذّكّر﴾** معطوف على يزّكّى. **﴿فتنفعه﴾** مرتّب على يذّكر، والضمير المتصل مفعول به. **﴿الذّكرى﴾** فاعل. **﴿أمّا﴾** أداة تفصيل. **﴿من استغنى﴾** جملة شرطيّة. **﴿فأنت﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿له﴾** متعلّق بما بعده. **﴿تصّدى﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير المخاطب، والجملة خبر المبتدإ، وجملة فأنت له تصّدّى جواب الشرط، والفاء رابط. **﴿وما﴾** نافية.

﴿**عليك**﴾ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**أن لاّ يزّكّى**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي وأن المصدريّة، والفاعل ضمير يعود على من استغنى، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع مبتدأ مؤخر، والمعنى: وما عليك عدم تزكيته. ﴿**وأما مَنْ جاءك**﴾ معطوف على أما من استغنى. ﴿**يسعى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة حال من فاعل جاءك. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يخشى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة معطوفة على جملة يسعى. ﴿**فأنت**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عنه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**تلهى**﴾ فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين، والفاعل ضمير المخاطب، والجملة خبر المبتدإ، وجملة فأنت عنه تلهي جواب الشرط. ﴿**كلاّ**﴾ أداة ردع وزجر، أي: لايكون هذا. ﴿**إنّها**﴾ إنّ واسمها. ﴿**تذكرة**﴾ خبر إنّ، وجملة إنّها تذكرة تعليليّة. ﴿**فمن شاء**﴾ جملة شرطيّة مرتّبة على ما قبلها بالفاء. ﴿**ذكره**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل هو فاعل الشرط، والجملة جواب الشرط. ﴿**في صحف**﴾ متعلق بمحذوف نعت لتذكرة. ﴿**مكرّمة مرفوعة مطهّرة**﴾ نعوت لصحف. ﴿**بأيدي**﴾ متعلق بنعت رابع لصحف. ﴿**سفرة**﴾ مضاف إلى أيدي. ﴿**كرام بررة**﴾ نعتان لسفرة. ﴿**قتل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**الإنسان**﴾ نائب الفاعل، والجملة دعائيّة لا محل لها من الإعراب. ﴿**ما**﴾ تعجّبيّة. ﴿**أكفره**﴾ فعل تعجّب، والفاعل يعود على ما، والضمير المتصل بالفعل شبيه بالمفعول به، والجملة التعجبيّة لا محل لها من الإعراب. ﴿**من أي شيء**﴾ مضاف إلى أيّ، والجار والمجرور متعلق بما بعده. ﴿**خلقه**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الله، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**من نطفة خلقه**﴾ إعرابه مثل سابقه، والجملة بدل مما قبلها. ﴿**فقدّره**﴾ مرتب بالفاء على خلقه. ﴿**ثم السبيل**﴾ مفعول بفعل يفسره. ﴿**يسّره**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والجملة معطوفة بثمّ على قدّره. ﴿**ثمّ أماته**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله، وكذلك ضماير خلقه وقدره ويسّره. ﴿**فأقبره**﴾ مرتّب على أماته. ﴿**ثمّ إذا شاء**﴾ جملة شرطيّة. ﴿**أنشره**﴾ جملة جوابيّة، والفاعل فيهما مثل الفاعل في الأفعال السابقة. ﴿**كلاّ لمّا يقض**﴾ فعل مضارع مجزوم بلمّا النافية للماضي والحال، والفاعل ضمير يعود على الإنسان الذي بقي على كفره الشديد. ﴿**ما**﴾ موصول في محل نصب مفعول. ﴿**أمره**﴾ فعل ماض، والضمير

المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله، وجملة أمره صلة ما. ﴿**فلينظر الإنسان**﴾ فعل وفاعل، دخل عليه لام الأمر الجازم، وفاء التعقيب. ﴿**إلى طعامه**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**صببنا الماء**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر إنّ. ﴿**صبًّا**﴾ مفعول مطلق، وجملة إنّا صببنا الماء بيان لجملة فلينظر الإنسان إلى طعامه. ﴿**ثمّ شققنا الأرض شقّا**﴾ معطوف بثمّ على صببنا الماء صبّا. ﴿**فأنبتنا**﴾ فعل وفاعل مرتّب على شققنا. ﴿**فيها**﴾ متعلّق بأنبتنا. ﴿**حبّا**﴾ مفعول به. ﴿**وعنبا وقضبا**﴾ وكذلك ما يأتى من قوله تعالى. ﴿**وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا**﴾ نعت لحدائق. ﴿**وفاكهة وأبّا**﴾ من جملة المعطوفات. ﴿**متاعا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**لكم**﴾ متعلّق به. ﴿**ولأنعامكم**﴾ معطوف على لكم. ﴿**فإذا جاءت الصّاخة**﴾ فعل وفاعل، فعل شرط إذا، وجوابها محذوف كما تقدّم في سورة النازعات. ﴿**يوم**﴾ متعلّق بالجواب المقدّر. ﴿**يفرّ المرء**﴾ فعل وفاعل، والجملة مضافة إلى يوم. ﴿**من أخيه**﴾ متعلّق بيفرّ. ﴿**وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه**﴾ تتعلّق بالعطف على يفرّ كذلك. ﴿**لكل**﴾ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**امرئ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**منهم**﴾ متعلّق بمحذوف نعت لامرئ. ﴿**يومئذ**﴾ متعلّق بالخبر المقدّم. ﴿**شأن**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**يغنيه**﴾ فعل مضارع، والضمير المتّصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على شأن، والجملة نعت لشأن. ﴿**وجوه**﴾ مبتدأ. ﴿**يومئذ**﴾ متعلّق بما بعده. ﴿**مسفرة**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ضاحكة**﴾ خبر ثان. ﴿**مستبشرة**﴾ خبر ثالث. ﴿**ووجوه**﴾ معطوف على وجوه. ﴿**يومئذ عليها**﴾ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**غبرة**﴾ مبتدأ مؤخّر، والجملة خبر وجوه. ﴿**ترهقها**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**قترة**﴾ فاعل، والجملة خبر ثان لوجوه. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿**الكفرة**﴾ خبر المبتدإ الثاني. ﴿**الفجرة**﴾ خبر ثان له، وجملة المبتدإ الثانى وخبره خبر المبتدإ الأول.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**عبس وتولى**﴾: فهذا هو مطلع هذه السورة، فيه إبهام وإعلام بشيء قد يكون فيه توجيه يحوّل وجهة النّظر التي اعتادها الناس في معاملاتهم، من حرصهم على أن ينجحوا فيما كلّفوا به على أى حال!. من هذا ما وقع لرسول الله ﷺ مع الرجل الأعمى الذي دخل عليه فجأة، وعنده بعض من يرغب في إسلامهم، لما

لهم من نفوذ وجاه في قومهم، وهو لايعلم، فقال يا رسول الله: أقرئني وعلمني مما علّمك الله، والقصّة مشهورة مذكورة في جميع كتب التفسير. والمقصود من قوله تعالى عبس وتولى: لفت النظر إلى سرّ الدعوة التي كلف بها رسول الله ﷺ، فهو حريص على أن يبلغها للناس مهما لاقى من أجلها من مشقّة وإرهاق، وفي آخر السورة التي قبل هذه السورة: إنّما أنت منذر من يخشاها، فمفهوم من هذا الكلام: أن الذي لا يخشى الساعة ولا يحسب لها حسابها، لا يفيده إنذارك، فعلى هذا لا عليك أن تعبس وتتولى عندما يعترضك عارض آخر، فهذا الاهتمام من الرسول بهؤلاء لصالح الدعوة، ولو أدّى ذلك إلى الإعراض عمّن لا يستحق الإعراض.

والتعبير بعبس وتولى توجيه الكلام إلى غائب، لما في المواجهة من زيادة الإرهاق والإشفاق، وفيه تبرئة وإنصاف لكل منهما. فأنت حريص على هداية هؤلاء، وهو حريص على زيادة أخذ العلم منك، مع أنه لا يعلم بوجود القوم معك. ثمّ يجيء التعبير بأسلوب الخطاب بعد مجيئه بأسلوب الحكاية عن الغائب... ﴿**وما يدريك لعلّه يزّكّى. أو يذّكر فتنفعه الذكرى**﴾: ففي هذا تلميح بالطريق الأسهل والأسلم. ثم فصّل السياق ما كان عليه الحال مما ينبغى أن يكون بالعكس... ﴿**أما من استغنى فأنت له تصّدى. وما عليك ألاّ يزّكّى. وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهّى. كلاّ**﴾!: فلا ينبغى لمثلك أن يتصدى للمستغني ويتلهّى عن طالب الخير وزيادته! ..﴿**إنّها تذكرة**﴾: بيان لحقيقة هذه الدعوة بأنها في نفسها تذكرة، لما فيها من مقوّمات الفطرة التي فطر الناس عليها... ﴿**فمن شاء ذكره**﴾: فمن شاء أن يعرف حقيقة هذه الرسالة فليذكر ما جاء به القرآن المكتوب... ﴿**في صحف مكرّمة. مرفوعة مطهّرة. بأيدى سفرة**﴾: فهو كتاب محفوظ معزز مكنون، في أيدي أمينة كريمة عند الله. فهذه هي الحقيقة الكبيرة التي استهدف التوجيه الإلهي إقرارها في هذه المناسبة على طريقة القرآن، في اتخاذ الحادث المفرد، والمناسبة المحدودة، وسيلة لإقرار الحقيقة المطلقة والمنهج المطّرد. وبعد تقرير تلك الحقيقة الكبيرة في ثنايا التعقيب على ذلك الحادث في المقطع الأول من السورة يعجب السياق في المقطع الثانى من أمر هذا الإنسان الذي يعرض عن الهدى، ويستغني عن الإيمان، ويستعلي على الدعوة إلى ربه ؛ يعجب من أمره وكفره، وهو لا يذكر مصدر وجوده وأصل نشأته، ولا يرى

عناية الله به، وهيمنته كذلك على كل مرحلة من مراحل نشأته في الأولى والآخرة، ولا يؤدي ما عليه لخالقه وكافله ومحاسبه... ﴿**قتل الإنسان ما أكفره!. من أى شيء خلقه ؟!. من نطفة خلقه فقدّره ثم السبيل يسّره ثم أماته فأقبره ثمّ إذا شاء أنشره. كلاّ لما يقض ما أمره**﴾ فقد استمر الإنسان على كفره من زمن بعيد إلى الآن... لما يقض ما أمره!: فالتعبير بلمّا يفيد هذا المعنى... ﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه**﴾: هذا تعقيب على موقف الإنسان الكافر الماكر الناكر، يبيّن له النعم المتعلّقة ببقائه، بعد تفصيل النعم المتعلّقة بحدوثه، فهي معجزة كمعجزة خلقه ونشأته، وكل خطوة من خطواتها... ﴿**إنّا صببنا الماء صبّا**﴾: استئناف يبين كيفية إنشاء الطعام، كما بين من قبل كيفيّة إنشاء الإنسان، فبالمطر ينشأ النبات الذي انشقت عنه الأرض بعد صبّ الماء عليها... ﴿**ثمّ شققنا الأرض شقّا. فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا. وزيتوناً ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبّا**﴾: فتمتّعتم بهذا... ﴿**متاعا لكم ولأنعامكم**﴾!. فهذه هي قصة الطعام، كلها من إبداع اليد التي أبدعت الإنسان، وليس فيها للإنسان يدُ يدّعيها في أيّة مرحلة من مراحلها. والالتفات إلى المخاطبين فيه كمالُ الامتنان!... ﴿**فإذا جاءت الصّاخة**﴾: شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم، والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها، من فنون النعم عن قريب، كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها... ﴿**يوم يفرّ المرء من أخيه. وأمّه وأبيه. وصاحبته وبنيه**﴾: فالهول في هذا المشهد هول نفسي بحت، يفزع النفس ويفصلها عن محيطها، فلكلٍّ نفسُه وشأنُه، ولديه الكفاية من الهم الخاص به، الذي لا يدع له فضلة من وعي أو جهد... ﴿**لكل إمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**﴾: فهو بيان وارد لسبب الفرار. فما يوجد أخصر ولا أشمل من هذا التعبير لتصور الهم الذي شغل الحسّ والضمير، ذلك حال الخلق جميعا في هول ذلك اليوم؛ إذا جاءت الصاخة. ثم يأخذ السياق في تصوير حال المؤمنين وحال الكافرين بعد تقويمهم ووزنهم بميزان الله هناك... ﴿**وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة**﴾: فهذه وجوه مستبشرة متهللة بعد الهول المذهل!. ثم تأتي حال المقابل... ﴿**ووجوه يومئذ عليها غبرة. ترهقها قترة**﴾: فأما هذه فتعلوها غبرة الحزن والحسرة، ويغشاها سواد الذل والندامة والطرد والملامة، فاستيقنت ما ينتظرها من جزاء... ﴿**أولئك هم الكفرة الفجرة**﴾!: فهذه هي خاتمة المتاع، وهذه هي نهاية الإنسان

الذي استغنى عن ربه، وعن رسوله وعن كتابه، ففي هذا المشهد ختام يتناسق مع المطلع ؛ مع الذي استغنى وتولى، وأعرض عن الهدى!. بذلك يتناسق المطلع والمقطع، وفيه براعة المقطع، وبلاغة حسن ردّ العجز على الصدر، وفيه مقدّمة الحقيقة، ونتيجة الامتحان بهذا الميزان الدقيق.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

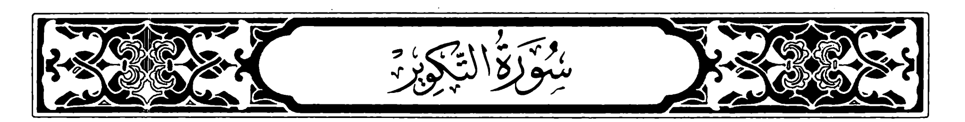
﴿**عبس وتولى أن جاءه الأعمى**﴾: دلّت هذه الآية على ما حدث للرسول ﷺ عندما كان مشغولا بدعوة رهط من قريش، جاءوا إليه يحاورونه في أمر الدعوة التي حيّرتهم، فكان الرسول شديد الحرص على إيمان هؤلاء، ثقة منه بأن إسلامهم سيجرّ غيرهم من أتباعهم إلى الإسلام، وصادف ذلك أن دخل على الرسول رجلٌ أعمى، هو عبد الله بن أمّ مكتوم، وناداه قائلا: يارسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله، وهو لا يدرى حال الرسول مع الرهط المشغول بدعوتهم، فكره الرسول دخوله عليه وعبس وتولى عنه، فكان هذا الحادث سببا في وضع الحقيقة التي لم يألفها الناس في حياتهم، بأسلوب قوي حاسم، دلّ بنصه ومغزاه على أن الرسول صادق في كل ما يبلّغه عن ربّه، بكل ما فيه دون تبديل ولا تغيير. فقوله تعالى: ﴿**وما يدريك لعلّه يزّكّى أو يذّكر فتنفعه الذكرى**﴾: نص قاطع في كون هذا القرآن منزلا من عند الله، فلو كان من عند الرسول، لم يعلن على هذا النص بهذا الأسلوب. وزيادة في البيان جاء هذا التفصيل... ﴿**أمّا من استغنى فأنت له تصّدّى. وما عليك ألاّ يزّكّى. وأما من جاءك يسعى وهو يخشى. فأنت عنه تلهّى. كلاّ!**﴾.: فهذا لا يكون أبدا!. ثمّ يبيّن السياق حقيقة هذه الدعوة ـ الخارجة عن مألوفات الناس وأوضاعهم ـ وكرامتها وعظمتها ورفعتها واستغناءها عن كل أحد، وعن كلّ سند، وعنايتها فقط بمن يريدها لذاتها، كائنا من كان وضعه ووزنه في موازين الدنيا... ﴿**إنّها تذكرة. فمن شاء ذكره. في صحف مكرّمة. مرفوعة مطهّرة. بأيدي سفرة كرام بررة**﴾: فهذه الرسالة ـ رسالة الإسلام ـ كريمة في كل اعتبار، كريمة في صحفها المرفوعة المطهّرة، الموكل بها السفراء من الملإ الأعلى، ينقلونها إلى المختارين في الأرض ليبلّغوها للمقربين من عباد الله الصالحين، وكلّهم من البررة الكرام. فهذه الرسالة في كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهي كريمة طاهرة في

كل ما يتعلّق بها، وما يمسّها من قريب أو من بعيد، وهي عزيزة لا يتصدى بها للمعرضين الذين يظهرون الاستغناء عنها. فهي ـ فقط ـ لمن يعرف كرامتها، ويطلب التطهّر بها. هذا هو الميزان ؛ ميزان الله الذي توزن به القيم والاعتبارات، ويقدّر به الناس والأوضاع، وهذه هي الكلمة ؛ كلمة الله، الكلمة التي ينتهي إليها كل قول، وكل حكم، وكل فصل. هذه هي الحقيقة الكبيرة التي استهدف التوجيه الإلهي إقرارها في هذه المناسبة، على طريقة القرآن في اتخاذ الحادث المفرد، والمناسبة المحدودة، وسيلة لإقرار الحقيقة المطلقة والمنهج المطرد. لقد كان هذا التوجيه إلى حقيقة هذه الرسالة ميلادا جديدا للبشرية، كميلاد الإنسان في طبيعته. وأعظم منه خطرا في قيمته، أن ينطلق الإنسان حقيقة من كل القيم المتعارف عليها في الأرض، إلى قيم أخرى تنزل له من الملإ الأعلى منفصلة منعزلة، عن كل ما في الأرض من قيم وموازين وتصورات واعتبارات وملابسات عملية، وارتباطات واقعية ذات ضغط وثقل، ثم أن تصبح القيم الجديدة مفهومة من الجميع مسلًّما بها من الجميع، وأن يستحيل الأمر العظيم الذي أنيط بالرسول، كي يبلغه للناس ليصبح شريعة المجتمع المسلم، وأن يكون الحقيقة الأولى للإسلام لآماد طويلة في حياة المسلمين!. إنّها المعجزة: معجزة الميلاد الجديد للإنسان على يد رسول الإسلام في ذلك الزمان!. بذلك التوجيه الإلهي، وبهذا الهدي النبوي كان الميلاد للبشرية على هذا النحو الفريد، ونشأ المجتمع الرباني الذي يتلقى قيمه وموازينه من مصدر أعلى طليقا من قيود الأرض، بينما هو يعيش على الأرض، وكانت هذه هي المعجزة للإسلام: المعجزة التي لا تتحقق إلاّ بإرادة إله وبعمل رسول. والتي تدل بذاتها على أنّ هذا الدين من عند الله، وأن الذي جاء به للناس رسول!. وكان من تدبير الله لهذا الأمر، أن يليه بعد الرسول صاحبه الأوّل أبو بكر، وصاحبه الثانى عمر، أقرب اثنين لإدراك طبيعة هذا الأمر، وأشد اثنين انطباعا بهدى رسول الله، وأعمق اثنين حبّا لرسول الله، وحرصا على تتبع مواضع حبه ومواقع خطاه، فكانت الخلافة الرشيدة المتمسكة بهذه الرسالة الفريدة. وظل ميزان السماء يرجح بأهل التقوى ـ ولو تجرّدوا من قيم الأرض كلها ـ، في اعتبار أنفسهم، وفي اعتبار الناس من حولهم. ولم يرفع هذا الميزان من الأرض إلاّ قريبا جدا، بعد أن طغت الجاهليّة طغيانا شاملا، في أنحاء العالم قاطبة، فأصبح الشخص يقوّم بالمادة، كما تقوّم السلع المعروضة في الأسواق!. وبعد تقرير تلك

الحقيقة الكبيرة في ثنايا التعقيب على ذلك الحادث، في المقطع الأول من السورة، يعجب السياق في المقطع الثاني من أمر هذا الإنسان الذي يعرض عن الهدى، ويستغني عن الإيمان، ويستعلي على الدعوة إلى ربّه. يعجب من أمره وكفره، وهو لا يذكر مصدر وجوده وأصل نشأته، ولا يرى عناية الله به وهيمنته كذلك، على كل مرحلة من مراحل نشأته في الأولى والآخرة، ولايؤدى ما عليه لخالقه وكافله ومحاسبه... ﴿**قتل الإنسان. ما أكفره!. من أيّ شيء خلقه ؟!. من نطفة خلقه فقدّره. ثمّ السبيل يسّره**﴾: فهو في مرحلة حياته الأولى من أول نشأته إلى نهاية حياته، لا يملك من ذاته مقومات البقاء، ولا متطلّبات الحياة، فكل ما له مقدّر ميسّر من غيره، ولا يكون الغير إلاّ الخالق البارئ المصوّر، الرّب المدبّر والرازق المقدّر! .﴿**ثمّ أماته فأقبره**﴾: فأمره في نهايته في هذه الحياة كأمره في بدايته منها، في يد الذي أخرجه إلى الحياة حين شاء، وأنهاه حين شاء، وجعل مثواه جوف الأرض كرامة له، ورعاية لغيره، حتى لا يتضرّر برائحة ومنظر سوأة الإنسان، التي بدايتها نطفة مذرة، ونهايتها جيفة قذرة!. حتى إذا حان الموعد الذي اقتضته مشيئته، أعاده إلى الحياة لما يراد به من الأمر... ﴿**ثمّ إذا شاء أنشره**﴾: فليس متروكا سدى، ولا ذاهبا بلا حساب ولا جزاء، فهل تراه تهيّأ لهذا الأمر واستعدّ ؟!... ﴿**كلاّ!. لمّا يقض ما أمره**﴾: فلا زال معرضا عن ذكر الله، متولّيا عن دعوته، مستغنيا بماله وجاهه، مستكبرا على الهدى، وتاريخ البشريّة من عهد نوح إلى وقت نزول هذه الآية، شاهد صدق على هذا. ثمّ ينتقل السياق إلى لمسة أخرى في مقطع جديد، فهلاّ نظر الإنسان المعرض عن ذكر الله، الناكر لنعم الله، إلى ما هيّأه الله له من مقوّمات الحياة... ﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه. إنّا صببنا الماء صبّا**﴾: فهذه حقيقة يخاطب بها ويوجّه إليها كل إنسان، فهو يعرفها ويدركها في أى مرحلة، وفي أى مستوى من مستويات الإدراك والعرفان، فلا يزعم أحد أنه أنشأ هذا الماء في أيّ صورة من صوره... ﴿**ثمّ شققنا الأرض شقّا**﴾: فهذه هي المرحلة التالية لصبّ الماء، وهي معجزة تبهر الإنسان على أى مستوى من مستويات إدراكه، فيراها كل من يتأمّل انبثاق النبتة من التربة، فيحس من ورائه انطلاق القوّة الخفيّة الكامنة في النبتة الرخية!. ثم تأتى المرحلة الثالثة في القصّة مفصّلة ؛ هي النبات بكل صنوفه وأنواعه... ﴿**فأنبتنا فيها حبّا**﴾: فكل حب من الحبوب المطعومة للإنسان والأنعام، يدخل تحت هذا النص...

﴿وعنبا﴾: فهو معروف لأكثر أهل الأرض، يؤكل مطعوما، ويشرب شرابا حسنا. . . **﴿وقضبا﴾**: فالخضروات المقضوبة رطبة ؛ منها ما يأكله الإنسان، ومنها ما تأكله الأنعام. . . **﴿وزيتونا﴾**: فهو شجر يثمر حبا يخرج منه زيت من أحسن الزيوت في العالم!. . . **﴿ونخلا﴾**: فهو شجر له في بلاد العرب شأن فوق كلّ تصوّر! ..**﴿وحدائق غلبا﴾**: البساتين ذات الأشجار المثمرة المسورة بحوائط تحميها، وهي ضخمة عظيمة. . . **﴿وفاكهة وأبّا﴾**: الفاكهة ثمار الأشجار. والأب علف الأنعام، سواء ما يأكله في المرعى، وما يدّخر له إلى وقت الحاجة. . . **﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾**: فهذه هي قصّة الطعام، كلها من إبداع الرحمن الذي أبدع الإنسان. ثم يكون بعد ذلك أمر آخر يعقب المتاع، أمر يجدر بالانسان أن يتدبره قبل أن يجيء. . . **﴿فإذا جاءت الصاخة﴾**: فهذه هي خاتمة المتاع، وهذه هي التي تتفق مع التقدير الطويل والتدبير الشامل، لكل خطوة وكل مرحلة في نشأة الإنسان. والنص يمهد بهذا الجرس العنيف ـ الصاخة ـ للمشهد الذي يليه. . . **﴿يوم يفرّ المرء من أخيه. وأمّه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾**: فذلك حال الخلق جميعا في هول ذلك اليوم، إذا جاءت الصاخة. ثم يأخذ السياق في تفصيل حال المؤمنين، وحال الكافرين، بعد تقويمهم ووزنهم بميزان الله هناك. . . **﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾**: فهذه وجوه مستنيرة متهللة ضاحكة مستبشرة مطمئنّة، فهي تنجو من هول الصاخة المذهل!.. **﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة!. أولئك هم الكفرة الفجرة﴾**: فهذه هي رحلة الإنسان من نشأته ومماته، إلى مبعثه ونهايته، إمّا إلى جنّة وفرح واستبشار، وإمّا إلى نار وحزن وحسرة وخزي وعار!. فذلك مقام الأبرار!، وهذا مأوى المجرمين الفجّار!.

4 ـ موضوع سورة التكوير توضيح لما تقدّم في السور التي قبلها وبيان وتفسير



النص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ (2) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۖ (14) * فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ (15) ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ (16) وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۖ (21) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۖ (22) وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۖ (23) وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۖ (24) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ (25) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (26) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۖ (27) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۖ (28)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**إذا الشمس كوّرت**﴾: لُفّت بضم ضوئها المنتشر وانطماسه... ﴿**وإذا النجوم انكدرت**﴾: ذهبت وانتثرت وذهب ضوؤها... ﴿**وإذا الجبال سيّرت**﴾: انتقلت فأزيلت فصارت هباء منبثا... ﴿**وإذا العشار**﴾: النوق التي بلغ حملها عشرة أشهر... ﴿**عطّلت**﴾: تركت مهملة فلا يهتم بها أحد... ﴿**وإذا الوحوش**﴾: جمع وحش، وهو الحيوان الذي لا يألف الإنسان... ﴿**حشرت**﴾: جمعت بعد التفرّق في الهضاب والوديان... ﴿**وإذا البحار سجّرت**﴾: ملئت نارًا متفجّرة، بعد أن كانت ماء متبحّرة... ﴿**وإذا النفوس زوّجت**﴾: قرنت مع البدن من جديد، وأعيدت كما كانت... ﴿**وإذا الموءودة**﴾: المدفونة حيّة، كما كان يفعل بالبنت أيام الجاهليّة... ﴿**سئلت بأيّ ذنب قتلت**﴾؟ .﴿**وإذا الصحف**﴾: صحف الأعمال... ﴿**نشرت**﴾: وزّعت على أصحابها... ﴿**وإذا السماء كشطت**﴾: سلخت وأزيلت... ﴿**وإذا الجحيم سعّرت**﴾: أوقدت إيقادا شديدا... ﴿**وإذا الجنّة أزلفت**﴾: قرّبت «وأزلفت الجنّة للمتقين غير بعيد».. ﴿**علمت نفس**﴾: كل نفس... ﴿**ما أحضرت**﴾: ما أحضرته من عمل خير أو شر ..﴿**فلا أقسم بالخنّس**﴾: الخنّس جمع خانس، وهي الكواكب تبطئ في سيرها، مختفية كالسائر المتخفي... ﴿**الجوارِ الكنّس**﴾: تجري لتدخل كناسها، وهو مكان اختفائها عند غروبها في الأفق، وعند اختفائها نهارا... ﴿**والليل إذا عسعس**﴾: أظلم وعمّ ظلامه الأفق... ﴿**والصبح إذا تنفّس**﴾: انتشر ضوؤه في الأفق، فتنفّس كلّ ما كان خاملا خامدا... ﴿**إنّه**﴾: القرآن... ﴿**لقول رسول**﴾: جبريل عليه السلام «نزل به الروح الأمين»... ﴿**كريم**﴾: له كرامة خاصة عند ربّه... ﴿**ذي قوّة**﴾: شديد القوى، ذو مرّة... ﴿**عند ذي العرش مكين**﴾: ذي جاه ومنزلة... ﴿**مطاع ثمّ**﴾: مطاع في الملإ الأعلى بطبعه، كل ملك في السماوات... ﴿**أمين**﴾: حفيظ على الوحي يؤديه إلى الرسول دون إبطاء ولا إخطاء! ..﴿**وما صاحبكم**﴾: محمد ﷺ... ﴿**بمجنون**﴾: كما تقولون أيّها المجرمون... ﴿**ولقد رءاه بالأفق المبين**﴾: رأى محمد جبريل وهو نازل إليه بالوحي... ﴿**وما هو**﴾: محمد... ﴿**على الغيب**﴾: على الوحي المنزّل

عليه. . . ﴿**بضنين**﴾: ببخيل، فلا يبخل به ولا يقصر فيه. . . ﴿**وما هو بقول شيطان رجيم**﴾: فليس لكهانة ولا سحر. . . ﴿**فأين تذهبون**﴾؟! .﴿**إن هو إلا ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**﴾!.

مبحث الإعراب

﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط. ﴿**الشمس**﴾ نائب فاعل بفعل مقدر، فعل شرط إذا. ﴿**كوّرت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على الشمس، والجملة تفسيرية لا محل لها من الإعراب. ﴿**وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيرت. وإذا العشار عطلت. وإذا الوحوش حشرت. وإذا البحار سجرت. وإذا النفوس زوجت. وإذا الموءودة سئلت**﴾ إعرابها مثل إعراب سابقتها. ﴿**بأي**﴾ متعلق بسئلت. ﴿**ذنب**﴾ مضافٍ إلى أي. ﴿**قتلت**﴾ فعل ماضى مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على الموءودة، والفعل يتعلق به الجار والمجرور قبله. ﴿**وإذا الصحف نشرت**﴾ مثل ما سبق. ﴿**وإذا السماء كشطت. وإذا الجحيم سعرت. وإذا الجنة أزلفت**﴾ أيضا كذلك. ﴿**علمت نفس**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب شرط إذا لا محل لها من الإعراب. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول. ﴿**أحضرت**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة صلة ما. ﴿**فلا أقسم**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلم، معقب بالفاء على ما قبله، ولا نافية لما قبل القسم على الصحيح. ﴿**بالخنّس**﴾ متعلق بأقسم. ﴿**الجواري**﴾ بدل من الخنس. ﴿**الكنّس**﴾ نعت للجواري. ﴿**والليل**﴾ عطف بالواو على القسم بالباء. ﴿**إذا**﴾ ظرف متعلق بأقسم المقدر المعطوف. ﴿**عسعس**﴾ فعل ماضى، والفاعل ضمير يعود على الليل. ﴿**والصبح**﴾ معطوف على الليل. ﴿**إذا تنفّس**﴾ مثل إذا عسعس في الإعراب. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لقول**﴾ خبر إنّ، واللام لتقوية الخبر. ﴿**رسول**﴾ مضاف إلى قول. ﴿**كريم**﴾ نعت لرسول، وجملة إنّ واسمها وخبرها جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿**ذي**﴾ نعت ثان. ﴿**قوّة**﴾ مضاف إلى ذي. ﴿**عند**﴾ ظرف متعلق بما بعده. ﴿**ذي العرش**﴾ مضافة إلى عند. ﴿**مكين**﴾ نعت ثالث. ﴿**مطاع**﴾ نعت رابع. ﴿**ثمّ**﴾ ظرف متعلق بما بعده. ﴿**أمين**﴾ نعت خامس لرسول، وهو جبريل عليه السلام.

﴿**وما**﴾ تعمل عمل ليس. ﴿**صاحبكم**﴾ اسمها. ﴿**بمجنون**﴾ خبرها، جرت بحرف الجر الزائد في محل نصب، والجملة معطوفة على قوله إنه لقول رسول. ﴿**ولقد رآه**﴾ فعل ماضٍ دخل عليه حرف التحقيق، ولام القسم، وحرف العطف، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على صاحبكم. ﴿**بالأفق**﴾ متعلق برآه. ﴿**المبين**﴾ نعت للأفق. ﴿**وما هو**﴾ ما واسمها. ﴿**على الغيب**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**بضنين**﴾ خبر ما مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب، والجملة معطوفة على ما قبلها، ومثله في الإعراب. ﴿**وما هو بقول شيطان**﴾ مضاف إلى قول. ﴿**رجيم**﴾ نعت لشيطان. ﴿**فأين تذهبون**﴾ فعل وفاعل تعلق به الظرف، والفاء للترتيب على ما قبله. ﴿**إن هو**﴾ في محل رفع مبتدأ، دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلاّ ذكر**﴾ خبر المبتدإ، وإلاّ ملغاة. ﴿**للعالمين**﴾ متعلق بذكر. ﴿**لمن**﴾ بدل من العالمين. ﴿**شاء**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على من. ﴿**منكم**﴾ متعلق بشاء. ﴿**أن يستقيم**﴾ فعل مضارع منصوب بأن المصدرية، والفاعل ضمير يعود على من، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول به. ﴿**وما تشاءون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**إلاّ أن يشاء**﴾ الله فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية، وأداة الاستثناء. ﴿**رب**﴾ نعت لله. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى رب، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء، أي: وما تشاءون إلاّ بمشيئة الله.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إذا الشمس كورت**﴾: علاقة هذه السورة بما قبلها واضحة، حيث فصّلت ما أجمل في سورة عبس والنازعات، من قوله تعالى: فإذا جاءت الطامة الكبرى، وقوله: فإذا جاءت الصاخة، ببيان حال النفخة الأولى والثانية. فمما يقع في النفخة الأولى قوله تعالى: ﴿**إذا الشمس كوّرت. وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيّرت. وإذا العشار عطّلت. وإذا الوحوش حشرت. وإذا البحار سجّرت**﴾. ومما يقع في الثانية قوله تعالى: ﴿**وإذا النفوس زوّجت. وإذا الموءودة سئلت بأىّ ذنب قتلت ؟!. وإذا الصحف نشرت. وإذا السماء كشطت. وإذا الجحيم سعّرت. وإذا الجنة أزلفت**﴾. والجمل الاثنتا عشر جاءت فعل شرط لإذا المفيدة لتحقيق شرطها، وتحقيق جوابه، وهو: ﴿**علمت نفس ما أحضرت**﴾: والمعنى: إذا وقعت

هذه الأمور واحدة بعد واحدة، تعلم كل نفس في النهاية ما أحضرت من عمل: خير أو شر!. فبهذا الأسلوب، وبما فيه من تحقيق وتأكيد وتفصيل بما يقع في نهاية الدنيا وبداية الآخرة، ينتهي المقطع الأوّل من السورة، وقد امتلأ الحس وفاض، بمشاهد اليوم الذي يتم فيه هذا الانقلاب من حياة الدنيا إلى حياة الآخرة، وكأنها يوم واحد: «كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيّة أو ضحاها». «يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه». ثمّ يجيء المقطع الثاني في السورة، يبدأ بالتلويح بالقسم بمشاهد كونيّة جميلة، تُختار لها تعبيرات أليفة؛ القسم على طبيعة الوحي، وعلى صفة الرسول الذي نزل به، وعلى صفة الرسول الذي يتلقاه... ﴿**فلا أقسم بالخنّس. الجوارى الكنّس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفّس. إنّه لقول رسول كريم**﴾، إلى قوله: ﴿**وما صاحبكم بمجنون**﴾: والتعبير بالخنّس الجواري الكنّس، يخلع على هذه الموصوفات حياة رشيقة كحياة الظباء، وهي تجري تختنس اختناساً، وتختبئ في كناسها عندما تغيب. فهناك إيماء شعوري بالجمال في حركتها وفي اختفائها... والليل إذا عسعس: موصول بالعطف على ما قبله، له علاقة بالكناس الذي يستر داخله... والصبح إذا تنفّس: عكس عسعس، وهو ظهور الأشياء وما يعتريها من حركة ونشاط... إنه لقول رسول كريم. ذي قوّة عند ذي العرش مكين. مطاع ثمّ أمين: هذه الصفات في مجموعها تدل دلالة قاطعة على كرامة هذا القول وضخامة سموّه، فهذه صفات الرسول الذي حمل هذا القول، وأدّاه بقوّة وصدق وأمانة، فأما الرسول الذي تلقى هذا القول. فهو صاحبكم!. عرفتموه حقّ المعرفة، حتى قلتم عنه: إنّه الصادق الأمين!، فما لكم حين جاءكم بهذا القول الحق، تقولون فيه ما تقولون ؟!. فليس صاحبكم هذا بكاهن ولا مجنون!... وما صاحبكم بمجنون. ولقد رءاه بالأفق المبين. وما هو على الغيب بضنين. وما هو بقول شيطان رجيم. فأين تذهبون ؟!: فليس هذا القول بقول شاعر، ولا بقول كاهن، ولا بقول شيطان بعيد مطرود، فأين تذهبون؟!.. إن هو إلاّ ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله رب العالمين!. فهذا الأسلوب هو براعة المقطع في هذا التعقيب العجيب!. وليس فيه مزيد لمستزيد!.

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام

التوجيه الأول: ﴿**إذا الشمس كوّرت**﴾. . . إلى قوله تعالى ﴿**علمت نفس ما أحضرت**﴾: فيه بيان حقيقة القيامة وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل كامل، يشمل الشمس والنجوم والجبال والبحار والأرض والسماء والأنعام والوحوش، كما يشمل بني الإنسان. عندما تقع هذه الأحداث الهائلة كلها، لا يبقى لدى النفوس شك في حقيقة ما عملت وما تزوّدت به لهذا اليوم، وما حملت معها للعرض، وما أحضرت للحساب. كل نفس تعلم في هذا اليوم الهائل ما معها وما لها وما عليها، تعلم ـ وهذا الهول يحيط بها ويغمرها ـ وهي لا تغيّر شيئا مما أحضرت، وهي لا تملك أن تغيّر!. وقد تغيّر كل شيء وتبدّل كل شيء؛ ولم يبق إلاّ وجه الله الكريم. فقد كوّرت الشمس وانطمس نورها واختفى، وأشرقت الأرض بنور ربّها، وانكدرت النجوم وزالت عن أماكنها، وسيّرت الجبال فانهارت وصارت هباء منبثا!، وعطّلت العشار من كرائم الأموال عند المخاطبين بهذا الكلام، فقد شغلوا عنها بما هو أدهى وأمر، وحشرت الوحوش بعد النفور ؛ قد هالها الرعب والهول فحشرت وانزوت ـ تتجمّع من الهول ـ وهي الشاردة في الشعاب، ونسيت مخاوفها بعضها من بعض، كما نسيت فرائسها، فالهول والرعب لا يدعان لهذه الوحوش بقيّة من طباعها وخصائصها، فكيف بالناس في ذلك الهول العصيب ؟!. وتسجير البحار جعلها نارا متأججة ؛ بتفجيرها وانطلاق ذرّاتها. فهذا ما يقع عند النفخة الأولى، عند نفخة الفزع الأوّل، فيموت كل من على الأرض. ثمّ تقع النفخة الثانية: نفخة البعث والفزع الأكبر، فترجع النفوس وتتزوّج بأبدانها، وتأتى الموءودة. فتسأل: بأيّ ذنب قتلت ؟!. فقد كان هذا من هوان النفس الإنسانيّة في الجاهليّة، فقد انتشرت عادة وأد البنات، خوف العار بسببها واسترقاقها، أو خوف الفقر بعجزها عن طلب الرزق، وكونها عالة على أبيها، فقد كان الوأد يتم في صورة قاسية ؛ إذ كانت البنت تدفن حيّة. فهذه كانت نظرة الجاهليّة في المرأة، حتى جاء الإسلام يشنّع بهذه العادة ويقبّحها، وينهي عن الوأد ويغلظ فعلته ويجعلها موضوعا من موضوعات الحساب يوم القيامة، يذكره في سياق هذا الهول الهائج المائج ؛ كأنه حدث كوني من هذه الأحداث العظام، ويقول: إنّ الموءودة ستسأل عن وأدها، فكيف بوائدها ؟!. ونشر الصحف يفيد كشفها ومعرفة ما فيها، فلا تعود خافية ولا غامضة، وهذه العلنيّة أشد على النفوس وأنكى، فهذا النشر

والكشف لون من ألوان الهول في ذلك اليوم ؛ كما أنّه سمة من سمات الانقلاب حيث يكشف المخبوء، ويظهر المستور، ويفتضح المكنون في الصدور، وكشط السماء يدل على إظهار ما فيها وإنزال ساكنيها إلى الموقف المهول من كثرة ما يرى فيه من خلائق مختلفة الأجناس والهيآت، ثم تسعير الجحيم، وتقريب الجنة دار النعيم، يدلان دلالة قاطعة على الفرق الهائل بين نفس أحضرت عملا صالحا، ونفس أحضرت عملا سيّئا قبيحا. . . إنّ الأبرار لفي نعيم. وإنّ الفجّار لفي جحيم.

التوجيه الثاني: ﴿**فلا أقسم بالخنّس الجوار الكنّس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفّس. إنّه لقول رسول كريم**﴾: في هذا التوجيه بيان حقيقة الوحي وما يتعلّق بها من صفة الملك الذي يحمله، وصفة النبي الذي يتلقاه، ثم شأن القوم المخاطبين بهذا الوحي مع الرسول، ثم بعد ذلك مع المشيئة العامة الشاملة؛ مشيئة الله رب العالمين. يبدأ هذا التوجيه بالتلويح بالقسم بمشاهد كونيّة جميلة؛ القسم على طبيعة الوحى، وطبيعة الرسول الذي نزل به، وصفة الرسول الذي أنزل عليه وتلقاه، وموقف الناس حياله وفق مشيئة الله. فالجواري الكنّس هي الكواكب، لها ظهور واختفاء وحركة وسكون تختلف باختلاف الزمان!، ففي الليل إذا عسعس تظهر، وفي الصبح إذا تنفّس تختفي، فكأنها خنست لكناسها تختفي فيها. فبهذه المشاهد الكونيّة التي يخلع عليها النص الحياة بالحركة والسكون والظهور والكمون، لتعطي للإنسان الدليل على القدرة التي وراءها، وتحدثه بصدق الحقيقة التي يجب الإيمان بها. فهذا القرآن الذي يذكر الإنسان ومصيره لقول رسول كريم، وهو جبريل الذي حمل هذا القول وأبلغه، فصار قوله باعتبار تبليغه. . . ﴿**ذي قوّة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ أمين**﴾!. فهذه صفة الرسول ـ جبريل عليه السلام ـ الذي حمل القول وأدّاه، فأما الرسول ـ محمد صلى الله عليه وسلّم ـ الذي حمله إليكم فهو صاحبكم، عرفتموه حق المعرفة وعاش معكم عمرا طويلا، وعرفتم صدقه وأمانته، فسميتموه الصادق الأمين!. فمالكم حين جاءكم بالحق قلتم: ساحر كذّاب، فتذهبون في أمره مذاهب شتّى؟! ..﴿**وما صاحبكم بمجنون**﴾: ولا بكاهن، ولا بساحر ولا بمفتر، بل ما يأتى به هو الصدق والحق والقول الفصل الذي جاء بيقين. . . ﴿**ولقد رآه بالأفق المبين. وما هو على الغيب بضنين. وما هو بقول شيطان رجيم.**﴾ فالشياطين لا توحي بهذا النهج القويم. ثم

يسألهم مستنكرا. . . ﴿**فأين تذهبون ؟!. إن هو إلاّ ذكر للعالمين.**﴾

فهو ذكر يذكرهم بحقيقة وجودهم، وحقيقة نشأتهم، وحقيقة الكون من حولهم، فهو دعوة عالميّة من أوّل مرحلة. وأمام هذا البيان الموحى الدقيق يذكرهم أن الطريق ـ طريق الهداية ـ ميسّر لمن يريد، وأنّهم إذن مسؤولون عن أنفسهم، وقد منحهم الله هذا التيسير. . . ﴿**لمن شاء منكم أن يستقيم**﴾: فالواقع أن دلائل الهدى وموجبات الإيمان في الأنفس والآفاق من القوّة والعمق والثقل، بحيث يصعب على القلب التفلّت من ضغطها إلاّ بجهد متعمّد، وبخاصة حين يسمع التوجيه إليها بأسلوب القرآن الموحي الموقظ، وما ينحرف عن طريق الله ـ بعد ذلك ـ إلاّ من يريد أن ينحرف في غير عذر ولا مبرّر!. فإذا سجّل عليهم النص إمكان الهدى ويسر الاستقامة، عاد لتقرير الحقيقة الكبرى وراء مشيئتين: حقيقة أن المشيئة الفاعلة من وراء كل شيء هي مشيئة الله سبحانه وتعالى ﴿**وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله رب العالمين**﴾، فهذه النصوص التي يعقب بها القرآن الكريم عند ذكر مشيئة الناس يراد بها تصحيح التصوّر الإيماني وشموله للحقيقة الكبيرة؛ حقيقة أن كل شيء في الوجود مردّه إلى مشيئة الله تعالى، وأن ما يأذن به للناس من قدرة على الاختيار هو طرف من مشيئته تعالى. . . ﴿**وماتشاءون إلاّ أن يشاء الله رب العالمين**﴾!.

5 ـ موضوع سورة الانفطار بيان وتنبيه لما يقع للإنسان من الأخطار



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿1﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿2﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿3﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿4﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿5﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿6﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿7﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿8﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿9﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿10﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿11﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿12﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿13﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿14﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿15﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿16﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿17﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿18﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿19﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**إذا السماء انفطرت**﴾: انشقّت وتفتحت لنزول الملائكة منها إلى أرض المحشر... ﴿**وإذا الكواكب انتثرت**﴾: تفرّقت وتساقطت بانحلال نظامها الذي كان يمسكها... ﴿**وإذا البحار فجّرت**﴾: انطلقت وتطايرت مياهها... ﴿**وإذا القبور بعثرت**﴾: أخرج ما فيها من الأموات لغرض الحساب، والبعثرة تطاير الأشياء هنا وهناك متفرّقة متناثرة... ﴿**علمت نفس ما قدّمت وأخّرت**﴾: علمت ما عملت في الدنيا على وجه التفصيل... ﴿**يا أيها الإنسان**﴾: نداء لكل فرد من أفراد الناس مباشرٌ... ﴿**ما غرّك**﴾؟: استفهام عن الغرور البالغ به إلى الكفر... ﴿**بربك الكريم**﴾: بهذا الوصف الداعي إلى الإيمان والطاعة... ﴿**الذي خلقك**﴾: أنشأك من العدم... ﴿**فسوّاك**﴾: جعل أعضاءك سليمة متناسبة... ﴿**فعدّلك**﴾: جعل كل عضو فيك، قائما بواجب خاص به، في مكان لائق به، فالرجل في مكانها والعين في مكانها... ﴿**في أيّ صورة ما شاء ركّبك**﴾: في أيّ صورة اقتضتها مشيئة الله تعالى من الصور المختلفة دون تدخل أحد... ﴿**كلاّ**﴾!. فلا ينبغي أن يغترّ الإنسان ويتمادى في عصيانه مع هذه النعم من الكريم المنعم!... ﴿**بل تكذبون بالدين**﴾: زيادة على الغرور الناشيء من جهل الإنسان بالحقائق التي جاء بها هذا الدين القويم... ﴿**وإنّ عليكم لحافظين**﴾: إنّ عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم... ﴿**كراما**﴾: ملائكة كراما على الله... ﴿**كاتبين**﴾: كل ما يحصل منكم من خير أو شر... ﴿**يعلمون ما تفعلون**﴾: يعلمونه علم اليقين؛ سواء كان فعلا أو قولا «ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد»... ﴿**إنّ الأبرار لفي نعيم. وإنّ الفجّار لفي جحيم. يصلونها يوم الدين. وما هم عنها بغائبين. وما أدراك ما يوم الدين ؟. ثمّ ما أدراك ما يوم الدين ؟. يوم لا تملك نفس لنفس شيئا. والأمر يومئذ لله**﴾!.

مبحث الإعراب

﴿**إذا السماء انفطرت**﴾ إعرابه مثل إعراب إذا الشمس كوّرت. ﴿**وإذا الكواكب انتثرت. وإذا البحار فجّرت. وإذا القبور بعثرت**﴾ معطوفات على قوله إذا السماء

انفطرت. ﴿**علمت نفس ما**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب شرط إذا. ﴿**قدّمت**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على نفس، والجملة صلة ما. ﴿**وأخّرت**﴾ معطوف على قدّمت. ﴿**يا أيّها**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب، وها حرف تنبيه. ﴿**الإنسان**﴾ نعت لأىّ باعتبار لفظها. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**غرّك**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**بربك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الكريم**﴾ نعت لربك، وجملة غرّك خبر المبتدإ. الذي في محل جر عطف بيان للكريم. ﴿**خلقك**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلة له. ﴿**فسوّاك**﴾ مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**فعدّلك**﴾ جملة مرئيّة على الجملة التي قبلها، والفاعل هو فاعل خلقك في الجملتين. ﴿**في أيّ**﴾ متعلّق بفعل ركبك الآتي. ﴿**صورة**﴾ مضاف إلى أىّ. ﴿**ما**﴾ صلة. ﴿**شاء**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الذي خلقك. ﴿**ركّبك**﴾ فعل ماض، والفاعل هو فاعل الجمل، وجملة شاء نعت لصورة، أى: في أيّ صورة شاءها ركبك فيها. ﴿**كلاّ**﴾ هنا نافية أي: لا يكون هذا الغرور. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب وعطف. ﴿**تكذّبون**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بالدّين**﴾ متعلّق بتكذبون. ﴿**وإنّ عليكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدّم. ﴿**لحافظين**﴾ اسم إنّ مؤخّر، واللام لتوكيد الخبر. ﴿**كراما**﴾ نعت لحافظين. ﴿**كاتبين**﴾ نعت ثانٍ. ﴿**يعلمون ما**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**تفعلون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، وجملة يعلمون ما تفعلون حال من حافظين كراما كاتبين. ﴿**إنّ الأبرار**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لفي نعيم**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ، واللام لتقوية الخبر. ﴿**وإنّ الفجّار لفي جحيم**﴾ معطوف على إنّ الأبرار لفي نعيم وهو مثله في الإعراب. ﴿**يصلونها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة نعت لجحيم. ﴿**يوم**﴾ متعلّق بيصلونها. ﴿**الدّين**﴾ مضاف إلى يوم. ﴿**وما هم**﴾ ما واسمها، والواو للعطف. ﴿**عنها**﴾ متعلّق بما بعده. ﴿**بغائبين**﴾ خبر ما مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**وما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**أدراك**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**يوم**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الدين**﴾ مضاف إلى يوم، والجملة في محل نصب مفعول بأدراك. ﴿**ثمّ ما أدراك ما يوم الدين**﴾ معطوف على ما قبله بثمّ، وهو مثله في الإعراب. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلّق بفعل مقدّر

اذكر .﴿**لا تملك نفس**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**لنفس**﴾ متعلّق بلا تملك. ﴿**شيئا**﴾ مفعول به. ﴿**والأمر**﴾ مبتدأ. ﴿**يومئذ لله**﴾ متعلقان بمحذوف خبرالمبتدإ، والجملة معطوفة على ما قبلها.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إذا السماء انفطرت. وإذا الكواكب انتثرت. وإذا البحار فجّرت. وإذا القبور بعثرت. علمت نفس ما قدّمت وأخّرت**﴾: هذه الجمل الشرطية وجوابها، جاءت مثل الجمل الشرطيّة التي في السورة التي قبل هذه السورة، والمناسبة التي تربط بين السورتين واضحة. وبعد هذا المطلع الموقظ المنبّه للحواس والمشاعر والعقول والضمائر، يلتفت السياق بالخطاب، إلى كل شخص يسمع هذا الخطاب بهذا الأسلوب، أسلوب المنادى البعيد... ﴿**يا أيها الإنسان ماغرّك بربك الكريم**﴾؟!. ففي هذا الخطاب حث قوى على الإيمان والطاعة، وتحذير من الكفر والعصيان. فالاستفهام فيه إنكار وتوبيخ على موقفه الحالي القائم على الغرور والزور والبهتان!. وقوله تعالى... ﴿**الذي خلقك. فسوّاك. فعدّلك**﴾: هو توضيح وبيان لقوله: ما غرّك بربك الكريم ؟. وجملة... ﴿**في أيّ صورة ما شاء ركّبك**﴾: بيان لما قبلها. وكلمة... ﴿**كلاّ**﴾: تفيد نفي الغرور من أساسه لنفي موجباته، أي: لا يكون هذا أبدا. وجملة... ﴿**بل تكذبون بالدين**﴾: إضراب عن جملة مقدّرة ينساق إليها الكلام ؛ كأنّه قيل بعد نفي موجبات الغرور: وأنتم لا ترتدعون عن ذلك، بل تجترئون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالبعث والجزاء، فهذا هو علّة الاغترار، والحال كون أعمالكم محسوبة عليكم محفوظة مكتوبة... ﴿**وإنّ عليكم لحافظين كراما كاتبين**﴾: وفي وصف الملائكة الموكلين بالناس بالحفظ والكرم والعلم بالكتابة والتسجيل الدقيق والإحاطة بكل فعل تفعلونه وكل قول تقولونه تفخيم لأمر الجزاء، وأنه عند الله تعالى من جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام!.. ﴿**إنّ الأبرار لفي نعيم. وإنّ الفجّار لفي جحيم**﴾: هذا الكلام جاء مفصولا فلم يعطف عمّا قبله ؛ لأنّه استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والعلم والتسجيل المرتّب عليه ما قيل، فللأبرار نعيم لا يدانيه نعيم، وللفجّار جحيم وأيّ جحيم! ..﴿**يصلونها يوم الدين**﴾: استئناف جاء جوابا لسؤال نشأ من هول ما قيل. عذاب عظيم أتاهم بغتة دون توقعه في يوم الدين الذي كانوا يكذبون به في الدنيا، وجملة... ﴿**وما هم**

عنها بغائبين﴾: موصول بالعطف على ما قبله لدوام نفي رغبتهم عن هذا العذاب العظيم!. وقوله. . . **﴿وما أدراك ما يوم الدين. ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾**: تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذّبون به إثر تفخيم وتهويل ما يقع فيه!. وإظهار يوم الدين في موقع إضماره تأكيدًا لهوله وعظمته. وقوله تعالى: **﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا. والأمر يومئذ لله﴾**: بيان إجمالي لشأن يوم الدين إثر إبهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق، فيتلاقى هذا الهول الصامت الواجم في نهاية السورة، مع ذلك الهول المفاجئ الهائج المائج في مطلعها، فينحصر الحس بين الهولين، وكلاهما مذهل للإنسان الغافل عن هذا البيان!. وفيه براعة المقطع ـ والأمر يومئذ لله ـ، مع بديع وبراعة ردّ العجز على الصدر ـ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، مع قوله تعالى: علمت نفس ما قدّمت وأخّرت ـ!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿إذا السماء انفطرت. وإذا الكواكب انتثرت. وإذا البحار فجّرت. وإذا القبور بعثرت. علمت نفس ما قدّمت وأخّرت﴾: فهذه السورة تتحدّث عن الانقلاب الكوني الذي تحدّثت عنه سورة التكوير التي قبلها، غير أنّ الحديث يختلف في مغزاه، فهذه السورة تخاطب الإنسان وتعاتبه على موقفه من أمر ما يحدث بعد هذا الانقلاب، أما السورة الأولى فهي تتحدّث عن صحّة هذا الخبر الذي أخبر به القرآن الذي نزل به الرسول الكريم جبريل عليه السلام، فكل من السورتين تحذير للإنسان من خطورة التكذيب، وتنبيهه عن غروره العجيب. . . **﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم﴾**. فهذا المطلع موقظ منبّه للحواس والمشاعر والعقول والضمائر. يلتفت السياق إلى واقع الإنسان الحاضر، فإذا هو غافل لاهٍ سادر، فهذا الخطاب ينادي في الإنسان أكرم ما في كيانه، وهو إنسانيّته التي بها تميّز عن سائر الأحياء، وارتفع إلى أكرم مكان، وتجلى فيه إكرام الله له، وكرَمه الفائض عليه، ثم يعقبه العتاب الجميل الجليل: ما غرّك بربّك الكريم ؟!. ياأيها الإنسان الذي تكرّم عليك ربك، راعيك ومربّيك بإنسانيتك الكريمة الواعية الرفيعة. يا أيها الإنسان ما الذي غرّك بربك ؟!. فجعلك تقصّر في حقه وتتهاون في أمره، ويسوء أدبك في جانبه. فهو ربك الكريم الذي أغدق عليك من كرمه وفضله وبرّه، ومن هذا الإغداق إنسانيتك التي تميّزك عن سائر خلقه، والتي تُميّز بها وتعقل وتدرك ما ينبغي وما لا

ينبغي في جنب الله العليّ الكريم!. ثم يفصّل النص شيئا من هذا الكرم الإلهى، الذي أجمله في النداء الموحي العميق الدلالة، المشتمل على الكثير من الإشارات المضمرة في التعبير، يفصل شيئا من هذا الكرم الإلهي المغدق على الإنسان، المتمثل في إنسانيته التي ناداه بها في صدر الآية، فيشير النص في هذا التفصيل إلى خلقه وتسويته وتعديله؛ وهو القادرعلى أن يركبه في أيّ صورة وفق مشيئته، فاختيار الله له هذه الصورة منبثق من كرمه وحده، ومن فضله وحده، ومن فيضه المغدق على هذا الإنسان الذي لا يشكر ولا يقدّر، بل يغتر ويسدر!. ﴿**يا أيها الإنسان: ما غرك بربك الكريم؟. الذي خلقك فسوّاك فعدّلك**﴾!. إنّه خطاب يهزّ كل ذرة في كيان الإنسان حين تستيقظ إنسانيّته، ويبلغ من القلب شغافه وأعماقه، وربه الكريم يعاتبه هذا العتاب الجليل، ويذكّره هذا الجميل، بينما هو سادر في التقصير، سيّئ الأدب في حق مولاه، الذي خلقه فسوّاه فعدّله. إنّ خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السويّة المعتدلة، الكاملة الشكل والوظيفة أمر يستحق التدبر الطويل، والشكر العميق، والأدب الجم، والحب لربه الكريم، الذي أكرمه بهذه الخلقة، تفضّلا منه ورعاية ومنّة، فقد كان ربّه قادرا أن يركبه في صورة أخرى يشاؤها. . . ﴿**في أيّ صورة ما شاء ركّبك**﴾؟. فاختار الله لهذا الإنسان هذه الصورة السويّة المعتدلة الجميلة!. وإنّ الجمال والسواء والاعتدال لتبدو في تكوين الإنسان الجسدى، وفي تكوينه العقلي، وفي تكوينه الروحي سواء. وهذا المطلع الموقظ المنبّه في هذه السورة منطلق لأبحاث ومؤلفات كاملة وشاملة في وصف كمال التكوين الإنسانى العضوي ودقّته وإحكامه. بَلْ ما غاب عن الناس من تكوين الإنسان العقلي والروحي الذي لا يدرى الناس عنه شيئا!. «ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا» ..﴿**كلاّ**﴾!: موقف الإنسان في هذا الغرور لا ينبغي أن يكون. ثم يكشف السياق عن علّة الغرور والتقصير، ويقرر حقيقة الحساب واختلاف الجزاء في نهاية المصير. . . ﴿**بل تكذبون بالدين. وإنّ عليكم لحافظين. كراما كاتبين. يعلمون ما تفعلون**﴾: فهذه هي علّة الغرور وعلّة التقصير، فما يكذب القلب بالحساب والجزاء، ثمّ يستقيم على هدى ولا خير ولا طاعة، وهؤلاء الحافظون هم الأرواح الموكلة بالإنسان ـ من الملائكة ـ التي ترافقه وتراقبه وتحصي عليه كل ما يصدر عنه، ولمّا كان جو السورة جوّ كرم وكرامة، فإنّه يذكر من صفة الحافظين كونهم «كراما» ليستجيش في القلوب إحساس الخجل والتجمّل بحضرة هؤلاء الكرام، فإنّ الإنسان ليحتشم ويستحي،

وهو بمحضر الكرام من الناس، أن يسفّ أو يتبذّل في لفظ أو حركة أو تصرّف، فكيف به حين يشعر ويتصوّر أنّه في كل لحظاته، وفي كل حالاته، في حضرة حفظة من الملائكة كرام، لا يليق أن يطّلعوا منه إلاّ على كل كريم من الخصال والفعال!. فإنّ القرآن هنا ليستجيش في القلب البشرى أرفع المشاعر بإقرار هذه الحقيقة فيه، بهذا التصوّر الواقعي الحي القريب إلى الإدراك المألوف. ثمّ يقرر السياق مصير الأبرار ومصير الفجّار، بعد الحساب القائم على ما يكتبه الكرام الكاتبون. . . **﴿إنّ الأبرار لفي نعيم. وإنّ الفجّار لفي جحيم﴾**: فهو مصير مؤكد وعاقبة مقررة أن ينتهي الأبرار إلى النعيم، وأن ينتهي الفجار إلى الجحيم. والبَرّ هو الذي يأتي أعمال البرّ، حتى تصبح له عادة وصفة ملازمة، وأعمال البرّ: هي كل خير على الإطلاق، والصفة تتناسق في ظلّها مع الكرم والإنسانيّة، كما أن الصفة التي تقابلها ـ الفجّار ـ فيها سوء الأدب والتوقّح في مقارفة الإثم والمعصية، والجحيم هي كفء للفجور. ثم يزيد حالهم فيها ظهورا. . . **﴿يصلونها يوم الدين﴾**. ويزيدها توكيدا وتقريرا. . . **﴿وما هم عنها بغائبين﴾**: فلا فرارًا ابتداءً، ولا خلاصا بعد الوقوع فيها ولو إلى حين!. فيتم التقابل بين الأبرار والفجّار، وبين النعيم والجحيم ؛ مع زيادة الإيضاح والتقرير لحالة رواد الجحيم!. ثمّ لما كان يوم الدين هو موضع التكذيب، فإنّه يعود السياق إليه بعد تقرير ما يقع فيه، يعود إليه ليقرر حقيقته الذاتيّة في تضخيم وتهويل بالتجهيل وبما يصيب النفوس فيه من عجز كامل وتجرّد من كل شبهة في عون أو تعاون، وليقرر تفرّد الله بالأمر في ذلك اليوم العصيب. . . **﴿وما أدراك ما يوم الدين ؟. ثمّ ما أدراك ما يوم الدين﴾**؟: فالسؤال هنا للتجهيل مألوف في التعبير القرآنى، وهو يوقع في الحس: أنّ الأمر عظيم جداَ، وأهول جدا من أن يحيط به إدراك البشر المحدود. فهو فوق كل تصوّر، وفوق كل توقّع وفوق كل مألوف، وتكرار السؤال يزيد في الاستهوال. ثمّ يجيء البيان بما يتناسق مع هذا التصوير ..**﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا﴾**: فهو العجز الكامل، وهو الشلل الشامل، وهو الانحسار والانكماش والانفصال بين النفوس المشغولة بهمّها وحملها عن كل من تعرف من النفوس! ..**﴿والأمر يومئذ لله﴾**: فهو المتفرّد سبحانه بالأمر في الدنيا والآخرة، ولكن في هذا اليوم ـ يوم الدين ـ تتجلّى هذه الحقيقة التي قد يغفل عنها في الدنيا الغافلون المغرورون، فلا يعود بها خفاء في هذا اليوم ولا تغيب عن مخدوع ولا مفتون.

6 ـ موضوع سورة المطففين، بيان الفرق بين موقف الأبرار المتقين والفجّار المجرمين



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿1﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿2﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿3﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿4﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿5﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿6﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿7﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿8﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿9﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿10﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿11﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿12﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿13﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿14﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿15﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿16﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿17﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿18﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿19﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿20﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿21﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿22﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿23﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿24﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿25﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿26﴾

وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ (27) عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ (28) إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ
يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ (31)
وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ (32) وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ
حَٰفِظِينَ (33) فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ (34)
عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (35) هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ (36)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**ويلٌ**﴾: هلاك لا نجاة فيه، وشرٌّ ما بعده شر. وفي كل، فهو أسوأ المصير في كل تقدير! ..﴿**للمطفّفين**﴾: جمع مطفّف: وهو من ينقص في الكيل أو الوزن، ويبخس حق الغير... ﴿**الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾: فهؤلاء هم المطففون، فهم إذا استولوا على الناس واكتالوا منهم يأخذونه وافيا أكثر من حقّهم، وإذا أعطوا للناس واكتالوا لهم يعطونهم أقل من حقّهم في الكيل والميزان... ﴿**ألا يظنُّ أولئك أنّهم مبعوثون ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟. كلاّ**﴾: الظاهر من معنى كلاّ هنا: أنّها بمعنى حقا، وهو واحد من معانيها الثلاثة... ﴿**إنّ كتاب**﴾: ما يكتب من أعمال الكفرة الفجرة... ﴿**الفجّار. لفي سجّين**﴾: مأخوذ من السجن، وهو الحبس والضيق، لما فيه من هول المنظر وبشاعة المخبر... ﴿**وما أدراك ما سجين ؟!. كتاب مرقوم**﴾: فهو مكتوب بعلامات دالة على عظمة ما فيه من القبح والسوء... ﴿**ويلٌ يومئذ للمكذّبين: الذين يكذّبون بيوم الدين. وما يكذّب به إلاّ كل معتد أثيم**﴾: فالمعتدي الأثيم؛ من يجرأ على ارتكاب المعاصي، المكثر من

الذنوب والآثام العظام! ..﴿**إذا تتلى عليه ءاياتنا قال أساطير الأولين!. كلا:**﴾ ليس هذا وحده، بل هناك شيء آخر خطير... ﴿**بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾: فسوابق الإجرام أصيلة فيهم، ومقومات الكفر والفسوق والعصيان راسخة في قلوبهم... ﴿**كلا**﴾: حق عليهم العذاب حقا، فمنعوا أعظم جزاء يجازي به الله عباده! ..﴿**إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون. ثمّ إنّهم لصالوا الجحيم!. ثمّ يقال: هذا الذي كنتم به تكذّبون!. كلاّ**﴾: حقا وصدقا... ﴿**إنّ كتاب الأبرار لفي عليين**﴾: عليّون ملحق بجمع المذكّر السالم ؛ إذ ليس له مفرد من لفظه، وهو علم على الرفعة والعظمة والحسن. فكتاب الأبرار في معرض الأخيار، لا يعلم كنهه إلاّ الله العزيز الغفار... ﴿**وما أدراك ما عليون ؟!. كتاب مرقومٌ يشهده المقرّبون. إنّ الأبرار لفي نعيم. على الأرائك ينظرون**﴾: أرائك الدنيا تمنع مَنْ عليها من النظر، فهم على أرائك الآخرة مطلوقو النظر إلى كلّ شيء!.. ﴿**تعرف في وجوههم نضرة النعيم**﴾: يعرف من رآهم بهجة النعيم تغمرهم، ورونق السعادة بادٍ عليهم... ﴿**يسقون من رحيق**﴾: فهو شراب بالغ في اللّذة والصفاء، الخالص من الشوائب والقذى... ﴿**مختوم**﴾: فلا تصل إليه أيدى الصنّاع، ولا تناله أفواه السفهاء! ..﴿**ختامه مسك**﴾. ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾: في هذا النعيم المقيم، فليستبق المتسابقون، وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس... ﴿**ومزاجه من تسنيم. عينا يشرب بها المقربون**﴾: التسنيم: الشيء المرتفع المصون من الأذران، وفسّرت هنا بقوله تعالى: عينا يشرب بها: يتفكه بها المقربون الأبرار... ﴿**إنّ الذين أجرموا**﴾: ارتكبوا جرائم الشرك والكفر والعصيان، وفي مقدّمة هؤلاء كفّار قريش... ﴿**كانوا من الذين آمنوا يضحكون**﴾: كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين، وفي مقدمتهم أصحاب النبى محمد ﷺ ... ﴿**وإذا مروا بهم**﴾: إذا مرّ المؤمنون بالكافرين أو بالعكس... ﴿**يتغامزون**﴾: الغمز إشارة الازدراء والاستهزاء، وهي إشارة سريّة يعرفها المخاطبون فيما بينهم... وإذا انقلبوا: رجعوا من مجالسهم... ﴿**إلى أهلهم**﴾: إلى بيوتهم ومن فيها من السكان... ﴿**انقلبوا فاكهين**﴾: ناعمين بما عندهم من الثروة والجاه والسلطان... ﴿**وإذا رأوهم**﴾: رأى المجرمون المؤمنين... ﴿**قالوا**﴾: عنهم... ﴿**إنّ هؤلاء لضالّون. وما أرسلوا عليهم حافظين**﴾: لم يرسل هؤلاء المجرمون حافظين عليهم أحوالهم... ﴿**فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون**﴾: يضحكون

عليهم في الآخرة، مقابل ضحك الكفّار في الدنيا. . . ﴿**على الأرائك ينظرون. هل ثوّب**﴾: هل أعطي وجوزي المجازاة الأوفى. . . ﴿**الكفار ما كانوا يفعلون**﴾؟!: الجواب نعم!.

مبحث الإعراب

﴿**ويلٌ**﴾ مبتدأ. ﴿**للمطفّفين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للمطفّفين. ﴿**إذا اكتالوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة فعل شرط إذا. ﴿**على الناس**﴾ متعلّق باكتالوا. ﴿**يستوفون**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب شرط إذا، وجملة اكتالوا في محل جر مضافة إلى إذا، وجملة الجواب متعلّق إذا. ﴿**وإذا كالوهم**﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿**أو وزنوهم**﴾ معطوف على كالوهم، وهو مثله في الإعراب. ﴿**يخسرون**﴾ فعل وفاعل جواب شرط إذا، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون معطوف على إذا اكتالوا على الناس يستوفون. ﴿**ألا يظنّ أولئك**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام وحرف النفي. ﴿**أنّهم**﴾ أن واسمها. ﴿**مبعوثون**﴾ خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بيظنّ سدّ مسدّ المفعولين. ﴿**ليوم**﴾ متعلّق بمبعوثون. ﴿**عظيم**﴾ نعت ليوم. ﴿**يوم**﴾ منصوب بإضمار فعل مقدّر: أعني يوم. ﴿**يقوم الناس**﴾ فعل وفاعل. ﴿**لربّ**﴾ متعلّق بيقوم. ﴿**العالمين**﴾ مضاف إلى ربّ. ﴿**كلاّ**﴾! حقّا. ﴿**إنّ كتاب**﴾ إنّ واسمها. ﴿**الفجّار**﴾ مضاف إلى كتاب. ﴿**لفي سجّين**﴾ متعلّق بمحذوف خبر إنّ، واللام لتوكيد الخبر .﴿**وما**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أدراك**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**سجّين**﴾ خبر المبتدإ، وجملة الاستفهام في محل نصب مفعول ثان بأدراك. ﴿**كتاب**﴾ بدل من سجّين. ﴿**مرقوم**﴾ نعت لكتاب. ﴿**ويلٌ يومئذ للمكذّبين**﴾ متعلقان بالخبر المقدّر. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للمكذّبين. ﴿**يكذّبون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذين. ﴿**بيوم**﴾ متعلّق بيكذبون. ﴿**الدين**﴾ مضاف إلى يوم.

﴿**وما يكذّب**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي والواو للعطف. ﴿**به**﴾ متعلّق بيكذّب. ﴿**إلاّ كلّ**﴾ فاعل يكذّب، وإلاّ ملغاة. ﴿**معتدٍ**﴾ مضاف إلى كل. ﴿**أثيم**﴾ نعت لمعتد. ﴿**إذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط خافض لشرطه منصوب

بجوابه. ﴿**تتلى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿**عليه**﴾ متعلّق بتتلى. ﴿**آياتنا**﴾ نائب الفاعل. ﴿**قال**﴾ فاعله ضمير يعود على كلّ معتدٍ أثيم. ﴿**أساطير**﴾ خبر لمبتدإ محذوف، هي أساطير .﴿**الأوّلين**﴾ مضاف إلى أساطير، وجملة أساطير الأوّلين مقول القول. ﴿**كلاّ**﴾! لا يكون هذا قط. ﴿**بل ران**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الإضراب العاطف. ﴿**على قلوبهم**﴾ متعلّق بران. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل ران. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يكسبون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجملة كانوا يكسبون صلة ما. ﴿**كلا**﴾!: حقا. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**عنّ ربّهم يومئذ**﴾ متعلقان بما بعده. ﴿**لمحجوبون**﴾ خبر إنّ، واللاّم لتوكيد الخبر .﴿**ثمّ إنّهم**﴾ معطوف على ما قبله. ﴿**لصالوا**﴾ خبر إنّ مرفوع بالواو. ﴿**الجحيم**﴾ مضاف إلى اسم الفاعل. ﴿**ثمّ يقال**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول معطوف بثمّ على ما قبله. ﴿**هذا**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ، والجملة في محل رفع نائب فاعل يقال. ﴿**كنتم**﴾ كان واسمها. ﴿**به**﴾ متعلّق بما بعده. ﴿**تكذّبون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر كان، وجملة كنتم به تكذّبون صلة الذى. ﴿**كلاّ إنّ كتاب الأبرار لفي عليّين**﴾ إعرابها مثل إعراب كلاّ إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين. ﴿**وما أدراك ما عليّون**﴾ مثل إعراب وما أدراك ما سجّين. ﴿**كتاب مرقوم**﴾ مثل ما سبقه، فهو بدل من عليّون. ﴿**يشهده**﴾ فعل مضارع، والضميرالمتصل به مفعول. ﴿**المقرّبون**﴾ فاعل، والجملة نعت لكتاب. ﴿**إنّ الأبرار**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لفي نعيم**﴾ متعلّق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**على الأرائك**﴾ متعلّق بما بعده. ﴿**ينظرون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر ثان لإنّ. ﴿**تعرف**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**في وجوههم**﴾ متعلّق بتعرف. ﴿**نضرة**﴾ مفعول به. ﴿**النعيم**﴾ مضاف إلى نضرة، والجملة خبر ثالث لإنّ. ﴿**يسقون**﴾ جملة الفعل ونائب الفاعل خبر رابع لإنّ. ﴿**من رحيق**﴾ متعلّق بيسقون. ﴿**مختوم**﴾. نعت لرحيق. ﴿**ختامه**﴾ مبتدأ. ﴿**مسكٌ**﴾ خبره، والجملة بيانيّة. ﴿**وفي ذلك**﴾ متعلّق بما بعده. ﴿**فليتنافس المتنافسون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه لام الأمر الجازم للفعل، وفاء التعقيب أى: فليتنافس المتنافسون في ذلك الجزاء. ﴿**ومزاجه**﴾ مبتدأ، وهو معطوف على ختامه. ﴿**من تسنيم**﴾ متعلّق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**عينا**﴾ مفعول بفعل مقدّر: أعني عينا. ﴿**يشرب**﴾ فعل مضارع. ﴿**بها**﴾ متعلّق بيشرب ـ المتضمّن معنى يتلذّذ ويتفكّه ـ. ﴿**المقرّبون**﴾

فاعل. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أجرموا**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذين. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**من الذين آمنوا**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يضحكون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبركان، وجملة كانوا من الذين آمنوا يضحكون خبر إنّ. ﴿**وإذا مرّوا**﴾ فعل وفاعل، فعل شرط إذا. ﴿**بهم**﴾ متعلّق بمرّوا. ﴿**يتغامزون**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب شرط إذا. ﴿**وإذا انقلبوا**﴾ جملة شرطيّة مثل إذا مرّوا. ﴿**إلى أهلهم**﴾ متعلّق بانقلبوا. ﴿**انقلبوا**﴾ جواب شرط إذا. ﴿**فاكهين**﴾ حال من فاعل انقلبوا. ﴿**وإذا رأوهم**﴾ جملة شرطيّة. ﴿**قالوا**﴾ جواب الشرط. ﴿**إنّ هؤلاء**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لضالون**﴾ خبر إنّ، وجملة إنّ هؤلاء لضالون مقول القول. ﴿**وما أرسلوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل منفي بما معطوف على ما قبله. ﴿**عليهم**﴾ متعلّق بما بعده. ﴿**حافظين**﴾ حال من نائب الفاعل في أرسلوا. ﴿**فاليوم**﴾ ظرف متعلّق بيضحكون الآتي. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**من الكفّار**﴾ متعلّق بما بعده. ﴿**يضحكون**﴾ فعل وفاعل والجملة خبر المبتدإ، وجملة فاليوم مرتب على ما قبله. ﴿**على الأرائك**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**ينظرون**﴾ الجملة من الفعل والفاعل خبر ثان للذين آمنوا. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام. ﴿**ثوّب**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**الكفّار**﴾ نائب الفاعل. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول ثوّب. ﴿**كانوا**﴾ كان واسمها. ﴿**يفعلون**﴾ الجملة من الفعل والفاعل خبر كان، وجملة كانوا يفعلون صلة ما.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ويلٌ للمطفّفين. الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾: فهذه السورة على علاقة بما قبلها، فهي تعطي وصفا مميزا للفجّار الذين سيكونون في الجحيم، فهم الذين يطفّفون الكيل في الدنيا، فيأخذون حقوقهم وافية، ويعطون حقوق الناس ناقصة باخسة. فتبدأ هذه السورة بالحرب يعلنها الله على الفجّار المطفّفين، فهذا خبر مؤكد من الله واقع بهؤلاء لا محالة: ويلٌ عظيم وهلاك فظيع وعذاب أليم ؛ لا يتصوّر مداه!. ثم يفسّر النّص معنى المطفّفين. . . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون!. ثمّ يتعجّب النص في الآيتين بعد التفسير من أمر المطفّفين الذين يتصرّفون كأنّه ليس هناك حساب على ما يكسبون في الدنيا. . . ﴿**ألا يظن أولئك**

أنّهم مبعوثون ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾؟! : فالتصدي لشأن المطفّفين في هذا الأسلوب في سورة مكّيّة أمر يلفت النظر!. فالسورة المكّيّة عادة توجّه اهتمامها إلى أصول العقيدة الكليّة، فأمّا التصدّي لمسألة بذاتها من مسائل المعاملات فأمر جاء متأخرا، فمن ثمّ كان هذا النص هنا لفت للانتباه!. فهو يدل على عدّة دلالات. أولا: على أن الإسلام كان يواجه في البيئة المكّيّة حالة صارخة من هذا التطفيف يزاولها الكبراء الذين كانوا في الوقت ذاته هم أصحاب التجارات الواسعة. ثانيا: كانت لهم أموال ضخمة تجعلهم يهيمنون على معايش الناس. ثالثا: كانوا من طبقة الكبراء ذوي النفوذ، الذين يملكون إكراه الناس على ما يريدون. فهم يكتالون على الناس، لا من الناس، فكأنّ لهم سلطانا على الناس، يجعلهم يستوفون المكيال والميزان استيفاء وقسرا. فقد كانت هناك حالة من التطفيف صارخة، استحقّت هذه اللفتة المبكّرة، وجملة: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ؟!: مستأنفة واردة لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف، والتعجّب من اجترائهم عليه، ووضع أولئك موضع الضمير، للإشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم، وللإيذان بأنّهم ممتازون بذلك الوصف القبيح، عن سائر الناس أكمل امتياز، وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الشرّ والفساد، إن أمرهم عجيب!. إنّ مجرّد الظن بأنّهم مبعوثون لذلك اليوم، كان يكفي ليصدّهم عن التطفيف، وأكل أموال الناس بالباطل، واستخدام السلطان في ظلم الناس وبخسهم حقّهم في التعامل، ولكنّهم ماضون في التطفيف، كأنّهم لا يظنون أنّهم مبعوثون، وهو أمر عجيب، وشأن غريب!. وقد سماهم المطففين في المقطع الأول، فأمّا في المقطع الثانى فيسمّيهم الفجّار ؛ إذ يدخلهم في زمرة الفجّار. . . ﴿**كلا إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين. وما أدراك ما سجّين ؟!. كتاب مرقوم**﴾: فإذا كان ذلك: كان. . . ﴿**ويلٌ يومئذ للمكذّبين**﴾!. ثم يحدّد السياق موضوع التكذيب وحقيقة المكذّبين. . . ﴿**الذين يكذّبون بيوم الدين. وما يكذّب به إلاّ كل معتدٍ أثيم**﴾: فالاعتداء والإثم يقودان صاحبهما إلى التكذيب بذلك اليوم، وإلى سوء الأدب مع هذا القرآن. . . ﴿**إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين**﴾. ﴿**كلا**﴾! : الأمر ليس كما يقول هذا وأمثاله. . . ﴿**بل**﴾: السبب الحقيقي في هذا الكفر والفجور. . . ﴿**ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾: ذلك حال الفجّار المكذّبين، وهذه هي علّة التكذيب والفجور. ثمّ يذكر النّص شيئا عن مصيرهم في ذلك اليوم

العظيم. . . ﴿**كلا**﴾! : حقا. . . ﴿**إنّهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ : فهذا الحجاب عن ربهم عذاب فوق كل عذاب، وحرمان فوق كل حرمان!. فإذا حجب الإنسان عن هذا النعيم فقد خصائصه كإنسان كريم، وارتكس إلى هوّة يستحق فيها الجحيم. . . ﴿**ثمّ إنّهم لصالوا الجحيم**﴾ : ثم مع الجحيم هذا التقريع والتأنيب. . . ﴿**ثمّ يقال هذا الذي كنتم به تكذّبون**﴾!. ثمّ يعرض السياق الصفحة الأخرى: صفحة الأبرار ؛ على العهد بطريقة القرآن في عرض الصفحتين متقابلتين في الغالب ؛ لتتمّ المقابلة بين حقيقتين وحالين ونهايتين. . . ﴿**كلاّ**﴾! : حقا. . . ﴿**إنّ كتاب الأبرار لفي علّيين وما أدراك ؟. ما علّيون ؟. كتاب مرقوم. يشهده المقربون**﴾ : فإذا كان كتاب الفجّار في سجّين، فإنّ كتاب الأبرار في علّيّن. فالأبرار هم الطائعون الفاعلون لكل خير، وهم يقابلون الفجّار العصاة المتجاوزين لكل حدّ، ولفظ عليّن يوحى بالعلوّ والارتفاع ؛ مما قد يؤخذ منه أنّ سجّين يفيد الانحطاط والسفول ؛ كما يدلّ على الضيق والقهر والانقطاع، وفي كل من سجّين وعليّن يأتى الاستفهام عنهما بما يدل على فظاعة سجّين، وجمال وسمو عليّن!. والجواب عن السؤالين يأتي كما يي: كتاب مرقوم. ويلٌ يومئذ للمكذّبين ـ كتاب مرقوم. يشهده المقرّبون. ثم يذكر السياق حال الأبرار أنفسهم: أصحاب هذا الكتاب الكريم، ويصف ما هم فيه من نعيم في ذلك اليوم العظيم. . . ﴿**إنّ الأبرار لفي نعيم**﴾ : فهو يقابل الجحيم الذي ينتهي إليه الفجّار. . . ﴿**على الأرائك ينظرون**﴾ : إنهم في موضع التكريم ينظرون حيث يشاءون فلا تحجبهم الأرائك عن النظر فيما يشتهون. . . ﴿**تعرف في وجوههم نضرة النعيم**﴾ : فهم في هذا النعيم ناعموا النفوس والأجسام، تفيض النضرة على وجوههم وملامحهم، حتى ليراها كل راءٍ. . . ﴿**يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك**﴾ : فهذا الأسلوب في وصف شرابهم يلقي ظل الصيانة والعناية، وأناقة ورفاهيّة زيادة على وصف الشراب نفسه بأنّه من رحيق!. وقبل أن يتم وصف الشراب الذي يجيء في الآيتين التاليتين. . . ﴿**ومزاجه من تسنيم. عينا يشرب بها المقرّبون**﴾ : قبل أن يتم الوصف يلقي السياق بهذا الإيقاع وبهذا التوجيه. . . ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾! : فقد جاءت هذه الآية معترضة بين وصف شراب الأبرار؛ ليوجّه أبصار السامعين وأسماعهم إلى هذا النعيم العجيب!. وكأنما أطال السياق في عرض صور النعيم الذي ينتظر الأبرار، تمهيدا للحديث عمّا كانوا يلقون في الأرض من الفجّار، وقد أطال في

عرضه كذلك ليختمه بالسخرية من الكفّار، وهم يشهدون نعيم الأبرار. . . ﴿**إنّ الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وإذا مرّوا بهم يتغامزون. وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون. وما أرسلوا عليهم حافظين. فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون على الأرائك ينظرون. هل ثوّب الكفّار ما كانوا يفعلون**﴾: فالمشاهد التي يرسمها السياق لسخرية الذين أجرموا من الذين آمنوا وسوء أدبهم معهم وتطاولهم عليهم ووصفهم بأنّهم ضالون، مشاهد منتزعة من واقع البيئة في مكّة، ولكنّها متكررة في أجيال وفي مواطن شتّى، فكثير من المعاصرين الآن يشهدونها، كأنما هذه الآيات قد نزلت في وصفها وتصويرها، مما يدل على أن طبيعة الفجّار المجرمين واحدة متشابهة في موقفها من الأبرار في جميع البيئات والعصور!. فأمام هذا المشهد الذي يطيل السياق عرض مناظره وحركاته، مشهد سخرية الذين أجرموا من الذين آمنوا في الدنيا ـ كما أطال من قبل في عرض مشهد نعيم الأبرار وعرض مناظره ومناعمه نَجِدُ أن هذه الإطالة من الناحية التأثيرية فنٌ عالٍ في الأداء التعبيرى ؛ كما أنّه فنٌ عالٍ في العلاج الشعوري، فقد كانت الفئة المسلمة في مكّة تلاقي من عنت المشركين وأذاهم ما يفعل في النفس البشرية بعنف وعمق، وكان ربهم لا يتركهم بلا عون من تثبيته وتسريته وتأسيته. وهذا التصوير المفصل لمواجعهم من أذى المشركين فيه بلسم لقلوبهم، فربّهم هو الذي يصف هذه المواجع فهو يراها، وهو لا يهملها ـ وإن أمهل الكافرين حينا ـ، وهذا وحده يكفي قلب المؤمن ويمسح على آلامه وجراحه، إنّ الله يرى كيف يسخر منهم الساخرون، وكيف يؤذيهم المجرمون. فهو إذن شيء في ميزانه، وهذا يكفي!. ثم إنّ ربهم يسخر من المجرمين سخرية قاسية قاضية عالية، فيها تلميح موجع ؛ قد لا تحسه قلوب المجرمين المطموسة المغطّاة بالريْن المطبق عليها من الذنوب، ولكن قلوب المؤمنين الحساسة المرهفة تحسه وتقدّره وتستريح إليه وتستنيم! ..﴿**فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون. على الأرائك ينظرون. هل ثوّب الكفّار ما كانوا يفعلون**﴾؟!. نعم ثوّب الكفّار المجرمون الفجّار المطففون الكيل والميزان في هذا اليوم العظيم: يوم يقوم الناس لرب العالمين. وفي هذا الختام براعة المقطع، مع براعة رد العجز على الصدر في المطلع!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**ويلٌ للمطفّفين**﴾: هذه السورة تصوّر قطاعا من الواقع العملي الذي كانت الدعوة تواجهه في مكّة، وهي تهدّد المطفّفين بالويل العظيم والعذاب الأليم في يوم آتٍ عظيم، ثمّ تفسّر المطفّفين: من هم؟!... ﴿**الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾: فهم الذين يتقاضون حقوقهم من غيرهم إذا كانوا آخذين، ويعطون للناس حقوقهم ناقصة إذا كانوا معطين!. وهذا أمر عجيب يدل على وقاحة في المعاملة، وعدم مراعاة حقوق الغير في المجاملة، وعلى عدم خوف الله في المساءلة... ﴿**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾؟!: فهؤلاء المطففون لا يخشون الله، ولا يستحيون من الناس ؛ لأنّهم متكبرون متجبرون طاغون بما عندهم من غنىً وجاه، ونفوذ على الناس!. فهذه الصيحة المدوّية بالحرب والويل على هؤلاء المطففين ـ وهم يومئذ سادة مكّة أصحاب السلطان فيها والتمكين ـ تلفت النظر في البيئة المكّيّة إلى طبيعة هذه الدعوة، وشمول منهجها للحياة الواقعيّة وشؤونها العمليّة، وإقامتها على الأخلاق الأساسية الأصيلة في طبيعة هذا المنهج الإلهي القويم، ومن هذا يعلم السبب الحقيقي الذي جعل كبراء قريش يقفون في وجه الدعوة هذه الوقفة العنيدة، فهم كانوا يدركون أنّ هذا الأمر الجديد الذي جاءهم به محمد ﷺ منهج يحطّم كل أساس الجاهلية، التي تقوم عليها أوضاعهم ومصالحهم ومراكزهم، فمن هذا شنّوا على هذه الدعوة تلك الحرب التي تمثل الدفاع عن أوضاعهم كلها في وجه الأوضاع الإسلاميّة!. ولا زالت تلك الحرب قائمة على الأوضاع التي شن عليها الحرب كبراء قريش من قبل، والطغاة البغاة الظلمة في كل جيل وقبيل هم الذين يرهبون ويرعبون من سيطرة المنهج الإسلامي العادل الذي يعطى للناس حقوقهم، ويبيّن ماعليهم من واجبات دون إجحاف بهم، ولا تملّق لكبير متعلق بوهم زائل! ..﴿**كلا!. إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين. وما أدراك ما سجّين ؟. كتاب مرقوم**﴾!: فهناك سجل لأعمال الفجّار، يقول النص القاطع: إنّه في سجين. فقد حدد النص له موضعا معيّنا ـ وإن يكن مجهولا للإنسان ـ ولكن أسلوب الوصف يدل على شناعة وفظاعة المكان، فهنالك... ﴿**ويلٌ يومئذ للمكذّبين. الذين يكذبون بيوم الدين**﴾: يوم يقوم الناس لرب العالمين! ..﴿**وما يكذّب به إلاّ كل معتدٍ أثيم. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير**

الأوّلين. كلا!. بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. كلا!. إنّهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثمّ إنّهم لصالوا الجحيم. ثمّ يقال هذا الذي كنتم به تكذّبون﴾: بهذا الأسلوب الواضح والتعبير الكامل الشامل، لا يحتاج إلى بيان من أيّ إنسان كان!.. **﴿كلا!. إنّ كتاب الأبرار لفي عليّين. وما أدراك ؟. ما عليّون ؟!. كتاب مرقوم. يشهده المقرّبون!. إنّ الأبرار لفي نعيم. على الأرائك ينظرون. تعرف في وجوههم نضرة النعيم. يسقون من رحيق مختوم. ختامه مسك. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون!. ومزاجه من تسنيم. عينا يشرب بها المقرّبون﴾**: فكلام البشر هنا يجعل على نور الله غشاوة، تباعد النظر السليم عن الرؤية من هذا النور المبين!.. **﴿إنّ الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾**: فقد كان المشركون في مكّة يزدرون المؤمنين ؛ إمّا لفقرهم ورثاثة حالهم الماديّة، وإمّا لضعفهم عن ردّ الأذى، وإمّا لترفعهم عن سفاهة السفهاء! ..**﴿وإذا مرّوا بهم يتغامزون﴾**: يغمز بعضهم لبعض بعينه، أو يشير بيده، أو يأتي بحركة متعارفة بينهم للسخرية من المؤمنين، وهي حركة وضيعة واطية تكشف عن سوء الأدب والتجرّد من التهذيب، بقصد إيقاع الانكسار في قلوب المؤمنين، وإصابتهم بالخجل والربكة، وهؤلاء الأوغاد يتغامزون عليهم ساخرين. . . **﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم﴾**: بعد ما أشبعوا أنفسهم الصغيرة الرديئة من السخرية بالمؤمنين، وإيذائهم. . . **﴿انقلبوا فاكهين﴾**: راضين عن أنفسهم مبتهجين بما فعلوا، مستمتعين بهذا الشر الصغير الحقير، فلم يتلوّموا ولم يندموا ولم يشعروا بحقارة ما صنعوا وقذارة ما فعلوا، وهذا منتهي ما تصل إليه النفس من إسفاف وموت للضمير! ..**﴿وإذا رأوهم قالوا: إنّ هؤلاء لضالون﴾**: فليس أعجب من أن يتحدّث هؤلاء الفجّار المجرمون عن الهدى والضلال، وأن يزعموا حين يرون المؤمنين، أن المؤمنين ضالون، ويشيروا إليهم مؤكدين لهذا الوصف في تشهير وتحقير!. والفجور لا يقف عند حد، ولا يستحي من قول، ولا يتلوّم من فعل، واتهام المؤمنين بأنّهم ضالون حين يوجهه الفجّار المجرمون، إنما يمثل الفجور في طبيعته، التي هي تجاوزٌ لجميع الحدود!. والقرآن لا يقف ليجادل عن الذين آمنوا ولا ليناقش طبيعة الفرية، فهي كلمة فاجرة لا تستحق المناقشة، ولكنه يسخر سخرية عالية من القوم الذين يدسون أنوفهم فيما ليس من شأنهم، ويتطفّلون بلا دعوة من أحد في هذا الأمر. . . **﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾**: فما وكّلوا بشأن هؤلاء المؤمنين، وما أُقيموا عليهم رقباء، ولا كُلّفوا وزنهم وتقدير

حالهم، فمالهم هم وهذا الوصف وهذا التقرير!. وينهي السياق بهذه السخرية العالية حكاية ما كان من الذين أجرموا في الدنيا، ويطوى هذا المشهد الذي انتهي ؛ ليعرض المشهد الحاضر، والذين آمنوا في ذلك النعيم. . . ﴿**فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون. على الأرائك ينظرون**﴾: اليوم والكفار محجوبون عن ربهم يقاسون ألم هذا الحجاب الذي تهدر معه إنسانيّتهم، فيصلون الجحيم مع الترذيل والتأنيب، فاليوم والذين آمنوا على الأرائك ينظرون في ذلك النعيم المقيم ؛ وهم يتناولون الرحيق المختوم بالمسك الممزوج بالتسنيم. والقرآن يتوجه بالسخرية العالية مرّة أخرى وهو يسأل. . . ﴿**هل ثوّب الكفّار ما كانوا يفعلون**﴾؟!: أجل!. هل ثوّبوا ؟. هل وجدوا ثواب ما فعلوا ؟!. فهم لم يجدوا الثواب المعروف من الكلمة ولكنهم من غير شك لاقوا جزاء ما فعلوا، فهو ثوابهم إذن!. ويااللسخرية الكامنة في كلمة الثواب في هذا المقام!

7 ـ موضوع سورة الانشقاق بيان ما يقع فيها من الرهبة والخوف والإشفاق!



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (1) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3)
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (4) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ
إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ
مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو
ثُبُورًا (11) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (12) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13)
إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (14) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (15) * فَلَا أُقْسِمُ
بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا
عَن طَبَقٍ (19) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (21)
بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (22) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (23)
فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (24) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**إذا السماء انشقّت**﴾: تشقّقت، «ويوم تشقق السماء بالغمام»، وتتفتح، «وفتّحت السماء فكانت أبوابا»... ﴿**وأذنت لربّها**﴾: استمعت، فانقادت وأذعنت لتأثير قدرة ربّها... ﴿**وحقّت**﴾: جُعلت حقيقة بالاستماع والانقياد... ﴿**وإذا الأرض مُدّت**﴾: بسطت ونشرت ما فيها... ﴿**وألقت ما فيها**﴾: رمت ما في جوفها من الأموات، فالمد يعني النشر، وإخراج ما كانت تحتويه عندما كان مصرورًا داخل الأرض... ﴿**وتخلّت**﴾: تركت كل شيء كانت محتوية عليه، تركته بعيدا عنها... ﴿**وأذنت لربّها وحُقّت**﴾. ﴿**يا أيها الإنسان. إنّك كادح**﴾: جاهد ومجد... ﴿**إلى ربك كدحا. فملاقيه**﴾: فملاقي كدحك، وملاقي ربّك فيجازيك على كدحك... ﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا. وينقلب إلى أهله مسرورا**﴾: فالمفردات هنا ظاهرة... ﴿**وأما من أوتي كتابه وراء ظهره**﴾: يهرب من بشاعته، فيرمى إليه من ورائه... ﴿**فسوف يدعو ثبورا**﴾: يتمنى الهلاك فيناديه: أحضر هذا أوانك... ﴿**ويصلّى سعيرا**﴾: يحرّق بالنار المسعرة الملتهبة ؛ مثل ما يصلّى اللحم المشوي من جميع جوانبه، فيتهرى... ﴿**إنّه كان في أهله مسرورا**﴾: إنّه كان في الدنيا بطرا مفتخرا بماله وولده... ﴿**إنّه ظن أن لن يَحُور**﴾: كذّب بالبعث واعتقد عدم الرجوع إلى الله تعالى... ﴿**بلى**﴾: ليحورنّ قطعا... ﴿**إنّ ربّه كان به بصيرا**﴾: فهو تحقيق لما بعد بلى... ﴿**فلا أقسم بالشفق**﴾: أقسم بالحمرة التي تشاهد في أفق المغرب عند الغروب، وما بعده إلى وقت العشاء... ﴿**والليل وما وسق**﴾: ما جمع وما ضم من أشياء ساترا لها... ﴿**والقمر إذا اتّسق**﴾: تَمَّ بدرًا ليلة أربعَ عشرةَ واتّسق: اكتمل... ﴿**لتركبن طبقا عن طبق**﴾: لتركبن أيها الناس أحوالا، هي طبقات مرتّبة بعضها عن بعض، وهي حال الإنسان من موت إلى بعث إلى سؤال إلى نتيجة ما عمل، فإما إلى جنّة وإما إلى نار!. وهذه الأحوال أثارت هذا السؤال... ﴿**فمالهم لا يؤمنون. وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون**﴾: فما للناس لا يؤمنون بعد سماعهم ما في القرآن من وعظ وتحذير وإنذار... ﴿**بل الذين كفروا يكذّبون**﴾: لكن الكافر من الناس، يكذّب هذا الخبر الموجب للإيمان، والخضوع لأوامر الله

في القرآن. . . ﴿**والله أعلم بما يوعون**﴾: بما يجمعون ويجعلونه في وعاء يحميه ويضمه من أعمال. . . ﴿**فبشّرهم بعذاب أليم**﴾: فبشّر الكافرين بعذاب أليم ؛ لما أوجبه من العمل السيئ. . . ﴿**إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾: لكن الذين آمنوا بالله، وعملوا الصالحات مما أمر به القرآن من الناس. . . ﴿**لهم أجر غير ممنون**﴾: فهو دائم لا ينقطع، مقابل عملهم غير ممنون به عليهم.

مبحث الإعراب

﴿**إذا السّماءُ**﴾ فاعل فعل مقدّر يفسّره. ﴿**انشقّت**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على السماء، والجملة مفسّرة لا محل لها من الإعراب. ﴿**وأذنت**﴾ معطوف على انشقّت. ﴿**لربّها**﴾ متعلّق بأذنت. ﴿**وحقّت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول، والجملة معطوفة على أذنت. ﴿**وإذا الأرض**﴾ مثل إعراب إذا السماء. ﴿**مُدّت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على الأرض، والجملة مُفسّرة. ﴿**وألقت**﴾ معطوف على مدّت. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وتخلّت**﴾ معطوف على ألقت.

﴿**وأذنت لربّها وحُقّت**﴾ تقدّم إعراب مثلها، جواب شرط إذا مقدّر مثل ما ظهر في السورتين السابقتين. ﴿**يا أيّها**﴾ منادى مثل ما سبق في سورة الانفطار. ﴿**الإنسانُ**﴾ نعت لأيي باعتبار لفظها. ﴿**إنّك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كادح**﴾ خبرها. ﴿**إلى ربّك**﴾ متعلق بكادح. ﴿**كدحا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**فملاقيه**﴾ مرتب بالفاء معطوف على خبر إنّ ـ كادح ـ، وهو مرفوع بضمّة مقدّرة على الياء، والضمير المتصل به مضاف إليه. ﴿**فأمّا**﴾ أداة تفصيل والفاء للتفريع. ﴿**مَنْ**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أوتي**﴾ فعل ماض مبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**كتابَه**﴾ مفعول به، وجملة أوتى صلة مَنْ. ﴿**بيمينه**﴾ متعلق بأوتي ﴿**فسوف يحاسب**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، دخل عليه حرف التسويف، ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**حسابا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**يسيرا**﴾ نعت له، وجملة فسوف يحاسب خبر المبتدإ مَنْ. ﴿**وينقلب**﴾ فعل مضارع معطوف على يحاسب. ﴿**إلى أهله**﴾ متعلق بينقلب. ﴿**مسرورا**﴾ حال من الفاعل المستتر. ﴿**وأمّا من أوتي كتابه**﴾ معطوف على نظيره، وهو مثله في الإعراب. ﴿**وراء**﴾ منصوب على الظرفيّة متعلق بأوتي. ﴿**ظهره**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**فسوف يدعو**﴾ فعل مضارع دخل عليه

حرف التسويف. ﴿**ثبورا**﴾ مفعول به، وجملة فسوف يدعو ثبورا مثل فسوف يحاسب، خبر المبتدإ مَنْ. ﴿**ويُصلّى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**سعيرا**﴾ مفعول به. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على مَنْ. ﴿**في أهله**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**مسرورا**﴾ خبر كان، وجملة كان في أهله مسرورا خبر إنّ، وجملة إنّه كان في أهله مسرورا تعليلية لا محل لها من الإعراب. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ظنّ**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة خبر إنّ، وهي جملة تعليلية أيضا. ﴿**أنْ**﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿**لن يحور**﴾ فعل مضارع منصوب بلن، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، وجملة لن يحور خبر أنْ المخففة من الثقيلة، وأنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول سدّ مسدّ مفعولَيْ ظن. ﴿**بلى**﴾ حرف إيجاب. ﴿**إنّ ربَّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على مَنْ. ﴿**به**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**بصيرا**﴾ خبر كان، وجملة كان به بصيرا خبر إنّ، والجملة تعليلية كذلك. ﴿**فلا أقسم**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلّم. ﴿**بالشفق**﴾ متعلّق بأقسم، والجملة معقبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**والليل**﴾ معطوف على الشفق. ﴿**وما**﴾ معطوف على الليل. ﴿**وسق**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الليل، والجملة صلة ما. ﴿**والقمر**﴾ معطوف على الشفق. ﴿**إذا**﴾ متعلق بأقسم بالقمر حين. ﴿**اتسق**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على القمر. ﴿**لتركبُنّ**﴾ فعل مضارع مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال، والفاعل واو الجماعة المحذوف لالتقاء الساكنين، والنون الموجودة نون التوكيد الثقيلة، وأصل التركيب قبل وجود نون التوكيد «لتركبون»، فصار بعدها لتركبُنّ، بعد ما كانت لتركبونّ، حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال، وحذف واو الجماعة لالتقاء الساكنين

وإن ساكنان التقيا أكسر ما سبق وإن يكن لينا فحذفه أحق

﴿**طبقًا**﴾ مفعول به. ﴿**عن طبق**﴾ متعلق بمحذوف صفة لطبقا، أي: طبقا مجاوزًا لطبق. ﴿**فمالهم**﴾ ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، ولهم متعلق بمحذوف خبر المبتدإ، والجملة مرتبة بالفاء على ما قبلها. ﴿**لا يؤمنون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة حال من الضمير في لهم. ﴿**وإذا قرئ**﴾ فعل ماض مبنيّ للمجهول. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بقرئ. ﴿**القرآن**﴾ نائب الفاعل،

والجملة فعل شرط إذا. ﴿**لا يسجدون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، والجملة جواب شرط إذا، وجملة وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون في محل نصب حال، معطوفة على جملة لا يؤمنون الحالية. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب وعطف. ﴿**الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**يكذّبون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدإ ـ الذين ـ. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**أعلم**﴾ خبره. ﴿**بما**﴾ متعلق بأعلم. ﴿**يوعون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة. ﴿**فبشّرهم**﴾ أمر من الله إلى الرسول، والفاء للتعقيب، والضمير المتصل بالفعل مفعول به. ﴿**بعذاب**﴾ متعلق بفعل الأمر. ﴿**أليم**﴾ نعت لعذاب. ﴿**إلاّ الذين**﴾ في محل نصب على الاستثناء. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الموصول. ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ فعل وفاعل ومفعول، عطف على صلة الموصول. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**أجرٌ** ﴾مبتدأ مؤخر. ﴿**غير** ﴾نعت لأجر. ﴿**ممنون**﴾ مضاف إلى غير، وجملة لهم أجر مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إذا السماء انشقّت**﴾: فهذه السورة تكملة لمواضيع السور التي قبلها، والتي تحدث عن هذا الحدث الواقع لا محالة. ولما كانت سورة المطففين بيّنت حال نهاية المجرمين في الجحيم، وحال المؤمنين وهم ينظرون إلى المجرمين، والمؤمنون في النعيم، كانت هذه السورة تبين بداية الواقعة، ثم حال أهل اليمين، وحال أهل الشمال الذين يؤتون كتابهم وراء ظهورهم. وأسلوب هذه السورة أسلوب تصويري لكل ما يعرض من مشاهد، فمشهد السماء مشهد استسلام وخضوع، ثم مشاهد الأرض بمدها وانفتاحها وإخراج ما فيها بإرادتها، ثم تشترك مع السماء بما عليهما لربهما من حقوق، فتبدو السماء والأرض بهذا الأسلوب المصور ذواتي روح، وخليقتين من الأحياء تسمعان للأمر، وتلبيان على الفور، وتطيعان طاعة المعترف بالحق، المستسلم لمقتضاه استسلاما لا التواء فيه ولا إكراه. وفي هذا الجو الخاشع الطائع، يجيء النداء العلوى للإنسان، وأمامه الكون بسمائه وأرضه مستسلما لربه هذا الاستسلام... ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه**﴾: فهذا النداء جاء بعد جمل شرطية، يتحقق جوابها بأداة الشرط المفيدة للتحقيق، ولكن الجواب لم يذكر صراحة كما ذكر في سور التكوير

والانفطار، حذف هنا الجواب للتهويل والإيماء إلى قصور العبارة عن بيانه، فكدح الإنسان هذا يلقاه يوم يتحقق جواب إذا السماء انشقت، وإذا الأرض مدت، فظهر كل شيء كان خافيا في الأرض، ومنها كدح الإنسان الذي عبر عنه القرآن في سورة التكوير «علمت نفس ما أحضرت» وفي سورة الانفطار: «علمت نفس ما قدمت وأخرت». ثم يأتي التفريع على هذا بالتفصيل بهذا الأسلوب... **﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا. وينقلب إلى أهله مسرورا﴾**: وهذا تصوير عجيب!. فيصور السياق رجعة الناجي من الحساب، إلى مجموعته المتآلفة بعد الموقف العصيب، فليس شيء أحب إلى الإنسان من أن يرجع إلى أهله سالما فرحا مسرورا، مما كان يتوقعه ويخشاه!. وهو وضع يقابل وضع المعذب الهالك المأخوذ بعمله السيء، الذي يؤتى كتابه وهو كاره... **﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا﴾**: فهذه صورة جديدة تظهر في هذه السورة، صورة إعطاء الكتاب من وراء الظهر، فهي هيأة تدل على الهروب والتمنّع عمّا في الكتاب، فهذا التعيس الذي قضى حياته في الأرض كدحا، وقطع طريقه إلى ربّه كدحا ـ ولكن في المعصية والإثم والضلال ـ يدرك نهايته، ويواجه مصيره، فيدرك أنه العناء الطويل بلا توقف في هذه المرّة ولا انتهاء، فيدعو ثبورا، وينادى الهلاك لينقذه مما هو مُقدمٌ عليه من الشقاء، وحين يدعو الإنسانُ بالهلاك لينجو به، يكون في الموقف الذي ليس بعده ما يتقيه، حتى ليُصبح الهلاك أقصى أمانيه، فإنما هي التعاسة التي ليس بعدها تعاسة، والشقاء الذي ليس بعده شقاء... **﴿ويُصلّى سعيرا﴾**: فهذا هو الذي يدعو الهلاك لينقذه منه، وهيهات هيهات!. وأمام هذا المشهد التعيس يكرر السياق راجعا إلى ماضى هذا الشقي، الذي انتهي به إلى هذا الشقاء! ..**﴿إنّه كان في أهله مسرورا﴾**: فذلك كان في الدنيا، نعم كان، فنحن الآن ـ مع هذا القرآن ـ في يوم الحساب والجزاء، وقد خلّفنا الأرض وراءنا بعيدا في الزمان والمكان. وجملة... **﴿إنّه ظنّ أن لن يحور﴾**: تعليل لسروره في الدنيا... **﴿بلى إنّ ربّه كان به بصيرا﴾**: في بلى إيجاب لما بعد لن، وفي إنّ ربّه كان به بصيرا تحقيق وتعليل لقوله: إنّه ظنّ أن لن يحور، ولكن الحقيقة: أنّ ربّه كان مطلعا على أمره، محيطا بحقيقته، فلم يخف من أمره شيء... **﴿فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق. والقمر إذا اتسق. لتركبنّ طبقا عن طبق﴾**: فالشفق يظهر في الأفق، وفي الوقت الخاشع المرهوب عند الغروب!. والليل وما وسق،

فيه روعة تتّسق مع الشفق!. والقمر إذا اتّسق، وهو جوٌّ له صلة خفيّة بجو الشفق والليل وما وسق!. ففي هذه اللحظات وما فيها من تنقلات على مدار الأوقات يتنقل الإنسان فيها من حالات إلى حالات: لتركبن طبقا عن طبق، حتى تنتهي بهم إلى لقاء ربّهم بعد هذه الرحلات والانتقالات. وفي جو هذه الإيحاءات والمشاهد والجولات في الأرض والسماوات، يجيء التعجيب من أمر الناس الذين يقفون حائرين، وأمامهم هذا الحشد من الدلائل الموجبة للإيمان والانقياد لتوجيهات هذا القرآن. . . ﴿**فمالهم لا يؤمنون ؟!. وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ؟!. بل الذين كفروا يكذبون**﴾: فهذا أمر عجيب حقا، عندما يبين ما يفعله الكفر بأصحابه، بعدما يضرب السياق عن الاستفهام عن حال الناس مع هذا البيان الذي جاء به القرآن!. بل الذين كفروا يكذبون!. فالتكذيب طابعهم وميسمهم وطبعهم الأصيل. . . ﴿**والله أعلم بما يوعون. فبشرهم بعذاب أليم!. إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون**﴾: ففي هذا الكلام براعة المقطع، ويلتئم المقطع بالمطلع «يا أيّها الإنسان إنّك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه»، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**إذا السماء انشقّت. وأذنت لربها وحقّت. وإذا الأرض مدّت. وألقت ما فيها وتخلّت. وأذنت لربها وحقّت. يا أيها الإنسان إنّك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه**﴾: فهذه السورة تأتي هادئة الإيقاع جليلة الإيحاء، يغلب عليها هذا الطابع، حتى في مشاهد الانقلاب الكونيّة، التي عرضتها سورة التكوير في جوٍّ عاصف. سورة فيها لهجة التبصير المشفق الرحيم، خطوة خطوة في راحة ويسر، وفي إيحاء هادئٍ وعميق، والخطاب فيها أول ما يوجّه للإنسان. . . يا أيها الإنسان: ففيه تذكير واستجاشة للضمير. يا أيها الإنسان إنّك كادح حتى في متاعك، فأنت لا تبلغه في هذه الأرض إلاّ بجهد وكدّ ؛ إنّ لم يكن جهد بدن، وكدّ عمل، فهو جهد تفكير، وكدّ مشاعر، وإرهاق ضمير!. يا أيها الإنسان الذي امتاز بخصائص الإنسان، ألا فاختر لنفسك ما يليق بهذا الامتياز، الذي خصّك به الله، فاختر لنفسك الراحة من الكدح عندما تلقاه «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا. وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيدا». . . ﴿**فأمّا من أوتي**

كتابه بيمينه﴾: وهو من كان من أصحاب اليمين، الذين رجحت حسناتهم على سيّئاتهم... ﴿**فسوف يحاسب حسابا يسيرا. وينقلب إلى أهله مسرورا. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره**﴾: وهو من كان من أصحاب الشمال، وهم أصحاب المشأمة! ..﴿**فسوف يدعو ثبورا. ويصلّى سعيرا. إنه كان في أهله مسرورا. إنّه ظنّ أن لن يحور. بلى!. إنّ ربّه كان به بصيرا**﴾: وهناك فريق ثالث ؛ وهم المقرّبون، الذين سبقوا بالإيمان والعمل الصالح، من النبيئين والصدّيقين والشهداء والصالحين «أولئك المقرّبون في جنات النعيم. ثلة من الأولين وقليل من الآخرين». ثم يعود السياق إلى لمحات من هذا الكون الذي يعيش الناس فيه وهم غافلون عما تشير به هذه اللمحات من التدبير والتقدير، فيقدر بإحكام ما يتوارد عليهم من أحوال... ﴿**فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق. والقمر إذا اتّسق. لتركبنّ طبقا عن طبق**﴾: فهذه اللمحات الكونية التي يلوح بالقسم بها، لتوجيه القلب البشرى إليها، فتلقى إيحاءاتها وإيقاعاتها، لمحاتٌ ذات طابعٍ خاص، طابع يجمع بين الخشوع الساكن، والجلال المرهوب، وهي تتفق في ملامحها مع ملامح مطلع السورة ومشاهدها بصفة عامة، هذه اللمحات الكونية الجميلة الجليلة الرائعة المرهوبة الموحية؛ يلتقطها النص بهذا الأسلوب لقطات سريعة، ويخاطب بها القلب البشري الذي يغفل عن خطابها الكوني، ويلوح بالقسم بها، ليبرزها للمشاعر والضمائر في حيويتها وجمالها وإيحائها وإيقاعها ودلالتها، على اليد التي تمسك بأقدار هذا الكون، وترسم خطواته، وتبدّل أحواله، وأحوال الناس أيضا وهم غافلون، فيعبر السياق عن معاناة الأحوال المتعاقبة بركوبها، والتعبير بركوب الأمور والأخطار والأهوال والأحوال مألوف في التعبير العربي، وكأن هذه الأحوال مطايا يركبها الناس واحدة بعد واحدة، وكل منها تمضي بهم وفق مشيئة القدر، الذي يقودها ويقودهم في الطريق، فتنتهي بهم عند غاية تؤدّى إلى رأس مرحلة جديدة، ومقدّرة كذلك مرسومة؛ كتقديرهذه الأحوال المتعاقبة على الكون من الشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق، حتى تنتهي بهم إلى لقاء ربهم. فبهذا التتابع المتناسق في فقرات السورة، والانتقال اللطيف من معنى إلى معنى، ومن جولة إلى جولة ـ وهو سمة من سمات هذا القرآن البديع ـ، وفي ظل هذه اللمحات الأخيرة، والمشاهد والجولات السابقة لها في السورة التعجيب من أمر الناس الذين لا يؤمنون، وأمامهم هذا الحشد من موجبات الإيمان ودلائله في

أنفسهم وفي الوجود. . . ﴿**فمالهم لا يؤمنون**﴾؟! : فموجبات الإيمان في لمحات الوجود وفي أحوال النفوس، تواجه القلب البشرى حيثما توجّه ؛ وتتكاثر عليه أينما كان، وهي من الكثرة والعمق والقوة والثقل في ميزان الحقيقة ؛ بحيث تحاصر هذا القلب لو أراد التفلّت منها، بينما هي تناجيه وتناغيه وتناديه حيثما ألقى بسمعه وقلبه إليها! .﴿**فمالهم لا يؤمنون؟!.. وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون**﴾: وهو يناديهم ويخاطبهم بلغة الفطرة، ويَفْتحُ قلوبَهم على موجبات الإيمان ودلائله في الأنفس والآفاق، ويستجيش في هذه القلوب مشاعر التقوى والخشوع والطاعة والخضوع لبارئ الوجود، وهو السجود. إنّ هذا الكون جميل وموحٍ، وفيه من اللمحات والومضات واللحظات والسبحات ما يستجيش في القلب البشري أسمى مشاعر الاستجابة والخشوع!، وإن هذا القرآن جميل وموحٍ، وفيه من اللمسات والموحيات ما يصل القلب البشري بالوجود الجميل. إنه لأمرٌ عجيب حقا يضرب عنه السياق ليأخذ في بيان حقيقة حال الكفار، وما ينتظرهم من مآل. . . ﴿**بل الذين كفروا يكذبون**﴾: فالكفار من الناس لا يؤمنون ؛ لأنهم رفضوا هذا الدليل القاطع المقنع؛ وسلكوا سبيل العناد فأعرضوا عن الحقائق، فهم يكذّبون بعد وضوح الدليل، وظهور معالم السبيل، فالله أعلم بما يكنّون في صدورهم، ويضمون عليه جوانحهم من شر وسوء ودوافع لهذا التكذيب. . . ﴿**والله أعلم بما يوعون!. فبشرهم بعذاب أليم**﴾: فهذا التهكم يثير التعجيب من حالهم والترهيب من مآلهم. . . ﴿**إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون**﴾: لكن مصير الذين آمنوا وعملوا الصالحات غير مصير المكذبين المعرضين عن هذا القرآن الذي دعا الناس إلى اتباع منهجه القويم!.

8 ـ موضوع سورة البروج، بيان من هو في دركات الحضيض، ومن هو في درجات العروج!



النص

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج (1) واليوم الموعود (2) وشاهد ومشهود (3) قتل أصحاب الأخدود (4) النار ذات الوقود (5) إذ هم عليها قعود (6) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (7) وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (8) الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد (9) إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق (10) إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير (11)

* إن بطش ربك لشديد (12) إنه هو يبدئ ويعيد (13) وهو الغفور الودود (14) ذو العرش المجيد (15) فعال لما يريد (16) هل أتاك حديث الجنود (17) فرعون وثمود (18) بل الذين كفروا في تكذيب (19) والله من ورائهم محيط (20) بل هو قرءان مجيد (21) في لوح محفوظ (22)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**والسماء ذات البروج**﴾: البروج: جمع برج، وهو ما ظهر في السماء من كواكب ونجوم... ﴿**واليوم الموعود**﴾: اليوم الموعود: هو يوم القيامة... ﴿**وشاهد ومشهود**﴾: الشاهد: هو من يشهد من الخلائق، والمشهود: هو ما يشاهد فيه من العجائب... ﴿**قتل أصحاب الأخدود**﴾: الأخدود جمع خدّ، وهو الشقّ في الأرض... ﴿**النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السماوات والأرض. والله على كل شيء شهيد. إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات. ثمّ لم يتوبوا. فلهم عذاب جهنّم ولهم عذاب الحريق. إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات. لهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار. ذلك الفوز الكبير. إنّ بطش ربّك لشديد**﴾: البطش: «الأخذ بعنف، إنّ أخذه أليم شديد»... ﴿**إنّه هو يبدئ ويعيد**﴾، «فهو يبدئ الخلق ثم يعيده»... ﴿**وهو الغفور الودود**﴾: الودود: كثير الودّ لمن أطاعه... ﴿**ذو العرش المجيد. فعال لما يريد. هل أتاك حديث الجنود. فرعون وثمود**﴾: قد أتاك خبر هؤلاء الجنود... ﴿**بل الذين كفروا في تكذيب. والله من ورائهم محيط. بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ**﴾: أكثر كلمات السورة واضح لا يحتاج إلى بيان.

مبحث الإعراب

﴿**والسماء**﴾ قسم مجرور بالواو. ﴿**ذات**﴾ نعت للسماء. ﴿**البروج**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**واليوم**﴾ معطوف على السماء. ﴿**الموعود**﴾ نعت لليوم. ﴿**وشاهدٍ ومشهودٍ**﴾ معطوفان على السماء. ﴿**قتل**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**أصحابُ**﴾ نائب فاعل. ﴿**الأخدود**﴾ مضاف إلى أصحاب، جملة دعائية دالة على جواب القسم. ﴿**النار**﴾ بدل من الأخدود. ﴿**ذات**﴾ نعت للنار. ﴿**الوقود**﴾ مضاف لذات. ﴿**إذ**﴾ في محل نصب ظرف متعلق بقتل. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عليها**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**قعود**﴾ خبر المبتدإ، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**وهم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**على ما**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**يفعلون**﴾ فعل

وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**بالمؤمنين**﴾ متعلق بيفعلون. ﴿**شهود**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**وما نقموا**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي، وواو العطف. ﴿**منهم**﴾ متعلق بنقموا. ﴿**إلاّ أن يؤمنوا**﴾ فعل وفاعل دخلت عليه أن المصدرية الناصبة، وأداة الاستثناء. ﴿**بالله**﴾ متعلق بيؤمنوا. ﴿**العزيز**﴾ عطف بيان لله. ﴿**الحميد**﴾ كذلك. ﴿**الذي**﴾ في محل جر صفة لله أيضا. ﴿**له**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**ملكُ**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**السماوات**﴾ مضاف إلى ملك. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماوات. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**على كل**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**شيء**﴾ معطوف على كل. ﴿**شهيد**﴾ خبر المبتدإ، والجملة تذييل. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**فتنوا المؤمنين**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول. ﴿**والمؤمنات**﴾ معطوف على المؤمنين. ﴿**ثمّ لم يتوبوا**﴾ فعل وفاعل، دخلت عليه لم النافية الجازمة، وثم العاطفة. ﴿**فلهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**عذاب**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**جهنّم**﴾ مضاف إلى عذاب مجرور بالفتحة، وجملة فلهم عذاب جهنّم خبر إنّ، وقرنت بالفاء لمشابهتها الشرط. ﴿**ولهم عذاب**﴾ معطوف على لهم عذاب جهنّم، وهو مثله في الإعراب. ﴿**الحريق**﴾ مضاف إلى العذاب. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**وعملوا**﴾ معطوف على الصلة. ﴿**الصالحات**﴾ مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿**لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿**جنّاتٌ**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر إنّ. ﴿**تجري**﴾ فعل مضارع. ﴿**من تحتها**﴾ متعلق بتجري. ﴿**الأنهار**﴾ فاعل، والجملة نعت لجنّات. ﴿**ذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الفوز**﴾ خبره. ﴿**الكبير**﴾ نعت للفوز. ﴿**إنّ بطش**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ربّك**﴾ مضاف إلى بطش. ﴿**لشديدٌ**﴾ خبر إنّ، واللام لتقوية الخبر. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصل. ﴿**يبدئ**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على ربّك. ﴿**ويعيد**﴾ معطوف على يبدئ. ﴿**وهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**الغفورُ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**الودود**﴾ خبر ثان. ﴿**ذو**﴾ خبر ثالث مرفوع بالواو. ﴿**العرش**﴾ مضاف إلى ذو. ﴿**المجيدُ**﴾ خبر رابع. ﴿**فعّال**﴾ خبر خامس. ﴿**لما**﴾ متعلق بفعّال. ﴿**يريد**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على ربك، والجملة صلة ما. ﴿**هل أتاك**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، وهل بمعنى قد. ﴿**حديث**﴾ فاعل. ﴿**الجنود**﴾ مضاف إلى حديث. ﴿**فرعون**﴾ بدل من الجنود مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿**وثمود**﴾ معطوف على فرعون، وجر بالفتحة للعلمية والتأنيث.

﴿**بل الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ، معطوف ببل على ما قبله. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**في تكذيب**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**والله**﴾ مبتدأ. ﴿**من ورائهم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**محيطٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب وعطف. ﴿**هو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**قرآنٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**مجيدٌ**﴾ نعت لقرآن. ﴿**في لوح**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**محفوظٌ**﴾ نعت للقرآن.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والسماء ذات البروج**﴾: فهذه السورة لها علاقة بالسورة التي قبلها، من حيث مصير المؤمنين، ومصير الكافرين في الآخرة، ومن حيث موقف المؤمنين بالصبر على تعذيب الكافرين إيّاهم في الدنيا. فوردت هذه السورة لتثبيت المؤمنين في مكّة على ما هم عليه من الإيمان ؛ وتصبيرهم على أذيّة الكفرة من قريش، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان، وصبرهم على ذلك، حتى يتأسّوا بهم، ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن هؤلاء عند الله بمنزلة أولئك المنتقمين من المؤمنين، ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل في أولئك، فتبدأ السورة بهذا القسم... ﴿**والسماء ذات البروج. واليوم الموعود. وشاهد ومشهود. قتل أصحاب الأخدود**﴾: فيربط السياق في هذا القسم وجوابه بين السماء وما فيها من بروج هائلة، واليوم الموعود وأحداثه الضخام، والحشود التي تشهده والأحداث المشهودة فيه العظام، فيربط السياق بين هذا كله، وبين حادث أصحاب الأخدود، ونقمة السماء على أصحابه البغاة الطغاة بهذا الانتقام!. ثم يعرض السياق المشهد المفزع المفجع... ﴿**النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود**﴾: فيعرضه في لمحات خاطفة تودع المشاعر بشاعة الحادث بدون تفصيل ولا تطويل، مع التلميح إلى عظمة العقيدة التي تعالت على فتنة الناس مع شدّتها، وانتصرت على النار وعلى الحياة ذاتها، وارتفعت إلى الأوج الذي يُشرّف الإنسان في أجياله جميعا، والتلميح إلى بشاعة الفعلة وما يكمن فيها من بغي وشر وتسفل في الحضيض!. حيث فقدوا إنسانيتهم بما فعلوا وما شهدوا من التأييد والتحريض... ﴿**وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود!. وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السماوات والأرض**﴾: هذا تعقيب على ذلك الحادث، يصوره السياق في أظهر صورة بعيدة عن هذا

الحادث الأليم!، ولكن الله لا يخفي عليه ما فعل هؤلاء، وسيجازيهم بما هو أشد وأنكى، مما لا يخطرعلى بال أحد... **﴿والله على كل شيء شهيد. إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات. ثم لم يتوبوا. فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾**: والجزاء من جنس العمل، فكان ذلك جزاء وفاقا!. فمع وعيد الكافرين وعدُ المؤمنين... **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾**!. **﴿إنّ بطش ربك لشديد﴾**: استئناف معلل للوعيد الذي يستحقه الطغاة المجرمون، فهو خطاب موجه إلى الرسول إيذانا بأن لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه؛ كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية ـ ربك ـ، مع الإضافة إلى ضمير المخاطب ـ الرسول ـ، والبطش الأخذ بعنف حيث وصف بالشدّة، فقد تضاعف وتفاقم. وجملة... **﴿إنّه هو يبدئ ويعيد﴾**: فيها مزيد تقرير لشدة بطشه... **﴿وهو الغفور الودود. ذو العرش المجيد. فعال لما يريد﴾**: هذه صفات تصور الهيمنة المطلقة والقدرة الشاملة والإرادة الكاملة، فكلها ذات اتصال بالحادث... **﴿هل أتاك حديث الجنود: فرعون وثمود﴾**: استئناف معزز لشدة بطش الله تعالى بالظلمة الطغاة، والكفرة العتاة، وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسلية الرسول بالإشعار بأنّه سيصيب قومه ما أصاب الجنود. وجملة... **﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾**: انتقال بالإضراب عن مماثلتهم لهم، وبيان لكونهم أشدّ منهم في الكفر والطغيان. وجملة... **﴿والله من ورائهم محيط﴾**: تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى. وجملة... **﴿بل هو قرآن مجيد﴾**: رد لكفرهم، وإبطال لتكذيبهم، وتحقيق للحق. وجملة... **﴿في لوح محفوظ﴾**: تذييل مقرر لمضمون ما قبله، وفي هذا الكلام مسك الختام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿والسماء ذات البروج. واليوم الموعود. وشاهد ومشهود. قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود﴾: ففي هذا القسم وجوابه حادث أصحاب الأخدود: وَهْوَ أنّ فئة من المؤمنين السابقين على الإسلام ابتلوا بأعداء لهم طغاةٍ قساةٍ شرّيرين، أرادوا إجبارهم على ترك عقيدتهم والاِرتداد عن دينهم، فأبوا وتمنّعوا بعقيدتهم، فشق الطغاة لهم شقًّا في الأرض، وأوقدوا فيه النار، وكبّوا فيه جماعة المؤمنين، فماتوا حرقا، على مرأى من الجموع التي حشدها المتسلطون،

لتشهد مصرع الفئة المؤمنة بهذه الطريقة البشعة! ..﴿**وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود**﴾: وما كان للمؤمنين المعذّبين بهذه النار من ذنب عندهم ولا ثأر. . . ﴿**وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السماوات والأرض**﴾: فهذه جريمتهم ؛ أنّهم آمنوا بالله العزيز الحميد، الذي له ملك السماوات والأرض. ثم هو الشهيد على ما كان من أمر المؤمنين وأصحاب الأخدود. . . ﴿**والله على كل شيء شهيد**﴾: فهذا ما حدث في الدنيا، أما ما يأتي بعد، فله حديث مفصل في نهاية المطاف. . . ﴿**إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات**﴾: ومضوا في ضلالتهم سادرين، لم يندموا على ما فعلوا. . . ﴿**ثم لم يتوبوا. فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق**﴾: فالحريق هنا في الآخرة مقابل لحريقهم هناك في الدنيا، ولكن أين حريق من حريق؟. فحريق الدنيا بنار يوقدها الخلق، وحريق الآخرة بنار يوقدها الخالق، وحريق الدنيا لحظات وتنتهي، وحريق الآخرة أحقاب لايعلمها إلاّ الله!.. ﴿**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار**﴾: فهذه الجنّات الوارفة والأنهار المتدفقة تقابل عذاب جهنم وعذاب الحريق، فهذه هي النجاة وهذا هو الفلاح والنجاح. . . ﴿**ذلك الفوز الكبير**﴾: فبهذه الخاتمة يستقر الأمر في نصابه، وهي الخاتمة الحقيقية للموقف، فلم يكن ما وقع في الأرض إلاّ طرفًا من أطرافه لا يتم به تمامه، وهذه هي الحقيقة التي يهدف هذا التعقيب الأول على الحادث، لتستقر في قلوب القلّة المؤمنة في مكّة، وفي قلوب كل فئة مؤمنة تتعرّض للفتنة على مدار القرون. ثمّ تتوالى التعقيبات. . . ﴿**إنّ بطش ربك لشديد**﴾: وإظهار حقيقة البطش وشدّته في هذا الموضع، هو الذي يناسب ما مر في الحادث من مظهر البطش الصغير الهزيل الذي يحسبه أصحابه، ويحسبه الناس في الأرض كبيرا شديدا، فالبطش الشديد هو بطش الجبّار، الذي له ملك السماوات والأرض ؛ لابطش الضعاف المهازيل الذين يتسلطون على رقعة من الأرض محدودة، في برهة من الزمان معدودة. ويظهر التعبير العلاقة بين المخاطب ـ الرسول ـ والقائل ـ ربه ـ وهو يقول له. . . إنّ بطش ربك لشديد، فهو ربك الذي تنتسب إلى ربوبيته، وهو سندك الذي تركن إلى معونته، ولهذه النسبة قيمتها في هذا المجال الذي يبطش فيه الفجّار بالمؤمنين! ..﴿**إنّه هو يبدئ ويعيد**﴾: البدء والإعادة، وإن اتجه معناهما الكلي إلى النشأة الأولى والنشأة الآخرة، إلاّ أنّهما حدثان دائبان في كل لحظة من ليل أو نهار، ففي كل لحظة بدْء وإنشاء، وفي كل لحظة إعادة لما بلي ومات، والكون كله في تجدد مستمر، وفي بلى مستمر. وفي ظل هذه الحركة

الدائبة الشاملة من البدء والإعادة يبدو حادث الأخدود ونتائجه الظاهرة، مسألة عابرة في واقع الأمر وحقيقة التقدير، فهو بدْء لإعادة، أو إعادة لبدْء في هذه الحركة الدائبة الدائرة! ..﴿**وهو الغفور الودود**﴾: المغفرة تتصل بقوله من قبل: ثمّ لم يتوبوا، فهي من الرحمة والفضل الفائض بلا حدود ولا قيود، وهي الباب المفتوح الذي لا يغلق في وجه عائد تائب ـ ولو عظم الذنب وكبرت المعصية ـ أما الودّ، فيتصل بموقف المؤمنين الذين اختاروا ربهم على كل شيء. . . ﴿**ذو العرش المجيد**﴾: العالي المهيمن على كل شيء. . . ﴿**فعال لما يريد**﴾: هو مطلق الإرادة، يختار ما يشاء، ويفعل ما يريد. . . دائما أبدا. . . فتلك صفته. يريد مرّة أن ينتصر المؤمنون به في هذه الأرض لحكمة يريدها، ويريد مرّة أن ينتصر الإيمان على الفتنة، وتذهب الأجسام الفانية لحكمة يريدها، يريد مرّة أن يأخذ الجبارين في الأرض، ويريد مرّة أن يمهلهم لليوم الموعود، لحكمة تتحقّق هنا، وتتحقّق هناك. فهذا طرف من فعله لما يريد يناسب الحادث، ويناسب ما سيأتي من حديث فرعون وثمود. وتبقى حقيقة الإرادة الطليقة والقدرة المطلقة وراء الأحداث، ووراء الحياة والكون تفعل فعلها في الوجود. . . فعّال لما يريد: وهاك نموذجا من فعله لما يريد. . . ﴿**هل أتاك حديث الجنود. فرعون وثمود**﴾: فهذا إشارة إلى قصتين طويلتين ارتكانا إلى المعلوم من أمرهما للمخاطبين، بعدما ورد ذكرهما كثيرا في القرآن الكريم، وكلمة الجنود إشارة إلى قوتهم واستعدادهم، وهما حديثان مختلفان في طبيعتهما، وفي نتائجهما، فأما حديث فرعون فقد أهلكه الله وجنده، ونجّى بني اسرائيل؛ ليكون عليهم حجّة لانحرافهم وتمرّدهم، وأما حديث ثمود فقد أهلكهم الله جميعا، وأنجى صالحا والذين آمنوا معه برحمة منه تعالى، وهما النموذجان لفعل الإرادة، وتوجّه المشيئة، وصورتان من صور الدعوة إلى الله واحتمالاتهما المتوقعة، إلى جانب الاحتمال الثالث الذي وقع في حادث الأخدود، وكلها يعرضها القرآن للقلّة المؤمنة في مكّة، ولكل جيل من أجيال المؤمنين. وفي الختام يجيء إيقاعان قويان جازمان ؛ في كل منهما تقرير وكلمة فصل وحكم أخير. . . ﴿**بل الذين كفروا في تكذيب**﴾: فشأن الكفّار وحقيقة حالهم أنّهم في تكذيب يُمسون به ويصبحون. . . ﴿**والله من ورائهم محيط**﴾: وهم غافلون عما يحيط بهم من قهر الله وعلمه، فهم أضعف من الفئران المحصورة في أضيق محيط. . . ﴿**بل هو قرآن مجيد**﴾: فهل أمجد وأرفع وأعرق من قول الله العظيم؟! ..﴿**في لوح محفوظ**﴾، فهو مصون ثابت مكتوب في السطور، محفوظ في الصدور.

9 ـ موضوع سورة الطارق، بيان ما فيها من التّحدّى الخارق!..



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿1﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿2﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿3﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿4﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿5﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿6﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿7﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿8﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿9﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿10﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿11﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿12﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿13﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿14﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿15﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿16﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿والسماء والطارق. وما أدراك ما الطارق﴾: الطارق: اسم فاعل، ومصدره الطرق، ويطلق على كل من يأتي ليلا ؛ لأنّه يطرق الباب غالبا، ثمّ اتُّسع فيه، وأُطلق على كل ما ظهر بالليل، والمراد به هنا، كل نجم ظهر بالليل. . . **﴿النجم**

﴿الثاقب﴾: الثاقب: اسم فاعل، وهو النجم الذي ينقب الظلام بضوئه، فينفذ فيه... **﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾**: إنّ الشأن، كلّ نفس لَعَلَيْها حَافِظُ... **﴿فلينظر الإنسان ممّ خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب﴾**: الماء الدافق: ماء الرجل والمرأة، يخرج مندفعا منصبا في الرحم، وهو يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة... **﴿إنّه على رجعه لقادر﴾**: إنّ الخالق سبحانه لقادر على إعادة الإنسان بعد موته... **﴿يوم تُبلى السرائرُ﴾**: لقادر على رجعه في ذلك اليوم الذي تختبر فيه الأعمال، فتظهر على حقيقتها، وينكشف كل ما خفي منها في الدنيا... **﴿فماله من قوة ولا ناصر﴾**: فليس للإنسان الكافر قوة يمنع بها نفسه، ولا ناصر يحميه ويقيه! ..**﴿والسماء ذات الرجع﴾**: والسحاب الذي يرجع الماء إلى الأرض... **﴿والأرض ذات الصدع﴾**: الأرض تتشقق بالنبات... **﴿إنّه﴾**: أي: القرآن... **﴿لقول فصل﴾**: مصدره مراد به اسم الفاعل، أى: فاصل بين الحق والباطل... **﴿وما هو بالهزل﴾**: الهزل: الكلام الذي لا طائل تحته، وليس فيه معنى الجد والتصميم... **﴿إنهم﴾**: مشركي مكّة... **﴿يكيدون كيدا. وأكيد كيدا﴾**. **﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾**: أمهلْهم إمهالا قريبا، ورويد تصغير رُود، وهو تصغير تحقير وتقليل!.

مبحث الإعراب

﴿والسماء﴾ قسم مجرور بالكسرة. **﴿والطارق﴾** معطوف عليه. **﴿وما﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿أدراك﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة خبر المبتدإ. **﴿ما﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿الطارق﴾** خبره، وجملة ما الطارق في محل نصب مفعول بأدراك. **﴿النجم﴾** خبر لمبتدإ محذوف، أي: هو النجم. **﴿الثاقب﴾** نعت للنجم. **﴿إنْ﴾** مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. **﴿كلّ﴾** مبتدأ. **﴿نفسٍ﴾** مضاف إلى كل. **﴿لَمَا﴾** اللام لتوكيد الخبر، وما صلة. **﴿عليها﴾** متعلق بمحذوف خبر مقدم. **﴿حافظ﴾** مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدإ، والمبتدأ وخبره جواب القسم، وجملة كل نفس لما عليها حافظ خبر إن المخففة. **﴿فلينظر﴾** فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والفاء للترتيب والتعقيب. **﴿الإنسان﴾** فاعل. **﴿مم﴾** حذف ألف ما الاستفهامية لدخول حرف الجر. **﴿خلق﴾** فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير

يعود على الإنسان، ومم متعلق بخلق، والجملة في محل نصب مفعول ينظر. ﴿**خُلِقَ**﴾ مثل نظيره السابق في الإعراب، وهو بيان لما قبله. ﴿**من ماء**﴾ متعلق بخُلق. ﴿**دافق**﴾ نعت لماء. ﴿**يخرج**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على ماء دافق. ﴿**من بين**﴾ متعلق بيخرج، وجملة يخرج بيان لماء دافق. ﴿**الصلب**﴾ مضاف إلى بين. ﴿**والترائب**﴾ معطوف على الصلب. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**على رجعه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**لقادر**﴾ خبر إنّ، واللام لتوكيد الخبر. ﴿**يومَ**﴾ ظرف متعلق برجعه. ﴿**تبلى**﴾ السرائر الفعل ونائب الفاعل في محل جر مضاف إلى يوم. ﴿**فماله**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم، وما نافية، والفاء للتعقيب. ﴿**من قوة**﴾ خبر مؤخّر دخل عليه حرف الجر الزائد، فجُرَّ لفظا ورفع محلا. ﴿**ولا ناصر**﴾ معطوف على ما قبله باعتبار لفظه. ﴿**والسماء**﴾ قسم. ﴿**ذات**﴾ نعت للسماء. ﴿**الرجع**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**والأرض**﴾ معطوف على السماء. ﴿**ذات الصدع**﴾ مثل ذات الرجع. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لقول**﴾ خبر إنّ. ﴿**فصل**﴾ نعت لقول. ﴿**وما**﴾ تعمل عمل ليس. ﴿**هو**﴾ في محل رفع اسم ما. ﴿**بالهزل**﴾ خبر ما، جر بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**إنّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**يكيدون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر إنّ. ﴿**كيدا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وأكيد**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلم، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**كيدا**﴾ مثل نظيره السابق. ﴿**فمهّل**﴾ أمر موجه إلى الرسول، والفاء للتعقيب. ﴿**الكافرين**﴾ مفعول به. ﴿**أمهلهم**﴾ بدل من مهّل. ﴿**رُوَيْدًا**﴾ مفعول مطلق مؤكد لما قبله.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والسماء والطارق**﴾: فهذه السورة لها علاقة بالسورة التي قبلها من عدة أوجه: القسم بالسماء على حقيقة البعث ومسؤولية الإنسان، وحقيقة القرآن وما فيه من بيان. وكل من السورتين فيهما ذكر النجوم بمقارها وأوصافها، «والسماء ذات البروج»... ﴿**والسماء والطارق. وما أدراك ما الطارق ؟. النجم الثاقب**﴾: وجملة... ﴿**إن كل نفس لما عليها حافظ**﴾: جواب القسم، كما أن قتل أصحاب الأخدود جواب قسم السورة السابقة، وكل من الجوابين يتعلق بالإنسان الغافل الناكر! ..﴿**فلينظر الإنسان مم خلق ؟!. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب**﴾: ففي هذا الأسلوب إعجاز علمي، علم أخيرا عندما تقدم العلم،

فظهرت حقائق لم يعلمها السابقون، «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحقّ». . . ﴿**إنّه على رجعه لقادر**﴾: إن الله تعالى قادر على إعادة الإنسان بعد الموت إلى الحياة الآخرة. . . ﴿**يوم تبلى السرائر**﴾، فتنكشف وتظهر كل ما خفي في غيابات الأسرار ؛ كما ينفذ الطارق من خلال الظلام الساتر، وكما ينفذ الحافظ إلى النفس الملفقة بالسواتر ؛ كذلك تبلى السرائر يوم يتجرد الإنسان من كل قوة ومن كل ناصر. . . ﴿**فما له من قوة ولا ناصر**﴾: والسياق هنا ينتقل من الكون والنفس إلى نشأة الإنسان ورحلته العجيبة إلى نهاية المطاف هنالك ؛ حيث ينكشف ستره ويظهر سرّه ويتجرد من القوة والنصير. . . ﴿**والسماء ذات الرجع. والأرض ذات الصدع. إنّه لقول فصل وما هو بالهزل**﴾: فهذا مشهد قريب الشبه بالطارق، النجم الثاقب، وهو يشق الحجب والستائر ؛ كما أنه قريب الشبه بابتلاء السرائر، وكشف الستائر، صنعة واحدة تشير إلى الخالق الواحد. . . إنّهم يكيدون كيدا: ﴿**إنّهم**﴾: هؤلاء الذين خلقوا من ماء دافق، إنّهم هؤلاء ﴿**يكيدون كيدا**﴾!. وأنا: المنشئ الهادى الحافظ، خالق السماء والطارق، وخالق الماء الدافق، والإنسان الناطق. . . ﴿**وأكيد كيدا**﴾: أنا الله، فهذا كيد، وذاك كيد، فهذه هي المعركة. . . ﴿**فمهل الكافرين. أمهلم رويدا**﴾: ففي هذا التعبير بهذا الأسلوب تفخيم شأن الرسول ﷺ وإيناس وتسلية، لا يخفي على أساطين البلاغة ورواد البيان، وليس بعد هذا البيان بيان، وبهذا الكلام رد العجز على الصدر يكون الإنسان تحت الرعاية والحفظ، وسيرجع في نهاية المطاف إلى البعث والجزاء على العمل، وفيه براعة المقطع ؛ مع ما في البداية من براعة المطلع!..

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**والسماء والطارق. وما أدراك ما الطارق. النجم الثاقب. إن كل نفس لما عليها حافظ**﴾: فهذه السورة تتعلق بالإنسان من منشئه في الدنيا، ثم نهايته في الآخرة، وما يعتريه في الدنيا من رعاية ومراقبة، وفي الآخرة من جزاء على ما ينكشف من الأسرار والخفايا، بما يترتب عليها من مثوبة أو معاقبة. فيبتدئ السياق فيها بالقسم بالسماء وما فيها من نجوم بادية، وأسرار خافية. ثم يخلص السياق من هذه اللفتة التي تصل النفس بالكون، إلى لمحة أخرى تؤكد حقيقة التقدير والتدبير التي أقسم الله عليها بالسماء والطارق، فهذه نشأة الإنسان الأولى تدل على هذه

الحقيقة، وتوحى بأن الإنسان ليس متروكا سدى، ولا مهملا ضياعا. . . ﴿**فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب**﴾:

فلينظر الإنسان من أىّ شيء خلق، وإلى أىّ شيء صار، إنّه خلق من هذا الماء المهين الذي يجتمع من صلب الرجل، وهو عظام ظهره الفقارية المتكونة فيه الخلايا المنوية، ومن ترائب المرأة، وهي عظام صدرها المتكون فيها الخلايا البيضوية التي تمد الخليّة المنوية بالغذاء، فماء الرجل يكون ذات الجنين، وماء المرأة يقوم بما يلزمه من غذاء لنموه. فقد كان هذا سرا مكنونا لم يُدوّن في كتب العلماء، حتى ظهر في هذه السنين الأخيرة، حيث اطلع بعض العلماء على هذه الحقيقة بطريقته، وبيّن أنّه في عظام الظهر الفقارية يتكون ماء الرجل، وفي عظام الصدر العلوية يتكون ماء المرأة، حيث يلتقيان في قرار مكين، فينشأ منهما الإنسان، ثم يستمر في إمداد غذائه من دم الأم عندما يكون جنينا، ومن لبنها عندما يخرج طفلا. والمسافة الهائلة بين المنشأ والمصير، بين الماء الدافق إلى الإنسان الناطق، توحي بأنّ في هذا الشأن يدا خارج ذات الإنسان، هي التي تدفع بهذا الشيء المائع الذي لا قوام له ولا إرادة ولا قدرة في طريق الرحلة الطويلة العجيبة الهائلة، حتى تنتهي به إلى هذه النهاية الماثلة، ووراء هذه الرحلة حشود لا تحصى من العجائب والغرائب في خصائص الأجهزة والأعضاء، تشهد كلها بالتقدير والتدبير، وتؤكد الحقيقة الأولى التي أقسم عليها بالسماء والطارق، كما تمهد للحقيقة التالية: حقيقة النشأة الآخرة التي لا يصدقها المشركون المخاطبون أول مرّة بهذه السورة. . . ﴿**إنّه على رجعه لقادر**﴾: فتشهد النشأة الأولى بقدرة الله تعالى ؛ كما تشهد بتقديره وتدبيره، فهذه النشأة البالغة الدقة والحكمة تذهب كلها عبثا إذا لم تكن هناك رجعة لتُختبر السرائر، وتجزى جزاءها العادل. . . ﴿**يوم تبلى السرائر**﴾: فيومها يتجرد الإنسان من كل قوة ومن كل ناصر. . . ﴿**فماله من قوة ولا ناصر**﴾: ثم لعل طائفا من شك أو بقية من ريب تكون باقية في النفس، فمن ثمّ يجزم جزما بأنّ هذا القول هو القول الفصل. ويربط بين هذا القول وبين مشاهد الكون ؛ كما صنع في مطلع السورة. . . ﴿**والسماء ذات الرجع. والأرض ذات الصدع. إنّه لقول فصل وما هو بالهزل**﴾: فماء المطر يرجع من السحاب، والنبات يخرج من الأرض أشبه شيء بالماء الدافق من الصلب والترائب، والجنين المنبثق من ظلمات الرحم. فالحياة هي الحياة، والمشهد هو المشهد، والحركة

هي الحركة ؛ نظام ثابت، وصنعة مُعلّمة، تدل على الصانع القادر الحكيم القاهر!. وهذا القسم يؤكّد أنّ هذا القرآن الذي جاء بهذه العلوم الغيبية التي ليس للبشر فيها فتيل ولا نقير، فهو القول الفصل الذي لا يلتبس به الهزل، القول الفصل الذي ينهي كل قول وكل جدل وكل شك، القول الذي ليس بعده قول. ثم بعد هذا القول الفصل لازال المشركون والكافرون والملحدون، مترددين شاكين معارضين، يحاولون بكل ما لديهم من كيد وحيلة ضمن هذا القول الفصل... ﴿**إنهم يكيدون كيدا**﴾: فهل يبلغون ما يريدون ؟!.. ﴿**وأكيد كيدا**﴾: فهل هذا الكيد مثل ذاك الكيد ؟!. لا!. فليس مع كيد الله ـ بطشه، وقهره، وجبروته، وانتقامه ـ كيد!.. ﴿**فمهّل الكافرين أمهلهم رويدا**﴾: فبهذا التوجيه تظهر قيمة الرسول ﷺ حيث يشركه ربه في الأمر: كأنّما يقول له: أنت مأذون في أمرهم، ولكن أمهلهم، أمهلهم رويدا!.

10 ـ سورة الأعلى،
تجمع بين القرآن والصحف الأولى



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (3)
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (4) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (5) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ (6)
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (7) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (8)
فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (9) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (10) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (11)
الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (12) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (13) قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (14)
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰ (17) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (19)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوّى. والذى قدّر فهدى. والذى أخرج المرعى. فجعله غثاءً أحوى**﴾: الغثاء: البالي الهالك من النبات، والأحوى: الأسود... ﴿**سنقرئك. فلا تنسى. إلاّ ما شاء الله. إنّه يعلم الجهر وما يخفى.**

ونيسّرك لليسرى﴾: نوفّقك توفيقا مستمرًا للطريقة اليسرى السهلة... **﴿فذكّر إن نفعت الذكرى. سيذّكر من يخشى. ويتجنبها الأشقى. الذي يصلى النار الكبرى. ثمّ لا يموت فيها ولا يحيى. قد أفلح من تزكّى. وذكر اسم ربه فصلى. بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى. إنّ هذا لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى﴾**: كلمات هذه السورة أكثرها واضحة لا تحتاج إلى بيان!.

مبحث الإعراب

﴿سبح﴾ أمر موجّه إلى الرسول. **﴿اسم﴾** مفعول به. **﴿ربّك﴾** مضاف إلى اسم. **﴿الأعلى﴾** بيان لربك. **﴿الذي﴾** في محل رفع خبر لمبتدإ محذوف، والجملة وصف ثان لربك. **﴿خلق﴾** فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلة الموصول. **﴿فسوى﴾** مرتب بالفاء على خلق. **﴿والذى قدّر﴾** معطوف على الذي خلق، وهو مثله في الإعراب. **﴿فهدى﴾** مرتب بالفاء على قدر. **﴿والذى﴾** معطوفة على الذي خلق فسوى. **﴿أخرج﴾** فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلته. **﴿المرعى﴾** مفعول به. **﴿فجعله﴾** مرتب بالفاء على أخرج. **﴿غثاء﴾** مفعول ثان لجعله. **﴿أحوى﴾** صفة مؤكدة للغثاء. **﴿سنقرئك﴾** فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل نحن. **﴿فلا تنسى﴾** فعل مضارع منفي بلا، والفاء للترتيب، والفاعل ضمير المخاطب. **﴿إلاّ ما﴾** في محل نصب مفعول به. **﴿شاء الله﴾** فعل وفاعل، والجملة صلة ما. **﴿إنّه﴾** إنّ واسمها. **﴿يعلم﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله. **﴿الجهر﴾** مفعول به. **﴿وما﴾** اسم موصول معطوف على الجهر في محل نصب. **﴿يخفي﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة صلة ما. **﴿ونيسّرك﴾** معطوف على سنقرئك، وهو مثله في الإعراب. **﴿لليسرى﴾** متعلق بالفعل قبله. **﴿فذكّر﴾** أمر موجه إلى الرسول، والفاء للتعقيب. **﴿إن نفعت الذكرى﴾** فعل وفاعل دخلت عليه إن الشرطية، وجواب الشرط مقدر يدل عليه فذكر. **﴿سيذّكر من﴾** فعل وفاعل. **﴿يخشى﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلة مَنْ. **﴿ويتجنبها﴾** فعل مضارع معطوف على سيذّكر، والضمير المتصل به مفعول. **﴿الأشقى﴾** فاعل. **﴿الذي﴾** في محل رفع نعت للأشقى. **﴿يصلى﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلة

الذي. ﴿**النارَ**﴾ مفعول به. ﴿**الكبرى**﴾ نعت للنار. ﴿**ثمّ لا يموت**﴾ فعل مضارع منفي بلا، معطوف بثم على يصلى، والفاعل ضمير يعود على الأشقى. ﴿**فيها**﴾ متعلق بيموت. ﴿**ولا يحيا**﴾ معطوف على يموت. ﴿**قد أفلح من**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق. ﴿**تزكّى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلة مَنْ. وذكر معطوف على أفلح. ﴿**اسم**﴾ مفعول به. ﴿**ربّه**﴾ مضاف إلى اسم. ﴿**فصلى**﴾ مرتب بالفاء على ذكر. ﴿**بل تؤثرون الحياة**﴾ فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف الإضراب العاطف. ﴿**الدنيا**﴾ نعت للحياة. ﴿**والآخرة**﴾ مبتدأ. ﴿**خيرٌ**﴾ خبره، والجملة حال من فاعل يؤثرون. ﴿**وأبقى**﴾ معطوف على خير. ﴿**إنّ هذا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لفي الصحف**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ. ﴿**الأولى**﴾ نعت للصحف. ﴿**صحف**﴾ بدل من الصحف الأولى. ﴿**إبراهيم**﴾ مضاف إلى صحف مجرور بالفتحة. ﴿**وموسى**﴾ معطوف على إبراهيم عليهما السلام.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾: فبعد ما ذكر السياق في السورة السابقة كيد الكافرين واعراضهم على القرآن، وأمر الله رسوله أن يمهل الكافرين إمهالا قريبا، أمره في هذه السورة بالتسبيح والقيام بواجب ما يوجه إليه من أمر الرسالة والدعوة بها على أيّ حال. فتسبيح اسم الله تنزيه اسمه تعالى عن الإلحاد فيه، وعن إطلاقه على غيره «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون». . . ﴿**الذي خلق فسوى**﴾: بيان وتوضيح لموجب ما يحقق به التسبيح. . . ﴿**والذى قدّر فهدى**﴾: موصول بالعطف على ما قبله لزيادة توضيح معنى الخلق والتسوية، وكذلك قوله: ﴿**والذى أخرج المرعى. فجعله غثاء أحوى**﴾: فبهذا المطلع الذي يكشف عن هذا المدى المتطاول من صفحة الوجود الكبيرة، تتصل حقائق السورة الآتية في سياقها بهذا الوجود، ويتصل الوجود بها في هذا الإطار العريض الجميل، والملحوظ أن معظم السور في هذا الجزء تتضمن مثل هذا الإطار، الإطار الذي يتناسق مع جوّها وظلّها وإيقاعها تناسقا كاملا. بعدئذ يجيء السياق بتلك البشرى العظيمة لرسول الله ﷺ التي خصه الله بها. . . ﴿**سنقرئك فلا تنسى**﴾: فهذه الجملة بيان لهداية الله تعالى

الخاصة برسوله، إثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته، ومع هذا فهو وعد كريم باستمرار الوحي ضمن الوعد بالإقراء!. وجملةُ: ﴿**إلاّ ما شاء الله**﴾: احتراس مقرر طلاقة المشيئة، بعد الوعد الصادق بأنّ الرسول لا ينسى، فيظل الأمر في مجال المشيئة الكبرى، ويظل التطلع دائما إلى هذه المشيئة حتى فيما سلف فيه وعد من الله تعالى. وجملة... ﴿**إنّه يعلم الجهر وما يخفى**﴾: تعليل لما مرّ في هذا المقطع من الإقرار والحفظ والاستثناء. ثم تأتى البشرى الثانية موصولة بالعطف على البشرى الأولى... ﴿**ونيسرك لليسرى**﴾: ففي هذا الأسلوب يتدرج تيسير طريق تلقي الوحي، والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة، وما يتعلق بتكميل نفس الرسول وتكميل غيره، كما تفصح عنه الفاء في قوله تعالى... ﴿**فذكّر إن نفعت الذكرى**﴾: وتعليق نفع الذكرى بإنْ التي تفيد الشك إطلاق للتذكير، بخلاف لو قال: فذكر إذا نفعت الذكرى، فإن النفع بهذا الشرط للتذكير، فيتوقف التذكير عند توقف النفع ـ فذكّرـ، وسينتفع بالذكرى من يخشى... ﴿**سيذكّر من يخشى**﴾: فالقلب الحيّ يتوجس ويخشى حين يعلم أنّ للوجود إلها خلق فسوّى، وقدّر فهدى، أمّا صاحب القلب القاسي المتحجّر الميّت، فهو بعيد عن الخشية، غافل عن التذكرة... ﴿**ويتجنبها الأشقى. الذي يصلى النار الكبرى. ثمّ لا يموت فيها ولا يحيى**﴾. ثم في الصفحة المقابلة نجد النجاة والفلاح مع التطهر والتذكر...

﴿**قد أفلح من تزكّى. وذكر اسم ربه فصلّى**﴾: فهذا الذي تطهّر وذكر وصلى «قد أفلح» يقينا، أفلح في دنياه فعاش موصولا، حيّ القلب شاعرا بحلاوة الذكر، وأفلح في أخراه، فنجا من النار الكبرى، وفاز بالنعيم الأوفى. ثمّ بيّن السياق علّة شقاء أكثر الناس، وما يصرفهم عن التذكر والتطهر والنجاة والفلاح ؛ ويذهب بهم إلى النار الكبرى والشقوة العظمى... ﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا**﴾: ففي ظل هذه الحقيقة يبدو إيثار الدنيا على الآخرة حماقة وسوء تقدير، لا يقدم عليهما عاقل بصير... ﴿**والآخرة خير وأبقى**﴾!. ثم في الختام تجيء الإشارة إلى قدم هذه الدعوة، وعراقة منبتها، وامتداد جذورها في شعاب الزمن، وتوحد أصولها من وراء الزمان والمكان... ﴿**إنّ هذا لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى**﴾: فهذه الدعوة التي ابتدئت بها هذه السورة تلتقي عند ذلك الأصل الواحد، الصادر عن مصدر واحد: من ربك الأعلى الذي خلق فسوى، والذى

قدر فهدى. ففي هذا الختام براعة المقطع، وبلاغة رد العجز على الصدر كما يقتضيه فخامة المطلع!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوّى. والذى قدّر فهدى. والذى أخرج المرعى. فجعله غثاء أحوى**﴾: في هذا المطلع الأمر بتسبيح اسم الله رب الرسول الهادي إلى هذا القرآن كل من يستجيب ويسمع، ففي هذا الأمر تمهيد لما سيُلقى على الرسول من مقومات هذا الذكر... ﴿**سنقرئك فلا تنسى. إلاّ ما شاء الله. إنّه يعلم الجهر وما يخفى. ونيسّرك لليسرى**﴾: فهذا الذكر الذي من مقوماته القراءة أولاً، ثم حفظه ثانيا أمر تكفّل بحفظه ورعايته من قَبْلُ ربُّه الذي نزّله، العالم بكل شيء، وقد يسره للحفظ والفهم لمن يريد أن يحفظ ويفهم، فما على الرسول والداعي إلا أن يذكر به ويدعو الناس إليه... ﴿**فذكّر إن نفعت الذكرى**﴾: فمن هذا التوجيه التقت دعوة الرسول والتقت حقيقة الداعي، بحقيقة الدعوة في هذه السمة الأصلية البارزة، وكذلك كانت الأمة التي جاءها الرسول الميسر بالرسالة الميسرة، فهي الأمّة الوسط، وهي الأمة المختارة لحمل هذه الدعوة، تتفق فطرتها هذه مع فطرة هذا الوجود الكبير، فهذا الوجود بتناسقه وانسياب حركته، يمثل صنعة الله من اليسر والانسجام الذي لا تصادم فيه ولا اضطراب، فهو التوافق المطلق بين طبيعة الوجود وطبيعة الرسالة وطبيعة الرسول وطبيعة الأمة المسلمة، صنعة الله الواحد، وفطرة المبدع الحكيم. فمن أجل هذا كله أمر بنشر هذه الرسالة الميسّرة... فذكّر إن نفعت الذكرى: فذكر حيثما وجدت فرصة للتذكير، ووسيلة للبلاغ، فهذه الذكرى مكلف بتبليغها وإن قل من تذكّر، فإذا صدع الرسول بهذا الأمر، ونهض بهذا العبء فقد أدى ما عليه، والناس بعد ذلك وشأنهم... ﴿**سيذّكّر من يخشى**﴾: فذكّر وسينتفع بالذكرى من يخشى... ﴿**ويتجنبها الأشقى**﴾!. الأشقى في الدنيا يعيش فيها قلقا مضطربا، متكالبا على ما في الأرض، كادحا لهذا الشأن الحقير الصغير، والأشقى في الآخرة بعذاب النار، وبئس المصير... ﴿**الذي يصلى النار الكبرى**﴾: فهي الكبرى بشدّتها، والكبرى بمدّتها، والكبرى بضخامتها، فلا هو يموت فيجد طعم الراحة، ولا هو يحيا في أمن وراحة!. ثمّ يأتي التقرير الأخير في هذا الحكم الخطير...

﴿قد أفلح من تزكّى. وذكر اسم ربّه فصلى. بل تؤثرون الحياة الدنيا. والآخرة خير وأبقى﴾: فليس بعد هذا البيان عذر لأي إنسان!، وها هي حقائق الإيمان تظهر للعيان في هذا القرآن. . . **﴿إنّ هذا لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى﴾**: فليس ما جاء به محمد مخالفا لما جاء به إبراهيم وموسى -عليهما السلام-، بل هو شيء واحد نازل من سماء واحد، ومبلّغ لأمّة واحدة «إنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة، وأنا ربّكم فاعبدون»، «ملّة أبيكم إبراهيم، هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ؛ ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير»، **﴿قد أفلح من تزكّى وذكر اسم ربه فصلى﴾**!.

11 ـ موضوع سورة الغاشية،
يبين الفرق بين الحياة الراضية والحياة القاسية



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (3) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (6) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (8) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16) * أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (26)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**هل**﴾: حرف استفهام أريد به التعجيب والتشويق... ﴿**أتاك حديث الغاشية**﴾: الداهية الشديدة التي تغشى الناس بأهوالها... ﴿**وجوه يومئذ خاشعة**﴾: ذليلة خاضعة خانعة... ﴿**عاملة ناصبة**﴾: تعمل أعمالا شاقة تتعب فيها... ﴿**تصلى نارا حامية**﴾: لا يطاق حرها... ﴿**تسقى من عين آنية**﴾: لا منتهي لحرارتها... ﴿**ليس لهم طعام إلا من ضريع**﴾: الضريع طعام أهل النار... لا يسمن ولا يغني من جوع. ﴿**وجوه يومئذ ناعمة**﴾: ذات بهجة وحسن... ﴿**لسعيها راضية**﴾: لأجل عملها الصالح الذي قدمته في الدنيا... ﴿**في جنّة عالية**﴾: عالية المحل والمقدار... ﴿**لا تسمع فيها لاغية**﴾: «لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما، إلاّ قيلا سلاما سلاما»! ..﴿**فيها عين جارية**﴾: عيون كثيرة تجري مياهها دون عمل ولا تعب... ﴿**فيها سرر مرفوعة**﴾: عالية المحل والقيمة والمقدار... ﴿**وأكواب موضوعة**﴾: أكواب موجودة في كل موضع؛ لا محدودة ولا معدودة... ﴿**ونمارق مصفوفة**﴾: وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض... ﴿**وزرابي مبثوثة**﴾: فرش رائعة منمّقة موزّعة في كل مكان! ..﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت؟!. وإلى السماء كيف رفعت ؟!. وإلى الجبال كيف نصبت؟!. وإلى الأرض كيف سطحت ؟!. فذكّر!. إنّما أنت مذكّر. لست عليهم بمصيطر. إلاّ من تولى وكفر. فيعذبه الله العذاب الأكبر. إنّ إلينا إيابهم**﴾: رجوعهم بعد الموت... ﴿**ثم إنّ علينا حسابهم**﴾: فنجازيهم بما عملوا: إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًا فشرٌ...

مبحث الإعراب

﴿**هل أتاك**﴾ فعل ماض دخل عليه حرف الاستفهام، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**حديث**﴾ فاعل. ﴿**الغاشية**﴾ مضاف إلى حديث. ﴿**وجوه**﴾ مبتدأ. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**خاشعة**﴾ خبر المبتدإ، والجملة بيانية. ﴿**عاملةٍ**﴾ خبر ثان. ﴿**ناصبةٌ**﴾ خبر ثالث. ﴿**تصلى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على وجوه. ﴿**نارًا**﴾ مفعول به. ﴿**حاميةً**﴾ نعت له، والجملة خبر رابع. ﴿**تسقى**﴾ فعل

مضارع مبني.. للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على وجوه. ﴿**من عين**﴾ متعلق بتسقى. ﴿**آنية**﴾ نعت لعين، والجملة بيانية. ﴿**ليس لهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر ليس مقدم. ﴿**طعام**﴾ اسمها مؤخر. ﴿**إلاّ من ضريع**﴾ متعلق بالخبر، والجملة بيانية. ﴿**لا يسمن**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والفاعل ضمير يعود على طعام، والجملة نعت لطعام. ﴿**ولا يغني**﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب. ﴿**من جوع**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وجوه يومئذ ناعمة**﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب جملة وجوه يومئذ خاشعة. ﴿**لسعيها**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**راضية**﴾ خبر ثان. ﴿**في جنة**﴾ متعلق بمحذوف خبر ثالث. ﴿**عالية**﴾ نعت لجنّة. ﴿**لا تُسْمَعُ**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول دخل عليه حرف النفي. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**لاغية**﴾ نائب الفاعل، والجملة نعت ثان لجنة. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**عينٌ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**جارية**﴾ نعت لعين، وجملة فيها عين جارية نعت ثالث لجنة. ﴿**فيها سرر**﴾ مثل فيها عين. ﴿**مرفوعةٌ**﴾ نعت لسرر. ﴿**وأكوابٌ**﴾ معطوفة على سرر. ﴿**موضوعةٌ**﴾ نعت لأكواب. ﴿**ونمارق**﴾ مثل ما قبله. ﴿**مصفوفةٌ**﴾ نعت لنمارق. ﴿**وزرابيّ**﴾ مبثوثةٌ كذلك. ﴿**أفلا ينظرون**﴾ فعل وفاعل، دخل حرف النفي وحرف التعقيب وحرف الاستفهام. ﴿**إلى الإبل**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**كيف**﴾ في محل نصب حال من ضمير الإبل. ﴿**خلقت**﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على الإبل، والجملة بدل من الإبل. ﴿**وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت**﴾ هذه الجمل معطوفة على الإبل كيف خلقت، وهي مثلها في الإعراب. ﴿**فذكّر**﴾ أمر موجه إلى الرسول، مرتب على ما قبله بالفاء. ﴿**إنّما أنت**﴾ في محل رفع مبتدأ، دخلت عليه إنّما للحصر. ﴿**مُذكّر**﴾ خبر المبتدإ، والجملة تعليل. ﴿**لست**﴾ ليس واسمها. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**بمصيطر**﴾ خبر ليس مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**إلاّ**﴾ بمعنى لكن. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ. ﴿**تولى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلتها. ﴿**وكفر**﴾ معطوف على تولّى. ﴿**فيعذبه**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الله**﴾ فاعل. ﴿**العذاب**﴾ اسم مصدر مفعول ثانٍ. ﴿**الأكبر**﴾ نعت له، وجملة فيعذبه الله خبر المبتدإ مَنْ، ودخلت الفاء لما فيه من معنى التعقيب. ﴿**إنّ إلينا**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**إيابهم**﴾ اسمها مؤخر، والجملة تعليلية.

﴿ثم إنّ علينا حسابهم﴾ معطوف بثُمّ على ما قبله، وهو مثله في الإعراب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾: ابتدئت السورة بحرف الاستفهام المفيد للتعجيب مما في حيزه، والتشويق إلى استماعه، والإشعار بأنّه من الأحاديث البديعة. ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنّها شرح وتوضيح لها، حيث ذكر من يخشى، والأشقى الذي يصلى النار الكبرى، وكان ذلك على طريق الإجمال، ففصل هنا ما أجمل هناك... **﴿وجوه يومئذ خاشعة. عاملة ناصبة. تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية. ليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يسمن ولا يغني من جوع﴾**: فهذه الجمل بتفاصيلها مستأنفة استئنافا بيانيا، وتفصيلها إطناب مقصود لما في قوله من التعجيب والتشويق، والإشعار بعظمة تلك الغاشية! ..**﴿وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية﴾**: إلى قوله: **﴿أفلا ينظرون﴾**: هذا شروع في بيان حديث أهل الجنة بالتفصيل ؛ كما بيَّن حديث أهل النار بالتفصيل، وتقديم حكاية أهل النار ؛ لأنه أدخل في تهويل أمر الغاشية، وتفخيم حديثها، ولأن حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء أهل النار، مما يزيد المحكي حسنا وبهجة. وجاءت هذه الجمل مفصولة عن تلك الجمل إيذانا بكمال تبيان مضمونيهما... **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾**؟!: هذا الكلام استئناف مسوق لتقرير ما فُصّل من حديث الغاشية، وما هو مبنيّ عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون ؛ بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره، فالاستفهام للإنكار والتوبيخ، والفاء للتعقيب، ووصلت الجمل بعد جملة أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت بالعطف عليها ؛ لما بين الإبل والسماء والجبال والأرض من الإتصال والمناسبة، فمن السماء تعيش وتسقى، ومن الجبال تجري الوديان والأنهار، وعلى الأرض تستقر وتسير!. والفاء في قوله تعالى: **﴿فذكّر﴾**: لترتيب الأمر بالتذكير على ما ينبئ عنه الإنكار السابق من عدم النظر. وقوله تعالى: **﴿إنّما أنت مذكّر﴾**: تعليل للأمر. وقوله سبحانه: **﴿لست عليهم بمصيطر﴾**: تقرير له وتحقيق لمعنى الإنذار... **﴿إلاّ من تولى وكفر﴾**: إستدراك على ما تقدم، لكن الذي تولى وكفر فلا ينجو من العذاب، بمقتضى لست عليهم بمصيطر... **﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر! إنّ إلينا إيابهم﴾**: تعليل لاستحقاق العذاب من الله تعالى... **﴿ثمّ إنّ علينا حسابهم﴾**: عطفت هذه

الجملة على الجملة قبلها بثمّ ؛ لما بينهما من التفاوت في الشدّة بين الإياب والحساب، وفي تصدير الجملتين بإنّ، وتقديم خبر إنّ، والإتيان بضمير العظمة ـ إلينا وعلينا ـ وعطف الثانية على الأولى بثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الإنباء عن حالة السخط الموجب لشديد العذاب ما لا يخفى. فهذا هو الإيقاع الختامي في السورة في صيغة الجزم والتوكيد!. وفي هذا براعة المقطع، وفيه الربط بين المقطع والمطلع.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

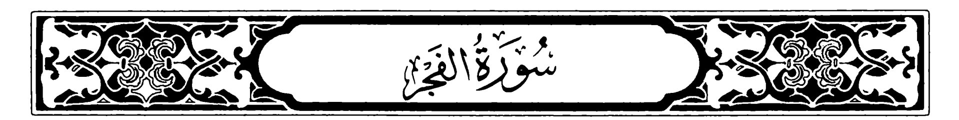
﴿**هل أتاك حديث الغاشية**﴾؟!: بهذا المطلع تبدأ هذه السورة التي ترِدُ، لترد القلوب إلى الله تعالى، ولتذكر بآياته في الوجود، وحسابه في الآخرة وجزائه الأكيد. وبهذا الاستفهام الموحي بالعظمة الدال على التقرير، الذي يشير في الوقت ذاته إلى أن أمر الآخرة مما سبق به التقرير والتذكير، فتُسمّى القيامة بهذا الاسم الجديد!. ثم يعرض السياق شيئا من حديث الغاشية. . . ﴿**وجوه يومئذ خاشعة. عاملة ناصبة**﴾: فالسياق هنا يعجل بمشهد العذاب قبل مشهد النعيم؛ لأنّه أقرب إلى جو الغاشية وظلها، فهنالك: يومئذ وجوه خاشعة ذليلة متعبة مرهقة، عملت ونصبت، فلم تحمد العمل، ولم ترض العاقبة، ولم تجد إلا الوبال والخسارة، فزادت مضضا وإرهاقا وتعبا، عملت لغير الله، ونصبت في غير سبيله، وعملت لنفسها ولأولادها، وتعبت لدنياها ولأطماعها، ثم وجدت عاقبة العمل والكدّ، وجدته في الدنيا شقوة لغير زاد، ووجدته في الآخرة سوادا يؤدي إلى العذاب، وهي تواجه النهاية مواجهة الذليل المرهق المتعوس الخائب الرجاء!. ومع هذا الذل والرهق العذاب والألم. . . ﴿**تصلى نارا حامية. تُسقى من عين آنية. ليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يسمن ولا يغنى من جوع**﴾: فهذا هو عذاب أهل الوجوه الذليلة الحقيرة البائسة الفقيرة!، فنحن البشر لا نملك في الدنيا أن ندرك طبيعة هذا العذاب، في ذلك اليوم العسير!. إنما تجيء هذه الأوصاف لتلمس في حسّنا البشري، أقصى ما يملك تصوره من الألم الذي يجتمع من الذل والوهن والخيبة، ومن لسع النار الحامية، ومن البرد والارتواء بالماء شديد الحرارة، والتغذّي بالطعام الذي لا تقوى الإبل على تذوّقه، فمن مجموع هذه التصورات يتجمع في حسّنا إدراك لأقصى درجات الألم، وعذاب الآخرة بعد ذلك أشدّ!. وعلى الجانب

الآخر... ﴿**وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية**﴾: فهنا وجوه يبدو فيها النعيم، ويفيض منها الرضى، وجوه تنعم بما تجد، وتحمد ما عملت، فوجدت عقباه أخيرا، وتستمتع بهذا الشعور الروحي الرفيع، شعور الرضى عن عملها حين ترى رِضَى الله عنها، وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير، ويرضى عاقبته، ثم يرى العاقبة ممثلةً في رضى الله الكريم!، فمن هذا يقدم القرآن هذا اللون من السعادة على ما في الجنة من النعيم المقيم. ثم يصف الجنة ومناعمها المتاحة لهؤلاء السعداء... ﴿**في جنة عالية**﴾: فللعلوّ في الحس إيقاع خاص!، فمع هذا العلو الراحة والهدوء... ﴿**لا تسمع فيها لاغية**﴾: فهذه وحدها نعيم، وهذه وحدها سعادة، سعادة تتبيّن حين يستحضر الحسّ هذه الحياة الدنيا، وما فيها من لغو وجدل وصراع وزحام ولجاج ونزاع، وخصام وقرقعة وفرقعة وضجّة وصخب وهرج ومرج، ثم يستسلم بعد ذلك لتصور الهدوء والأمن والسلام الساكن والودّ الرضي والظل الندي. ثم بعد هذا تجيء مناعم الجنة التي يملك البشر تصورها... ﴿**فيها عين جارية**﴾: فالعين الجارية تجمع إلى الريّ الجمال، والمتعة للنظر والنفس... ﴿**فيها سرر مرفوعة!. وأكواب موضوعة!. ونمارق مصفوفة!. وزرابى مبثوثة**﴾: وكلها مناعم مما يشهد الناس له أشباها في الأرض، وتُذكر هذه الأشياء لتقريبها إلى مدارك أهل الأرض، أما طبيعتها وطبيعة المتاع بها، فهي موكولة إلى المذاق هنالك للسعداء الذين يقسِم الله لهم هذا المذاق!. ومن اللغو الدخول في موازنات أو تحقيقات حول طبيعة النعيم - أو طبيعة العذاب - في الآخرة، فإدراك طبيعة شيء ما، متوقف على نوع هذا الإدراك، وأهل الأرض يدركون بحسّ مقيّد بظروف هذه وطبيعة الحياة فيها فإذا كانوا هنالك رفعت الحجب وأزيلت الحواجز وانطلقت الأرواح والمدارك، وتغيّرت مدلولات الألفاظ ذاتها في حكم تغيّر مذاقها، وكان ما سيكون مما لا نملك أن ندرك الآن كيف يكون!. إنّما نستفيد من هذه الأوصاف أن يستحضر تصوّرُنا أقصى ما يطيقه من صور اللذاذة والحلاوة والمتاع، وهو ما نملك تذوقه ما دمنا هنا، حتى نعرف حقيقته هنالك، حين يكرمنا الله تعالى بفضله ورضاه. وتنتهي هذه الجولة في العالم الآخر، فيؤوب منها إلى هذا الوجود الظاهر الحاضر، الموحي بقدرة القادر وتدبير المدبّر، الدال على أن وراء التدبير والتقدير أمرا بعد هذه الحياة وشأنا غير شأن الأرض، وخاتمة غير خاتمة الموت... ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف**

خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾؟!: فتجمع هذه الآيات الأربع القصار أطراف بيئة العربي المخاطب بهذا القرآن أوّل مرة، كما تضم أطراف الخلائق البارزة في الكون كله حين تتضمن السماء والأرض والجبال والجمال ـ ممثلا لسائر الحيوان ـ على مزية خاصة بالإبل، في خلقها بصفة عامة، وفي قيمتها للعربي بصفة خاصة. إن هذه المشاهد معروضة لنظر الإنسان حيثما كان، وأيّا كان حظ الإنسان من العلم والحضارة، فهذه المشاهد داخلة في عالمه وإدراكه، موحية له بما وراءها حين يوجه نظره وقلبه إلى دلالتها، والمعجزة الكامنة في كلٍّ منها، وصنعة الخالق فيها معلمة لا نظير لها، وهي وحدها كافية لأن توحي بحقيقة العقيدة الأولى. ومن ثمّ يوجه القرآن الناس كافة إليها: أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟!. فالإبل حيوان العربي الأول، عليها يسافر ويحمل، ومنها يشرب ويأكل، ومن أوبارها وجلودها يلبس وينزل، فهي موردهُ في جميع مطالبه الأولى، ثُمّ إنّ لها خصائص تفردها بين الحيوان، فهي على قوتها وضخامتها وضلاعة تكوينها، ذلولٌ يقودها الصغير فتقاد، وهي على عظم نفعها وخدمتها، قليلة التكاليف، مرعاها ميسّر، وكلفتها ضئيلة، وهي أصبر الحيوان المستأنس على الجوع والعطش والكدح وسوء الأحوال. لهذا كله يوجه القرآن أنظار المخاطبين إلى تدبر خلق الإبل ؛ وهي بين أيديهم لا تحتاج منهم إلى نقلة، ولا علم جديد، وإلى السماء كيف رفعت ؟!. فتوجيه النظر إلى السماء يتكرر في القرآن، وأولى الناس بأن يتوجهوا إلى السماء هم سكان الصحراء، حيث للسماء طعم ومذاق وإيقاع، وإيحاء السماء بنهارها الواضح الباهر الجاهر، والسماء بأصيلها القائن الرائق الساحر، والسماء بغروبها البديع الفريد الموحي، والسماء بليلها المترامي ونجومها المتلألئة، وإلى الجبال كيف نصبت ؟!. فالجبال عند العربي ملجأ وملاذٌ وأنيسٌ وصاحبٌ، مشهدها يوحي إلى النفس الإنسانية جلالا واستهوالاً، حيث يتضاءل الإنسان إلى جوارها ويستكين، وإلى الأرض كيف سطحت ؟!. فالأرض مسطوحة أمام النظر، ممهدة للحياة والسير والعمل، والناس لم يسطّحوها، فقد سُطّحت قبل أن يكونوا هم. والآن بعد الجولة الأولى في عالم الآخرة، والجولة الثانية في مشاهد الكون المعروضة يلتفت السياق إلى الرسول، يوجهه إلى حدود واجبه، وطبيعة وظيفته... **﴿فذكّر إنّما أنت مذكّر﴾**: فذكّرهم بالآخرة وما فيها، وذكّرهم بالكون وما فيه، إنّما أنت

مذكر، فهذه وظيفتك على وجه التحديد، وهذا دورك في هذه الدعوة، ليس لك ولا عليك شيء وراءها، عليك أن تذكّر، فإنّك مبشّر لهذا ومكلف إيّاه. . . ﴿**لست عليهم بمصيطر**﴾: فأنت لا تملك من أمر قلوبهم شيئا، حتى تقهرها وتقسرها على الإيمان، فالقلوب بين أصابع الرحمن، لا يقدر عليها إنسان كائن ما كان!. فأمّا الجهاد الذي كتب بعد ذلك في المدينة، فلم يكن لحمل الناس على الإيمان، إنّما كان لإزالة العقبات من وجه الدعوة، لتبلغ إلى الناس، فلا يُمنعوا من سماعها، ولا يفتنوا عن دينهم إذا سمعوها، فكان لإزالة العقبات من طريق التذكير، الدور الوحيد الذي يملكه الرسول. ولكن إذا كان هذا هو حد الرسول فإن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، ولا يذهب المكذبون ناجين، ولا يتولون سالمين، إنّ وراءهم الله وإليه تصير الأمور. . . ﴿**إلا من تولى وكفر. فيعذبه الله العذاب الأكبر**﴾: فهم راجعون إلى الله وحده قطعا، وهو مجازيهم وحده حتما. وهذا هو الإيقاع الختامي في السورة. . . ﴿**إنّ إلينا إيابهم. ثمّ إنّ علينا حسابهم**﴾: فبهذا يتحدد دور الرسول في هذه الدعوة، ودور كل داعية إليها بعده، فليطمئن الداعي بعد!..

12 ـ في سورة الفجر
عبرة لكل ذى حجْرٍ



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿1﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿2﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿3﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿4﴾ هَلْ

فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿5﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿6﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿7﴾

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿8﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا

الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿9﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿10﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿11﴾

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿12﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿13﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿14﴾

فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ﴿15﴾ فَيَقُولُ رَبِّي

أَكْرَمَنِ ﴿16﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴿17﴾ فَيَقُولُ رَبِّي

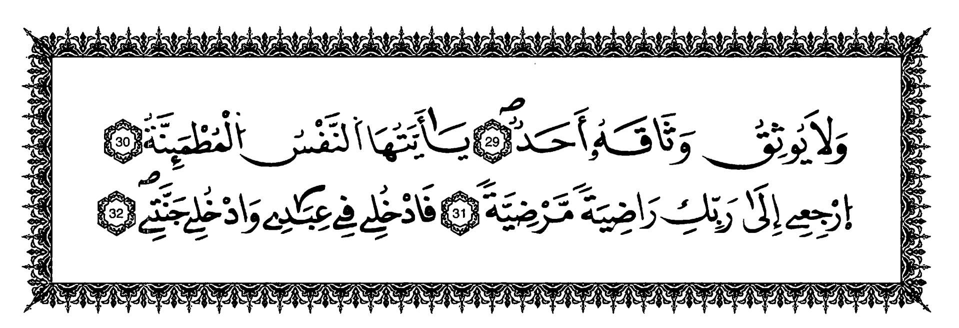
أَهَانَنِ ﴿18﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿19﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ

الْمِسْكِينِ ﴿20﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿21﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿22﴾

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿23﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿24﴾

وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴿25﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿26﴾

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿27﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿28﴾



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**والفجر**﴾: بداية ضوء الصبح، وهو الخيط الأبيض الممتدّ في الأفق جهة المشرق... ﴿**وليال عشر**﴾: ليال عددها عشرة... ﴿**والشفع**﴾: العدد المزدوج - المنقسم -... ﴿**والوتر**﴾: العدد المنفرد... ﴿**والليل إذا يسري**﴾: يمضي، يقال سرى يسْري سُرًى، وهو السير ليلا، والمتعارف السير آخر الليل... ﴿**هل في ذلك قسم لذى حجر**﴾: القسم اليمين، والحجر العقل، وسمى حجر لأنّه يحجر عمّا لا ينبغي، كذلك العقل من العقال، لأنّه يعقل صاحبه عمّا يشين... ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بعاد**﴾: قوم هود... ﴿**إرم**﴾: مدينتهم... ﴿**ذات العماد**﴾: البناء الرفيع، والمسلات الشاهقة ؛ كما هو موجود في آثار القدماء... ﴿**التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود**﴾: قوم صالح... ﴿**الذين جابوا**﴾: قطعوا... ﴿**الصخر**﴾: الحجر... ﴿**بالوادي**﴾: المكان المنخفض يبنون فيه البيوت والقصور «وينحتون من الجبال بيوتا»... ﴿**وفرعون**﴾: حاكم مصر... ﴿**ذي الأوتاد**﴾: جمع وتد، وهو ما يطلق على كل ما ثبت وبقي بعد ذهاب أهله، وما أكثر الأوتاد في مصر، من بقايا الفراعنة... ﴿**الذين طغوا**﴾: تجاوزوا الحد في الكفر والعصيان والفساد والطغيان... ﴿**في البلاد**﴾: كل طاغ في بلده... ﴿**فأكثروا فيها الفساد**﴾. ﴿**فصبّ**﴾: أنزله متتابعا... ﴿**عليهم ربُّك سوط عذاب**﴾: أنواعا مختلفة من أصناف العذاب... ﴿**إنّ ربّك لبالمرصاد**﴾: بالمكان الذي يترقب فيه الرصد، وهو مجاز على سبيل التمثيل، فالله متعالٍ عن المكان... ﴿**فأمّا الإنسان**﴾: جنس الإنسان الذي لم يستمسك بدين الله... ﴿**إذا ما ابتلاه ربّه**﴾: اختبره وامتحنه، ليظهر ما عنده من شكر أو كفر... ﴿**فيقول ربّي أكرمني. وأما

إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانني﴾: ففي حال العطاء يفخر ويتكبر، وفي حال المنع ييأس ويتنكّر! ..﴿**كلاّ**﴾: ليس كذلك... ﴿**بل لا تكرمون اليتيم. ولا تحضون على طعام المسكين. وتأكلون التراث**﴾: حق الغير في الميراث... ﴿**أكلاً لَمًّا**﴾: ذا لمّ وجمع من حرام... ﴿**وتحبون المال**﴾: ما يجمع من عرض الدنيا... ﴿**حبًّا جمًّا**﴾: وافرًا لاحدّ له... ﴿**كلاّ**﴾: لا يكون هذا من إنسان، يعلم أنّه محاسب يوم القيامة... ﴿**إذا دكّت الأرض دكّا دكّا**﴾: فالدك دق الصلب حتى يكون هباء منبثًا... ﴿**وجاء ربك. والملك**﴾: جنس الملائكة... ﴿**صفّا صفّا**﴾: فتصطفّ الملائكة صفوفا، صفّا بعد صفّ... ﴿**وجيء يومئذ بجهنم**﴾: «برّزت الجحيم لمن يرى»... ﴿**يومئذ يتذكّر الإنسان**﴾: يوم إذ يقع ما يقع من أهوال يوم القيامة يتذكّر الإنسان... ﴿**وأنّى له الذكرى! يقول يا ليتني قدّمت لحياتي**﴾: فهو يتحسّر على ما فرّط من عمل الخير في الدنيا ليكون له نوايا في الآخرة... ﴿**فيومئذ لا يعذّب عذابه أحدٌ**﴾: لايستطيع أحدٌ أن يُعذِّب عذابا مثل عذاب الله في الشدّة والدوام... ﴿**ولايوثق وثاقه أحد**﴾: في القوة والإحكام!. فهذا مثل قوله تعالى «فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله»... ﴿**يا أيّتها النفس المطمئنّة**﴾: النفس المطمئنة بوعد الله... ﴿**ارجعي إلى ربك. راضية**﴾: بالنعيم المقيم... ﴿**مرضيّة**﴾: عند ربها الكريم... ﴿**فادخلي في عبادي**﴾: الصالحين أهل التكريم... ﴿**وادخلي جنّتي**﴾: في النعيم المقيم!.

مبحث الإعراب

﴿**والفجر**﴾ قسم بواو القسم مجرور بالكسرة. ﴿**وليال**﴾ عطف على الفجر. ﴿**عشر**﴾ نعت لليال. ﴿**والشفع**﴾ كذلك. ﴿**والوتر**﴾ معطوف على الشفع. ﴿**والليل**﴾ عطف على الفجر. ﴿**إذا يسري**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الليل، والجملة مضافة إلى الظرف المتعلق بمقدر، أى: وأقسم بالليل حين مضيه ساريا. ﴿**هل**﴾ حرف استفهام. ﴿**في ذلك**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**قسم**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**لذي**﴾﴾ متعلق بالخبر. ﴿**حجر**﴾ مضاف إلى ذي، وجواب القسم محذوف يدل عليه ما بعده، أى: ليعذّبن الله الكافرين، ولينعمّن المؤمنين. ﴿**ألم تر**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، والهمزة للاستفهام. ﴿**كيف**﴾ مبنيٌّ على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿**فعل ربّك**﴾ فعل وفاعل. ﴿**بعاد**﴾ متعلق

بفَعَل، والمعنى: ألم تر كيفية فِعْلِ ربك بعاد. ﴿**إرمَ**﴾ بيان لعاد، منعت من الصرف للعلمية والتأنيث. ﴿**ذات**﴾ نعت لإرم. ﴿**العماد**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**التي**﴾ في محل جر نعت ثانٍ لإرم. ﴿**لم يُخلق**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بلم. ﴿**مثلها**﴾ نائب الفاعل، والجملة صلة التى. ﴿**في البلاد**﴾ متعلق بيخلق. ﴿**وثمود**﴾ معطوف على عاد، ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث، وهي بمعنى القبيلة. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت لثمود، باعتبار ساكنيها. ﴿**جابوا الصخر**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول. ﴿**بالواد**﴾ متعلق بجابوا، والباء ظرفية بمعنى فى. ﴿**وفرعون**﴾ معطوف على عاد، ومنع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿**ذي**﴾ نعت لفرعون مجرور بالياء. ﴿**الأوتاد**﴾ مضاف إلى ذي. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت لعاد، وما عطف عليه. ﴿**طغوا**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الذين. ﴿**في البلاد**﴾ متعلق بطغوا. ﴿**فأكثروا**﴾ مرتب بالفاء على طغوا. ﴿**فيها**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**الفساد**﴾ مفعول به. ﴿**فصب**﴾ مرتب بالفاء على ما قبله. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بصب. ﴿**ربّك**﴾ فاعل. ﴿**سوط**﴾ مفعول به. ﴿**عذاب**﴾ مضاف إلى سوط. ﴿**إنّ ربّك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لبالمرصاد**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ، واللام لتوكيد الخبر، والجملة تعليلية. ﴿**فأمّا**﴾ أداة تفصيل فيها معنى الشرط، والفاء للتفريع على ما قبلها. ﴿**الإنسان**﴾ مبتدأ. ﴿**إذا**﴾ في محل نصب ظرف متعلق بيقول الآتي. ﴿**ما**﴾ صلة. ﴿**ابتلاه**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ربّه**﴾ فاعل، والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**فأكرمه**﴾ مرتب على ابتلاه. ﴿**ونعّمه**﴾ معطوف على أكرمه. ﴿**فيقول**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التفسير، والفاعل ضمير يعود على الإنسان. ﴿**ربّيَ**﴾ مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغالُ المحل بحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر مضافة إلى رب، وحركت بالفتحة للتخفيف. ﴿**أكرمني**﴾ فعل ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب مفعول به، وحذفت في المصحف تخفيفا، وجملة أكرمني خبر المبتدإ، والمبتدأ وخبره مقول القول، وجملة فيقول خبر المبتدإ، وهو الإنسان. ﴿**وأما إذا ما ابتلاه**﴾ سبق إعراب مثله. ﴿**فقدر**﴾ مرتب على ابتلاه، والفاعل ضمير يعود على ربه. ﴿**عليه**﴾ متعلق بقدر. ﴿**رزقه**﴾ مفعول به. ﴿**فيقول ربّىَ أهاننى**﴾ مثل فيقول ربّيَ أكرمني. ﴿**كلا**﴾ حرف ينفي قول الإنسان. ﴿**بل**﴾ حرف إضراب وعطف. ﴿**لا تكرمون اليتيم**﴾

فعل وفاعل ومفعول دخل عليه حرف النفي. ﴿**ولا تحضون**﴾ فعل وفاعل، عطف على ما قبله. ﴿**على طعام**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**المسكين**﴾ مضاف إلى طعام. ﴿**وتأكلون التراث**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والواو للعطف. ﴿**أكلاً**﴾ مفعول مطلق. ﴿**لمًّا**﴾ نعت له. ﴿**وتحبّون المال**﴾ معطوف على تأكلون التراث، وهو مثله في الإعراب. ﴿**حبًّا جمًّا**﴾ مثل إعراب أكلاً لمًّا. ﴿**كلاّ**﴾ حقا. ﴿**إذا دكّت الأرض**﴾ فعل مبني للمجهول ونائب فاعل دخلت عليه إذا الظرفية المتضمنة معنى الشرط. ﴿**دكًّا**﴾ مفعول مطلق. ﴿**دكًّا**﴾ الثانية منصوب على نزع الخافض بالإضافة، أى دكًّا بعد دكٍّ. ﴿**وجاء ربك**﴾ فعل وفاعل، معطوف على دُكّت الأرض. ﴿**والملك**﴾ معطوف على ربك. ﴿**صفًّا صفًّا**﴾ إعرابه مثل إعراب دكًّا دكًّا، أى: واصطف الملك صفا بعد صف. ﴿**وجيء**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بجيء. ﴿**بجهنم**﴾ نائب الفاعل مجرور بالياء متعلق بجيء. ﴿**يومئذ**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**يتذكر الإنسان**﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب شرط إذا دُكت. ﴿**وأنّى**﴾ ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**له**﴾ متعلق بالخبر مثل الظرف. ﴿**الذكرى**﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الألف، والجملة متعرضة لا محل لها من الإعراب. ﴿**يقول**﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر يعود على الإنسان. ﴿**يا ليتني**﴾ الياء للنداء، وليت للتمني تعمل عمل إنّ، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب اسم ليت. ﴿**قدّمت**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر ليت، والمنادى مقدر، أى: ياقوم، والجملة مقول القول. ﴿**لحياتي**﴾ متعلق بقدمت، وجملة يقول ياليتنى قدمت مستأنفة استئنافا بيانيا. ﴿**فيومئذ**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**لا يعذب**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والفاء للتعقيب. ﴿**عذابه**﴾ مفعول مطلق. ﴿**أحدٌ**﴾ فاعل. ﴿**ولا يوثق وثاقه أحد**﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب. ﴿**يا أيتها**﴾ منادى مبني على الضم في محل نصب، وها للتنبيه. ﴿**النفسُ**﴾ نعت لأيّةُ باعتبار لفظها. ﴿**المطمئنّةُ**﴾ نعت للنفس. ﴿**ارجعي**﴾ أمر من الله موجه إلى النفس المطمئنة. ﴿**إلى ربّك**﴾ متعلق بارجعى. ﴿**راضية**﴾ حال من النفس. ﴿**مرضية**﴾ حال أخرى. ﴿**فادخلي**﴾ مرتب بالفاء على ارجعي. ﴿**في عبادي**﴾ متعلق بادخلي. ﴿**وادخلى**﴾ معطوف على ادخلي في عبادي. ﴿**جنّتي**﴾ مفعول به، منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والفجر وليال عشر**﴾: علاقة هذه السورة بما قبلها: أنّها فصّلت من تولى وكفر، مثل عاد وثمود وفرعون، أهل العناد والفساد، والظلم والاستبداد ـ الذين طغوا في البلاد ـ، فيقسم الله بالفجر، ثم بليال عشر... ﴿**والشفع والوتر. والليل إذا يسري**﴾: ففي هذا التعبير بهذا الأسلوب لفت الأنظار، لما فيه من أناقة في التعبير، بالتناسق والربط بين جمال الأسلوب وحقيقة التصوير!. ومن ثم يعقب عليه في النهاية... ﴿**هل في ذلك قسم لذي حجر**﴾؟!: فهو سؤال للتقرير، ومن حسن هذا التقرير طي المقسم عليه ليفسره ما بعده... ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بعاد** ﴾؟!: والخطاب هنا موجّه إلى الرسول محمد ﷺ ابتداء، ثم هو لكل من تتأتى منه الرؤية والتبصر في مصارع أولئك الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد!. فقد جمع الله في هذه الآيات القصار مصارع أقوى الجبارين الذين عرفهم التاريخ القديم ؛ عاد ﴿**إرم ذات العماد...**﴾ ﴿**وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذى الأوتاد**﴾: فهؤلاء هم ﴿**الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد**﴾، وليس وراء الطغيان إلا الفساد!. فلمّا أكثروا في الأرض الفساد، كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد... ﴿**فصب عليهم ربك سوط عذاب**﴾: ففي العبارة إيجاز بتقليل اللفظ وتكثير المعنى، فكلاً أخذنا بذنبه. فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا: الريح العقيم، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أغرقنا، كما هو مفصل في السور الأخرى، وجملة: ﴿**إنّ ربك لبالمرصاد**﴾: تعليل لما قبله، وإيذان بأن كفار مكة سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب، كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية، مع الإضافة إلى ضمير الرسول ﷺ... ﴿**فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه. فيقول ربي أكرمني**﴾: تعقيب بالفاء على ما سبق من قوله تعالى إنّ ربك لبالمرصاد. الله سبحانه يرى ويحاسب ويجازي وفق ميزان دقيق لا يخطئ، ولا يأخذ بظواهر الأشياء... «فأما الإنسان. الآية»، فهذا هو تصور الإنسان، فهذا حال الإنسان في حال البسط، فأما في حال التقتير فهذا حاله... ﴿**وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانني. كلا**﴾: ليس الأمر كما يقول الإنسان الخاوي من الإيمان... ﴿**بل لا تكرمون اليتيم. ولا تحضون على طعام المسكين**﴾: انتقال من بيان سوء قول الإنسان، إلى بيان سوء أفعاله، والالتفات إلى الخطاب للإيذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة ؛ لمشافهته بالتوبيخ

تشديداً للتقريع، وتأكيداً للتشنيع!، والجمع باعتبار الجنس، أي: بل فعلكم أشد شرا من قولكم! ..﴿**وتأكلون التراث أكلا لمًّا**﴾: موصول بالعطف على ما قبله؛ للكشف عن واقعهم من تكالبهم على المال بكافة الطرق. وعند هذا الحد من فضح حقيقة حالهم المنكرة؛ يجيء التهديد بيوم الجزاء وحقيقته... ﴿**كلا!. إذا دكت الأرض دكًا دكًا**﴾: حقا سيكون ما يكون! ..﴿**وجاء ربك**﴾: فهو تعبير يوحي بهول الموقف وعظمة اللقاء! ..﴿**والملك صفا صفا**﴾: فهذا أيضا من أهوال الموقف!. كذلك المجيء بجهنم... ﴿**وجيء يومئذ بجهنم**﴾: فهذا التصوير بهذا التقسيم يرسم صورة للموقف يجعل الإنسان فيها يتذكر كل ماكان منه... ﴿**يومئذ يتذكر الإنسان**﴾: ولكن لقد فات الأوان... ﴿**وأنّى له الذكرى**﴾؟!: فليس هنا ذكرى، إن هي إلا الحسرة على فوات الفرصة... ﴿**يقول: يا لتنى قدمت لحياتي**﴾: فهنا الحياة التي غفل عنها الإنسان، ويتحسر عنها عندما فات الأوان!. ثم يصور النص مصير هذا الإنسان... ﴿**فيومئذ لا يعذب عذابه أحد. ولا يوثق وثاقه أحد**﴾: فهذا الأسلوب الموجز يصور عذاب الله ووثاقه للكافر في عبارة مجملة واضحة الملامح، مبينة الفرق بين عذاب البشر ووثاقهم، وبين عذاب الله ووثاقه، فهان ما يملكه الخلق من هذا الأمر، وجلّ وعظم ما يفعله صاحب الخلق والأمر، فليكن عذاب الطغاة للناس ووثاقهم ما يكون، فسيعذّبون هم ويوثقون عذابا، ووثاقا وراء التصورات والظنون!. وفي وسط هذا الهول المروع، وهذا العذاب والوثاق الذي يتجاوز كل تصور، تُنادى النفس المؤمنة من الملإ الأعلى ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾: فهذا نهاية المطاف: للنفس المؤمنة جنات النعيم، وللنفس الطاغية العذاب الأليم، وهذا نتيجة القسم بالفجر وليال عشر؛ لتجد كل نفس ما عملت من خير أو شر!. وفي هذا رد العجز على الصدر، وبراعة المقطع في نهاية سورة الفجر!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**والفجر وليال عشر. والشفع والوتر. والليل إذا يسري. هل في ذلك قسم لذي حجر**﴾: فهذا القسم في مطلع هذه السورة يضم مشاهد عدة: الفجر، وليال عشر. أطلقها النص دون تعيين، فهي أوقع في النفس بيقين. والشفع والوتر

فيشمل النص كل شفع وكل وتر، لينطلق الذهن دون تحديد أو تعيين، والليل إذا يسر، فالليل هنا مخلوق حيّ يسري في الكون دون توقف ؛ لتعدّد لياليه من عشر إلى شفع ووتر، هل في ذلك قسم لذي حجر ؟! ..﴿**ألم تر كيف فعل ربك بعاد**﴾ ؟!: في هذا الاستفهام التقريري الإشارة إلى جواب القسم، وهو مجازاة الجبارين الطاغين المفسدين، ويؤخذ منه مجازاة المؤمنين الصالحين، بدليل ما يأتي في آخر السورة. فعاد كانت من أقوى الأمم في وقتها، وأعظم حضارة بعد الطوفان، فبنت المدن ذات العماد، وشيّدت المصانع، وتقدّمت في الفلاحة، فكونت المزارع كما نصت عليه آيات الشعراء «أتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين». «واتقوا الذي أمدّكم بما تعلمون، أمدّكم بأنعام وبنين وجنات وعيون»، فهلكوا ودارت عليهم دائرة السوء، وكوارث الزمان. ثم تأتي بعدهم أمة طغت وتجبّرت وعتت وكفرت... ﴿**وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**﴾: فقد بنت أعظم القصور، وشيدتها وزخرفتها بعدما أسستها من أقوى الصخور، واتخذت بيوتا وملاجىء ومخابىء في الجبال ؛ لتأمن على نفسها من حوادث الأيام والدهور!. فلم تغن عنهم تلك الملاجئ وتلك القصور!. ثم يأتي بعدهم فرعون بعد فرعون: فراعنة مصر ذات الزروع والنعمة والقصور!.. ﴿**وفرعون ذي الأوتاد**﴾: فقد بقيت آثارهم تشهد على طغيان كل فرعون من فراعنة مصر الأشداء الأقوياء، من أهرامات ومسلات وزخارف مصورة، وجثث محنطة، وأبنية محطمة، حتى صارت مصر مطلب السياحة وملهي جبابرة العصر من كل فجّ وقطر!. فهؤلاء هم... ﴿**الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد**﴾: فليس وراء الطغيان إلا الفساد، فالطغيان يفسد الطاغية، ويفسد كذلك الذين يقع عليهم هذا الطغيان، ففي كل زمن يوجد من هؤلاء الكثير والكثير، فقد استعبدوا الجماهير، واستخفوا بالمقادير، ولكن لابد من الجزاء على هذا الطغيان الخطير... ﴿**فصب عليهم ربك سوط عذاب**﴾: فقد كان هذا العذاب الذي صبه الله على الطغاة متنوعا ومختلفا باختلاف الطغيان، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا، ولايزال هذا العذاب ينزل بالطغاة في كل مكان!. فنحن نسمع الآن كثيرا وكثيرا من أنواع العذاب الذي يقضى على الطغيان، فمنهم من يموت حرقا، ومنهم من يشنق شنقا، ومنهم من يأتيه الموت بغتة فيصعقه صعقا... ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾: فكان وعيده حقا!..

﴿**فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه. فيقول ربي أكرمني**﴾: هذا هو تصور الإنسان لما يبتليه الله من أحوال، فيبتليه بالنعمة والإكرام، بالمال أو بالجاه والمقام؛ فلا يدرك أنه الابتلاء، إنّما يحسب هذا الرزق وهذه المكانة، دليلا على استحقاقه عند الله للإكرام، وعلامة على اصطفاء الله له واختياره، فيعتبر البلاء جزاءً، والامتحان نتيجة، ويقيس الكرامة بعرض هذه الحياة... ﴿**وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانني**﴾: فيبتليه الله بالتضييق عليه في الرزق، فيحسب الابتلاء جزاءً كذلك، ويحسب الاختبار عقوبة، ويرى في ضيق الرزق مهانة عند الله، فلو لم يرد مهانته ما ضيّق عليه رزقه، فهو في كلتا الحالتين مخطئ في التصور، ومخطئ في التقدير، فبسط الرزق أو قبضه، ابتلاء من الله لعبده ؛ ليظهر منه الشكر على النعمة أو البطر، ويظهر منه الصبر على المحنة أو الضجر، والجزاء على ما يظهر منه بعد، وليس ما أُعطِي من عرض الدنيا، أو مُنِع هو الجزاء، فقيمة العبد عند الله لا تتعلق بما عنده من عرض الدنيا، ورضى الله أو سخطه لا يُستدلّ بالمنح والمنع في هذه الأرض، فهو يعطي الصالح والطالح، ويمنع الصالح والطالح، ولكن ما وراء هذا وذلك، هو الذي عليه المعول، إنّه يعطي ليبتلي، ويمنع ليبتلي ؛ والمعوّل عليه هو نتيجة البلاء!. وقد كان القرآن يخاطب في مكة أناسا ـ يوجد أمثالهم في كل جاهلية تفقد اتصالها بعالم أرفع من الأرض وأوسع ـ أناسا ذلك ظنّهم بربّهم في البسط والقبض، وذلك تقديرهم لقيم الناس في الأرض، ذلك أنّ المال والجاه عندهم كلُّ شيء، وليس وراءهما مقياس، ومن أجل هذا كان تكالبهم على المال عظيما، وحبهم له حبًا طاغيًا مما يورثهم شراهة وطمع، كما يورثهم حرصًا وشحًا. فمن هذا يكشف لهم عن ذوات صدورهم في هذا المجال، ويقرر أن هذا الشره والشح هما علّةُ خطئهم في إدراك معنى الإبتلاء من وراء البسط، والقبض في الأرزاق... ﴿**كلا**﴾: ليس الأمر كما يقول الإنسان الخاوي من الإيمان... ﴿**بل لا تكرمون اليتيم**﴾: إنّما الأمر أنّكم لا تنهضون بحق العطاء، ولا توفون بحق المال، فأنتم لا تكرمون اليتيم الصغير الذي فقد حاميه وكافله، حين فقد أباه... ﴿**ولا تحضون على طعام المسكين**﴾: فإنّكم لا تدركون معنى الابتلاء، فلا تحاولون النجاح فيه بإكرام اليتيم والحض على طعام المسكين، بل أنتم على العكس متكالبون على المال تجمعونه بأي طريقة، وتأكلونه من أى وجه كان... ﴿**وتأكلون التراث أكلا لمّا. وتحبون المال حبا جمّا**﴾: وعند

هذا الحد من فضح حقيقة حالهم المنكرة، بعد تصوير خطإ تصورهم في الابتلاء ـ المنع والعطاء ـ، يجيء التهديد الرهيب بيوم الجزاء، وحقيقته بعد الابتلاء، ونتيجته. . . ﴿**كلا!. إذا دكت الأرض دكّا دكّا. وجاء ربك والملك صفّا صفّا. وجيء يومئذ بجهنم**﴾: فدكّ الأرض: تحطيم معالمها وتسويتها، وهو أحد الانقلابات الكونية التي تقع في يوم القيامة. فأما مجيء ربك والملائكة صفا صفا، فهو أمر غيبيّ لا ندرك طبيعته ونحن في هذه الأرض، ولكننا نحسّ من وراء التعبير بالجلال والهول. كذلك المجيء بجهنم ؛ نأخذ منه قربها من الناس، وقرب المعذبين منها وكفى، فأما حقيقة ما يقع وكيفيته، فهي من غيب الله المكنون ليومه المعلوم، إنّ ما يرتسم من وراء هذه الآيات ـ ومن خلال موسيقاها الحادة التقاسيم الشديدة الأسر ـ فهو مشهد ترجف له القلوب وتخشع له الأبصار!. فالأرض تُدكّ دكا دكا، والجبار المتكبر يتجلّى، ويتولى الحكم والفصل، وتقف الملائكة صفا صفا، ثم يُجاء بجهنم، فتقف متأهبة هي الأخرى! ..﴿**يومئذ يتذكر الإنسان وأنّى له الذكرى**﴾؟!: الإنسان الذي غفل عن حكمة الابتلاء بالمنع والعطاء، والذى أكل التراث أكلا لمّا، وأحب المال حبّا جمّا، والذى لم يكرم اليتيم، ولم يحضّ على طعام المسكين، والذى طغى وأفسد وتولى، فيومئذ يتذكر: يتذكر الحق ويتّعظ بما يرى، ولكن لقد فات الأوان، فأنّى له الذكرى ؟!. فلقد مضى عهد الذكرى، فما عادت تجدي هنا في دار الجزاء، فما هي إلا الحسرة على فوات الفرصة في دار العمل في الحياة الدنيا!. وحين تتجلى له هذه الحقيقة. . . ﴿**يقول: يا ليتنى قدمت لحياتي**﴾: ياليتني قدمت شيئا لحياتي هنا، فهي الحياة الحقيقية التي تستحق اسم الحياة، وهي التي تستأهل الإستعداد والتقدمة والإدخار لها، يا ليتنى!. فهي أمنية فيها الحسرة الظاهرة ؛ وهي أقصى ما يملكه الإنسان في الآخرة!. ثم يصور السياق مصير هذا الإنسان بعد الحسرة الفاجعة، والتمنيات الضائعة. . . ﴿**فيومئذ لا يعذب عذابه أحد. ولا يوثق وثاقه أحد**﴾: إنّه الله القهار الجبّار، الذي يعذب يومئذ عذابه الفذّ الذي لا يملك مِثْلَه أحد، والذى يوثق وثاقه الفذ الذي لا يوثق مثله أحد، وعذاب الله ووثاقه، يفصلهما القرآن في مواضع أخرى في مشاهد القيامة الكثيرة المتنوّعة في ثنايا القرآن كلّه، ويجملها هنا حيث يصفهما بالتفرد بلا شبيه من عذاب البشر ووثاقهم، ومن عذاب الخلق جميعهم ووثاقهم، وذلك مقابل ما أسلف في السورة من طغيان الطغاة ممثّلين في

عاد وثمود وفرعون ؛ وأكثارهم من الفساد في الأرض، مما يتضمن تعذيب الناس وربطهم بالقيود والأغلال. فها هو ذا ربك ـ أيّها النبي، وأيّها المؤمن ـ يعذب ويوثق من كانوا يعذبون الناس ويوثقونهم، ولكن شتّان بين عذاب وعذاب، ووثاق ووثاق!. ففي وسط هذا الهول المروّع، وهذا العذاب والوثاق الذي يتجاوز كل تصوّر، تُنَادى النفس المؤمنة من الملإ الأعلى... ﴿**يا أيّتها النفس المطمئنّة**﴾: هكذا في عطف وقرب، وفي روحانية وتكريم، وفي ثناء وتطمين، وفي وسط الشد والوثاق الانطلاق والرخاء... ﴿**ارجعي إلى ربك**﴾: ارجعى إلى ربك بما بينك وبينه من صلة ومعرفة... ﴿**راضية مرضية. فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي**﴾: فما بعد هذا الثناء ثناء!، وما بعد هذا الجزاء جزاء!.

13 ـ في سورة البلد،
أنواع مما يلاقيه الإنسان من كبد!..



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿1﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿2﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿3﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿4﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿5﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿6﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿7﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿8﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿9﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿10﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿11﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿12﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿13﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿14﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿15﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿16﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿17﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿18﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿19﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿20﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**لا أقسم بهذا البلد**﴾: المشار إليه البلد الحرام... ﴿**وأنت حل بهذا البلد**﴾: موجود فيه... ﴿**ووالد وما ولد**﴾: إبراهيم وإسماعيل ومحمد ـ عليهم السلام ـ... ﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾: تعب ومشقّة وكدح، مأخوذ من وجع الكبد لقسوته وشدّة ألمه، ثمّ اتسع فيه فاستعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة لمقاساة الشدائد... ﴿**أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ؟!. يقول أهلكت مالا لبدا**﴾: كثيرا متلبّدا بعضه فوق بعض... ﴿**أيحسب أنَ لَّمْ يره أحد ؟!. ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين**﴾؟!: طريقيي الخير والشر، وأصل النجد المكان المرتفع... ﴿**فلا اقتحم**﴾: دخل بسرعة مع ضغط وشدة... ﴿**العقبة**﴾: الطريق الوعر في الجبل... ﴿**وما أدراك ما العقبة**﴾؟ .﴿**فك رقبة**﴾: الفك تخليص شيء من شيء، والرقبة: العبد المملوك... ﴿**أو إطعام في يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة**﴾: المسغبة الجوع العام الذي يشقى به أكثر الناس، وذا المقربة: القريب في النسب، ويدخل فيه القريب في الجوار... أو مسكينا ذا متربة: فقر مدقع لا يملك إلاّ التراب... ﴿**ثم كان من الذين آمنوا. وتواصوا بالصبر**﴾: صبر الفقير على المسألة... ﴿**وتواصوا بالمرحمة**﴾: رحمة الغني على الفقير... ﴿**أولئك أصحاب الميمنة**﴾: أصحاب اليمين وأصحاب الميمنة؛ كما في سورة الواقعة... ﴿**والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة**﴾: أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة كما في السورة المذكورة... ﴿**عليهم نار موصدة**﴾: مغلقة أبوابها؛ لبقائهم فيها على الدوام.

مبحث الإعراب

﴿**لا أقسم**﴾ فعل مضارع دخلت عليه لا للتأكيد، والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**بهذا**﴾ متعلق بأقسم. ﴿**البلد**﴾ عطف بيان لهذا. ﴿**وأنت**﴾ في محل رفع مبتدأ، والواو واو الحال. ﴿**حلٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**بهذا**﴾ متعلق بحل. ﴿**البلد**﴾ عطف بيان كسابقه. ﴿**ووالد**﴾ معطوف على هذا. ﴿**وما**﴾ في محل جر معطوف على والد. ﴿**ولد**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة صلة ما. ﴿**لقد**

خلقنا الإنسان﴾ فعل وفاعل ومفعول، دخل عليه حرف التحقيق، واللام الواقع في جواب القسم، والجملة لا محل لها من الإعراب لوقوعها في جواب القسم. **﴿في كبد﴾** متعلق بخلقنا. **﴿أيحسب﴾** فعل مضارع دخل عليه حرف الاستفهام، والفاعل ضمير يعود على الإنسان. **﴿أن﴾** مخفّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. **﴿لن يقدر﴾** فعل مضارع منصوب بلن. **﴿عليه﴾** متعلق بيقدر. **﴿أحدٌ﴾** فاعل، والجملة خبر أن المخففة من الثقيلة، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول بالفعل قبله، أي: أيحسب الإنسان عدم قدرة أحد عليه ؟!. **﴿يقول﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الإنسان. **﴿أهلكت مالاً لبدًا﴾** فعل وفاعل ومفعول ونعت له، وجملة أهلكت مقول القول. **﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾** مثل أيحسب أن لن يقدر عليه أحد في الإعراب، غير أن الفعل المضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الألف، والضمير المتصل به مفعول به. **﴿ألم نجعل﴾** فعل مضارع مجزوم بلم، والهمزة للاستفهام، والفاعل نحن. **﴿له﴾** متعلق بنجعل. **﴿عينين﴾** مفعول به منصوب بالياء. **﴿ولسانا وشفتين﴾** معطوفان على عينين. **﴿وهديناه﴾** فعل وفاعل ومفعول معطوف على نجعل. **﴿النجدين﴾** مفعول ثانٍ. **﴿فلا أقتحم﴾** فعل ماض دخل عليه حرف النفي وفاء التعقيب، والفاعل ضمير يعود على الإنسان المتحدث عنه. **﴿العقبة﴾** مفعول به. **﴿وما أدرايك ما العقبة﴾** تقدّم إعراب نظير هذا. **﴿فك﴾** بدل من العقبة. **﴿رقبة﴾** مضاف إلى فك. **﴿أو إطعام﴾** معطوف على فك. **﴿في يوم﴾** متعلق بإطعام. **﴿ذي﴾** نعت ليوم مجرور بالياء. **﴿مسغبة﴾** مضاف إلى ذي. **﴿يتيما﴾** مفعول بالمصدر إطعام. **﴿ذا﴾** نعت ليتيما منصوب بالألف. **﴿مقربة﴾** مضاف إلى ذا. **﴿أو مسكينا ذا متربة﴾** معطوف على يتيما ذا مقربة وهو مثله في الإعراب. **﴿ثم كان﴾** اسم كان ضمير يعود على الإنسان المتحدث عنه. **﴿من الذين﴾** متعلق بمحذوف خبر كان. **﴿آمنوا﴾** صلة الذين، وجملة ثم كان معطوف على ما قبله بثم. **﴿وتواصوا﴾** فعل وفاعل معطوف على آمنوا. **﴿بالصبر﴾** متعلق بتواصوا. **﴿وتواصوا بالمرحمة﴾** معطوف على ما قبله وهو مثله في الإعراب. **﴿أولئك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿أصحاب﴾** خبر المبتدإ. **﴿الميمنة﴾** مضاف إلى أصحاب. **﴿والذين﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿كفروا﴾** صلة الذين. **﴿بآياتنا﴾** متعلق بكفروا. **﴿هم﴾** مبتدأ ثان. **﴿أصحاب﴾** خبره، وجملة المبتدإ الثانى وخبره خبر المبتدإ الأول. **﴿المشأمة﴾**

مضاف إلى أصحاب. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**نارٌ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**موصدة**﴾ نعت لنار.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد**﴾: ففي هذه السورة بيان لحقيقة الإنسان الذي طغى وبغى وأفسد في الأرض كما بُيّن في السورة السابقة، وهي مناسبة واضحة لما بين السورتين من ربط واتصال.

فالسورة تبدأ بالتلويح بقسم عظيم على حقيقةٍ في حياة الإنسان ثابتة، فيعظم الله البيت الحرام بحلول رسوله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ ليكون مثابة للناس وأمنا، وهي إيماءة ذات دلالة عميقة في هذا المقام!. والمشركون يستحلون حرمة هذا البيت، فيؤذون النبيء والمسلمين فيه ؛ والبيت عند الله كريم، يزيده كرما أنّ محمدا ﷺ حل فيه مقيم، وحين يقسم الله تعالى بالبلد والمقيم به ؛ فإنّه يخلع عليه عظمة وحرمة فوق حرمته، فيبدو موقف المشركين الذين يدّعون أنّهم سدنه البيت وأبناء إسماعيل، وعلى ملة إبراهيم موقفا منكرا قبيحا من جميع الوجوه!. ومن هذا المعنى يوجه النص إلى اعتبار ما فيه من قوله... ﴿**ووالد وما ولد**﴾: إشارة خاصّة إلى إبراهيم وإسماعيل ومحمد ـ عليهم السلام ـ بإضافة هذا إلى القسم بالبلد، والنبيء المقيم به، وهي إشارة إلى أنّ إبراهيم وإسماعيل هما اللذان بنيا هذا البيت. ثم يأتي جواب القسم، متضمنا حقيقة ثابتة في حياة الكائن الإنساني... ﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾!. فإنه لايزال يقاسي الشدائد من وقت نفخ الروح فيه إلى نزعها منه، وما وراءه من الكبد الأشق الأمر في الآخرة، فهو أخسر الخاسرين. وأفلح المفلحين من يكدح في الطريق إلى ربه ؛ ليلقاه بمؤهّلات تُنهي عنه كبد الحياة، وتنتهي به إلى الراحة الكبرى في ظلال الله ونعيمه!. ثم بعد تقرير هذه الحقيقة عن طبيعة الحياة الإنسانية، يناقش السياق به دعاوى الإنسان وتصرفاته في حياته... ﴿**أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ؟!. يقول: أهلكت مالاً لبدًا!. أيحسب أن لم يره أحد**﴾؟!: فهذا هو الإنسان المخلوق في كبد، فينسى حقيقة حاله، وينخدع بما يعطيه خالقه من أطراف القوّة والقدرة والوجدان والمتاع، فيتصرّف تصرّف الذي لا يحسب أنّه مأخوذ بعمله ؛ ولا يتوقع أن يقدر عليه قادر فيحاسبه، فيطغى ويبطش ويسلب وينهب ويجمع ويكثر ويفسق ويفجر دون أن

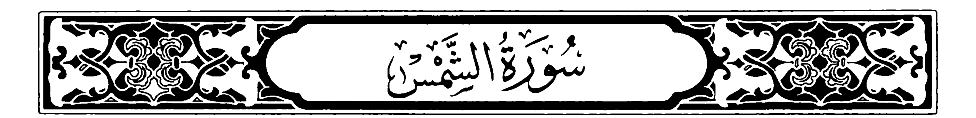
يخشى ودون أن يتحرّج، فهذه هي صفة الإنسان الذي يخلو قلبه من الإيمان، وينسى أن عين الله عليه، وأن علمه محيط به ؛ ويحسب أنّه في خفاء عن الرقيب الحسيب، فيفعل ما يفعل، ويقول ما يقول من الأعاجيب!. وأمام هذا الغرور الذي يخيل للإنسان أنّه ذو منعة وقوة، وأمام ظنه بالمال وادّعائه أنّه يبذل الكثير، يجابهه القرآن بفيض الآلاء عليه في خاصة نفسه، وفي تصميم تكوينه، وفي خصائص طبيعته واستعداداته، تلك الآلاء التي لم يشكرها ولم يقم بحقها عنده... ﴿**ألم نجعل له عينين. ولسانا وشفتين**﴾؟!. ثم أودع نفسه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، والهدى والضلال والحق والباطل... ﴿**وهديناه النجدين**﴾: ففي طبيعة الإنسان هذا الازدواج. وهذه الآية تكشف عن حقيقة الطبيعة الإنسانية، كما أنّها تمثل قاعدة النظرية النفسية الإسلامية، فهذه النعم كلّها لم تدفع هذا الإنسان الغنيّ الغبيّ إلى اقتحام العقبة، التي تحول بينه وبين الراحة والتعب... ﴿**فلا اقتحم العقبة**﴾: فهي الحائل بينه وبين المكسب الضخم، ففيه دفع وترغيب، ثم تفخيم لهذا الشأن وتقريب... ﴿**وما أدراك ما العقبة**﴾؟!. ثم يأتي بيان هذه العقبة وتوضيحها... ﴿**فك رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما ذا مقربة. أو مسكينا ذا متربة**﴾: فهاتان الخطوتان: فك الرقاب وإطعام السغاب كانتا من إيحاءات البيئة الملحّة ؛ وإن كانت لهما صفة العموم، ومن أجل هذا قدمها السياق في الذكر، ثم عقب بالوثبة الكبرى الشاملة... ﴿**ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة**﴾: فالمؤمن الفقير يتسم بالصبر، ويوصي به غيره من الفقراء، حتى يغنيهم الله من فضله، فلا يكونوا عالة على الأغنياء منهم، والمؤمن الغني يتسم بالبذل، ويوصي به غيره، فلا يكونون مصدر شقاء على الفقراء، بل يوصلون حقوقهم إليهم ؛ ولو كانوا أهل عفة وكرامة نفس، فهؤلاء المؤمنون الصابرون الراحمون الذين اقتحموا العقبة... ﴿**أولئك أصحاب الميمنة.**﴾ ثم في المقابل... ﴾والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة﴾: فلا حسنة مع الكفر، فإذا كفروا فلا ينفعهم شيء مما ادعوا، فهؤلاء هم الذين بقوا وراء العقبة لم يقتحموها... ﴿**عليهم نارٌ موصدة**﴾: فلا يخرجون منها أبدا!، فالعبارة فيها لازم المعنى، وفيها براعة المقطع، وفيها رد العجز على الصدر، يذكر أعظم الكبد وأطوله وأبعده في الشدّة والمدّة!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد. ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾: تضم هذه السورة الصغيرة طرفيها على حشد من الحقائق الأصلية في حياة الكائن الإنساني، ذات الإيحاءات الدافعة، واللمسات الموحية، حشدٍ يصعب أن يجتمع في هذا الحيز الصغير في غير القرآن الكريم، وأسلوبه الفريد الكبير!. ذلك: أنّه جمع البلد، ومن حل بهذا البلد، ومن بنى هذا البلد، بكلمات قليلة العدد، على أن الإنسان دائما في كبد!. فعند كل مرحلة من مراحل حياته يكابد المشاق والأهوال، حتى آخر مطاف في سيرته، فإمّا إلى جنّة وإمّا إلى نار، وهنالك المشقة الدائمة الداهية!، فيكون الكبد الأكبر للأشقياء، وتكون الراحة الكبرى للسعداء! ..﴿**ألم نجعل له عينين. ولسانا وشفتين وهديناه النجدين**﴾؟!: هذه الآلاء التي أفاضها الله على جنس الإنسان في خاصة نفسه، وفي صميم تكوينه، والتي من شأنها أن تعينه على الهدى: عيناه بما تريان في صفحات هذا الكون من دلائل القدرة، وموحيات الإيمان ؛ وهي معروضة في صفحات الكون مبثوثة في حناياه. ولسانه وشفتاه، وهما أداة البيان والتعبير، وبهما يملك الإنسان أن يفعل الشيء الكثير. وهدايته إلى إدراك الخير والشر، ومعرفة الطريق إلى الجنة والطريق إلى النار، وإعانته على الخير بهذه الهداية. فهذه النعم كلها لم تدفع هذا الإنسان إلى اقتحام العقبة التي تحول بينه وبين الجنة، وهذه العقبة التي بينها الله له في هذه الآيات... ﴿**فلا اقتحم العقبة**﴾: هذه هي العقبة التي تقف بينه وبين الجنة؛ لو تخطّاها لوصل... ﴿**وما أدراك ما العقبة ؟!. فك رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما ذا مقربة. أو مسكينا ذا متربة**﴾: فيبدأ كشف العقبة وبيان طبيعتها، بالأمر الذي كانت البيئة الخاصة التي تواجهها الدعوة في أمس الحاجة إليه: فك الرقاب العانية، وإطعام الطعام والحاجة إليه ماسة، للضعاف الذين تقسو عليهم البيئة الجاحدة المتكالبة!. وقد كان اليتيم يجد في البيئة الجاهلية الجاحدة المتكالبة الخسف والغبن ولو كان ذا قربى!. وكذلك إطعام المسكين ذى المتربة!. في يوم الشدّة والمجاعة والحاجة، فهاتان الخطوتان: فك الرقاب، وإطعام الطعام كانتا من إيحاءات البيئة التي تواجهها الدعوة. ثم عقب السياق بالوثبة الكبرى الشاملة... ﴿**ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة**﴾: فما ينفع فك رقاب، ولا إطعام سغاب بلا إيمان، فالإيمان مفروض وقوعه قبل فكّ

الرقاب، وإطعام السغاب، وهو الذي يجعل للعمل الصالح وزنا، في ميزان الله، فالإيمان هو الذي يحث ويحرض الفقير على الصبر، ويحث ويحرض الغنيّ على البذل في سرٍّ وخفاء... ﴿**أولئك أصحاب الميمنة**﴾: فهم أصحاب اليمين، والحظ الوفير، والسعادة الغامرة الشاملة... ﴿**والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة**﴾: فهؤلاء هم الذين بقوا وراء العقبة لم يقتحموها... ﴿**عليهم نار موصدة**﴾: فهذه هي الحقائق الأساسية في حياة الكائن الإنساني، وفي التصور الإيماني، تعرض في هذا الخبر الصغير، بهذه القوة وبهذا الوضوح، فهذه هي خاصيّة البيان القرآني الفريد.

14 ـ موضوع سورة الشمس،
بيان تقوى وفجور كل نفس



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿1﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿2﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿3﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿4﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿5﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿6﴾
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿7﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿8﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿9﴾
وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿10﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿11﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿12﴾
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿13﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴿14﴾
فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿15﴾ فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿16﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**والشمس وضحاها**﴾: الضحى: أول النهار بعد طلوع الشمس وقبل القيلولة. . . ﴿**والقمر إذا تلاها. والنهار إذا جلّاها**﴾: جعلها واضحة منيرة، وذلك عند انتفاء الغيم والضباب، ويكون ذلك في الأقاليم المعتدلة. . . ﴿**والليل إذا يغشاها. والسماء وما بناها. والأرض وما طحاها. ونفس وما سواها. فألهمها**

فجورها وتقواها﴾: أفهمها عرّفها: مكّنها من اختيار ما شاء من فجور أو تقوى. . . **﴿قد أفلح من زكاها﴾**: أنماها وأعلاها. . . **﴿وقد خاب من دسّاها﴾**: نقّصها وأخفاها بالفسوق. . . **﴿كذبت ثمود بطغواها﴾**: بطغيانها. . . **﴿إذ انبعث أشقاها﴾**: حين قام وانطلق أشقى ثمود. . . **﴿فقال لهم رسول الله﴾**: صالح عليه السلام. . . **﴿ناقة الله﴾**: ذروا ناقة الله. . . **﴿وذروا سقياها﴾**: شربها المعد لها «لها شرب. ولكم شرب يوم معلوم». . . **﴿فكذبوه فعقروها﴾**: قتلوها عقرا!.. **﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها﴾**: دمدم: أطبق عليهم العذاب، وعمّهم من كل جانب، فسواها: لم يفلت من ثمود أحد. . . **﴿فلا يخاف عقباها﴾**: فلا يخاف عاقبة هذا، كما يخاف الملوك من عاقبة ما يفعلون، فلا معقب لحكمه سبحانه وتعالى!.

مبحث الإعراب

﴿والشمس﴾ جرّت بواو القسم. **﴿وضحاها﴾** بالعطف على القسم. **﴿والقمر﴾** عطف على الشمس. **﴿إذا﴾** ظرف متعلق بفعل مقدّر. **﴿تلاها﴾** فعل ماض، والضمير مفعول به، والفاعل ضمير يعود على القمر، أي: أقسم بالقمر وقت مجيئه بعد الشمس. **﴿والنهار إذا جلاّها﴾** مثله. **﴿والليل إذا يغشاها﴾** كذلك. **﴿والسماء﴾** معطوف على الشمس. **﴿وما﴾** في محل جر معطوف على السماء. **﴿بناها﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة صلة ما. **﴿والأرض وما طحاها. ونفس وما سوّاها﴾** إعرابهما مثل إعراب والسماء وما بناها. **﴿فألهمها﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما. **﴿فجورها﴾** مفعول ثانٍ. **﴿وتقواها﴾** معطوف على فجورها. **﴿قد أفلح من﴾** فعل وفاعل دخل عليه حرف التحقيق، والجملة جواب القسم. **﴿زكّاها﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلة الموصول. **﴿وقد خاب من دسّاها﴾** معطوف على قد أفلح من زكّاها، وهو مثله في الإعراب. **﴿كذّبت ثمود﴾** فعل وفاعل. **﴿بطغواها﴾** متعلق بكذّبت. **﴿إذ﴾** ظرف متعلق بما تعلق به الجار والمجرور. **﴿انبعث أشقاها﴾** فعل وفاعل، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. **﴿فقال﴾** فعل ماض مرتب على ما قبله بالفاء. **﴿لهم﴾** متعلق بقال.

﴿**رسولُ**﴾ فاعل. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى رسول. ﴿**ناقة**﴾ مفعول بفعل مقدر ؛ احذروا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى ناقة. ﴿**وسقياها**﴾ معطوف على ناقة. ﴿**فكذّبوه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، مرتب بالفاء على ما قبله. ﴿**فعقروها**﴾ مرتب بالفاء على ما قبله، وهو مثله في الإعراب. ﴿**فدمدم**﴾ فعل ماض مرتب بالفاء على ما قبله. ﴿**عليهم**﴾ متعلق به. ﴿**ربُّهم**﴾ فاعل. ﴿**بذنبهم**﴾ متعلق بدمدم. ﴿**فسوّاها**﴾ فعل ماض مرتب بالفاء على ما قبله، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ربهم. ﴿**فلا يخاف**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي، وفاء التعقيب، والفاعل ضمير يعود على ربهم .﴿**عقباها**﴾ مفعول به منصوب بفتحة مقدّرة على الألف.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والشمس. . .**﴾ إلى آخر القسم. ولما ختم ـ سبحانه ـ سورة البلد، بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، أعاد ـ جل شأنه ـ في سورة الشمس حال الفريقين ـ على سبيل الفذلكة ـ بقوله تعالى. . . ﴿**قد أفلح من زكّاها. وقد خاب من دسّاها**﴾: وختم ـ سبحانه ـ الأولى، بشيء من أحوال الكفرة في الآخرة، وختم هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا. يقسم الله سبحانه بهذه الخلائق والمشاهد الكونيّة، كما يقسم بالنفس وتسويتها وإلهامها، ومن شأن هذا القسم أن يخلع على هذه الخلائق قيمة كبرى، وأن يوجه إليها القلوب تتأملها، وتتدبر ماذا لها من قيمة ؟!. وماذا بها من دلالة ؟!. فنجد هذا القسم بالشمس وضحاها، يوحى بدلالة خاصة على هذا الوقت بالذات، وبالقمر إذا تلاها كذلك، وبالنهار إذا جلاّها: هو قسم في غاية الدلالة على نعم الشمس وفوائدها، وكذلك: والليل إذا يغشاها، فهو مشهد له في النفس وقع، وله في حياة الإنسان أثر كالنهار سواء!. ثم يقسم سبحانه بالسماء وما بناها. والأرض وما طحاها. ثم تجيء الحقيقة الكبرى عن النفس البشرية في سياق هذا القسم، مرتبطة بالكون ومشاهده وظواهره، وهي إحدى الآيات الكبرى في هذا الوجود المترابط المتناسق. ثم يأتي جواب القسم: قد أفلح من زكّاها. وقد خاب من دسّاها محقّقا مؤكّدا، ففي النفس قوّة واعية مدركة، موجهة في ذات الإنسان، هي التي تُناط بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها، وتنمية استعداد الخير فيها وتغليبه على استعداد الشر، فقد

أفلح!. ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها، فقد خاب!. فهذه في جملتها هي مشيئة الله بالإنسان، وكل ما يتم في دائرتها، فهو مُحقِّق لمشيئة الله، وقَدره العام... ﴿**كذّبت ثمود بطغواها. إذ انبعث أشقاها**﴾: استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى: وقد خاب من دسّاها، فهو نموذج من نماذج الخيبة التي ينتهي إليها من يدسُّ نفسَه فيحجبها عن الهدى ويدنّسها ؛ ممثلا هذا النموذج في أصحاب ثمود من غضب ونكال وهلاك... ﴿**فقال لهم رسول الله: ناقة الله وسقياها. فكذّبوه. فعقروها. فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها فلا يخاف عقباها**﴾: ففي هذا الأسلوب تترابط الأحداث متوالية، بعضها إثر بعض، يظهر فيه قوة التأليف وجمال التركيب بإظهار رهبة الجلال، وعظمة القاهر القادر سبحانه وتعالى، وفيه تظهر براعة المقطع في نهاية المطاف!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**والشمس وضحاها. والقمر إذا تلاها. والنهار إذا جلاّها. والليل إذا يغشاها. والسماء وما بناها. والأرض وما طحاها. ونفس وما سوّاها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكّاها. وقد خاب من دسّاها**﴾: هذه السورة القصيرة ذات القافية الواحدة، والإيقاع التعبيري الموحّد، تتضمن عدّة لمسات وجدانيّة، تنبثق من مشاهد الكون وظواهره التي تبدأ بها هذه السورة، والتي تظهر كأنّها إطارٌ للحقيقة الكبيرة التي تتضمنها السورة ؛ حقيقة النفس الإنسانيّة واستعداداتها الفطريّة، ودور الإنسان في شأن نفسه وتبعته في مصيرها، فهذه هي الحقيقة التي يربطها سياق السورة بحقائق الكون، ومشاهده الثابتة. وهنا يجد الباحث والقارئ القسم الموحي بالشمس وضحاها، فيجد القسم بالشمس عامة، وحين تضحى وترتفع عن الأفق بصفة خاصة، وهي أروق ما تكون في هذه الفترة وأحلى، ففي الشتاء يكون وقت الدفء المستحب الناعش، وفي الصيف يكون وقت الإشراق الرائق، قبل وقدة الظهيرة وقيضها، فالشمس في الضحى في أروق أوقاتها وأصفاها. ثم يجد الباحث والقارئ كذلك القسم الموحي بالقمر إذا تلاها، فبين القمر والقلب البشري، ودٌّ قديم موغل في السرائر والأعماق، غائر في شعاب الضمير. ويجد أيضا في القسم الموحي بالنهار إذا جلاّها، فالشمس لا تروق إلاّ مع النهار الصافي الخالي من الغيوم والضباب، فالنهار في الأقاليم المعتدلة، غيره

في الأقاليم الغائمة المظلمة أكثر الوقت، مثل الأقاليم البعيدة عن خط الاستواء. ثم مثله والليل إذا يغشاها، فالليل غشاء يضم كل شيء ويخفيه، فهو مشهد له في النفس وقع وله في حياة الإنسان أثر كالنهار سواء. ثم بالسماء وما بناها، فلفظ السماء حين يذكر يسبق إلى ذهن السامع والقارئ هذا الذي يراه فوقه كالقبة، حيثما اتجه تتناثر فيه النجوم والكواكب السابحة في أفلاكها ومداراتها، فأمّا حقيقة السماء فلا يدر بها أحد من البشر غير الرسل، وهذا الذي يُرى فوق رؤوس البشر متماسكا لا يختل ولا يضطرب، تتحقق فيه صفة البناء بثباته وتماسكه، أمّا كيف هو مبنيّ ؟. وما الذي يمسك أجزاءه فلا تتناثر ؟. فذلك مالا يدريه أحد من البشر، إنّما يوقن المؤمن مِن وراء كل شيء أنّ يد الله هي التي تمسك هذا البناء، فهذا هو العلم المستَيقنُ الوحيد!. «إنّ الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا. . . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده!». كذلك يجد السامع والقارئ هذا القسم الموحي بالأرض وما طحاها، فبسط الأرض ووسعها وتمهيدها للحياة، حقيقة قائمة تتوقف على وجودها بهذه الكيفية، حياة الجنس البشري وسائر الأجناس من الدواب. ثم تجيء الحقيقة الكبرى عن النفس البشرية في سياق هذا القسم مرتبطة بالكون ومشاهدة ومظاهره وهي في أحداث الآيات الكبرى وفي هذا الوجود والترابط المتناسق، فهذه الآيات الأربع في بيان حقيقة النفس البشرية، بالإضافة إلى آية سورة البلد السابقة: «وهديناه النجدين»، وآية سورة الإنسان: «إنّا هديناه السبيل، إمّا شاكرا وإمّا كفورا»، تمثل قاعدة النظرية النفسية للإسلام، فهذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الإتجاه، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنّه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء، وأنّ هذه القدرة كامنة في كيانه، يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة وبالهداية تارة أخرى، ورحمة من الله تعالى بالإنسان لم يدعه لاستعداد فطرته الإلهامي، ولا للقوّة الواعية المالكة للتصرف، فإيمانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة الدقيقة، وتكشف له عن موجبات الإيمان، ودلائل الهدى في نفسه، وفي الآفاق من حوله، وتجلو عنه غواشي الهوى، فيبصر الحق في صورته الصحيحة، وبذلك يتضح له الطريق وضوحا كاشفا لاغبش فيه ولا شبهة. فهذه النظرة المجملة إلى أقصى حد تنبثق منها جملةُ حقائق ذات قيمة في التوجيه التربوي، فهي أولا: ترتفع بقيمة هذا الكائن الإنساني، حين تجعله أهلاً لاحتمال

تبعة اتجاهه، وتمنحه حرية الاختيار. وهي ثانيا: تلقي على هذا الكائن تبعة مصيره، وتجعل أمره بين يديه. وهي ثالثا: تُشعر هذا الإنسان بالحاجة الدائمة للرجوع إلى الموازين الإلهيّة الثابتة؛ ليظل على يقين أنّ هواه لم يخدعه، فبذلك يظلُّ قريبا من الله، يهتدي بهديه، ويستضيء بالنور الذي أمده به في متاهات الطريق! ..﴿**كذبت ثمود بطغواها. إذ انبعث أشقاها. فقال لهم رسول الله: ناقة الله وسقياها. فكذّبوه فعقروها**﴾: فقد وردت قصة ثمود ونبيئها صالح عليه السلام، في مواضع شتّى من القرآن، فأمّا في هذا الموضع، فهو يذكر أنّ ثمود بسبب طغيانها كذّبت بنبيئها، فكان الطغيان وحده هو سبب التكذيب، وتمثل هذا الطغيان في انبعاث أشقاها، وهو الذي عقر الناقة، وهو أشدها شقاء وأكثرها تعاسة بما ارتكب من الإثم، وقد حذرهم رسول الله قبل الإقدام على الفعلة فقال لهم: احذروا أن تمسوا ناقة الله، أو أن تمسوا الماء الذي جعل لها يوما ولهم يوما، فكذبوا النذير فعقروا الناقة، والذى عقرها هو هذا الأشقى، ولكنّهم جميعا حملوا التبعة وعُدُّوا أنّهم عقروها ؛ لأنّهم لم يضربوا على يده، بل استحسنوا فعلته. وهذا مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية في التكافل، والتبعة الاجتماعية في الحياة الدنيا، لا يتعارض مع التبعة الفردية في الجزاء الأخروي، حيث لا تزر وازرة وزر أخرى، على أنّه من الوزر إهمال التناصح والتكافل، والحض على البر، والأخذ على يد البغي والشر. عندئذ تتحرك يد القدرة لتبطش البطشة الكبرى. . . ﴿**فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها**﴾: فأطبق عليهم العذاب وسواه بينهم، فلم ينج منه أحد. . . ﴿**فلا يخاف عقباها**﴾: فالذي لا يخاف عاقبة ما يفعل، يبلغ غاية البطش حين يبطش، وهو يحكم لا معقّب لحكمه، فحكم الله عادل، وأمره نافذ!. «ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين».

15 ـ موضوع سورة الليل،
يقرر الفرق بين الإحسان والبُخْل



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿1﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿2﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿3﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿4﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿5﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿6﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿7﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿8﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿9﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿10﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿11﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿12﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿13﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿14﴾
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿15﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿16﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿17﴾
الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿18﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿19﴾
إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿20﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿21﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**والليل إذا يغشى**﴾: يغطي كل ما يواريه بظلامه... ﴿**والنهار إذا تجلّى**﴾: ظهر وتبيّن وانبلج ضوؤه... ﴿**وما خلق الذكر والأنثى**﴾: صنفي الذكر والأنثى من كل ما له توالد... ﴿**إنّ سعيكم لشتى**﴾: مساعيكم لأشتات مختلفة، يفصلها قوله... ﴿**فأمّا من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى. فسنيسره لليسرى**﴾ يقابل هذا... ﴿**وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى. فسنيسره للعسرى. وما يغنى عنه ماله إذا تردّى**﴾: إذا سقط فهلك... ﴿**إنّ علينا للهدى وإنّ لنا للآخرة والأولى. فأنذرتكم نارا تلظّى**﴾: تلهب وتتأجّج... ﴿**لا يصلاها إلاّ الأشقى الذي كذّب وتولّى. وسيجنّبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكّى. وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلاّ ابتغاء وجه ربه الأعلى**﴾: ليس لأحد عند الله نعمة تستحق الجزاء، إلاّ ما كانت خالصة يبتغى بها وجه الله سبحانه وتعالى... ﴿**ولسوف يرضى**﴾: يرضى من الله على جزائه بما نال ما يبتغيه على أكمل الوجوه

مبحث الإعراب

﴿**والليل**﴾ الواو واو القسم، والليل مجرور بواو القسم. ﴿**إذا**﴾ ظرف مبني على السكون في محل نصب، متعلق بالفعل المقدّر أقسم. ﴿**يغشى**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف، والفاعل ضمير يعود على الليل، والمعنى: أقسم بالليل وقت انتشار ظلامه، وغشيانه كُلّ ما يدخل فيه. ﴿**والنهار إذا تجلّى**﴾ معطوف على ما قبله، مثله في الإعراب. ﴿**وما**﴾ اسم موصول في محل جر معطوف على الليل، أي: وحق القادر الذي خلق الذكر والأنثى. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على ما. ﴿**الذكر**﴾ مفعول به. ﴿**والأنثى**﴾ معطوف على الذكر، والجملة صلة ما. ﴿**إنّ سعيكم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لشتّى**﴾ خبر إنّ مرفوع بضمّة مقدرة على الألف، واللام لتوكيد الخبر، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿**فأمّا**﴾ أداة تفصيل، والفاء للتعقيب. ﴿**مَنْ**﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ. ﴿**أعطى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ، والجملة صلتها. ﴿**واتّقى وصدّق**﴾ معطوفان على أعطى. ﴿**بالحسنى**﴾ متعلق

بصدّق. ﴿**فسنيسره**﴾ فعل مضارع، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل نحن، والجملة خبر المبتدإ ـ مَنْ ـ، وربط بالفاء لما في أمّا من معنى الشرط. ﴿**لليسرى**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى**﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب. ﴿**وما يغنى**﴾ فعل مضارع منفي بما، والواو للعطف. ﴿**عنه**﴾ متعلق بيغني. ﴿**مالُه**﴾ فاعل. ﴿**إذا**﴾ ظرف متعلق بيغني. ﴿**تردّى**﴾ فعل ماض والفاعل ضمير يعود على مَنْ بخل، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**إنّ علينا**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدّم. للهدى اسمها مؤخر منصوب بفتحة مقدرة على الألف، واللام لتقوية الخبر. ﴿**وإنّ لنا للآخرة**﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب. ﴿**والأولى**﴾ معطوف على الآخرة منصوب بفتحة مقدّرة على الألف. ﴿**فأنذرتكم**﴾ فعل وفاعل ومفعول مفرع بالفاء على ما قبله. ﴿**نارًا**﴾ مفعول ثان. ﴿**تلظّى**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمّة مقدّرة على الألف، وحذفت تاء المضارعة للتخفيف، وأصلها تتلظى، والفاعل ضمير يعود على نار، والجملة نعت لنار .﴿**لا يصلاها**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**إلاّ الأشقى**﴾ فاعل، وإلاّ ملغاة. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت للأشقى. ﴿**كذّب**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الأشقى. ﴿**وتولّى**﴾ معطوف على كذّب، وجملة كذّب صلة الموصول. ﴿**وسيجنبها**﴾ فعل مضارع مبنيٌّ للمجهول، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**الأتقى**﴾ نائب الفاعل، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت للأتقى. ﴿**يؤتي**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلته. ﴿**ماله**﴾ مفعول به. ﴿**يتزكّى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة حال منه. ﴿**وما لأحد عنده**﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿**من نعمة**﴾ مبتدأ مؤخر، جُرّ بحرف الجر الزائد في محل رفع، وما نافية، والواو للعطف. ﴿**تجزى**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على نعمة، والجملة نعت لنعمة. ﴿**إلاّ ابتغاء**﴾ منصوب على الاستثناء. ﴿**وجه**﴾ مضاف إلى ابتغاء. ﴿**ربه**﴾ مضاف إلى وجه. ﴿**الأعلى**﴾ عطف بيان لربه مجرور بكسرة مقدّرة على الألف. ﴿**ولسوف يرضى**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التسويف، ولام القسم، وواو العطف، والفاعل ضمير يعود على الأتقى.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلى. وما خلق الذكر والأنثى**﴾: ففي هذه السورة تفصيل لما في السورة التي قبلها، وهي مناسبة واضحة. وكذلك بدء هذه بالقسم المشابه للقسم الذي ابتدئت به السورة قبلها، وتقسيم النفس التي ذكرت في السورة السابقة، إلى ذكر وأنثى في السورة اللاّحقة، وفي السورة السابقة ذكر أشقى خاص، وهذه ذكر فيها الأشقى على وجه العموم، وجملة... ﴿**إنّ سعيكم لشتى**﴾: جواب القسم كما هو معلوم... ﴿**فأمّا من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى**﴾: تفصيل لقوله تعالى: إن سعيكم لشتّى، وهو تفصيل شامل لمساعي الخير كلها، وتبيين أحكامها، فأمّا من أعطى حقوق ماله، واتقى محارم الله تعالى، وصدق بالملّة الحسنى... ﴿**وأمّا من بخل واستغنى. وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى**﴾: وصلت الجملة بالعطف على ما قبلها لبيان الفرق بين الإيمان والبذل، والتكذيب والبخل، فهما طريقان ونهجان لكل البشرية في كل زمان ومكان، وقد تبين من هذا أنّ الذي يبخل بماله حرصا عليه، لا يغنيه ولا يفيده يوم يسقط في النهاية في مهاوي الردى... ﴿**وما يغني عنه ماله إذا تردّى**﴾!. هكذا ينتهي المقطع الأول من السورة، فأمّا المقطع الثانى فيتحدّث عن مصير كل فريق، ويكشف عن نهاية المطاف لمن يسره الله لليسرى ومن يسَّره للعسرى، وقبل كل شيء يقرر أنّ ما يلاقيه كل فريق من عاقبة ومن جزاء، هو عدل وحق، كما أنّه واقع وحتم، فقد بيّن الله للناس الهدى، وأنذرهم نارًا تلظّى... ﴿**إنّ علينا للهدى. وإنّ لنا للآخرة والأولى. فأنذرتكم نارا تلظّى. لا يصلاها إلا الأشقى. الذي كذّب وتولّى. وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله يتزكّى**﴾: فجملة إنّ علينا للهدى وما عطف عليه، استئناف مقرر لما قبله، فقد بين الله ذلك بما لا مزيد عليه، حيث بيّن حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا. وقوله تعالى... ﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلاّ ابتغاء وجه ربه الأعلى**﴾: بيان مقرر لكون الإيتاء خالصا لوجه الله الكريم، ثم إنّ الجزاء الذي يطالع القرآن به النفوس المؤمنة هنا عجيب ومفاجئ، وعلى غير المألوف... ﴿**ولسوف يرضى**﴾: فهو جزاء لا يمنحه إلاّ الله تعالى، وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها ؛ إذ به يتحقق الرضا الذي ما بعده رضى!. فهو يرضى وقد بذل الثمن، وقد أعطى ما أعطى، إنّها مفاجأة في موضعها هذا، ولكنها المفاجأة

المرتقبة لمن يبلغ ما بلغه الأتقى!. وبهذه المفاجأة تظهر براعة المقطع ظهورا بيّنًا!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلى. وما خلق الذكر والأنثى. إن سعيكم لشتّى**﴾: ففي إطار من مشاهد الكون وطبيعة الإنسان، تقرر السورة حقيقة العمل والجزاء. ولما كانت مظاهر هذه الحقيقة ذات لونين وذات اتجاهين، كذلك كان الإطار المختار لها في مطلع السورة ذا لونين في الكون وفي النفس، وهذا من بدائع التناسق في التعبير القرآني!. فالليل والنهار آيتان، متقابلان في دورة الفلك، ومتقابلان في الصورة، ومتقابلان في الخصائص، وكذلك نوع الإنسان نوعان متقابلان تكملة لظواهر التقابل في جو السورة وحقائقها جميعا، فدلالة هذه الظواهر عند التدبر والتفكر، قاطعة في أنّ وراء هذه يدًا تدير هذا الفلك، وتبدل الليل والنهار، بهذا الإنتظام وهذا الاطّراد وهذه الدقّة ؛ وأنّ الذي يدبّر الفلك هكذا يدبر حياة البشر أيضا فلا يتركهم سدى، كما أنّه لا يخلقهم عبثا. فهذه بعض إيحاءات تلك المشاهد الكونيّة، وهذه الحقيقة الإنسانيّة التي يقسم الله سبحانه بها لعظيم دلالتها، وعميق إيقاعها، والتي يجعلها السياق القرآني إطارا لحقيقة العمل والجزاء في الحياة الدنيا وفي الحياة الأخرى. فيقسم الله بهذه الظواهر والحقائق المتقابلة في الكون وفي الناس على أنّ سعي الناس مختلف، وطرقهم مختلفة، ومن ثمَّ فجزاؤهم مختلف كذلك، فليس الخير كالشر، وليس الهدى كالضلال، وليس الصلاح كالفساد، وليس من أعطى واتقى، كمن بخل واستغنى، وليس من صدق وآمن، كمن كذّب وتولّى. فإنّ لكلٍ طريقا، ولكلٍ مصيرا، ولكلٍ جزاءً وفاقا! ..﴿**فأمّا من أعطى واتقى وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى. فسنيسره للعسرى. وما يغني عنه ماله إذا تردّى**﴾: فالذى يعطي ويتّقي ويصدّق بالملّة الحسنى، يكون قد بذل أقصى ما في وسعه ليزكّي نفسه ويهديها، فعندئذ يستحق عون الله وتوفيقه الذي أوجبه ـ سبحانه ـ على نفسه بإرادته ومشيئته، ومن يسَّره الله لليسرى فقد وصل، وصل في يسر، وفي رفق، وفي هوادة، وصل وهو بعدُ في هذه الأرض، وعاش في يسر.

يفيض اليسر من نفسه على كل ما حوله، وعلى كل من حوله، اليسر في

خطوه، واليسر في طريقه، واليسر في تناوله للأمور كلها. والذى يبخل بنفسه وماله، ويستغني عن ربه وهداه، ويكذّب بدعوته ودينه، يبلغ أقصى ما يبلغه إنسان بنفسه من تعريضها للفساد، ويستحق أن يعسّر الله عليه كلّ شيء، فإذا تردّى وسقط في النهاية لم يغن عنه ماله الذي بخل به، والذى استغنى به عن الله وهداه! . . . ﴿**إنّ علينا للهدى**﴾: فقد كتب الله على نفسه ـ فضلا منه بعباده ورحمة ـ أن يبيّن الهدى لفطرة الناس ووعيهم ؛ وأن يبينه لهم كذلك بالرسل والرسالات والآيات البينات، حتى لا تكون حجة لأحد، ولا يكون في هذه ظلم لأحد. . . ﴿**وإنّ لنا للآخرة والأولى**﴾: فأين يذهب من يريد أن يبتعد عن الله بعيدا؟! . . . ﴿**فأنذرتكم نارا تلظى**﴾: فهذه النار المتسعرة المتأججة. . . ﴿**لا يصلاها إلا الأشقى. الذي كذّب وتولّى. وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله يتزكّى**﴾: فالذي ينفق ماله ليتطهّر بإنفاقه، لا ليرائي به ويستعلي. ينفقه تطوعا لا ردًّا لجميل أحد، ولا طلبا لشكران أحد، وإنّما ابتغاء وجه ربه خالصا ـ ربه الأعلى ـ! . . . ﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلاّ ابتغاء وجه ربه الأعلى**﴾: ثم ماذا؟ . ماذا ينتظر هذا الأتقى؟!. إنّه الرضى ينسكب على هذا الأتقى، إنّه الرضى يغمر روحه، ويفيض على جوارحه، ويشيع في كيانه، ويا له من جزاء، ويا له من نعمة كبرى! ..﴿**ولسوف يرضى**﴾: فهذا الرضى نفسه جزاء، فهو أكبر من كل جزاء. جزاء يستحقّه من يبذل له نفسه وماله، من يُعطى ليتزكّى، ومن يبذل ابتغاء وجه ربه الأعلى!.

16 ـ موضوع سورة الضحى، قبس من قبس النور المُوحَى!..



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿1﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿2﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿3﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿4﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿5﴾
أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿6﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿7﴾
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿8﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿9﴾
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿10﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿11﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿والضحى﴾: هو وقت ارتفاع الشمس، وصدر النهار... **﴿والليل إذا سجى﴾**: تقدّم معناه في سورة الليل في قوله تعالى: «والليل إذا يغشى»، غير أنّه قال هنا: إذا سجى: ركد ظلامه وسكن أهله، مأخوذ من قولهم: سجى البحر سجوًا إذا سكنت أمواجه... **﴿ما ودّعك ربُّك وما قلى﴾**: ما تركك ترك المودع، وما قطعك، بل وَالَى إنعامه عليك، وما أبغضك وجفاك... **﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾**: لنهاية أمرك خير من بدايته، فلا تزال تتزايد قوّة، وتتصاعد رفعة!..

﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾: عِدَةً كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى في الدنيا، من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين، وظهور الأمر وإعلاء الدين، ولما ادخر الله له في الآخرة، من الكرامات والدرجات التي لا يعلمها إلا الله تعالى رب العالمين. . . ﴿**ألم يجدك يتيما فآوى**﴾: قد وجدك يتيما بلا أب، فآواك في كنفه ورعاك بلطفه! . . . ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾: قد وجدك غافلا عن الشرائع، حائرا لما عليه قومك من الرذائل والفظائع! ..﴿**ووجدك عائلا فأغنى**﴾: قد وجدك فقيرا، فأغناك بمال خديجة، وبما أفاء عليك من الغنائم، فيما يأتي من الوقائع! ..﴿**فأمّا اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر**﴾: فقد كنت يتيما ضعيفا، وضالا حائرا، وعائلا فقيرا، فآواك الله وهداك وأغناك، فمهما يكن من شيء، فلا تنسى نعمة الله عليك، وأحسن كما أحسن الله إليك. فبلغ ما أنزل إليك. . . ﴿**وأمّا بنعمة ربك فحدّث**﴾!.

مبحث الإعراب

﴿**والضحى**﴾ قسم بالواو مجرور بكسرة مقدّرة على الألف. ﴿**والليل**﴾ معطوف عليه. ﴿**إذا**﴾ ظرف متعلق بمقدّر يدل عليه واو القسم، أى: وأقسم بالليل عند سجوِّه هدوئه وسكونه. ﴿**سجى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الليل. ﴿**ما ودّعك**﴾ فعل ماض منفي بما، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ربُّك**﴾ فاعل، والجملة جواب القسم. ﴿**وما قلى**﴾ معطوف على ما قبله، والمفعول مقدر، أى: وما قلاك. ﴿**وللآخرةُ**﴾ مبتدأ، دخل عليه لام الابتداء وواو العطف. ﴿**خيرٌ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**لك من الأولى**﴾ متعلقان بخير. ﴿**ولسوف يعطيك**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف التسويف، ولام القسم، وواو العطف، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**ربُّك**﴾ فاعل. ﴿**فترضى**﴾ مرتب بالفاء على ما قبله، والفاعل ضمير يعود على المخاطب، وهو رسول الله محمد ﷺ . ﴿**ألم يجدك**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، والهمزة للاستفهام، والضمير المتصل به مفعول أول، والفاعل ضمير يعود على ربك. ﴿**يتيما**﴾ مفعول ثان. ﴿**فآوى**﴾ مرتب بالفاء على الفعل قبله. ﴿**ووجدك**﴾ معطوف على قوله: ألم يجدك، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول. ﴿**ضالاً**﴾ مفعول ثان. ﴿**فهدى**﴾ مرتب على ما قبله. ﴿**ووجدك عائلا فأغنى**﴾ كذلك. ﴿**فأمّا**﴾ أداة تفصيل مفرعة بالفاء. ﴿**اليتيم**﴾ مفعول مقدم. ﴿**فلا تقهر**﴾

فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاء رابط، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**وأمّا السائل فلا تنهر**﴾ مثله في الإعراب. ﴿**وأمّا بنعمة**﴾ متعلق بفعل الأمر الآتي. ﴿**ربّك**﴾ مضاف إلى نعمة. ﴿**فحدّث**﴾ فعل أمر، والفاعل ضميرالمخاطب، والجملة معطوفة على قوله: فأمّا اليتيم فلا تقهر.

مبحث الأسلوب البلاغي

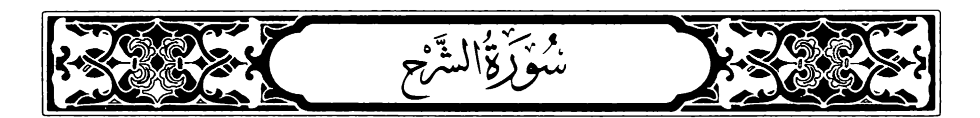
﴿**والضحى والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى**﴾: فهذه السورة لها علاقة بما قبلها من حيث أنّ الهدى الذي ذكر في سورة الليل، هو الهدى الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ، والذى كان متضمنا في رسالته العامة. فكانت سورة الضحى بموضوعها وتعبيرها ومشاهدها وظلالها وإيقاعها قبسا من النور الذي جاء به هذا الرسول، فهي خالصة له ﷺ. كلُّها ودٌّ وتسلية وترويح وتطمين. فقد أطلق هذا الأسلوب بهذا التعبير جوًّا من الحنان اللطيف، والرحمة الوديعة، والرضى الشامل، والشجى الشفيف!.. ما ودعك ربك وما قلى: فظل الأنس في هذه السورة هو المراد مده، فمنذ مطلع السورة وهو يقرر أنّ ربه أفاض من حوله الأنس في هذا الوجود، وأنّه من ثَمَّ غير مجفوّ فيه ولا فريد وحيد!... ﴿**وللآخرة خير لك من الأولى**﴾: فلا تزال تتزايد قوة، وتتصاعد رفعة من يوم وجودك، إلى يوم خلودك... ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾: فجملة وللآخرة خير لك من الأولى، وجملة ولسوف يعطيك ربك فترضى جملتان مؤكدتان بلام القسم، التي يتحقق مضمونها لا محالة، وقد تحقق ذلك في الدنيا بإعطائه ﷺ كل كمال في الخَلق والخُلق، وكل ما يريده من فُشوّ الدعوة ونعيمها على جميع الخلق، وفي الآخرة ما ادّخر له من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله تعالى الملك الحق! ..﴿**ألم يجدك يتيما فآوى**﴾؟!. هذا تعديد وتفصيل لما أفاضه الله على رسوله من أول نشأته إلى يوم بعثته، من فنون النعماء العظام ؛ ليستشهد بالحاضر الموجود على المرتقب الموعود، فيطمئنُّ قلبه وينشرح صدره... ﴿**ووجدك ضالا فهدى**﴾: موصول بالعطف على ما قبله، أى: ووجدك غافلا عن الشرائع التي لاتهتدي إليها العقول... ﴿**ووجدك عائلا فأغنى**﴾: موصول كذلك بالعطف على قوله: ﴿**ألم يجدك يتيما فآوى**﴾، وبمناسبة ما ذكّره ربه بإيوائه من اليتم، وهدايته من الحيرة، وإغنائه من العيلة يوجهه ربه إلى رعاية كل يتيم، وإلى كفاية كل سائل، وإلى

التحدّث بنعمة الله الكبرى عليه. . . ﴿**فأمّا اليتيم فلا تقهر**﴾: فمهما يكن من شيء، فلا تقهر اليتيم. . . ﴿**وأمّا السائل فلا تنهر**﴾: ومهما يكن من شيء، فلا تنهر السائل. . . ﴿**وأمّا بنعمة ربّك فحدّث**﴾، ومهما يكن من شيء، فحدّث الناس بهذه النعمة ؛ نعمة الرسالة. فقد اندرج تحت الأمر هدايته للضلاّل، وتعليمه للشرائع والأحكام حسبما هداه الله وعلّمه من الكتاب والحكمة، وفي هذا براعة المقطع بحسن الختام!.

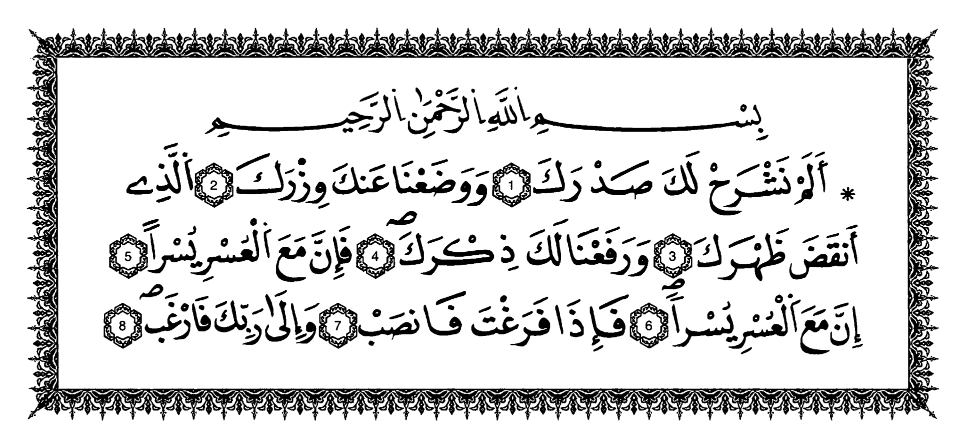
خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام!

﴿**والضحى والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى**﴾: فيقسم الله سبحانه وتعالى بهذين الوقتين ؛ الضحى والليل إذا سجى، فيربط بين ظواهر الكون ومشاعر النفس، ففي هذا إيحاء إلى الرسول منذ مطلع السورة: أنّ ربه أفاض عليه من النعم العظام، التي شملته من بدء وجوده إلى غاية خلوده. . . ﴿**وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾: فهذا هو الخير أولاً وأخيرا!، وربك يدخر لك ما يرضيك من التوفيق في دعوتك، وإزاحة العقبات من طريقك، وغلبة منهجك، وظهور حقك. ثم يمضي سياق السورة يذكّر الرسول ﷺ ما كان من شأن ربه معه، منذ أول الطريق ؛ ليستحضر في خاطره جميل صنع ربه به، ومودته له، وفيضه عليه، ويستمتع باستعادة مواقع الرحمة والود والإيناس، فهو متاع فائق تحييه الذكرى، على هذا النحو البديع. . . ﴿**ألم يجدك يتيما فآوى؟. ووجدك ضالا فهدى ؟. ووجدك عائلا فأغنى**﴾ ؟!: فقد ولدت يتيما فآواك، وكنت حائرا فهداك، وفقيرا فأغناك. . . ﴿**فأمّا اليتيم فلا تقهر. وأمّا السائل فلا تنهر. وأمّا بنعمة ربك فحدث**﴾: فهذه التوجيهات إلى إكرام اليتيم، والنهي عن قهره وكسر خاطره وإذلاله، وإلى إغناء السائل مع الرفق به وإكرامه، كانت من أهم إيحاءات الواقع في البيئة الجاهلية المتكالبة، التي لا ترعى حق ضعيف غير قادر على حماية حقه بسيفه ؛ حيث رفع الإسلام هذه البيئة، بشرعة الله إلى الحق والعدل. وأمّا التحدث بنعمة الله ـ وبخاصة نعمة الهدى والإيمان ـ فهو صورة من صور الشكر للمنعم ؛ يكملها البر بعباده، فهو المظهر العملي للشكر، فقد قام الرسول ﷺ بهذه التوجيهات أحسن قيام ؛ كما عرف من سيرته عليه الصلاة والسلام!.

17 ـ موضوع سورة ألم نشرح،
يبين ويفصل ما في السورة قبلها ويشرح



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ ؟!: شرح الصدر توسعته لمدارك العلوم، وقبوله فيوضات الغيوب، وأصل الشرح توسعة الشيء وإزالة ضيقه وغموضه... ﴿**ووضعنا عنك وزرك**﴾: حططنا عنك ما كان عبئا عليك ثقيلا، والوِزْر والحِمل والعبء وزنا ومعنىً... ﴿**الذي أنقض ظهرك**﴾: أثقل ظهرك... ﴿**ورفعنا لك ذكرك. فإنّ مع العسر يسرا. إنّ مع العسر يسرا. فإذا فرغت فانصب**﴾: إذا فرغت من أمور الدنيا، فاتجه إلى عبادة الله... ﴿**وإلى ربك فارغب**﴾: طالبا رحمته ومغفرته!.

مبحث الإعراب

﴿**ألم نشرح**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، والهمزة للاستفهام، والفاعل نحن. ﴿**لك**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**صدرك**﴾ مفعول به، وجواب الاستفهام مقدر، أي: بلى شرحت. ﴿**ووضعنا**﴾ معطوف على ألم نشرح. ﴿**عنك**﴾ متعلق بوضعنا. ﴿**وزرك**﴾ مفعول به. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت لوزرك. ﴿**أنقض**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على وزرك. ﴿**ظهرك**﴾ مفعول به، وجملة أنقض صلة الموصول. ﴿**ورفعنا**﴾ فعل وفاعل، ﴿**والواو**﴾ للعطف. ﴿**لك**﴾ متعلق برفعنا. ﴿**ذكرك**﴾ مفعول به. ﴿**فإنّ مع**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدم. ﴿**العسر**﴾ مضاف إلى الظرف. ﴿**يسرا**﴾ اسم إنّ مؤخّر، والفاء للتعقيب. ﴿**إنّ مع العسر يسرا**﴾ إعرابه مثل إعراب ما قبله. ﴿**فإذا**﴾ ظرف متضمن معنى الشرط، والفاء للتعقيب. ﴿**فرغت**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر مضافة إلى الظرف. ﴿**فانصب**﴾ فعل أمر، والفاعل ضمير المخاطب، والجملة جواب شرط إذا، والفاء رابط. ﴿**وإلى ربك**﴾ متعلق بفعل الأمر الآتي. ﴿**فارغب**﴾ فعل أمر، والفاعل ضمير المخاطب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾؟: ففي هذه السورة اتصال واضح بما قبلها، فهي تكملة لسورة الضحى، فيها ظل العطف الندي، وفيها استظهار مظاهر العناية، وفيها البشرى باليسر والفرج!. وفي الاستفهام إشارة إلى ما كان يستوحيه السياق، مما كان فيه محمد ﷺ من قلق وحيرة من أمر قومه وعشيرته، فيما كانوا عليه من جهل وضلال، فكانت هذه المناجاة، وهذا الحديث الودود، ﴿**ألم نشرح لك صدرك ؟!.. ووضعنا عنك وزرك. الذي أنقض ظهرك**﴾ ؟!: فالتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري ـ ألم ـ عن انتفائه ؛ للإيذان بأنّ ثبوت الشرح من الظهور، بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير «بَلَى»، وزيادة الجار والمجرور ـ لك ـ مع توسيطه بين الفعل ـ نشرح ـ ومفعوله ـ صدرك ـ للإيذان من أول الأمر، بأن الشرح من منافعه ومصالحه، مسارعة إلى إدخال المسرة في قلبه، وتشويقا له إلى ما يعقبه ؛ ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكّن، وقوله تعالى: ووضعنا عنك وزرك متصل بالعطف على ما قبله من مدلول الجملة السابقة،

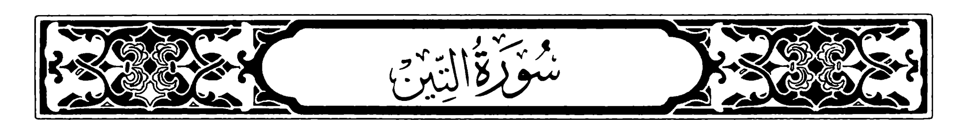
وتقديم «عنك» على المفعول الصريح ـ وزرك ـ مع أنّ حق الجار والمجرور التأخر عن المفعول، مسارعة إلى تعجيل المسرة، والتشويق إلى المؤخرة. وجملة الوصف. . . الذي أنقض ظهرك: تمثيل لحال النبي، مما كان يثقل عليه من حال قومه وعشيرته من جهل وضلال. . . ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾: وصلت هذه الجملة بالعطف على ما قبلها، تكملة لما ذكر من شرح الصدر، ووضع الوزر المثقل للظهر!، فقد كان ذكر الرسول مقرونا بذكر الله في الشهادتين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وفي الملإ الأعلى، وفي الأرض: في الأذان، والإقامة، والتشهد، حيث كانت الصلاة المفروضة على كل مسلم، عنوانا على رفعة ذكر الرسول ﷺ وقد ارتبط بالمنهج الإلهي ارتباطا وثيقا، فحينما ذكر اسم الله تعالى ذكر اسم رسوله الكريم!. فليس بعد هذا رفع، وليس وراء هذا منزلة، وهو المقام الذي تفرد به محمد ﷺ دون سائر العالمين!. ومع هذا، فإنّ الله يتلطف مع حبيبه المختار، ويسري عنه ويؤنسه ويطمئنه، ويطلعه على اليسر الذي لا يفارقه. . . ﴿**فإنّ مع العسر يسرا. إنّ مع العسر يسرا**﴾: فهذا تقرير لما قبله، ووعد كريم بتيسير كل عسير. والتعقيب بالفاء هنا يفيد التقريب، والتكرير يفيد التحقيق والتأكيد، واليسر يسران والعسر وحيد!. ثم يجيء التوجيه الكريم لمواقع التيسير، وأسباب الانشراح، ومستودع الريّ والزاد في الطريق الشاق الطويل. . . ﴿**فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب**﴾: فلابد من الزاد للطريق، فهنا الزاد، وهنا ستجد يسرا مع كل عسر، وفرجا مع كل ضيق. هذا هو الطريق!. وفي النهاية براعة المقطع في الختام!.

خلاصة المعنى العام وما فيه من التوجيهات والأحكام

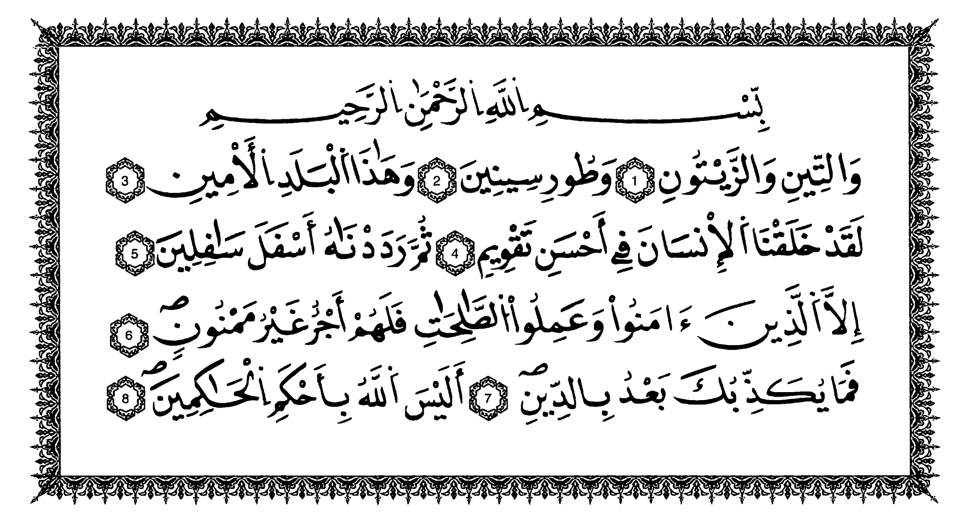
﴿**ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك. الذي أنقض ظهرك. ورفعنا لك ذكرك**﴾: فهذه السورة مقترنة بسورة الضحى، وكأنّها تكملة لها، بتوضيح وتفصيل ما أجمل في السورة الأولى. ففي هذه إكمال البشرى، والتوجيه إلى سر اليسر، وحبل الإتصال الوثيق، فهذه السورة والتي قبلها اختصت بشأن الرسول ﷺ قبل الرسالة، عندما كان يرى قومه وعشيرته في جهل وضلال مبين، ويسمع عن الناس بما هم فيه من دين، انحرف به أهله إلى الزيغ، مثل اليهود والنصارى، من تحريف دينهم، وتغيير شريعتهم التي جاء بها موسى وعيسى، وشرك وإلحاد

وإنكار للخالق سبحانه وتعالى. وبعد الرسالة حيث اتضح له الطريق المستقيم، والمنهج السليم، فانشرح صدره واتضح أمره، فلا عليه إلا أنّ يسير في هذا الطريق، ويبلّغ للناس هذا المنهج والعهد الوثيق... ﴿**فإنّ مع العسر يسرا. إنّ مع العسر يسرا. فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب**﴾: فهاتان السورتان تعطينا حقيقة الدعوة، وتبيّن لنا معالم صاحبها، وما كان عليه قبل الرسالة، وما صار إليه بعدها ـ انتشر وانتصر، ونمى وتفرع، وانتقل من ضيق المكان في الجزيرة العربية إلى جميع الأقطار في مشارق الأرض ومغاربها ـ واضحة جلية. فارتفع ذكر الرسول فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين!.

18 ـ موضوع سورة التين، بيان سبب تردي الإنسان من أعلى عليّين إلى أسفل سافلين!



النص


بسم الله الرحمن الرحيم
وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿1﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿2﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿3﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿4﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿5﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿6﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿7﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿8﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**والتين والزيتون**﴾: شجرة التين وثمرة التين، وكذلك شجرة الزيتون وثمرة الزيتون. أقسم الله بهما لما فيهما من فوائد مادية ومعنوية... ﴿**وطور سينين**﴾: جبل الطور في صحراء سيناء، وهو المكان الذي كلّم الله فيه موسى ـ عليه السلام ـ في الليلة المباركة... ﴿**وهذا البلد الأمين**﴾: البلد الحرام، الذي نبع منه وسطع فيه معين القرآن، ونور الإسلام على محمد عليه الصلاة والسلام... ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾: الإنسان من حيث هو من بين الحيوان، أحسن مخلوق صورةً ومعنىً، حيث استواء القامة وتناسب الأعضاء، وما فيه من العلم والقدرة

والإرادة، والنطق والسمع والبصر، وغير ذلك من الصفات التي خصه الله بها، دون بقية الحيوانات! ..﴿**ثم رددناه أسفل سافلين**﴾: من حيث قبح السورة، عندما لم يراع منهج التربية السليمة، الواقية من كل المشوهات والمعوقات، ومن حيث قبح الصفات من القبائح وسيء الأخلاق. . . ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فلهم أجر غير ممنون**﴾: لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقد قاموا بالمنهج السليم وساروا على الصراط المستقيم، فسلموا من الرد إلى أسفل سافلين، ونالوا في الآخرة الأجر غير الممنون! ..﴿**فما يكذبك بعد بالدين**﴾: فأيُّ شيء يجعلك أيّها الإنسان بعد هذا البيان، تكذب بالدين الذي جاء به هذا القرآن ؟! ..﴿**أليس الله بأحكم الحاكمين**﴾؟. بلى: هو أحكم الحاكمين!.

مبحث الإعراب

﴿**والتين**﴾ قسم بالواو مجرور بالكسرة. ﴿**والزيتون**﴾ معطوف عليه. ﴿**وطور**﴾ كذلك. ﴿**سينين**﴾ مضاف إلى طور مجرور بالياء، ملحق بجمع المذكر السالم. ﴿**وهذا**﴾ في محل جر معطوف على القسم الأول. ﴿**البلد**﴾ عطف بيان لاسم الإشارة. ﴿**الأمين**﴾ نعت للبلد. ﴿**لقد خلقنا الإنسان**﴾ فعل وفاعل ومفعول، دخل عليه حرف التحقيق، واللام الواقعة في جواب القسم، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿**في أحسن**﴾ متعلق بخلقنا. ﴿**تقويم**﴾ مضاف إلى أحسن. ﴿**ثم رددناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، معطوف بثم على ما قبله. ﴿**أسفل**﴾ مفعول ثان. ﴿**سافلين**﴾ مضاف إلى أسفل مجرور بالياء. ﴿**إلاّ الذين**﴾ في محل رفع مبتدأ، وإلاّ للاستدراك. آمنوا فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ فعل وفاعل ومفعول، معطوف على صلة الموصول. ﴿**فلهم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**أجرٌ**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**غيرُ**﴾ نعت لأجر. ﴿**ممنون**﴾ مضاف إلى غير، وجملة فلهم أجر غير ممنون خبر المبتدإ ـ الذين ـ، وقرنت بالفاء لما في الموصول من معنى الشرط. ﴿**فما يكذبك**﴾ فعل مضارع دخل عليه اسم الاستفهام، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما، وجملة يكذبك خبر المبتدإ «ما»، والجملة تعقيب لما قبلها. ﴿**بعدُ**﴾ ظرف متعلق بالفعل قبله، مبني على الضم في محل نصب، لحذف المضاف إليه ونية معناه. ﴿**بالدين**﴾ متعلق بيكذبك. ﴿**أليس الله**﴾ ليس واسمها، والهمزة

للاستفهام. ﴿**بأحكم**﴾ خبر ليس مجرور بحرف الجر الزائد في محل نصب. ﴿**الحاكمين**﴾ مضاف إلى أحكم مجرور بالياء.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والتين والزيتون**. . .﴾ الخ آخر القسم وجوابه. فهذه السورة تبين حقيقة الإنسان من حيث هو إنسان متعرض للارتقاء إلى مكان، وللهبوط إلى الدرك الأسفل من النيران، والسورتان قبلها ذكر فيها أعظم مخلوق على الإطلاق دون منافس له من بنى الإنسان!. فيجيء هذا القسم على حقيقة الإنسان، واستقامة طبيعتها مع طبيعة الإيمان، بالتين والزيتون. . . ﴿**وطور سنين. وهذا البلد الأمين**﴾: فيلفت السياق نظر السامع والقارئ إلى هذه الأمكنة، التي تشمل مطالب الدين، ومقومات الحياة الدنيا، في الأمن من الخوف، وتوفير العيش الرغيد والمكان الأمين. وجواب القسم يأتى موضحا ومبينا، لهذا التوجيه السديد المكين. . . ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين**﴾: فوجود الإنسان في أحسن تقويم، تظهر فيه فطنة الإنسان السليمة القويمة، لو بقيت كما هي، لاستقام الإنسان على الطريق المستقيم، واستمسك كذلك بالمنهج السليم، ولكن تصدت له في هذا الطريق، عوائق من الغرائز والأهواء والشهوات، منعته من السير في الصراط المستقيم، والتمسك بالمنهج السليم، فانحط وتردّى في مشاق الحياة في الدنيا، وفي الآخرة في الجحيم والعذاب المقيم. . . ﴿**إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات**﴾: استدراك على ما سبق من حال الإنسان الذي رُدّ أسفل سافلين، فهم الذين يبقون على سواء الفطرة وسلامتها، فيكملونها بالإيمان، والعمل الصالح، ويرتقون بها إلى الكمال المقدّر لها، حتى ينتهوا بها إلى حياة الكمال في دار الكمال. . . ﴿**فلهم أجر غير ممنون**﴾!. وفي ظل هذه الحقيقة ينادى الإنسان. . . ﴿**فما يكذبك بعد بالدين ؟!. أليس الله بأحكم الحاكمين**﴾ ؟!: فالعدل واضح والحكمة بارزة، والقسم صحيح، ونتيجة الإنسان في الامتحان أمر صريح. ففي هذا الختام البديع: براعة المقطع، وربطه بالمطلع!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**والتين والزيتون. وطور سنين. وهذا البلد الأمين. لقد خلقنا الإنسان في**

أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين﴾: فمن هذا السياق، تبدو عناية الله بخلق هذا الإنسان ابتداءً في أحسن تقويم. والله سبحانه أحسن كل شيء خلقه، فتخصيص الإنسان هنا بحسن التركيب، وحسن التقويم، وحسن التعديل، فيه فضل عناية لهذا المخلوق، وإنّ عناية الله بأمر هذا المخلوق ـ على ما به من ضعف، وعلى ما يقع منه من انحراف عن الفطرة وفساد ـ لتشير إلى أنّ له شأنا عند الله، ووزنا في نظام هذا الوجود، وتتجلى هذه العناية في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق؛ سواء في تكوينه الجسماني البالغ الدقة، أم في تكوينه العقلي الفريد، أم في تكوينه الروحي العجيب، والتركيز في هذا المقام على خصائصه الروحية، فهي التي تنتكس إلى أسفل سافلين، حين ينحرف عن الفطرة، ويحيد عن الإيمان المستقيم معها؛ إذ أنّه من الواضح أنّ خلقته البدنية لا تنتكس إلى أسفل سافلين. ففي هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الإنساني، فهو مهيّأ لأن يبلغ من الرفعة مقاما في الملإ الأعلى، مع الملائكة المقربين، بينما هذا الإنسان مهيّأ ـ حين ينتكس ـ لأن يهوى إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق من غير المنحرفين، حيث تصبح البهائم لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها على هدى، بينما هذا المخلوق في أحسن تقويم، يجحد ربه، ويرتكس مع هواه إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه «إن هم إلاّ كالأنعام، بل هم أضل سبيلا»... **﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فلهم أجر غير ممنون﴾**: غير مقطوع، فهؤلاء هم الذين يبقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح، ويرتقون بها إلى الكمال المقدّر لها، فأمّا الذين يرتكسون بفطرتهم إلى أسفل سافلين، فيظلون ينحدرون بها في المنحدر، حتى تستقر في الدرك الأسفل، فهذه وتلك نهايتان لنقطة البدء: إما استقامة على الفطرة القويمة وتكميل لها بالإيمان، ورفع لها بالعمل الصالح، فهي واصلة في النهاية إلى كمالها المقدر لها في حياة النعيم. وإمّا انحراف عن الفطرة القويمة، وانقطاع عن النفحة الإلهية، فهي واصلة في النهاية إلى دركها المقرر لها في درك الجحيم!. ومن ثمّ تتجلى قيمة الإيمان في حياة الإنسان، فهو المرتقى الذي تصل فيه الفطرة السليمة القويمة إلى غاية كمالها، إنّه الحبل الممدود بين الفطرة وبارئها، إنّه النور الذي يكشف لها مواقع خطاها، في المرتقى الصاعد إلى حياة الخالدين المكرّمين!. وحين ينقطع هذا الحبل، وحين ينطفئ هذا النور، فالنتيجة الحتميّة هي الارتكاس

في المنحدر الهابط إلى أسفل سافلين. وفي ظل هذه الحقيقة يُنادَى الإنسان. . . ﴿**فما يكذبك بعد بالدين**﴾؟!: فما يكذبك أيها الإنسان، بعد هذه الحقيقة ؟. وبعد إدراك قيمة الإيمان في حياة البشرية ؟. وبعد تبين مصير الذين لا يؤمنون ولا يهتدون بهذا النور، ولا يمسكون بحبل الله المتين ؟! ..﴿**أليس الله بأحكم الحاكمين**﴾؟!: أليست حكمة الله بالغة في هذا الحكم على المؤمنين وغير المؤمنين؟!.

19 ـ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ
مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)
عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (6)
أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (7) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (8)
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (10)
أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (12)
أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (13) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ
يَرَىٰ (14) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ (15) لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (16)
نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (17) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (18) سَنَدْعُ
الزَّبَانِيَةَ (19) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (20)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم**﴾ مفردات هذه الآيات الخمسة معلومة. ﴿**كلاّ**﴾! : حقّا... ﴿**إنّ الإنسان ليطغى**﴾ : يطغى بما له من مال، لأجل... ﴿**أن رآه استغنى**﴾ : لرؤية نفسه غنيا بماله... ﴿**إنّ إلى ربك الرجعى**﴾ : الرجوع إلى الله وحده... ﴿**أرأيت الذي ينهى. عبدا إذا صلّى**﴾ : أرأيت هذا الأمر المستنكر العجيب، الذي ينهي عبدا من عباد الله حين يصلي ؟! ..﴿**أرأيت إن كان على الهدى**﴾؟! : هذا الذي يصلّي كان على الهدى... ﴿**أو أمر بالتقوى**﴾ : أى هو المصلي، ثم ينهاه من ينهاه عن عمله هذا! ..﴿**أرأيت إن كذّب وتولى**﴾ : هذه فعلة أخرى أشد نكرا!، وهو التكذيب والتولّي... ﴿**ألم يعلم بأنّ الله يرى**﴾؟! : يرى الله تكذيبه وتولّيه، ويرى نهيه للعبد المؤمن إذا صلى، وهو على الهدى، آمرٌ بالتقوى... ﴿**كلا!. لئن لم ينته. لنسفعا بالناصية. ناصية كاذبة خاطئة**﴾ : السفع: الأخذ للشيء بعنف وشدّة، بقبض اليد وجذبه وطرحه إلى أسفل. والناصية: الجبهة وما علاها من مقدم الرأس. كاذبة خاطئة: صاحبها كاذب خاطىء فيما يفعل ويقول... ﴿**فليدع ناديه**﴾ : فليدع أهل ناديه، والنادى: المجلس الذي يختارونه للاجتماع والمداولة الخاصة بهم... ﴿**سندع الزبانية**﴾ : ملائكة العذاب الغلاظ الشداد، والزبانية في الأصل: الشُّرط الذين يزبنون عصاة الحاكم... ﴿**كلا!. لا تطعه**﴾ : وامض كما أمرت... ﴿**واسجد واقترب**﴾! .﴿**إنّا كفيناك المستهزئين**﴾!.

مبحث الإعراب

﴿**اقرأ**﴾ أمر موجّه إلى الرسول جاء به جبريل إليه، وهو أول أمر من الله إلى محمد ﷺ. ﴿**باسم**﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل اقرأ، أى: مبتدئا باسم. ﴿**ربّك**﴾ مضاف إلى اسم، ومفعول اقرأ مقدّر، أى: اقرأ ما يوحى إليك. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت لربك. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على ربك، والجملة صلة الذى. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على

ربك كذلك. ﴿**الإنسان**﴾ مفعول به، والجملة الثانية تخصيص للجملة قبلها. ﴿**من علق**﴾ متعلق بخلق. ﴿**اقرأ**﴾ عيد الأمر تأكيدا لما قبله من قوله اقرأ باسم. ﴿**وربُّك**﴾ مبتدأ. ﴿**الأكرم**﴾ خبره، والجملة حال من فاعل اقرأ. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع نعت للأكرم. ﴿**علّم**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلته. ﴿**بالقلم**﴾ متعلق بعلّم. ﴿**علّم**﴾ بدل اشتمال من علّم بالقلم. ﴿**الإنسان**﴾ مفعول أول. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول ثان. ﴿**لم يعلم**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل ضمير يعود على الإنسان، والجملة صلة ما. ﴿**كلاّ**﴾: حقا. ﴿**إنّ الإنسان**﴾ إنّ واسمها. ﴿**ليطغى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الإنسان، والجملة خبر إنّ، واللام مؤكّد للخبر. ﴿**أنْ**﴾ مصدرية. ﴿**رآه**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الإنسان، والضمير المتصل بالفعل مفعول أول، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام العلّة، الإنسان يطغى لأجل رؤية نفسه. ﴿**استغنى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الإنسان، والجملة مفعول ثان لرآى. ﴿**إنّ إلى ربك**﴾ متعلق بمحذوف خبر إنّ مقدّم. ﴿**الرجعى**﴾ اسم إنّ مؤخر منصوب بفتحة مقدرة على الألف. ﴿**أرأيت**﴾ فعل وفاعل، والهمزة للاستفهام، والخطاب هنا لكل من تتأتى منه الرؤية، والرؤية بصرية. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**ينهي**﴾ فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف، والفاعل ضمير يعود على الذى. ﴿**عبدًا**﴾ مفعول به، وجملة ينهي صلة الموصول.

﴿**إذا**﴾ ظرف متعلق بينهى. ﴿**صلى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على عبد، وجملة صلى مضافة إلى الظرف، أى: ينهي عبدا في وقت صلاته. ﴿**أرأيت**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف الاستفهام، والرؤية هنا علمية. ﴿**إن**﴾ حرف شرط. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على العبد المصلى. ﴿**على الهدى**﴾ متعلق بمحذوف خبر كان. ﴿**أو أمر**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير مثل الفاعل الأول ـ فاعل صلى ـ. ﴿**بالتقوى**﴾ متعلق بأمر، والجملة معطوفة على ما قبلها، وجواب الشرط محذوف يؤخذ من دلالة المقام الآتي، والمعنى: أرأيت أيّها المخاطب: إن كان المنهي عن الصلاة، على الهُدَى آمرا بالتقوى. ﴿**أرأيت**﴾ إعرابها مثل إعراب نظيره. ﴿**إن كذّب**﴾ جملة شرطيّة مثل إن كان. ﴿**وتولّى**﴾ معطوف على كذّب. ﴿**ألم يعلم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي الجازم

وهمزة الاستفهام، والفاعل ضمير يعود على الذي ينهى. ﴿**بأنّ الله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**يرى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الله، والجملة خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالياء متعلق بيعلم، وهذه الجملة ألم يعلم بأنّ الله يرى جواب شرط إن كذّب وتولّى، سدت مسدّ جواب شرط إن كان على الهدى. ﴿**كلاّ**﴾: حرف ردع وزجر هنا. ﴿**لئن لم ينته**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف الياء، والفاعل ضمير يعود على الذي ينهى، والجملة فعل شرط إنْ، واللام موطئة للقسم. ﴿**لنسفعًا**﴾ فعل مضارع اتصلت به نون التوكيد الخفيفة، مبنيّ على الفتح والفاعل نحن والجملة جواب القسم سدت مسد جواب الشرط بدليل وجود اللام فيها ﴿**بالناصية**﴾ متعلق بنسفعَنْ. ﴿**ناصية**﴾ بدل من الناصية. ﴿**كاذبة خاطئة**﴾ نعتان لناصية. ﴿**فليدع**﴾ فعل مضارع دخل عليه لام الأمر الجازم، والفاء للتعقيب، والفاعل ضمير يعود على صاحب الناصية الكاذبة الخاطئة، وهو الذي ينهي من يصلى والمكذّب المتولّي. ﴿**ناديه**﴾ مفعول منصوب بالفتحة، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**سندع**﴾ فعل مضارع يدل على المستقبل، مرفوع بضمة مقدرة على الواو المحذوفة للتخفيف، والفاعل نحن. ﴿**الزبانية**﴾ مفعول به. ﴿**كلا**﴾ ردع بعد ردع أو زجر بعد زجر. ﴿**لا تطعه**﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير المخاطب. ﴿**واسجد**﴾ فعل أمر مجزوم بالسكون. ﴿**واقترب**﴾ معطوف عليه، وجملة الأمر معطوفة على جملة النهى.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق**﴾: فهذه السورة لها علاقة بما قبلها، حيث ذكر في الأولى: خلق الإنسان، في أحسن تقويم، ثم ردّه أسفل سافلين، وخلق من علق في الثانية، وهنا زيادة تفصيل، حيث وصل من خلق في أحسن تقويم إلى مرتبة النبوءة، ووصل من خلق في أسفل سافلين إلى مرتبة الطغيان، والقيام بمنع من يصلي بقوّة السلطان، فأول من وصل إلى المرتبة العليا في أحسن تقويم هو: محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وأول ما أُوحي به إليه هذه الافتتاحيّة، فهي أول ما تشير إلى أنّ محمدا ﷺ تحت التربية الإلهيّة، من أول نشأته من علق، إلى أن أرسل إليه هاديا لجميع الخلق. اقرأ باسم ربك الذي

خلق!. فهذه هي السورة الأولى من هذا القرآن، فهي تبدأ باسم الله ـ رب هذا الرسول المختار ـ وتوجهه أول ما توجهه في أول لحظة من لحظات اتصاله بالملإ الأعلى، إلى أن يقرأ باسم الله ربه، وتبدأ من صفات الرب، بالصفة التي بها الخلق والبدء، ثم تخصص خلق الإنسان ومبدأه. . . خلق الإنسان من علق: من تلك النقطة الدمويّة الجامدة العالقة بالرحم، من ذلك المنشإ الصغير الساذج التكوين. فتدل العبارة على كرم الخالق، فوق ما تدل على قدرته، فمن كرم هذا الخالق رفْعُ هذا العلق إلى درجة الإنسان الذي يُعلّم فيتعلّم. . . ﴿**اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم**﴾: إنّها لنقلة بعيدة جدًا، بين المنشإ والمصير، ولكنّ الله قادر، ولكن الله كريم، ومن هنا كانت هذه النقلة التي تدير الرؤوس!.

وإلى جانب هذه الحقيقة تبرز حقيقة التعليم؛ تعليم الرب للإنسان بالقلم ؛ لأنّ القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرا في حياة الإنسان ؛ ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي ندركه الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله سبحانه كان يعلم قيمة القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية ؛ وفي أول سورة من سور القرآن الكريم. هذا مع أن الرسول الذي جاء بها لم يكن كاتبا بالقلم؛ وما كان ليبرز هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى لو كان هو الذي يقول هذا القرآن ؛ لولا أنّه الوحى، ولولا أنّها الرسالة!. وبهذا المقطع الواحد الذي نزل في اللحظة الأولى من اتصال الرسول بالملإ الأعلى، بهذا المقطع، وضعت قاعدة التصور الإيمانى العريضة، ولقد كان من مقتضيات هذه الحقيقة ؛ حقيقة أنّ الله هو الذي خلق، وهو الذي علّم، وهو الذي أكرم، أن يعرف الإنسان ويشعر، ولكن الذي حدث كان غير هذا. وهذا الإنحراف هو الذي يتحدث عنه المقطع الثاني للسورة. . . ﴿**كلا!. إنّ الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى**﴾: وحين تبرز صورة الإنسان الطاغى الذي نسى نشأته، وأبطره الغنى، يجيء التعقيب بالتهديد الملفوف. . . ﴿**إنّ إلى ربك الرجعى**﴾: فأين يذهب هذا الذي طغى واستغنى ؟. وهكذا تجتمع في المقطعين أطراف التصور الإيماني: الخلق والنشأة، والتكريم والتعليم، ثم الرجعة والمآب إلى الله وحده بلا شريك. ثم يمضي المقطع الثالث في السورة القصيرة يعرض صورةً من صور الطغيان ؛ صورة مستنكرة يعجب منها، ويفظع وقوعها في أسلوب قرآني

فريد... ﴿أرأيت﴾: أيها المخاطب... ﴿الذي ينهى. عبدا إذا صلّى﴾؟!: فالتشْنيع والتعجيب واضح في طريقة التعبير، التي تتعذّر مجاراتها في لغة الكتابة، ولا تؤدّى إلاّ في أسلوب الخطاب الحيّ... ﴿أرأيت﴾؟!: أرأيت حين تُضمُّ شناعة إلى شناعة ؟!، وتضاف بشاعة إلى بشاعة ؟!. أرأيت إن كان هذا الذي يصلي ويتعرض له من ينهاه عن صلاته... ﴿إن كان على الهدى. أو أمر بالتقوى﴾: ثم ينهاه من ينهاه، مع أنّه على الهدى، آمر بالتقوى!. أرأيت إن أضاف إلى الفعلة المستنكرة فعلة أخرى أشد نكرا ؟! ..﴿أرأيت إن كذّب وتولّى﴾؟!: فهنا يجيء التهديد الملفوف، كما جاء في نهاية المقطع الماضي... ﴿ألم يعلم بأنّ الله يرى﴾؟!: وأمام مشهد الطغيان الذي يقف في وجه الدعوة، وفي وجه الإيمان، يجيء التهديد الحاسم الرادع الأخير، مكشوفا في هذه المرّة لا ملفوفا... ﴿كلاّ!. لئن لم ينته. لنسفعن بالناصية. ناصية كاذبة خاطئة﴾!: فإنّه تهديد في إبّانه ؛ في اللفظ الشديد العنيف. ففي هذه اللحظة، قد يخطر للطاغية، أن يدعو من يعتز بهم من عشيرته وصحبه... ﴿فليدع ناديه﴾: أما نحن فإنّنا... ﴿سندعو الزبانية﴾: الغلاظ الشداد، فالمعركة إذن معروفة المصير!. وفي ضوء هذا المصير المتخيل الرهيب، تختم السورة بتوجيه المؤمن الطائع إلى الإصرار والثبات على إيمانه وطاعته... ﴿كلا!. لا تطعه. واسجد واقترب﴾: فهذا هو التوجيه الرّبّاني الأخير، وهكذا تتناسق مقاطع السورة كلها، وتتكامل إيقاعاتها، ببراعة المقطع مع ترابطه بالمطلع: اقرأ باسم ربك، واسجد لربك، واقترب في عبادتك وقراءتك من ربك.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾: مطلع هذه السورة هو أول ما نزل من القرآن على أصح الروايات الواردة في ذلك، وأولها حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ في صحيح البخاري رحمة الله عليه. فهو حادث هائل في حياة البشرية كلها، فقد بدأت منذ اللحظة الأولى، في تحويل خط التاريخ البشري، فمنذ هذه اللحظة عاش أهل الأرض من البشر، في كنف الله ورعايته المباشرة الظاهرة، ولقد كانت مرحلة عجيبة حقا؛ مرحلة هذه الدعوة التي استمرت فيها هذه الصلة

الظاهرة المباشرة بين البشر والملإ الأعلى، وهي مرحلة لا يتصور حقيقتها إلاّ الذين عاشوها وأحسوها وشهدوا بدأها ونهايتها، من أول يوم من بدء الدعوة إلى آخر يوم فيها، وهي مدة ثلاث وعشرين سنة، ولقد ظلت آثار هذه الفترة تعمل في حياة البشر، منذ تلك اللحظة إلى هذه اللحظة الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فقد ظهر الإنسان من جديد باستمداد قيمه، من الملإ الأعلى لا من الأرض، واستمداد شريعته، من الوحي لا من الهوى، فهو الحادث الفذ في تلك اللحظة الفريدة، والذى كان فرقانا في تاريخ البشر. واستقرت قواعد المنهج الإلهي في الأرض، وتبينت خطوطه ومعالمه ؛ لا غموض ولا إبهام، إنّما هو الضلال عن علم، والانحراف عن عمد، والإلتواء عن قصد! ذلك شأن المقطع الأول من السورة، فأمّا بقيتها، فواضح أنّها نزلت فيما بعد، فهي تشير إلى مواقف وحوادث في تاريخ الدعوة، لم تجئ إلا متأخرة بعد تكليف الرسول إبلاغ الدعوة والجهر بالعبادة، وقيام المشركين في مكة بالمعارضة، ولكنّ في هذا وذاك تناسقا كاملا بين أجزاء السورة، وتسلسلا في ترتيب الحقائق التي تضمنتها، بعد هذا المطلع المتقدم، يجعل من السورة كلها وحدةً متناسقةً متماسكة. وهذه الحقيقة القرآنية الأولى التي تلقاها قلب الرسول ﷺ في اللحظة الأولى، هي التي ظلت تصرف شعوره وشعور أصحابه طوال حياته وحياتهم، بوصفها قاعدة الإيمان الأولى، ولقد كان من مقتضيات تلك الحقيقة ؛ حقيقة أنّ الله هو الذي خلق، وهو الذي علّم، وهو الذي أكرم، أن يعرف الإنسان ويشكر، ولكن الذي حدث غير هذا. وهذا الانحراف هو الذي يتحدث عنه المقطع الثاني للسورة. . . ﴿**كلا! إنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**﴾: فالذى أعطى الإنسان وأغناه هو الله تعالى ؛ كما أنّه هو الذي خلقه وأكرمه وعلمه، ولكن الإنسان عمومًا ـ لا يُستَثْنَى إلاّ من يعصمه إيمانه ـ لا يشكر حين يُعطى فيستغني، ولا يعرف مصدر النعمة التي أغنته، وهو المصدر الذي أعطاه خَلْقَه وأعطاه علمَه، ثم أعطاه رزقه، ثم هو يطغى ويفجر، ويبغي ويتكبر ؛ من حيث كان ينبغي أن يعرف ثم يشكر. وفي الوقت ذاته تبرز قاعدة أخرى: قاعدة الرجعى إلى الله. . . ﴿**إنّ إلى ربك الرجعى**﴾: إليه يرجع الصالح والطالح، والطائع والعاصى، والمحق والمبطل، والخيّر والشرير، والغنى والفقير. ثم يعرض السياق صورة من صور الطغيان، مع صورة الطاعة والتقوى والإيمان. . . أرأيت الذي ينهي عبدا إذا صلى. ﴿**أرأيت إن كان على الهدى. أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذّب وتولّى. ألم يعلم بأنّ الله يرى**﴾؟!:

تقدم معنى هذا الكلام في معرض الأسلوب البلاغي. . . ﴿**كلا!. لئن لم ينته لنسفعا بالناصية. ناصية كاذبة خاطئة!. فليدع ناديه. سندعو الزبانية. كلا!. لا تطعه واسجد واقترب**﴾: فلا تطع هذا الطاغي الذي ينهي عن الصلاة والدعوة، واسجد لربك واقترب منه بالطاعة والعبادة ودع هذا الطاغي الناهي، دعه للزبانية!.

20 ـ موضوع سورة القدر،
بيان ما فيها من بركة وخير



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾: فهي الليلة التي بدأ فيها نزول القرآن، وهي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وهي ليلة من ليالى رمضان «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن». . . ﴿**وما أدراك ما ليلة القدر ؟!. ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾: فهي ليلة واحدة خير من ثلاثين ألف يوم! ..﴿**تنزّل الملائكة والروح**﴾: جبريل عليه السلام. . . ﴿**فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر**﴾: كلمات السورة كلها واضحة لا تحتاج إلى بيان.

مبحث الإعراب

﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أنزلناه**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر إنّ. ﴿**في**

ليلة﴾ متعلق بأنزلنا. **﴿القدر﴾** مضاف إلى ليلة. **﴿وما﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿أدراك﴾** فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة خبر المبتدإ. **﴿ما﴾** اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. **﴿ليلةُ﴾** خبر المبتدإ. **﴿القدر﴾** مضاف إلى ليلة. **﴿ليلةُ﴾** مبتدأ. **﴿القدر﴾** مضاف إليه. **﴿خيرٌ﴾** خبر المبتدإ. **﴿من ألف﴾** متعلق بخير. **﴿شهر﴾** مضاف إلى ألف، وجملة المبتدإ والخبر بيان لما قبله. **﴿تنزّل﴾** فعل مضارع حذفت منه تاء المضارعة. **﴿الملائكة﴾** فاعل. **﴿والروح﴾** معطوف عليه. **﴿فيها﴾** متعلق بتنزّل. **﴿بإذن﴾** متعلق بمحذوف حال من الملائكة والروح، أي: حال كونهم ملتبسين بأمر. **﴿ربّهم﴾** مضاف إلى إذن. **﴿من كل﴾** متعلق بتنزّل. **﴿أمر﴾** مضاف إلى كل. **﴿سلامٌ﴾** خبر مقدم. **﴿هي﴾** في محل رفع مبتدأ مؤخر. **﴿حتى﴾** مطلع متعلق بتنزّل. **﴿الفجر﴾** مضاف إلى مطلع.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾: لما كانت الآيات الأولى من سورة العلق، أول ما نزل من القرآن، بيّنت سورة القدر، وقت نزوله في ليلة القدر في شهر رمضان. والتعبير بهذا الأسلوب تنويه بشأن القرآن الكريم، وإجلال لمحله، بإضماره أنزلناه المؤذن بغاية نباهته، المغنية عن التصريح به، فكأنّه حاضر في جميع الأذهان. وبإسناد إنزاله إلى نون العظمة «إنا أنزلناه» المنبىء عن كمال العناية به، وتفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى... **﴿وما أدراك ؟. ما ليلة القدر﴾**؟!: فيه من الدلالة على أنّ علو قدرها، خارج عن دائرة دراية الخلق، فلا يدريها إلاّ علام الغيوب ؛ كما يشعر به قوله تعالى... **﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾**: فإنّه بيان إجمالي لشأن ليلة القدر، إثر تشويقه ﷺ إلى درايتها، فإنّ ذلك معرب عن الوعد بإدرائها. وفي إظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى! ..**﴿تنزّل الملائكة والروح فيها﴾**: استئناف مبيّن لمناط فضل ليلة القدر... **﴿بإذن ربهم﴾**: ملتبسين بأمر ربهم... **﴿من كل أمر﴾**: من أجل كل أمرٍ قضاه الله تعالى... **﴿سلام هي﴾**: ما هي إلاّ سلام، الحصر أخذ من تقديم الخبر، وتنكير سلام للتعظيم والتكثير! ..**﴿حتى مطلع الفجر﴾**: غاية لحكم التنزّل في تلك الليلة المباركة!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

الحديث في هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرحة وغبطة وابتهاج: ليلة الإتصال المطلق بين الأرض والملإ الأعلى، ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد ﷺ ليلة ذلك الحدث العظيم، الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته وفي آثاره، في حياة البشرية جميعا. العظمة التي لا يحيط بها الإدراك البشري... ﴿**إنّا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر؟!. ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾: والنصوص القرآنية التي تذكر هذا الحدث، تكاد ترف وتنير، بل هي تفيض بالنور الهادئ الساري الرائق الودود، نور الله المشرق في قرآنه، ونور الملائكة والروح وهم في غدوهم ورواحهم، طوال الليلة بين الأرض والملإ الأعلى... ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها. بإذن ربهم من كل أمر**﴾: ونور الفجر الذي تعرضه النصوص متناسقا، مع نور الوحي، ونور الملائكة، وروح السلام المرفرف على الوجود، وعلى الأرواح السارية في هذا الوجود... ﴿**سلام هي حتى مطلع الفجر**﴾: والليلة التي تتحدث عنها السورة: هي الليلة التي جاء ذكرها في سورة الدخان: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم. أمرا من عندنا إنّا كنّا مرسلين. رحمة من ربك إنّه هو السميع العليم» والمعروف أنّها ليلة من ليالي رمضان، كما ورد في سورة البقرة: «شهر رمضان الذي أُنزِل فيه القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان». فهي ليلة عظيمة باختيار الله لها لبدء تنزيل هذا القرآن، وإفاضة هذا النور على الوجود كله، واسباغ السلام الذي فاض من روح الله، على الضمير البشري والحياة الإنسانية، وبما تضمنه هذا القرآن من عقيدة وتصوّرٍ وشريعة وآداب، تشيع السلام في الأرض والضمير. فقد فرق فيها من كل أمر حكيم. فقد وضعت فيها من قيم وأسس وموازين، فنحن ـ المؤمنين ـ مأمورون أن لا ننسى ولا نغفل هذه الذكرى ؛ وقد جعل لنا نبيئُنا ﷺ سبيلا هيّنا ليّنا، لاستحياء هذه الذكرى في أرواحنا، لتظل موصولة بها أبدا: وذلك فيما حثّنا عليه من قيام هذه الليلة من كل عام، ومن تحرّيها والتطلع إليها، في الليالى العشر الأخيرة من رمضان. وهذا الربط بين ذكرى ليلة القدر، وبين القيام فيها إيمانا واحتسابا، هو طرف من هذا المنهج الإسلامي الناجح القويم «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه» حديث صحيح.

21 ـ موضوع سورة البيّنة،
بيان حقيقة الدين الثابتة البيّنة!..



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (2) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾: الانفكاك: مزايلة شيء عن شيء، وانفصاله بعد اتصاله والتحامه. البينة: الحجة الواضحة... **﴿رسول من الله﴾**: هو البيّنة... **﴿يتلو صحفا مطهّرة﴾**: جمع صحيفة، وهي الصحف المكتوب فيها القرآن... مطهرة: منزهة عن الباطل... **﴿فيها كتب قيّمة﴾**: فيها موضوعات مستقيمة ناطقة بالحق والصواب، فالصحف تعني الكتاب، والكتب فيها معنى الأبواب... **﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة﴾**: وما تفرق اليهود والنصارى إلا في وقت مجيء البيّنة إليهم، ودعوتهم إليها، بظهور الحجة البالغة في صدقها، وأنّ الرسول هو النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل... **﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾**: لم يأمر الله أهل الكتاب بشيء، إلا بعبادته تعالى مخلصين له الدين، مائلين عن الزيغ والضلال، متبعين الملة الحقة؛ ملة إبراهيم حنيفا، **﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة﴾** ـ وهما عمدة كل الدين ـ... **﴿وذلك دين القيمة﴾**: فهذا هو الدين الحق، وهي الملة القيمة... **﴿إنّ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها. أولئك هم شر البريئة﴾**: الخليقة... **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريئة﴾**. **﴿جزاؤهم﴾**: بما عملوا من الإيمان والعمل الصالح... **﴿عند ربّهم جنات عدن. تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا. رضي الله عنهم﴾**: بما عملوا... **﴿ورضوا عنه﴾**: بما وجدوا عنده... **﴿ذلك لمن خشي ربه﴾**: خوف عظمة وتقدير، لا خوف رهبة وتحذير.

مبحث الإعراب

﴿لم يكن﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. الذين في محل رفع اسم يكن. **﴿كفروا﴾** فعل وفاعل صلة الموصول. **﴿من أهل﴾** متعلق بمحذوف حال من الذين كفروا. **﴿الكتاب﴾** مضاف إلى أهل. **﴿والمشركين﴾** معطوف على أهل. **﴿منفكين﴾** خبر يكن. **﴿حتى تأتيهم﴾**

منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**البيّنةُ**﴾ فاعل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحتى متعلق بمنفكّين. ﴿**رسولٌ**﴾ بدل من البيّنة. ﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف نعت لرسول. ﴿**يتلو**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على رسول، والجملة نعت ثان لرسول. ﴿**صحفا**﴾ مفعول به. ﴿**مطهرة**﴾ نعت لصحفا. ﴿**فيها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**كتبٌ**﴾ مبتدأ مؤخّر. ﴿**قيّمة**﴾ نعت لكتب، والجملة نعت ثان لصحفا. ﴿**وما تفرّق الذين**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف النفي. ﴿**أُوتوا**﴾ الفعل ونائب الفاعل صلة الموصول. ﴿**الكتاب**﴾ مفعول به. ﴿**إلاّ من بعد**﴾ متعلق بتفرق. ﴿**ما جاءتهم**﴾ فعل ماض دخلت عليه ما المصدرية، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**البيّنةُ**﴾ فاعل، وما وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور مضاف إلى بعد، أي: بعد مجيء البينة إليهم. ﴿**وما أمروا**﴾ الفعل ونائب الفاعل دخلت عليه ما النافية. ﴿**إلاّ**﴾ أداة استثناء من الجملة قبلها. ﴿**ليعبدوا الله**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام متعلق بأمروا، أي: أمروا لعبادة الله وحده لا لشيء آخر. ﴿**مخلصين**﴾ حال من الضمير في يعبدوا. ﴿**له**﴾ متعلق بمخلصين. ﴿**الدين**﴾ مفعول مخلصين. ﴿**حنفاء**﴾ حال من الضمير في مخلصين. ﴿**ويقيموا الصلاة**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على ليعبدوا. ﴿**ويؤتوا الزكاة**﴾ كذلك. ﴿**وذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**دينُ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**القيّمة**﴾ مضاف إلى دين، والجملة تذييل لما قبلها. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كفروا**﴾ صلة الذين. ﴿**من أهل**﴾ متعلق بمحذوف حال من الذين كفروا. ﴿**الكتاب**﴾ مضاف إلى أهل. ﴿**والمشركين**﴾ معطوف على أهل. ﴿**في نار**﴾ متعلق بمحذوف حال من أهل الكتاب والمشركين. ﴿**جهنّم**﴾ مضاف إلى نار مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث. ﴿**خالدين**﴾ حال من الضمير في الخبر. ﴿**فيها**﴾ متعلق بخالدين. ﴿**أولئك**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هم**﴾ ضمير فصل مؤكد. ﴿**شرّ**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**البريئة**﴾ مضاف إلى شر. ﴿**إنّ الذين**﴾ إنّ واسمها. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ فعل وفاعل ومفعول، معطوف على آمنوا. ﴿**أولئك هم خير البريئة**﴾ إعرابه مثل إعراب أولئك هم شر البريئة، وجملة أولئك في الموضعين خبر إنّ. ﴿**جزاؤهم**﴾ مبتدأ. ﴿**عند**﴾ متعلق بمحذوف نعت لجزاء. ﴿**ربّهم**﴾ مضاف إلى عند. ﴿**جنّات**﴾ خبر المبتدإ.

﴿عدن﴾ مضاف إلى جنات. **﴿تجري﴾** فعل مضارع. **﴿من تحتها﴾** متعلق بتجري. **﴿الأنهارُ﴾** فاعل، وجملة تجري نعت لجنّات. **﴿خالدين﴾** حال من الضمير في جزاؤهم. **﴿فيها أبدا﴾** متعلقان بخالدين. **﴿رضي الله﴾** فعل وفاعل. **﴿عنهم﴾** متعلق برضي. **﴿ورضوا﴾** فعل وفاعل، معطوف على رضي الله عنهم. **﴿عنه﴾** متعلق برضوا. **﴿ذلك﴾** في محل رفع مبتدأ. **﴿لمن﴾** متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. **﴿خشي﴾** فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على مَنْ والجملة صلة مَنْ. **﴿ربّه﴾** مفعول بخشي منصوب بالفتحة والضمير فيه مضاف إليه.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾: لما كانت سورة القدر بينت وقت نزول أول القرآن، وكانت سورة العلق بينت أول ما نزل من القرآن، بينت سورة البيّنة الغرض من نزول القرآن، وموقف اليهود والنصارى والعرب منه. وجملة لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ..الخ الآية: إخبار من الله تعالى، وهو أنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن العرب عبدة الأصنام، لم ينفكوا عمّا هم عليه من الكفر والضلال، حتى يأتي الرسول الموعود به في التوراة والإنجيل، والمسموع عنه في أوساط العرب... **﴿رسول من الله يتلو صحفا مطهرة. فيها كتب قيّمة﴾**: فما كان اليهود والنصارى والمشركون من العرب، منفكين عن هذا الكفر الذي صاروا إليه، إلاّ بهذه الرسالة الجديدة، وإلاّ على يد رسول يكون هو ذاته بينة واضحة فارقة فاصلة، بهذه الصحف المطهرة من الكفر والشرك، وهذه الصحف المطهرة ـ وهي هذا القرآن ـ فيها موضوعات وحقائق قيمة!. فمن هذا جاءت هذه الرسالة في وقتها المطلوب، وجاء هذا الرسول في وقته الموعود، وجاءت هذه الصحف وما فيها من حقائق وموضوعات ؛ لتُحْدِث في الأرض كلها حدثا لا تصلح الأرض إلاّ به!. فهذه اللمحة السريعة التي جاءت في ثلاث آيات بديعة، تصور في إجمال حالة البشرية والديانات، قبيل البعثة المحمدية، فقد أشارت هذه الآيات الثلاث، إلى مظاهر الكفر الذي شمل أهل الكتاب والمشركين، بحيث لم يبق في الأرض أثرٌ لدين جاء به رسول!. ولما قرر القرآن هذه الحقيقة في مطلع هذه السورة عاد يقرر أنّ أهل الكتاب لم يتفرقوا ويختلفوا في دينهم عن جهل، أو عن غموض في

الدين أو العقيدة، إنّما هم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم، ومن بعد ما جاءتهم البينة من دينهم، على أيدي رسلهم... ﴿**وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة**﴾: فالبينة التي جاءت من الله واحدة، سواء أتى بها موسى، أو أتى بها محمد ـ عليهما السلام ـ، فالدين في أصله واضح، والعقيدة في ذاتها بسيطة... ﴿**وما أُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء. ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. وذلك دين القيّمة**﴾: فهذه هي قاعدة دين الله على الإطلاق، من أول رسول إلى خاتمهم باتفاق. فأمّا وقد جاءتهم البينة من قبل في ديانتهم على أيدي رسلهم: إسماعيل للعرب، وموسى لليهود، وعيسى للنصارى، وبني اسرائيل، ثم جاءتهم البيّنة حيّة في صورة... رسول من الله يتلو صحفا مطهّرة: فيقدم لهم عقيدة واضحة بسيطة ميسرة، فقد تبين الطريق، ووضح مصير الذين يكفرون والذين يؤمنون... ﴿**إنّ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البريئة. إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات. أولئك هم خير البريئة**﴾: فقد تحدّدت الفرصة الأخيرة بهذه البينة الأخيرة؛ فإمّا إيمان فنجاة، وإمّا كفر فهلاك، ذلك أنّ الكفر حينئذ دلالة على الشر الذي لا حدّ له!، وأنّ الإيمان دلالة على الخير البالغ أمده! ..﴿**جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار. خالدين فيها أبدا. رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾: فهذا الأسلوب في التعبير يلقي ظلاله بذاته ؛ حيث يعجز أي تعبير آخر عن إلقاء مثل هذه الظلال. ثم يجيء التوكيد الأخير، يوضح ما سبق من بلاغة التعبير... ﴿**ذلك لمن خشي ربه**﴾!. فما بعد هذا التعبير تعبير!. وبه يكون أحسن نظام من براعة الختام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

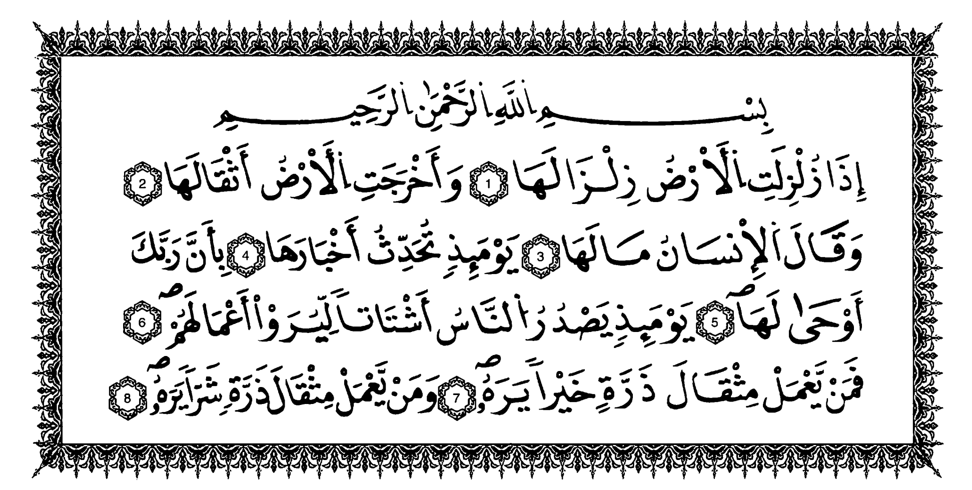
﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب...**﴾ الخ الآية: فهذه السورة تعرض عدّة حقائق تاريخيّة وإيمانيّة، في أسلوب تقريري واضح الدليل. الحقيقة الأولى أنّ بعثة الرسول محمد ﷺ كانت ضرورية، لإقامة الحجة على اليهود والنصارى من أهل الكتاب، إذ لم ينفكوا عمّا هم عليه من الكفر والزيغ. الحقيقة الثانية: أنّ أهل الكتاب لم يختلفوا في دينهم عن جهالة، ولا عن غموض فيه، إنّما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم، وجاءتهم البيّنة. الحقيقة الثالثة: أنّ الدين في أصله واحد،

وقواعده بسيطة واضحة، لا تدعو إلى التفرق والاختلاف في ذاتها وطبيعتها البسيطة اليسيرة. الحقيقة الرابعة: أنّ الذين كفروا بعد ما جاءتهم البيّنة، هم شر البريئة، وأنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، هم خير البريئة، ومن ثمّ يختلف جزاء هؤلاء عن هؤلاء اختلافا بيّنا. فهذه الحقائق الأربع ذات قيمة في إدراك دور العقيدة الإسلامية، ودور الرسالة الأخيرة، فقد كانت الأرض في حاجة ماسة إلى رسالة جديدة. كان الفساد قد عمّ أرجاءها كلها، بحيث لا يرتجى لها صلاح إلاّ برسالة جديدة، وحركة جديدة، وكان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعا، سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماويّة من قبل، ثم حرّفوها، أو المشركون في الجزيرة العربية وفي خارجها سواء، وما كانوا لينفكوا ويتحوّلوا عن هذا الكفر الذي صاروا إليه، إلاّ بهذه الرسالة الجديدة، وإلاّ على يد رسول يكون هو ذاته بيّنة واضحة فارقة فاصلة. فهذه الحقائق الأربعة الكبيرة هي مقررات هذه الصورة الصغيرة، يعرضها القرآن بأسلوبه الخاص، الذي يتجلى بصفة خاصة في هذه السور القصار.

22 ـ موضوع سورة الزلزلَة:
هو مسؤولية الإنسان في كل ما عَمِلَه



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها**﴾: زلزال الأرض هنا: تحريكها تحريكا عنيفا متكررا متداركا، أي: اذكر يا محمد ويا كُلّ سامع هذا الوقت الشديد العنيف... ﴿**وأخرجت الأرض أثقالها**﴾: ما في جوفها من الأموات... ﴿**وقال الإنسان: ما لها**﴾؟!. كل إنسان في ذلك المكان يسأل هذا السؤال، فالمؤمن يقوله بطريق الاستعظام، والكافر يقوله بطريق التعجّب والاستغراب... ﴿**يومئذ تحدّث أخبارها**﴾: فالأرض تحدث الناس بلسان الحال، عن الأسباب التي دعت إلى زلزلة الأرض، وإخراج ما فيها من دفائن... ﴿**بأنّ ربك أوحى لها... يومئذ**﴾:

يوم إذ يكون ما يكون من هذه الأحداث. . . ﴿**يصدر الناس أشتاتا**﴾: يخرجون من قبورهم إلى الموقف متفرقين فريقا إلى الجنة وفريقا إلى السعير ..﴿**ليروا أعمالهم**﴾. ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾: يرى كل إنسان جزاء عمله مهما دق وصغر، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا». «وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين» وماهنا أدقّ وأشقّ!. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.

مبحث الإعراب

﴿**إذا**﴾ في محل نصب مفعول بفعل مقدر، والتقدير: اذكر إذا ـ وَقْتَ ـ. ﴿**زلزلت الأرضُ**﴾ الفعل ونائب الفاعل، في محل جر مضاف إلى إذا. ﴿**زلزالها**﴾ مفعول مطلق. ﴿**وأخرجت الأرض أثقالها**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على زلزلت الأرض. ﴿**وقال الإنسان**﴾ فعل وفاعل، والواو للعطف. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**لها**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ، والجملة مقول القول. ﴿**يومئذ**﴾ يوم ظرف زمان منصوب متعلق بتحدّث، والتنوين عوض عن جملة إذ يكون، والمعنى: يوم إذ زلزلت الأرض زلزالها. ﴿**تحدّث**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الأرض. ﴿**أخبارها**﴾ مفعول به. ﴿**بأنّ ربّك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أوحى**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على ربك، والجملة خبر أنّ. ﴿**لها**﴾ متعلق بأوحى، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء، متعلق بتحدّث. ﴿**يومئذ**﴾ مثل نظيره في الإعراب، وهو متعلق بما بعده. ﴿**يصدر الناس**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أشتاتا**﴾ حال من الناس. ﴿**ليُروا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والضمير المتصل بالفعل فاعل، وأن المضمرة وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام، متعلق بيصدر، أى: يصدر الناس يومئذ لرؤية. ﴿**أعمالهم**﴾ مفعول به. ﴿**فمن يعمل**﴾ فعل مضارع مجزوم بمَنْ الشرطيّة، والفاعل ضمير يعود على مَنْ. ﴿**مثقال**﴾ مفعول به. ﴿**ذرّة**﴾ مضاف إلى مثقال. ﴿**خيرا**﴾ منصوب على التمييز. ﴿**يره**﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف الألف في جواب الشرط، والفاعل ضمير يعود على من، والضمير المتصل بالفعل مفعول، والجملة مفرعة بالفاء على قوله: ليروا أعمالهم. ﴿**ومن يعمل مثقال ذرّة**

شرا يره﴾ جملة شرطيّة، معطوفة على الجملة الشرطيّة قبلها، وهي مثلها في الإعراب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها**﴾: لما كانت سورة البيّنة بيّنت أهل الخير وأهل الشر، وجزاء كل بما يستحق من ثواب وعقاب، بيّنت سورة الزلزلة وقته المحدد له، وفصّلت ما لأهل الخير من خير، ولأهل الشر من شر!.. فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره: وأسلوب السورة في التعبير يهز القلوب الغافلة هزة عنيفة، يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي؛ وصيحة قويّة مزلزلة، للأرض ومن فيها، فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء، في بضع فقرات قصار. فهذا هو يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافا، وتزلزل زلزالا، وتنفض ما في جوفها نفضا، وتخرج ما يثقلها من أجساد... ﴿**وأخرجت الأرض أثقالها**﴾!. ثم يزيد النص هذا الأثر وضوحا، بتصوير الإنسان حيال المشهد المعروض، ويرسم انفعالاته وهو يشهده... ﴿**وقال الإنسان: مالها**﴾؟!: فهو سؤال المشدوه المبهوت المفجوء!. والجواب هو... ﴿**يومئذ تحدّث أخبارها. بأنّ ربك أوحى لها**﴾: فهذا الحال حديث واضح عمّا وراءه، من أمر الله ووحيه إليها! ..﴿**يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليرو أعمالهم**﴾: فهذا مشهد لا تعبر عن صفته لغة البشر، فوراء رؤية الأعمال الحساب الدقيق، الذي لا يدع ذرة من خير أو شر... ﴿**فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره**﴾: فهذا هو الجزاء العادل، والمصير المحتوم!. وفي هذا براعة المقطع، وربطه في الختام بالمطلع!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها. وأخرجت الأرض أثقالها. وقال الإنسان مالها ؟. يومئذ تحدث أخبارها. بأنّ ربك أوحى لها!. يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم. فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره**﴾: لهذه السورة موضوع واحد، هو ما يقع نتيجة لما عمل الإنسان من خير أو شر، وهو العنوان الذي صُدّرت به السورة، فكل عمل الإنسان محسوب موزون، يقف عليه

ويراه ليجازى عليه، فلا يحقر الإنسان شيئا من عمله. فلا يقول: هذه صغيرة لاحساب لها ولا وزن، إنّما يجب أن يتحرك وجدانه، أمام كل عمل من أعمالها، ويرتعش ارتعاشة ذلك الميزان الدقيق، الذي تُرجّحُ به الذرّة أو تشيل. إنّ هذا الميزان لم يوجد له نظير أو شبيه بَعْدُ في الأرض، إلا في القلب المؤمن؛ القلب الذي يرتعش لمثقال ذرّة من خير أو شر!.

23 ـ موضوع سورة العاديات توضيح ما في طبيعة الإنسان من غرائب الصفات



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3)
فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5) إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ
لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8)
* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ
مَا فِي الصُّدُورِ (10) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (11)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**والعاديات**﴾: خيل الغزاة التي تعدو نحو العدوّ... ﴿**ضبحا**﴾: صوت يسمع من الخيل، حين اشتداد عدوها... ﴿**فالموريات**﴾: مخرجات النار من الصلصال، حين ضربها الحجارة الصلبة... ﴿**قدحا**﴾: فبينما تضرب حوافرها الحجارة، تقدح النار فتوريها... ﴿**فالمغيرات صبحا**﴾: فالخيل التي تغير وتهجم على العدو، وقت الصباح الباكر... ﴿**فأثرن به نقعا**﴾: هيّجن بذلك الوقت غبارا يملأ الأفق... ﴿**فوسطن به جمعا**﴾: توسطن بذلك الوقت، وفيما يثرن من غبار،

جمعا من جموع الأعداء على غرّة، فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب. . . ﴿**إنّ الإنسان لربه لكنود**﴾: جحود كفور، ينكر نعمة الله عليه. والأرض الكنود: التي لا تنبت شيئا. والإنسان الكنود: اللئيم الشحيح الحقير. . . ﴿**وإنّه على ذلك لشهيد**﴾: حيث يظهر عليه في أقواله وأفعاله. . . ﴿**وإنّه لحب الخير لشديد**﴾: قوي مطيق، مجدّ في طلبه، فلا يمل ولا يكل. . . ﴿**أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور**﴾: خرج ما في القبور من الأموات، وانتشروا هنا وهناك، ثم يُحشرون فتظهر الحقائق حين ذاك. . . ﴿**وحُصّل ما في الصدور. إنّ ربّهم بهم يومئذ لخبير**﴾.

مبحث الإعراب

﴿**والعاديات**﴾ قسم بالواو مجرور بالكسرة. ﴿**ضبحا**﴾ مفعول مطلق منصوب بالفتحة. ﴿**فالموريات**﴾ مرتب بالفاء على العاديات. ﴿**قدحا**﴾ مثل ضبحا في الإعراب. ﴿**فالمغيرات**﴾ مرتب بالفاء على الموريات. ﴿**صبحا**﴾ منصوب على الظرفيّة، منصوب بالفتحة. ﴿**فأثرن**﴾ فعل وفاعل مرتب بالفاء على ما قبله. ﴿**به**﴾ متعلق بأثرن. ﴿**نقعا**﴾ مفعول به. ﴿**فوسطن**﴾ فعل وفاعل مرتب بالفاء على أثرن. ﴿**به**﴾ متعلق بوسطن. ﴿**جمعا**﴾ حال، تأتي الحال هنا من الضمير الفاعل النون ـ ومن الضمير المجرور به ـ لصحة المعنى لكل منهما. ﴿**إنّ الإنسان**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لربّه**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**لكنود**﴾ خبر إنّ، واللام لتقوية الخبر، والجملة جواب القسم. ﴿**وإنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**على ذلك**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**لشهيد**﴾ مثل لكنود في الإعراب، والجملة معطوفة على الجملة قبلها. ﴿**وإنّه لحب**﴾ متعلق بالخبر الآتي. ﴿**الخير**﴾ مضاف إلى حب. ﴿**لشديد**﴾ خبر إنّ، والجملة معطوفة على إنّ الإنسان. ﴿**أفلا يعلم**﴾ فعل مضارع دخل عليه حرف النفي، وفاء التعقيب، وحرف الاستفهام، والفاعل ضمير يعود على الإنسان. ﴿**إذا**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**بعثر**﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل جر نائب الفاعل. ﴿**في القبور**﴾ متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿**وحُصِّل ما في الصُّدور**﴾ معطوف على بعثر ما في القبور، وهو مثله في الإعراب. ﴿**إنّ ربّهم**﴾ إنّ واسمها. ﴿**بهم يومئذ**﴾ متعلقان بالخبر. ﴿**لخبيرٌ**﴾ خبر إنّ، واللام لتقوية الخبر، والجملة تعليليّة، لا محل لها من الإعراب.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**والعاديات ضبحا**﴾: لما ذكر ـ سبحانه ـ في سورة الزلزلة الجزاء على الخير والشر، أتبع في سورة العاديات بذكر، تعنيت وتقريع من آثر دنياه على آخرته، ولم يستعد لها بفعل الخير. ولا يخفي ما في قوله تعالى هناك «وأخرجت الأرض أثقالها»، وقوله سبحانه هنا. . . إذا بعثر ما في القبور من المناسبة، فالمراد بالأثقال ما في جوف الأرض من الأموات، والبعثرة إخراج وإظهار ما في جوفها من الأموات كذلك، فالعلاقة بين السورتين واضحة جليّة. والعاديات وصف للخيل المغيرة، التي تعدو نحو العدو ضبحا. . . ﴿**فالموريات قدحا. فالمغيرات صبحا. فأثرن به نقعا. فوسطن به جمعا**﴾: فالفاءات هنا جاءت للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها، فإنّ توسّط الجمع مرتب على الإثارة المترتبة على الإيراء المترتب على العدْو، فيجري سياق السورة في لمسات سريعة عنيفة مثيرة، ينتقل من إحداها إلى الأخرى قفزا وركضا ووثبا في خفّة وسرعة وانطلاق، حتى ينتهي إلى آخر فقرة فيها، فيستقر عندها اللفظ والظل والموضوع والإيقاع ؛ كما يصل الراكض إلى نهاية المطاف. يقسم الله سبحانه بخيل المعركة، فيصف حركاتها واحدة واحدة؛ منذ أن تبدأ عدوها وجريها، ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها، حتى تورى الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو ؛ مثيرة للنقع والغبار ؛ غبار المعركة على غير انتظار، فهي تتوسط صفوف الأعداء على غرّة ؛ فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب. والمقسم عليه. . . ﴿**إنّ الإنسان لربه لكنود. وإنّه على ذلك لشهيد. وإنّه لحب الخير لشديد**﴾: حيث جاء الجواب مؤكّدا بكل أدوات التأكيد!. ثم تجيء اللفتة الأخيرة في السورة لعلاج الكُنود والجحود والأثرة والشحّ؛ لتحطيم قيد النفس وإطلاقها منه، مع عرض مشهد البعث والحشر في صورة تنسي حب الخير، وتوقظ من غفلة البطر. . . ﴿**أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور. وحصّل ما في الصدور**﴾؟!: فهو مشهد عنيف مثير، بعثرة لما في القبور!، وتحصيل لأسرار الصدور، التي ضنّت بها، وخبأتها بعيدا عن العيون، أفلا يعلم إذا كان هذا ؟!. فلم يأت جواب ماذا يعلم؟. ليدع النفس تبحث عن الجواب. ثم يختم هذه الحركات الثائرة، باستقرار ينتهي إليه كل شيء وكل أمر وكل مصير. . . ﴿**إنّ ربهم بهم يومئذ لخبير**﴾. إنّ السورة مشوار واحد لاهث صاخب ثائر، حتى ينتهي إلى هذا القرار معنىً ولفظا وإيقاعا، على

طريقة القرآن في ربط المقطع بالمطلع ؛ مع رعاية براعة المقطع!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**والعاديات ضبحا**. . .﴾ إلخ السورة: فتبدأ بمشهد الخيل العادية، يليه مشهد في نفس الإنسان من الكنود والجحود والأثرة والشحّ الشديد!، ثم يعقبه مشهد لبعثرة ما في القبور من الأموات إلى الحشر والجزاء، ثم في الختام ينتهي النقع المثار، وينتهي الكنود والشح، وتنتهي البعثرة والجمع إلى نهايتها جميعا ـ إلى الله ـ فتستقر هناك. . . ﴿**إنّ ربهم بهم يومئذ لخبير**﴾: فالمرجع إلى ربهم، وإنّه لخبير بهم، وبأحوالهم وأسرارهم، والله خبير بهم في كل وقت، وفي كل حال، ولكن لهذه الخبرة يومئذ آثار، هي التي تثير انتباههم لها في هذا المقام، إنّها خبرة وراءها عاقبة، خبرة وراءها حساب وجزاء من ثواب وعقاب. وختام هذه السورة مأخوذ من ختام السورة التي قبلها «فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره»!.

24 ـ موضوع سورة القارعة،
بيان ما يرى الناس من أهوال واقعة!



النص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ (1) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ (2) يَوْمَ يَكُونُ
ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ (3) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ (4)
فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ (5) فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (6) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَٰزِينُهُۥ (7) فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ (8) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ (9) نَارٌ حَامِيَةٌ (10)

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**القارعة**﴾: الحادثة التي تقرع الناس القرع الشديد، وأصل القرع النقر والضرب... ﴿**ما القارعة ؟. وما أدراك: ما القارعة ؟!. يوم يكون الناس كالفراش المبثوث**﴾: صغار الجراد المبثوث في الأرض، متراكم بعضه فوق بعض... ﴿**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**﴾: الصوف ذات الألوان المندوف المنفوش المنشوف في تفرّق أجزائها، وتطايرها في الهواء... ﴿**فأمّا من ثقلت موازينه**﴾: موزونات أعماله... ﴿**فهو في عيشة راضية. وأمّا من خفّت موازينه فأمه**﴾: مأواه... ﴿**هاوية**﴾: النار... ﴿**وما أدراك ماهيه ؟!. نار حامية**﴾.

مبحث الإعراب

﴿**القارعة**﴾ مبتدأ أول. ﴿**ما**﴾ اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. ﴿**القارعة**﴾ خبره، والجملة خبر المبتدإ الأول. ﴿**وما**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**أدراك**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ما، والجملة خبر المبتدإ. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**القارعة**﴾ خبره، والجملة في محل نصب مفعول بأدراك. ﴿**يوم**﴾ ظرف متعلق بمقدر، أي: تقرع يوم. ﴿**يكون الناس**﴾ يكون واسمها. ﴿**كالفراش**﴾ الكاف في محل نصب خبر يكون، والفراش مجرور بالكاف، وجملة يكون الناس كالفراش في محل جر مضافة إلى يوم. ﴿**المبثوث**﴾ نعت للفراش. ﴿**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**﴾ عطف على يكون الناس، وهو مثله في الإعراب. ﴿**فأمّا**﴾ أداة تفصيل، والفاء للتفريع. ﴿**من**﴾ اسم شرط. ﴿**ثقلت موازينُه**﴾ فعل وفاعل. ﴿**فهو**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**في عيشة**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**راضية**﴾ نعت لعيشة، والجملة جواب شرط مَنْ والفاء رابط. ﴿**وأمّا منْ خفّت موازينه**﴾ معطوف على فأمّا من ثقلت موازينه، و هو مثله في الإعراب. ﴿**فأمّه**﴾ مبتدأ. ﴿**هاوية**﴾ خبره، والجملة جواب الشرط. ﴿**وما أدراك**﴾ تقدّم إعراب مثله. ﴿**ما**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**هيه**﴾ في محل رفع خبر، والهاء الساكنة للسكت، وما هيه في محل نصب مفعول ثان لإدراك. ﴿**نارٌ**﴾ خبر لمبتدأ محذوف هي نارٌ. ﴿**حاميةٌ**﴾ نعت لنار، والجملة تفسير لما قبلها.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**القارعة. ما القارعة**﴾؟!: لما كانت سورة الزلزلة والعاديات، قد ذكرت إخراج ما في القبور من الأموات، بيّنت سورة القارعة الوقت الموعود لهذا الإخراج... ﴿**وما أدراك ما القارعة ؟!. يوم يكون الناس كالفراش المبثوث. وتكون الجبال كالعهن المنفوش**﴾: فموضوع السورة كلها عن هذه القارعة ؛ حقيقتها، وما يقع فيها، وما تنتهي إليه، فالمشهد المعروض هنا مشهد هول، تتناول آثاره الناس والجبال، فيبدو الناس صغارا ضئالا على كثرتهم، وتبدو الجبال الراسخة كالصوف المنفوش، تطير في الهواء. فقد بدأ النص بإلقاء الكلمة مفردة «القارعة» كأنّها قذيفة، ثم أعقبها سؤال التهويل، فهو الأمر المستهول الغامض، الذي يثير الدهشة والتساؤل!. ثم أجاب بسؤال التجهيل، فهي أكبر من أن يحيط

بها الإدارك، وأن يلمّ بها التصوّر!. ثم الإجابة بما يكون فيها لا بماهيّتها، فهذا هو المشهد الأول للقارعة. ثم تجيء الخاتمة للناس جميعا... ﴿**فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية. وأمّا من خفّت موازينه فأمه هاوية!. وما أدراك: ماهيه ؟!. نار حامية**﴾!: فكلمة عيشة راضية يدعها السياق مجملة بلا تفصيل، توقع في الحس روعة الرضى ـ وهو أروح النعيم ـ. فالعيشة نفسها راضية فما بالك بصاحبها ؟!، وكلمة أمُّه تعطي معنى خاصا، فالأم هي مرجع الطفل وملاذه، فمرجع هذا هو الهاوية!. وفي هذا التعبير غموض يُمهّد لإيضاح بعده، يزيد في عمق الأثر المقصود... وما أدراك ما هيه ؟!. نار حامية: فهذه هي أم الذي خفّت موازينه، والأم عندها الأمن والراحة، فماذا هو واجد عند أمه هذه ؟!. الهاوية: النار الحامية!. إنّها مفاجأة تعبيرية تمثل الحقيقة القاسية!. ففي النهاية براعة الختام، وربط الآخر بأول الكلام!.

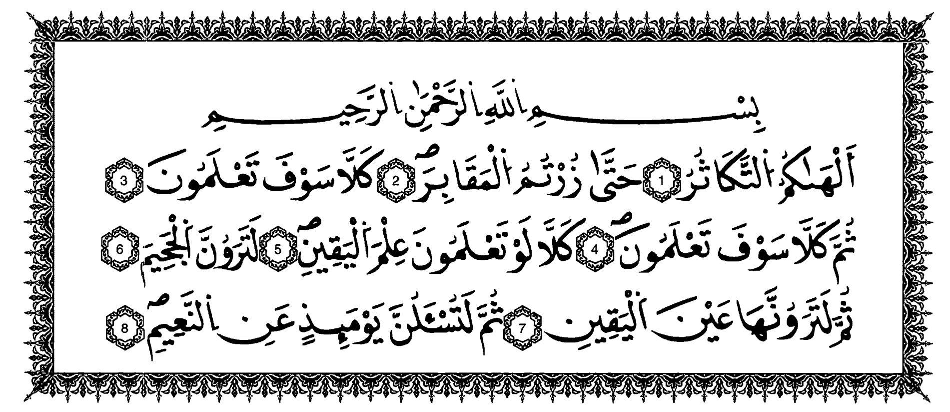
خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**القارعة. ما القارعة ؟!. وما أدراك: ما القارعة ؟!. يوم يكون الناس كالفراش المبثوث. وتكون الجبال كالعهن المنفوش**﴾: فهذا هو المشهد الأول للقارعة، مشهد تطير له القلوب شعاعا ؛ وترجف منه الأوصال ارتجافا، ويحس السامع كأنّ كل شيء يتشبّث به في هذه الأرض، قد طار حوله هباء. ثم تجيء الخاتمة للناس جميعا... ﴿**فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية. وأمّا من خفّت موازينه فأمّه هاوية. وما أدراك: ما هيه ؟!. نار حامية**﴾!.

25 ـ ألهاكم التكاثر،
حتى زرتم المقابر ..



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**ألهاكم**﴾: شغلكم، وأصل الإلهاء: الطرف إلى اللهو، منقول من لها يلهو لهوا، أي: غفل. . . ﴿**التكاثر**﴾: التباهي بكثرة الأموال والأولاد، والتفاخر بالآباء والأجداد. . . ﴿**حتى زرتم المقابر**﴾: إلى أن متم وقبرتم، مضيعين أعماركم في التكالب على الدنيا بالبغي والفساد. . . ﴿**كلا**﴾!: حقا. . . ﴿**سوف تعلمون. ثم كلا. سوف تعلمون**﴾: حقا سوف تعلمون سوء ما أنتم عليه إذا عاينتم عاقبته. . . ﴿**كلا!. لو تعلمون علم اليقين**﴾: لو تعلمون ما بين أيديكم من الحساب، وما فيه من الثواب والعقاب، علم الأمر اليقين، لفعلتم ما يفيدكم يوم المآب! ..﴿**لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين**﴾: والله لترون الجحيم رؤية عين، ثم لترونها رؤية يقين، فإنّ علم المشاهدة أقوى الدلائل والبراهين، وبعده حق اليقين عندما

يذوق بالحس ما يشاهده بالعين. . . ﴿**ثمّ لتسألُنّ يومئذ عن النعيم**﴾: ثم بعد هذا كله لتسألن عن النعيم الذي ألهاكم!.

مبحث الإعراب

﴿**ألهاكم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول. ﴿**التكاثر**﴾ فاعل. ﴿**حتى زرتم المقابر**﴾ فعل وفاعل ومفعول، دخلت عليه حتى الغائبة. ﴿**كلا سوف تعلمون**﴾ فعل وفاعل دخل عليه حرف التسويف، وحرف التحقيق. ﴿**ثم كلا سوف تعلمون**﴾ بزيادة ثم المفيدة للترتيب والتعقيب، تأكيدا للأمر الرهيب. ﴿**كلا**﴾! حقا. ﴿**لو**﴾ حرف امتناع لامتناع، متضمّنة معنى الشرط. ﴿**تعلمون**﴾ فعل وفاعل، فعل شرط لو. ﴿**علم**﴾ مفعول مطلق. ﴿**اليقين**﴾ مضاف إلى علم، وجواب شرط لو محذوف، أي: لو تعلمون علم اليقين، لعملتم فيما يفيدكم في الآخرة من نعيم الدنيا. ﴿**لتروُنّ**﴾ فعل مضارع دخلت عليه نون التوكيد الثقيلة، فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الجماعة الفاعل لالتقاء الساكنين، واللام للقسم. ﴿**الجحيم**﴾ مفعول به. ﴿**ثمّ لتروُنّها**﴾ مثل لترون الجحيم في الإعراب، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿**عين**﴾ مفعول مطلق، أي: رُؤيةَ عين. ﴿**اليقين**﴾ مضاف إلى عين. ﴿**ثم لتسألُنّ**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، حذفت منه نون الرفع، والضمير الفاعل واو الجماعة، والجملة جواب قسم مقدّر. ﴿**يومئذ عن النعيم**﴾ متعلقان بتسألُنّ.

مبحث الأسلوب البلاغي

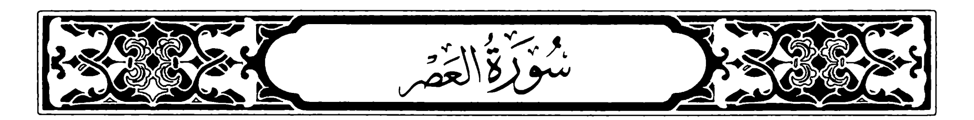
لما كانت سورة القارعة تنذر الناس بالقيامة وما فيها من حساب وجزاء، أنذرت هذه السورة الناس بما هم فيه من اللهو واللعب وشدة الغفلة، عمّا يقابلهم من حساب وجزاء. فالمناسبة بين السورتين مناسبة واضحة، فهذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق، وكأنّما هي صوت نذير قائم على شرف عال يمُدّ بصوته ويدوّي بنبرته، يصيح بنُوّم غافلين مخمورين سادرين، أشرفوا على الهاوية، وعيونهم مُغمّضة وحسّهم مسحور، فهو يمد بصوته إلى أعلى أبعد ما يبلغ!. ثم يقرع النص قلوبهم بهول ما ينتظرهم هناك بعد زيارة المقابر ورجوعهم منها إلى موقف الحساب. . . ﴿**كلا!. سوف تعلمون**﴾. ويكرر هذا الإيقاع بألفاظه وجرسه

الرهيب الرصين... ﴿**ثم كلا! سوف تعلمون**﴾: ثم يزيد التوكيد عمقا ورهبة وتلويحا، بما وراءه من أمر ثقيل، لا يتبينون حقيقته الهائلة، في غمرة الخمار والاستكثار... ﴿**كلا! لو تعلمون علم اليقين**﴾: ثم يكشف عن هذه الحقيقة المطوية الرهيبة... ﴿**لترَوُنّ الجحيم**﴾: ثم يؤكد هذه الحقيقة ويُعمّق وقْعَها الرهيب في القلوب... ﴿**ثم لترَوُنّها عين اليقين**﴾: ثم يلقي بالإيقاع الأخير الذي يدع المخمور يفيق والغافل يتنبّه والسادر يتلفّت، والناعم يرتعش ويرتجف مما في يديه من نعيم... ﴿**ثم لتسألُنّ يومئذ عن النعيم**﴾: فإنّها سورة تعبر بذاتها عن ذاتها وتلقي في الحس ما تلقي بمعناها وإيقاعها، وتدع القلب مثقلا مشغولا بهمّ الآخرة عن سفاسف الحياة الدنيا وصغائر اهتماماتها التي يهشّ لها الفارغون!. فلفظ السورة عنوانها، وآخرها أولها! فتنسق الحقيقة مع النسق التعبيري الفريد، فالأسلوب فيه براعة المقطع مع ربطه بالمطلع

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**ألهاكم التكاثر**﴾: أيّها السادرون المخمورون. أيّها اللاهون المتكاثرون، بالأموال والأولاد وأعراض الحياة وأنتم مفارقون. أيّها المخدوعون بما أنتم فيه عمّا يليه. أيّها الناكرون ما تتكاثرون فيه، وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة، لا تكاثر فيها ولا تفاخر؛ استيقظوا وانظروا، فقد ألهاكم التكاثر... ﴿**حتى زرتم المقابر**﴾. ثم يقرع قلوبهم بهول ما ينتظرهم هناك بعد زيارة المقابر... ﴿**كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون**﴾: والله... ﴿**لو تعلمون علم اليقين**﴾: ما كنتم على هذه الحال. والله... ﴿**لترَوُن الجحيم. ثم لترونها عين اليقين. ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾: فلتسألن عنه من أين نلتموه ؟. وفيم أنفقتموه ؟. أمن طاعة وفي طاعة؟. أم من معصية وفي معصية ؟. أمن حلال وفي حلال ؟. أم من حرام وفي حرام ؟. هل شكرتم ؟. هل أدّيتم ؟. هل شاركتم ؟. فهذه السورة تصور الحياة الدنيا، كالومضة الخاطفة في الشريط الطويل. وتنتهي ومضة الحياة الدنيا، وتنطوي صفحة كل فرد، ثم تفتح يوم العرض، فيحمل ما يحمل منها من عمل صالح، ينتهي به إلى النعيم، وعمل سيّئ، ينتهي به إلى الجحيم!.

26 ـ والعصر
إن الإنسان لفي خسر!..



النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿1﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿2﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿3﴾

البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**والعصر**﴾: الدّهْرِ وزنا ومعنىً ؛ لانطوائه على تعاجيب الأمور القارّة والمارّة. . . ﴿**إنّ الإنسان لفي خسر**﴾: خسران في متاجرهم ومساعيهم، وصرف أعمارهم في مباغيهم. . . ﴿**إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾: فإنّهم في تجارة لن تبور ؛ حيث باعوا الفاني الخسيس، واشتروا الباقي النفيس، واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات. . . ﴿**وتواصوا بالحق**﴾: وصّى بعضهم بعضا بالأمر الثابت، الذي لا سبيل إلى انكاره، ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره. . . ﴿**وتواصوا بالصبر**﴾: بالصبر على جهاد النفس، وجهاد الغير، والصبر على الأذى والمشقة.

مبحث الإعراب

﴿**والعصر**﴾ مجرور بواو القسم. ﴿**إنّ الإنسان**﴾ إنّ واسمها. ﴿**لفي خسر**﴾

متعلق بمحذوف خبر إنّ، واللام واقعة في الخبر لتأكيد القسم، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿**إلاّ الذين**﴾ في محل نصب على الاستثناء. ﴿**آمنوا**﴾ صلة الذين. ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ فعل وفاعل ومفعول، معطوف على صلة الموصول. ﴿**وتواصوا**﴾ فعل وفاعل معطوف على آمنوا. ﴿**بالحق**﴾ متعلق بتواصوا. ﴿**وتواصوا بالصبر**﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب.

مبحث الأسلوب البلاغي

لما كانت سورة التكاثر تنذر الناس بما هم فيه من التكاثر والتفاخر، ونسيان ما هم صائرون إليه بعد البعث من المقابر، جاءت سورة العصر تبين وتوضح وتفرق بين الإنسان الرابح، والإنسان الخاسر. فأقسم الله تعالى بالعصر، الذي هو عمر كل فرد من أفراد البشر. فعلى امتداد الزمان في جميع الأمصار، وامتداد الإنسان في جميع الأدهار، ليس له إلاّ منهج واحد رابح، وطريق واحد ناج، هو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه، وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار. . . ﴿**والعصر إنّ الإنسان لفي خسر. إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾: ففي هذه السورة القصيرة ذات الآيات الثلاث، يتمثل منهج كامل للحياة البشريّة كما يريده الإسلام، فتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة، في أوضح وأدق صورة!. فهي تضع الدستور الإسلامى كلّه في كلمات قصار، وتصف الأمة المسلمة ـ حقيقتها ووظيفتها ـ في آية واحدة، هي الآية الثالثة من السورة، وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلاّ الله تعالى، إنّه الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر!. فالسورة بتمامها ذات منهج واحد في البدء والختام! ونسأل الله حُسْنَ الختام.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

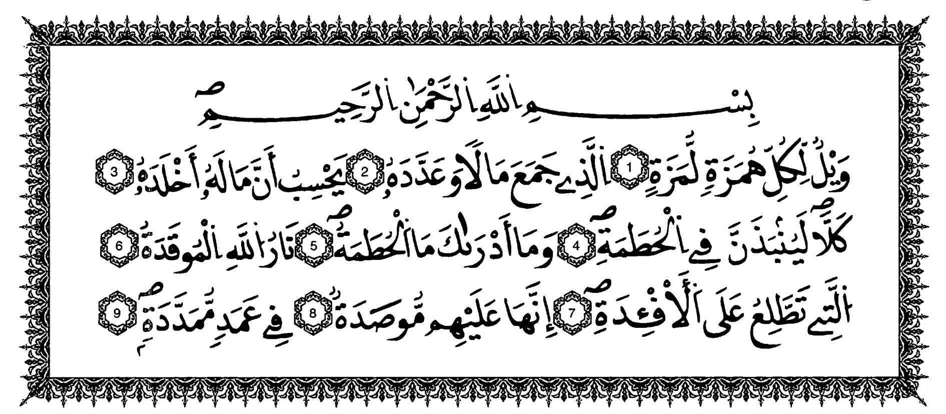
﴿**والعصر. إنّ الإنسان لفي خسر. إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾: فهذا هو المنهج القويم، والصراط المستقيم الذي جاء به هذا الرسول الكريم: محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وننظر اليوم من خلال هذا المنهج، الذي يرسمه القرآن لحياة الفئة الرابحة الناجحة الناجية، فيهولنا

أن نرى الخسر يحيق بالبشرية التي يقودها الشيطان!، ويهولنا أن نرى إعراض الناس، ذلك الإعراض البائس عن الخير الذي أفاضه الله عليهم ؛ مع فقدان السلطة الخيّرة المؤمنة، القائمة على الحق، فالناس اليوم صاروا هملا بلا راع، وكمًّا مهملا غير واعٍ، فلم يستجيبوا لدعوة الداعي!. فهذه السورة حاسمة في تحديد الطريق: طريقُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فهو طريق واحد لا يتعدد: طريق الإيمان والعمل الصالح، وقيام الجماعة المسلمة التي تتواصى بالحق وتتواصى بالصبر، وتقوم متضامنة على حراسة الحق، مزوّدة بزاد الصبر.

27 ـ ويل لكل همزة لمزه، الذى جمع المال وكنزه!..



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿ويلٌ﴾: هلاك وتدمير، وشر مستطير! ..﴿**لكل هُمزة لُمزة**﴾: أصل الهمز: الكسر. واللمز: الطعن، شاع هذان اللفظان في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم... ﴿**الذي جمع مالا وعدّده**﴾: كرّر عدّه وأحصاه مرارا وتكرارا... ﴿**يحسب أنّ ماله أخلده**﴾: بهذا الحرص الشديد على المال... ﴿**كلاّ. لينبذنّ**﴾: ليطرحن طرح الشيء المنبوذ... ﴿**في الحطمة**﴾: النار التي شأنها أن تحطّم وتكسّر كل ما يُلقى فيها... ﴿**وما أدراك: ما الحطمة ؟!. نار الله الموقدة. التي تطلع على الأفئدة**﴾: تعلو أوساط القلوب وتغشاها... ﴿**إنّها عليهم موصدة**﴾: مغلقة... ﴿**في عمد ممددة**﴾: موثوق فيها زيادة في تعذيبه!.

مبحث الإعراب

﴿**ويلٌ**﴾ مبتدأ، سوغ الابتداء بالنكرة لهوله وعظمته وفظاعته! .﴿**لكل**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ. ﴿**همزة لمزة**﴾ في قوة المفرد مضاف إلى كل. ﴿**الذي**﴾ في محل جر نعت لهمزة لمزة. ﴿**جمع**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلته. ﴿**مالا**﴾ مفعول به. ﴿**وعدّده**﴾ معطوف على جمع، والضمير المتصل بالفعل مفعول به يعود على مالا. ﴿**يحسب**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الذى. ﴿**أنّ ماله**﴾ أنّ واسمها. ﴿**أخلده**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ماله، والجملة خبر أنّ، وأنّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب مفعول يحسب، أى: يحسب إخلاد ماله إيّاه، منجيا له من عذاب الله! .﴿**كلا**﴾! : حقا. ﴿**لينبذن**﴾ فعل مضارع مبنيٌّ للمجهول، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، ونائب الفاعل ضمير يعود على من يحسب أنّ ماله أخلده. ﴿**في الحطمة**﴾ متعلق بينبذن، والجملة واقعة في جواب القسم، واللام رابط للجواب. ﴿**وما أدراك ما الحطمة**﴾ تقدم إعراب مثلها عدّة مرّات. ﴿**نار**﴾ خبر لمبتدإ محذوف ؛ هي نار. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى نار. ﴿**الموقدة**﴾ نعت لنار. ﴿**التي**﴾ نعت ثان لنار. ﴿**تطّلع**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على التى، والجملة صلة التى. ﴿**على الأفئدة**﴾ متعلق بتطّلع، وجملة نار الله الموقدة بيان لجملة وما أدراك ما الحطمة. ﴿**إنّها**﴾ إنّ واسمها. ﴿**عليهم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**موصدة**﴾ اسم مفعول خبر إنّ. ﴿**في عمد**﴾ متعلق بمحذوف خبر لمبتدإ مقدر، والتقدير: هم كائنون في عمد. ﴿**مُمدّدة**﴾ نعت لعمد، والجملتان: إنّها عليهم موصدة، وهم في عمد ممددة مذيلتان لما قبلها.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**ويلٌ لكل همزةٍ لمزةٍ**﴾! : لما كانت سورة العصر بينت أنّ الإنسان في خسر إلا من آمن. الخ، جاءت هذه السورة مبينة الإنسان الخاسر، بسبب وصفه بهذه الأوصاف الذميمة، فأنذرته بويل شديد، وتهديد مداه بعيد!. فهذا الويل لكل همزة لمزة... ﴿**الذي جمع مالا وعدده. يحسب أنّ ماله أخلده!. كلا لينبذنّ في الحطمة!. وما أدراك ما الحطمة ؟!. نار الله الموقدة. التي تطّلع على الأفئدة. إنّها عليهم موصدة. في عمد ممددة**﴾ : فعنوان السورة وموضوعها وسياقها وأسلوبها

واحد، فهذا التهديد يأتي من أول السورة إلى آخرها، ممثّلا لصورة الويل بالنار الحطمة. وقد لوحظ التقابل في أسلوب التعبير، بين الجرم وطريقة الجزاء وجوّ العقاب، فصورة الهمزة اللمزة، الذي يدأب على الهزء بالناس، وعلى لمزهم في أنفسهم وأعراضهم ؛ وهو يجمع المال فيظنه كفيلا بالخلود. صورة هذا المتعالي بالمال الساخر، المستقوي به، تقابلها صورة المنبوذ المهمل المتردي في الحطمة التي تحطم كل ما يلقى إليها، فتحطّم كيانه وكبرياءه، وهي نار الله الموقدة!. ثم يخلع عليها رهبة مفزعة مرعبة، ثم تكملة لصورة المحطم المنبوذ المهمل، هذه النار مغلقة عليه لا ينقذه منها أحد، ولا يسأل عنه فيها أحد، وهو موثق فيها إلى عمود، كما توثّق بلا احترام. وفي هذا الكلام براعة الختام، وربطه بما سبق من الكلام.

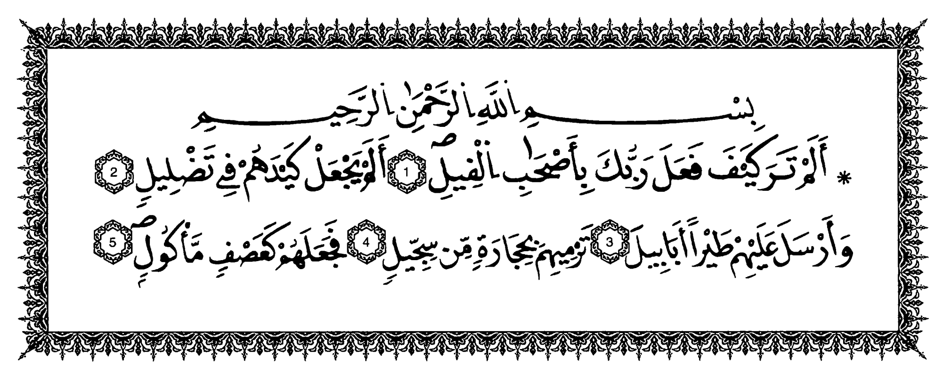
خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام!

﴿**ويلٌ لكل همزة لمزة. الذي جمع مالا وعدده. يحسب أنّ ماله أخلده. كلا لينبذن في الحطمة...**﴾ الخ السورة: في هذه السورة صورة من الصور الواقعيّة، مع الدعوة في عهدها الأول، وهي في الوقت ذاته نموذج يتكرر في كل بيئة ؛ صورة اللئيم الصغير التعس، الذي يُؤتى المال فتسيطر نفسه به، ويروح يشعر أنّ المال هو القيمة العليا في الحياة، كما يروح يحسب أنّ هذا المال قادر على كل شيء، لا يعجز عن فعل شيء، حتى دفع الموت وتخليد الحياة. ومن ثم ينطلق في هوس بهذا المال، يعدّه ويستلذّ بتعداده، وتنطلق في كيانه نفخة فاجرة، تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس وكرامتهم، ولمزهم وهمزهم ؛ يعيبهم بلسانه، ويسخر منهم بحركاته. والإسلام يكره هذه الصورة الهابطة، من صور النفوس، بحكم ترفعه الأخلاقي، وقد نهي عن السخرية واللمز والعيب في مواضع شتّى، إلاّ أنّ ذكرها هنا بهذا التشنيع والتقبيح، مع الوعيد والتهديد، يوحي بأنّه كان يواجه حالة واقعية من بعض المشركين تجاه رسول الله ﷺ، وتجاه المؤمنين، فجاء الرد عليها في صورة الردع الشديد والتهديد المرعب!، فقد كان القرآن يتابع أحداث الدعوة، ويقودها في الوقت ذاته، وكان هو السلاح البتّار الصاعق، الذي يدمر كيد الكائدين، ويزلزل قلوب الأعداء، ويثبت أرواح المؤمنين.

28 ـ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟! ألم يجعل كيدهم في تضليل؟!



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟!. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل!. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾! : هذه السورة تبدأ بلفت نظر الرسول أولا، ثم تلفت كل من يسمع هذا الكلام آخرا، إلى ما حصل لأصحاب الفيل، الذين جاءوا ليهدموا بيت الله الحرام ـ والقصة مشهورة ـ، فسمى عملهم هذا كيدا، ولكن الله أبطل كيدهم، فأرسل عليهم جماعات من الطير، تحمل حجارة محرقة أرسلها عليهم، فأهلكتهم وحطمت أجسامهم ؛ فجعلهم كعصف مأكول!.

مبحث الإعراب

﴿ألم تر﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف الألف، والهمزة للاستفهام التقريرى، والفاعل ضمير يعود على المخاطب الأول وهو محمد ﷺ.

﴿كيف﴾ مبني على الفتح في محل نصب مفعول بِترَ، أي: ألم تر كيفية فِعْلِ ربك. **﴿فعلَ ربُّك﴾** فعل وفاعل، بمصدر مضاف إلى معنى كيف. **﴿بأصحاب﴾** متعلق بفعل. **﴿الفيل﴾** مضاف إلى أصحاب. **﴿ألم يجعلْ﴾** فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه السكون، والهمزة للاستفهام التقريري، والفاعل ضمير يعود على ربك. **﴿كيدهم﴾** مفعول به. **﴿في تضليل﴾** متعلق بيجعل. **﴿وأرسل﴾** فعل ماض معطوف على ألم يجعل، والفاعل ضمير يعود على ربك. **﴿عليهم﴾** متعلق بأرسل. **﴿طيرا﴾** مفعول به. **﴿أبابيل﴾** نعت لطيرا منصوب بالفتحة. **﴿ترميهم﴾** فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على طيرا أبابيل، والضمير المتصل بالفعل مفعول، والجملة حال من طيرا أبابيل. **﴿بحجارة﴾** متعلق بترميهم. **﴿من سجيل﴾** متعلق بمحذوف نعت لحجارة. **﴿فجعلهم﴾** فعل ماض مرتب بالفاء على ما قبله، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على ربك. **﴿كعصف﴾** الكاف في محل نصب مفعول ثان بجَعَلَ، وعصف مجرور بالكاف. **﴿مأكول﴾** نعت لعصف مجرور بالكسرة.

مبحث الأسلوب البلاغي

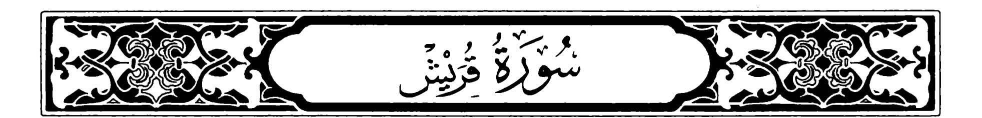
لما بينت السورة السابقة جزاء أهل الشر في الآخرة، بينت هذه السورة جزاء أهل الشر في الدنيا، بالهلاك والدمار. فافتُتِحَ الكلام بإلقاء هذا الاستفهام... **﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾**؟!: ففي السؤال تقرير وتعجب من أمر أصحاب الفيل!. فالحادث كان معروفا للعرب ومشهورا عندهم، حتى لقد جعلوه مبدأ تاريخ، ويقولون حدث عام الفيل، وحدث كذا قبل عام الفيل بعامين، فكان هذا يذكر قريشا بنعمة الله عليهم، في حماية هذا البيت وصيانته، في الوقت الذي عجزوا هم عن الوقوف في وجه أصحاب الفيل الأقوياء. فقد حطم الله الأقوياء حينما شاءوا الاعتداء على بيته وحرمته، فلعله يحطّم الأقوياء الذين يقفون لرسوله ودعوته، أمّا كيف جعل كيدهم في تضليل، فقد بينه في صورة وصفية رائعة... **﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾**!: فهذه صورة حسية للتمزيق البدني، بفعل هذه الأحجار المحرقة، التي رمتهم بها جماعات الطير المرسلة، وهي على ظاهرها فلا تأويل فيها. وفي الختام براعة بالغة في نهاية الكلام!.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

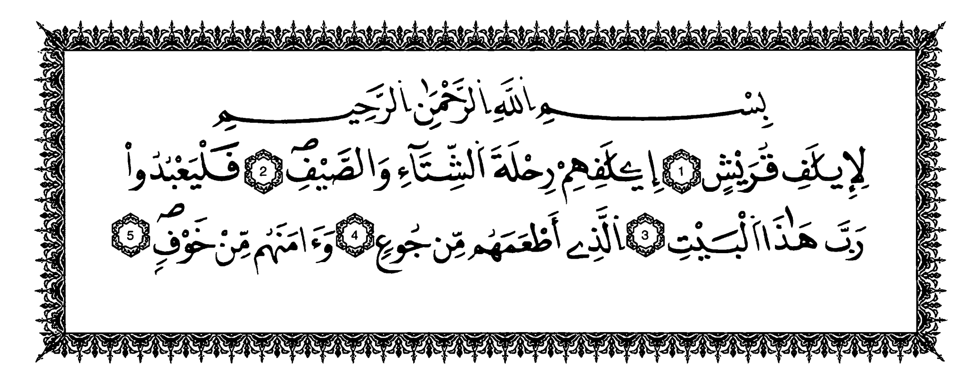
﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾: تشير هذه السورة إلى حادث مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربية ـ قبل البعثة المحمدية ـ، عظيم الدلالة على رعاية الله، لهذه البقعة المقدسة التي اختارها الله، لتكون ملتقى النورالأخير، ومحضن العقيدة الجديدة، والنقطة التي تبدأ منها زحفها المقدس لمطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض، وإقرار الهدى والحق والخير فيها، والقصة مشهورة ومنقولة في كتب السيرة والتاريخ، وكتب التفسير كلها، فلا حاجة إلى نصها هنا. ولكن هناك لفتة ينبغي التنبيه عليها ـ رمي الحجاج الجمرات الثلاث في أيام منىً ـ فإنّها رمز لهذا الحادث الفذ، حتى تبقى ذكراه ماثلة أمام كل حاج، وعند كل مسلم في أنحاء الدنيا كلما جاء ذكر هذا اليوم!. دلالة هذا الحادث، والعبرة المستفادة من التذكير به كثيرة ومهمة، سواء منه المنصوص والمفهوم. وأول ما توحي به أنّ الله سبحانه وتعالى لم يُردْ أن يكل حماية بيته إلى المشركين، ولو أنّهم كانوا يعتزّون بهذا البيت، ويحمونه ويحتمون به، فلما أراد الله أن يصونه ويحرسه ويعلن حمايته له وغيرته عليه، ترك المشركين يهزمون أمام القوة المعتدية، وتدخلت قوة الله سافرة لتدافع عن هذا البيت الحرام، حتى لا تكون للمشركين يدٌ على بيته، ولا سابقة في حمايته، بحميتهم الجاهلية. ولعل هذه الملابسة تُرجّح ترجيحا قويا، أنّ الأمر جرى في إهلاك المعتدين، مجرى السنة الخارقة. كذلك توحي دلالة هذا الحادث بأنّ الله لم يقدر لأهل الكتاب ـ نصارى اليمن والحبشة ـ أن يحطموا البيت الحرام، أو يسيطروا على الأرض المقدسة، حتى والشرك يدنسه، والمشركون هم سدنته؛ ليبقى هذا البيت عتيقا من سلطان المتسلطين، مصونا من كيد الكائدين، وليحفظ لهذه الأرض حريتها، حتى تنبت فيها العقيدة الجديدة حرّة طليقة، لا يهيمن عليها سلطان، ولا يطغى فيها طاغية، ولا يهيمن على هذا الدين الذي جاء ليهيمن على العباد، وعلى جميع الأديان!، ويقود البشرية ولا يقاد بقوة السلطان. وكان هذا من تدبير الله وتقديره، لبيته ودينه، قبل أن يعلم أحد أن نبي هذا الدين قد ولد في هذا العام!. والمسلمون اليوم يستبشرون بهذه الدلالة، وتطمئن قلوبهم إزاء ما يعلمون من أطماع فاجرة ماكرة ترف حول الأماكن المقدسة، من أهل الكتاب ـ اليهود

والنصارى ـ، فالله الذي حمى بيته من أهل الكتاب، وسدنته مشركون، سيحفظه من كيد اليهود والنصارى والعرب اليوم قليلون مستضعفون!. والإيحاء الثالث: هو أنّ العرب لم يكن لهم دور في الأرض، ولم يكن لهم كيان قبل الإسلام، وتحت راية الإسلام ولأول مرة في تاريخ العرب، أصبح لهم دور عالميّ يؤدونه، فعندئذ فقط كان للعرب وجود، وكانت لهم قوة، وكانت لهم قيادة، حتى إذا انحرفوا عنها، فتركوا راية الله، ليرفعوا راية العصبية العنصرية، نبذتهم الأرض وداستهم الأمم؛ لأنّ الله قد تركهم، حيثما تركوه، ونسيهم مثلما نسوه!.

29 ـ موضوع سورة قريش،
بيان لما لهم من الأمن المستتب ووفرة العيش!



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**لإيلاف قريش**﴾: الإيلاف مأخوذ من قولك: ألفت المكان إيلافا إذا ألفته. وقريش: ولد النضر بن كنانة، سموا بتصغير القرش قريش، وهو دابة عظيمة من دواب البحر... ﴿**إيلافهم رحلة الشتاء والصيف**﴾: تعودت قريش أن ترحل في تجارتها رحلتين: رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام... ﴿**فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع**﴾: بسبب وفرة العيش... ﴿**وآمنهم من خوف**﴾: بسبب حرمة هذا البيت. فالناس يخطفون من حولهم، وقريش آمنة مطمئنة!.

مبحث الإعراب

﴿**لإيلاف**﴾ متعلق بقوله تعالى: فليعبدوا. ﴿**قريش**﴾ مضاف إلى إيلاف.

﴿**إيلافهم**﴾ بدل من إيلاف، والضمير فيه مضاف إليه. ﴿**رحلة**﴾ مفعول به. ﴿**الشتاء**﴾ مضاف إلى رحلة. ﴿**والصيف**﴾ معطوف على الشتاء. ﴿**فليعبدوا ربّ**﴾ فعل وفاعل ومفعول، دخل عليه لام الأمر الجازم، والفاء رابط، لما في الكلام من معنى الشرط. ﴿**هذا**﴾ في محل جر مضاف إلى رب. ﴿**البيت**﴾ عطف بيان لاسم الإشارة. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب نعت لرب. ﴿**أطعمهم**﴾ فعل ماض، والضمير المتصل به مفعول، والفاعل ضمير يعود على رب، والجملة صلة الموصول. ﴿**من جوع**﴾ متعلق بأطعمهم. ﴿**وآمنهم من خوف**﴾ معطوف على أطعمهم من جوعٍ، وهو مثله في الإعراب.

مبحث الأسلوب البلاغي

لما ذكر في السورة قبلها ما حصل لأصحاب الفيل، ذكر في هذه السورة قريشا، بما هم عليه من وفرة العيش ونعمة الأمن!، فأمرهم الله بشكر هاتين النعمتين بعبادة الله وحده. فهذه هي المنّة التي يذكّر الله بها قريشا بعد البعثة؛ كما ذكرهم بمِنّة حادث الفيل في السورة السابقة. يذكّرهم الله بهذه النعم ليستحوا مما هم فيه من عبادة غير الله، فهو تذكير يستجيش الحياءَ في النفوس، ويثير الخجل في القلوب. فهذه السورة تبدو امتداداً لسورة الفيل قبلها، من ناحية موضوعها وجوها، فسورة الفيل هلاك ودمار، وسورة قريش أمنٌ واستقرار، ولكل مقام مقال. وفي كل براعة المقطع، وبراعة الاستهلال!.

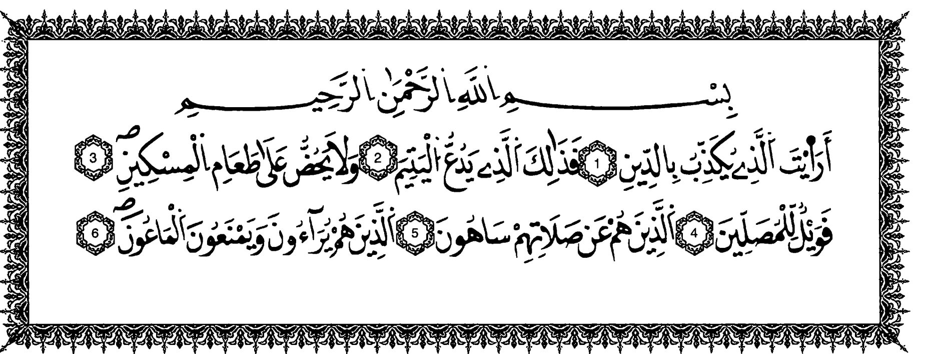
خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام!

﴿**لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾: فقد كان لحادث الفيل أثر مضاعف، في زيادة حرمة بيت الله الحرام عند العرب، في جميع أنحاء الجزيرة، وزيادة مكانة أهله قريش، مما ساعدهم على أن يسيروا في الأرض آمنين، فحيثما حلوا وجدوا الكرامة والرعاية. فإنّ حرمة البيت في أنحاء الجزيرة، قد كفلت لجيرته الأمن والسلامة، في هذه التجارة المغرية، فألفت نفوسهم هاتين الرحلتين الآمنتين الرابحتين، فصارتا لهم عادة وإلفا!.

30 ـ موضوع سورة الماعون،
وعيد للذين يكذّبون ويمنعون



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**أرأيت الذي يكذّب بالدين**﴾ ؟! : الاستفهام هنا للتشويق والتعجيب، والرؤية هنا: هي المعرفة، والتكذيب بالدين: التكذيب بالجزاء... ﴿**فذلك الذي يدعّ اليتيم**﴾: الدعُّ: الدفع بعنف، والزجر بقبح... ﴿**ولا يحضّ على طعام المسكين**﴾: الحضّ: الحثّ والتحريض. طعام: اسم لكل ما يؤكل من مقومات جسم الإنسان، ومصدره الإطعام... ﴿**فويل**﴾: هلاك خطير وشر مستطير... ﴿**للمصلين**﴾: يصلون بلا مراعاة لشروط الصلاة، وأركانها وآدابها... ﴿**الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾: سها عنها: لم يراعها، ولم يهتم بها. سها فيها: ترك منها شيئا يدرك إصلاحه، فالسهو عنها ممنوع، والسهو فيها مشروع... ﴿**الذين هم يراءون**﴾: يصلّون لأجل الناس خوفا وطمعا... ﴿**ويمنعون الماعون**﴾: الماعون: الشيء المتبادل بين الناس، يُعار للمنفعة.

مبحث الإعراب

﴿**أرأيت**﴾ فعل وفاعل، دخل عليه حرف الاستفهام. ﴿**الذي**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**يكذّب**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلة الذى. ﴿**بالدّين**﴾ متعلق بيكذب. ﴿**فذلك**﴾ في محل رفع مبتدأ، والفاء للتعقيب. ﴿**الذي**﴾ في محل رفع خبر المبتدإ. ﴿**يدعّ**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الذى.

﴿**اليتيم**﴾ مفعول به، وجملة يدع اليتيم صلة الذى. ﴿**ولا يحضّ**﴾ معطوف على يدع. ﴿**على طعام**﴾ متعلق بالفعل قبله. ﴿**المسكين**﴾ مضاف إلى طعام. ﴿**فويل**﴾ مبتدأ. ﴿**للمصلّين**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ، والفاء للعطف والتعقيب. ﴿**الذين**﴾ في محل جر نعت للمصلين. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**عن صلاتهم**﴾ متعلق بما بعده. ﴿**ساهون**﴾ خبر المبتدإ، والجملة صلة الموصول. ﴿**الذين**﴾ عطف بيان للذين هم عن صلاتهم ساهون. ﴿**هم**﴾ في محل رفع مبتدأ. ﴿**يراءون**﴾ فعل وفاعل، والجملة خبر المبتدإ، وجملة هم يراءون صلة الذين. ﴿**ويمنعون الماعون**﴾ فعل وفاعل ومفعول، معطوف على يراءون.

مبحث الأسلوب البلاغي

لما عدد الله تعالى نعمه على قريش في السورة السابقة، أتبع سبحانه امتنانه عليهم، تهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه في السورة اللاحقة... ﴿**أرأيت الذي يكذب بالدين**﴾؟!: استفهام أريد به تشويق السامع وتعجيبه منه... ﴿**فذلك الذي يدع اليتيم**﴾: الجملة واقعة في جواب شرط محذوف، أى: إذا لم تعرفه، فذلك الذي يدع اليتيم. ووضع اسم الإشارة موضع الضمير للإشعار بعلة الحكم... ﴿**ولا يحض على طعام المسكين**﴾: وصلت الجملة بالعطف على ما قبلها، وهي داخلة معها في حيز التعريف للمكذب. ثم يرتب السياق على هذه الحقيقة الأولى، صورة تطبيقية من صورها... ﴿**فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾: فمن هم هؤلاء الذين هم عن صلاتهم ساهون ؟ ..﴿**الذين هم يراءون ويمنعون الماعون**﴾: وفي هذا الكلام براعة الختام!.

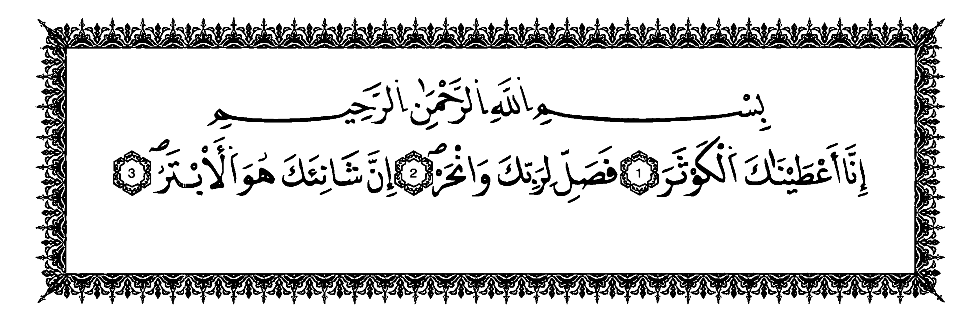
خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿أرأيت الذي يكذب بالدين. فذلك الذي يدع اليتيم. ولا يحض على طعام المسكين. فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾: إنّ هذه السورة الصغيرة ذات الآيات السبع القصيرة، تعالج حقيقة ضخمة، تكاد تبدّل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلا كاملا، فوق ما تطلع به على النفس، من حقيقة باهرة لطبيعة هذه العقيدة، وللخير الهائل العظيم المكنون فيها لهذه البشرية، وللرحمة السابغة التي أرادها الله للبشر، وهو يبعث إليهم بهذه الرسالة الأخيرة. إنّ هذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس ؛ ولا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر، ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله وتجرد، مؤدية بسبب هذا الإخلاص، إلى آثار في القلب، تدفع إلى العمل الصالح، وتتمثل في سلوك تصلح به حياة في هذه الأرض وترقى. كذلك ليس هذا الدين أجزاء وتفاريق موزعة منفصلة، يؤدي منها الإنسان ما يشاء، ويدَع منها ما يشاء، إنّما هو منهج متكامل، تتعاون عباداته وشعائره وتكاليفه الفردية والاجتماعية، حيث تنتهي كلها إلى غاية تعود كلها على البشر. غاية تتطهر معها القلوب، وتصلح الحياة، ويتعاون الناس، ويتكافلون في الخير والصلاح والنماء، وتتمثل فيها رحمة الله السابغة بالعباد. وقد تكون هذه مفاجأة، بالقياس إلى تعريف الإيمان التقليدي. ولكن هذا هو لباب الأمر، وحقيقته. إنّ حقيقة التصديق بالدين، ليست كلمة تُقال باللسان، إنّما هي تحول في القلب، يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في البشرية، المحتاجين إلى الرعاية والحماية. وليس أصرح من هذه الآيات الثلاث في تقرير هذه الحقيقة، التي تمثل روح هذه العقيدة، وطبيعة هذا الدين أصدق تمثيل. ثم تمثل الآيات الأربع بعدها، علامة المنافق المرائي بصلاته، المانع لخيراته. . . **﴿فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾**!.

31 ـ موضوع سورة الكوثر،
بيان ما أعطي الرسول من الخير الأكثر



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾: أعطيناك ـ يامحمد ـ الخير المفرط الكثير، من شرف النبوءة الجامعة، لخيري الدارين، والرئاسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين. . . ﴿**فصل لربك وانحر**﴾: الصلاة خير عبادة، والنحر أشرف قربة، وأكثر للمحتاج إفادة. . . ﴿**إنّ شانئك هو الأبتر**﴾: إنّ مبغضك، ومن يستهزأ بك، هو المقطوع والمنزوع، والمخلوع المبتور المجذوع!. «إنّا كفيناك المستهزئين»!.

مبحث الإعراب:

﴿**إنّا**﴾ إنّ واسمها. ﴿**أعطيناك**﴾ فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة خبر إنّ. ﴿**الكوثر**﴾ مفعول ثان. ﴿**فصلّ**﴾ أمر موجه من الله إلى الرسول، مرتب على ما قبله. ﴿**لربّك**﴾ متعلق بصلّ. ﴿**وانحر**﴾ معطوف على فصلّ. ﴿**إنّ شانئك**﴾ إنّ واسمها. ﴿**هو**﴾ ضمير فصَلٍّ. ﴿**الأبتر**﴾ خبر إنّ.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾: لما بينت سورة الماعون حقيقة الكافر المكذب، الحقود الكنود، المرائي بصلاته الشحيح بما عنده، ومن سار على طريقته، وفي مقدمة هؤلاء كفار قريش، الذين رفضوا أمر الله، وأعرضوا عن دعوة رسول الله، وعابوه وسبوه، ونظروا إليه نظرة الشانئ المهين، بيّن الله في هذه السورة ما أعطاه الله لرسوله، من خير لا نهاية له في الدنيا والآخرة، وما لوّث به أعداءه، من وصمة البتر والقطع وسوء الذكر!. فهذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ كسورة الضحى وسورة الانشراح. يسرى عنه ربه فيها، ويعده بالخير، ويوعد أعداءه بالقطع والبتر، ويوجّهه إلى طريق الشكر. كذلك تمثل حقيقة الهدى والخير والإيمان، وحقيقة الضلال والشر والكفران: الأولى كثرة وفيض وامتداد، والثانية قلة وانحسار وانبتار... ﴿**فصل لربك وانحر**﴾: ما دام الله تعالى هو الذي أعطى، فيجب أن يكون المُعْطَى موصولا بالمُعْطِى، بأن يصلى له، وكما أحسن إليه يحسن إلى الناس... ﴿**إنّ شانئك هو الأبتر**﴾: تعليل مقرر لمضمون ما سبق، فهو يرد الكيد على كائده، ويؤكد أنّ الأبتر هو الذي يبغضه ويشنيه!. وبهذا ينتهي الكلام، وينبئ عن حسن الختام.

خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

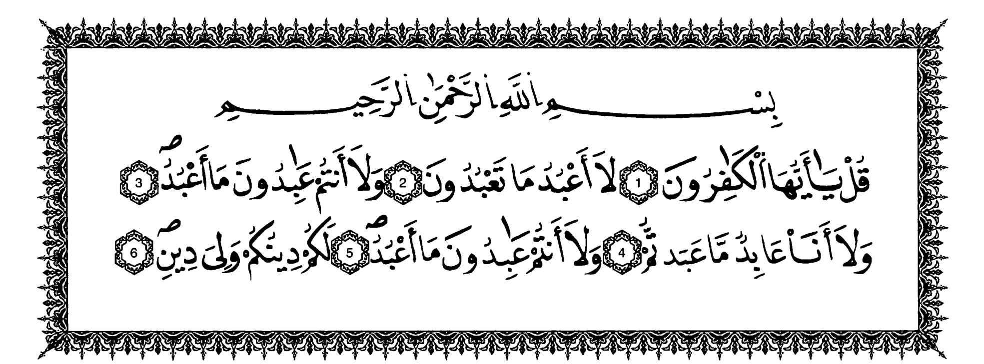
﴿**إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إنّ شانئك هو الأبتر**﴾: فالخير الذي أعطاه الله لرسوله، ليس له حد، ولا يدخل تحت حصر وعدّ!. فإذا أراد أحد من الناس أن يتتبع هذا الكوثر، الذي أعطاه الله لرسوله، فهو واجده حيثما نظر في نصوص القرآن، أو تصور أحداث السيرة، وتاريخ أكرم إنسان؛ في هذا القرآن الذي نزل عليه، وسورة واحدة منه كوثر لا نهاية لكثرته، وفي الملإ الأعلى الذي يصلى عليه: «إنّ الله وملائكته يصلون على النبيء»، وفي سننه الممتدّة على مدار القرون، في أرجاء الأرض، وفي الملايين بعد الملايين السائرة على أثره، وملايين الملايين من الألسنة والشفاه الهاتفة باسمه، وفي الخير الكثير الذي فاض على البشرية في جميع أجيالها بسببه، وعن طريقه؛ سواء من عرفوا هذا الخبر فآمنوا به، ومن لم يعرفه، ولكنه فاض عليهم فيما فاض!. «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»، وفي مظاهر شتّى؛ محاولة إحصائها ضرب من تقليلها وتصغيرها!. إنّه

الكوثر الذي لا نهاية لفيضه، ولا إحصاء لعوارفه، ولا حدّ لمدلوله، ومن هذا كله وغيره تركه النص بلا تحديد، يشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد. ثم بعد توكيد هذا العطاء الكثير الفائض على الرسول، وجّهه الله إلى شكر نعمته عليه في الصلاة، وفي ذبح النسك، كما وجّهه في قوله: «قل: إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنّا أول المسلمين»، ثم في هذه السورة: فصل لربك وانحر. إنّ شانئك هو الأبتر!. لقد صدق وعيد الله في كل من تظهر عليه علامة من علامات السخرية والاستهزاء، أو النقص والازدراء بشخصية هذا الرسول العظيم محمد ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ في أى زمان، وفي أى مكان، كائنا من كان، بقطع ذكره، وخيبة أمره، وذهاب أمنه في علنه وسرّه!. إنّ الدعوة إلى الله والحق والخير، لا يمكن أن تكون بتراء، ولا أن يكون صاحبها أبتر، فكيف وهي موصولة بالله الحيّ الباقي، الأزليّ الخالد ؟!. إنّما يُبتر الكفر والباطل والشر، ويبتر أهله من كل خير، ومن كل ذكر جميل مشكور!، مهما بدا في لحظة من اللحظات أنّه طويل الأجل، ممتدّ الجذور. إنّ شانئك هو الأبتر!. «إنّا كفيناك المستهزئين!».

32 ـ قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون!..



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾: فهم كفرة مخصوصون، قد علم الله أنّه لا يتأتى منهم الإيمان... ﴿**لا أعبد ما تعبدون**﴾: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم... ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾: ولا أنتم فاعلون ما أطلب منكم، من عبادة الله ربي وربكم... ﴿**ولا أنا عابد ما عبدتم**﴾: لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فلا يمكن أن أعبد آلهتكم الآن... ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾: وما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنّا على عبادته، وهو الله سبحانه وتعالى... ﴿**لكم دينكم**﴾: عبادة الأوثان... ﴿**ولي دين**﴾: عبد الملك الديّان.

مبحث الإعراب

﴿**قل**﴾ أمر من الله لرسوله. ﴿**يا أيُها**﴾ منادى مبني على الضم في محل

نصب، وها حرف تنبيه. ﴿**الكافرون**﴾ نعت لأيّ باعتبار لفظها. ﴿**لا أعبد**﴾ فعل مضارع منفي بلا، والفاعل ضمير المتكلم. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿**تعبدون**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**ولا أنتم**﴾ في محل رفع مبتدأ، دخل عليه حرف النفي وواو العطف. ﴿**عابدون**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول باسم الفاعل. ﴿**أعبد**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلم، والجملة صلة ما. ﴿**ولا**﴾ أنا مبتدأ منفي بلا. ﴿**عابد**﴾ خبر المبتدإ. ﴿**ما**﴾ في محل نصب مفعول باسم الفاعل. ﴿**عبدتم**﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ما. ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾ تقدم إعراب مثل هذه الجملة، والجمل كلها معطوفة على قوله: لا أعبد ما تعبدون. ﴿**لكم**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**دينكم**﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿**ولي**﴾ مثل لكم في التعلق. ﴿**دين**﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**قل ياأيها الكافرون**﴾. لا أعبد ما تعبدون: فهذا عنوان السورة، وهي مرتبطة بما قبلها من قوله تعالى: «إنّ شانئك هو الأبتر»، وهم المشركون الذين عارضوا الرسول محمد ﷺ في دعوته، وحاولوا بكل ما لديهم، أن يهادنهم ويتساهل معهم. فجاء الأمر النافذ يقطع العلاقة نهائيا بين التوحيد والشرك، فقد ناداهم بحقيقتهم، ووصفهم بصفتهم، وهي صفة ذم وتقبيح، فهم ليسوا على دين، وليسوا بمؤمنين، وإنّما هم كافرون. فهكذا يوحي مطلع السورة وافتتاح الخطاب، بحقيقة الانفصال الذي لا يرجى معه اتصال، وجملة ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾ متصلة بالعطف على ما قبلها، توضح معنى الإنفصال التام بين محمد ﷺ، الذي لم يعبد صنما قط، وبين مشركي مكة الذين لم يعبدوا الله لحظة، وإنّما ظنوا عبادة الأصنام قربة إلى الله... ﴿**ولا أنا عابد ما عبدتم**﴾: زيادة في الانفصال الدائم... ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾: ما دمتم تعتبرون عبادة الأصنام عبادة مشروعة، وتحاولون أن أعترف بها... ﴿**لكم دينكم**﴾: الذي أنتم عليه الآن... ﴿**ولي دين**﴾: الحق الذي يبقى ما بقي الزمان. فهي مفاصلة كاملة شاملة، وتميّز واضح دقيق، وفي هذا براعة المقطع في نهاية الطريق!.

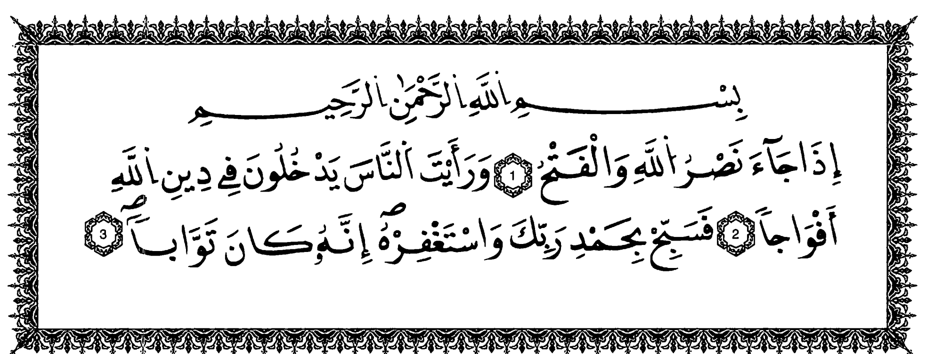
خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام:

﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين﴾: فقد حاول أهل مكة المشركون، أن يهادنوا الرسول ﷺ، وأن يتنازل عن موقفه، حتى يصطلحوا عن شيء يُرضِي الطرفين «ودّوا لو تدهن فيدهنون» ولحسم هذه الشبهة، وقطع الطريق على المحاولة، والمفاصلة الحاسمة بين عبادة الله وحده، وبين عبادة غيره، نزلت هذه السورة، بهذا الجزم وبهذا التوكيد لتُنهي كلّ قول، وتقطع كل مساومة، وتفرق نهائيا بين التوحيد والشرك. فالأمر أمر الله، لا أمري، أما أنتم فاخترعتم عبادة من أنفسكم، تستطيعون أن تتنازلوا عليها، أو تجعلوها ثمنا لشيء ترغبون فيه!. ليس الأمر كما تظنون، فأنا مأمور موجه، لا رأى لى في شيء، ولا تدخّل مني في شيء، فقال تعالى لي: قل: فقلت!.

33 ـ موضوع سورة النصر بشرى بنهاية صولة الشرك واندحار دولة الكفر!



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾: نصر الله: نصر الله نبيئه على المشركين من العرب، الذين عارضوا دعوته ولم يقتنعوا بالدلائل القاطعة، فانتصر عليهم بالسيف. والفتح: فتح مكة الذي قضى على مقاومتهم، فانتهي أمرهم. . . ﴿**ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا**﴾: فبعد فتح مكة سارع العرب من كل أنحاء الجزيرة إلى الدخول في الإسلام، فهذه السورة جاءت مناسبة للسورة التي قبلها. فجاءت سورة النصر لتحسم الموقف من ناحية المقاومة، لا من ناحية المفاوضة، التي قد تبقى للكافرين قوّة. أمّا بعد النصر والفتح، فليس للكافرين قوة. إذا رأيت هذا. . . ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره. إنّه كان توّابا**﴾: فليس بعد هذا النصر والفتح، إلاّ التسبيح بحمد الله، والاستغفار من ثورة الانتصار، وفورة الافتخار!.

مبحث الإعراب

﴿**إذا**﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منتصب لجوابه. ﴿**جاء نصر**﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل جر مضافة إلى إذا. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى نصر. ﴿**والفتح**﴾ معطوف على الفاعل. ﴿**ورأيت الناس**﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جاء. ﴿**يدخلون**﴾ فعل وفاعل، والجملة حال من الناس. ﴿**في دين**﴾ متعلق بيدخلون. ﴿**الله**﴾ مضاف إلى دين. ﴿**أفواجا**﴾ حال من الفاعل في يدخلون. ﴿**فسبح**﴾ أمر من الله لرسوله والجملة جواب شرط إذا، والفاء رابط. ﴿**بحمد**﴾ متعلق بسبح. ﴿**ربك**﴾ مضاف إلى حمد. ﴿**واستغفره**﴾ أمر معطوف على الأمر قبله، والضمير المتصل بالفعل مفعول. ﴿**إنّه**﴾ إنّ واسمها. ﴿**كان**﴾ اسم كان ضمير يعود على ربك. ﴿**توابا**﴾ خبر كان، وجملة كان توابا خبر إنّ، وجملة إنّه كان توابا تعليلية.

مبحث الأسلوب البلاغي

أسلوب السورة هنا شرط محقّقُ الوقوع، جوابه فسبح، والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء ؛ للإيذان بأنّهما متوجهان نحو المخاطب، وهو الرسول محمد ﷺ، وأنّهما على جناح الوصول إليه عن قرب. . . ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا**﴾: وعندما يصل هذا النصر والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجا، ينتهي الصراع المسلح، بين الإيمان والكفر، وتكون الكلمة خالصة للإيمان، فعندئذ سبح بحمد ربك واستغفره. فالله سبحانه يريد أن يذكّر المؤمن، حين يجني ثمرة جهاده، أن لا يذكر حوله ولا طوله، ولكن يجب أن يسبح بحمد ربه، الذي جعل النصر على يديه. فهذا هو الأدب الذي يريد الله أن ترتفع البشرية إلى آفاقه، فكان هذا هو أدب رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ في حياته كلها، وفي موقف النصر والفتح، الذي جعله ربه علامة لتسبيحه واستغفاره. فلما أن جاءه نصر الله والفتح، نسي فرحة النصر، وانحنى انحناءة الشكر، وسبح وحمد واستغفر كما لقنه ربه! ..﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره. إنّه كان توابا**﴾. وفي هذا براعة المقطع.

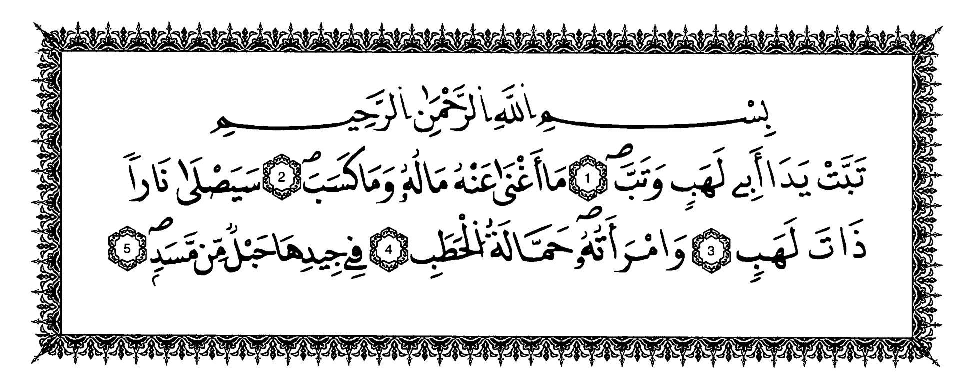
خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**. . .﴾ الخ السورة: فهذه السورة الصغيرة، كما تحمل البشرى لرسول الله، بنصر الله والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجا، وكما توجهه حين يتحقق نصر الله وفتحه، واجتماع الناس على دينه، إلى التوجه إلى ربه بالتسبيح والحمد والاستغفار، كما تحمل إلى الرسول البشرى والتوجيه، تكشف في الوقت ذاته عن طبيعة هذه الرسالة وحقيقة هذا المنهج، ومدى ما يريد الله أن يبلغ بالبشرية الراشدة من الرفعة والكرامة، والتجرّد والخلوص والانطلاق والتحرر. فهذه القمّة السامقة الوضيئة، التي لم تبلغها البشرية قط إلاّ في ظل الإسلام. فهذا هو الأفق الوضيء الكريم، الذي يهتف القرآن الكريم بالنفس المؤمنة، لتتطلع إليه، وترقى في مدارجه. وهكذا ارتفعت النفس المؤمنة بالإيمان بالله، وهكذا أشرقت وشفّت ورفرفت، وهكذا بلغت العظمة والقوة والانطلاق.

34 ـ تبّت يدا أبي لهب وتب،
ما أغنى عنه ماله وما كسب!..



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

التباب: الهلاك والبوار والقطع... ﴿تبت﴾: دعاء... ﴿وتبّ﴾: اخباره... ﴿**ما أغنى عنه ماله وما كسب**﴾: لم يغن عنه ماله، وما كسب من جاه عند قومه... ﴿**سيصلى نارا ذات لهب**﴾: سيدخل يوم القيامة نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقّد، وهي نار جهنم... ﴿**وامرأته**﴾: تصلاها كذلك... ﴿**حمالة الحطب**﴾: تكثر من حمل الحطب، لتوقد نار الفتنة... ﴿**في جيدها**﴾: عنقها... ﴿**حبل**﴾: مفتول فتلا قويا... ﴿**من مسد**﴾: من ليف المقل.

مبحث الإعراب

﴿**تبّت يدا**﴾ فعل وفاعل. ﴿**أبي**﴾ مضاف إلى يدا. ﴿**لهب**﴾ مضاف إلى أبي. ﴿**وتبّ**﴾ معطوف على تبت، والفاعل ضمير يعود على أبي لهب. ﴿**ما**﴾ نافية.

﴿**أغنى**﴾ فعل ماض. ﴿**عنه**﴾ متعلق به. ﴿**مالُه**﴾ فاعل. ﴿**وما**﴾ اسم موصول، في محل رفع معطوف على ماله. ﴿**كسب**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير أبي لهب، والجملة صلة ما، والعائد محذوف، أي: والذى كسبه. ﴿**سيصلى**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير أبي لهب. ﴿**نارا**﴾ مفعول به. ﴿**ذاتَ**﴾ نعت لنار. ﴿**لهب**﴾ مضاف إلى ذات. ﴿**وامرأته**﴾ مبتدأ. ﴿**حمّالةُ**﴾ خبره. ﴿**الحطب**﴾ مضاف إلى حمّالة، والجملة من المبتدإ والخبر معطوفة على سيصلى نارا ذات لهب. ﴿**في جيدها**﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿**حبلٌ**﴾ مبتدأ مؤخر. من مسد متعلق بمحذوف نعت لحبل، والجملة حال من امرأته.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**تبت يدا أبي لهب وتب...**﴾ الخ السورة: لما ذكر الله سبحانه في السورة السابقة، دخول الناس في دين الله، ذكر في هذه السورة هلاك وخسران بعض من لم يدخل فيه، وفي هذا الاتصال المباشر نعلم أنّ ترتيب السور توفيقي من الله، لأنّ سورة النصر آخر ما نزل من سور القرآن الكريم، وأنّ سورة تبت من أوائل ما نزل منه!. وفي سورة تبت كذلك دليل قاطع، بأنّ القرآن من الله العليم القدير، لأنّه أخبر بأنّ أبا لهب سيموت كافرا، فيدخل النار، وأنّ امرأته كذلك. وكذلك لم ينظر الإسلام إلى النسب والحسب، ولكن نظر إلى صدق الإيمان واتباع القرآن. فأبو لهب عم الرسول!. وصهره؛ حيث تزوج ابناه ابنتي الرسول. نزلت هذه السورة ترد على حرب أبي لهب وامرأته المعلنة من أول الدعوة، فتولى الله تعالى عن رسوله أمر المعركة!. ففي آية قصيرة واحدة في مطلع السورة ـ تبّت يدا أبي لهب وتب ـ تصدر الدعوة وتتحقق، وتنتهي المعركة ويسدل الستار!. ففي الأسلوب التعبيري للسورة، تناسق دقيق ملحوظ مع موضوعها وجوّها: تناسق في اللفظ، وتناسق في الصورة، فجهنم هنا دار ذات لهب، يصلاها أبو لهب!، وامرأته تجمع الحطب لتوقد نار الفتنة، فستصلى تلك النار، فيتم الجزاء من جنس العمل. فتتم الصورة بمحتوياتها: الحطب والحبل والنار واللهب!. يصلى به أبو لهب وامرأته حمالة الحطب!. وفيه أيضا تناسق الكلمات، مع جو السورة، وسبب النزول، ويتم هذا كله في خمس فقرات قصار، وفي سورة من أقصر سور القرآن!. فيرتبط البدء بالختام!. ونسأل الله حسن الختام.

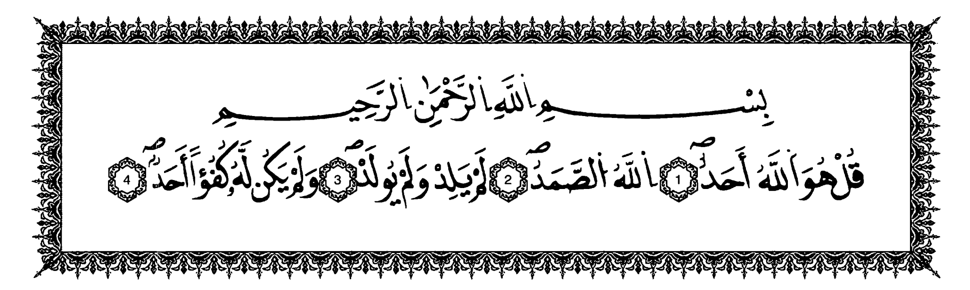
خلاصة المعنى العام، وما فيه من التوجيهات والأحكام

﴿**تبّت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله. وما كسب. سيصلى نارا ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد**﴾: فأبو لهب وامرأته من أشد الناس عداوة للنبيء ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللدعوة التي جاء بها، ومواقفه ومواقف امرأته مشهورة في كتب السيرة والتاريخ وكتب التفسير. وهكذا مضى هو وامرأته يثيرانها حربا شعواء على الرسول وعلى الدعوة، لا هوادة فيها، ولا هدنة، فلهذا كان الرد حاسما، والجزاء في الدنيا والآخرة جزاء قاصما، للكائدين لدعوة الله في الدنيا، والنار في الآخرة جزاء وفاقا لما هم عليه من إيقاد نار الفتنة!. فالهلاك والخسران والبتر والقطع لمن يكون عارضا في سبيل هذه الدعوة، والنصر والفتح والفلاح والنجاح لمن يدعو إلى الله، ويقيم منهج الله، ويكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين. الذين قالوا: ربنا الله!.

35 ـ هو الله أحد.
الله الصمد ..



النص



البيان

مبحث المفردات اللغوية

﴿**قل**﴾: ﴿**هو الله أحد**﴾: هو ضمير الشأن، يفسره ما بعده، الله أحد. أحد: هو لفظ أدق وأشمل لفظ واحد ؛ لأنّه يضيف إلى معنى أن لا شيء غيره معه. . . ﴿**الله الصمد**﴾: الدائم الباقي الثابت، الذي منه كل شيء، ويرجع إليه كل شيء، المستغني عن كل شيء، المحتاج إليه كل شيء. . . ﴿**لم يلد**﴾: لم يصدر عنه ولد ؛ لأنّه لا يجانسه شيء!. . . ﴿**ولم يُولد**﴾: لم يصدر عن شيء ؛ لاستحالة نسبة ألعدم إليه سابقا ولاحقا. . . ﴿**ولم يكن له كفوًا أحد**﴾: لم يكافئه أحد: «ليس كمثله شيء»!.

مبحث الإعراب:

﴿**قل**﴾ أمر من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ، أن يقول للناس. ﴿**هو**﴾ ضمير الشأن في محل رفع مبتدأ أول. ﴿**الله**﴾ مبتدأ ثانٍ. ﴿**أحدٌ**﴾ خبر المبتدإ الثاني،

والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدإ الأول. ﴿**الله**﴾ مبتدأ. ﴿**الصمد**﴾ خبره، والجملة بيان لجملة الله أحد، وجملة هو الله أحد في محل نصب مقول قُلْ. ﴿**لم يلد**﴾ فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. ﴿**ولم يُولدْ**﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بلم، ونائب الفاعل ضمير يعود على الله تعالى، والجملة معطوفة على جملة لم يلد، أى: لم يلد أحدًا، ولم يلده أحدٌ، وجملة لم يلد ولم يولد تنصيص وتوضيح وبيان لمعنى قوله تعالى: هو الله أحد الله الصمد. ﴿**ولم يكن**﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بلم. له متعلق بما بعده. ﴿**كُفؤًا**﴾ خبر يكن مقدم .﴿**أحدٌ**﴾ اسمها مؤخر، أى: لم يكن أحدٌ كفؤا له ـ سبحانه وتعالى ـ، والجملة معطوفة على قوله تعالى: لم يلد ولم يولد، زيادة في توضيح الأحدية والصمدية.

مبحث الأسلوب البلاغي

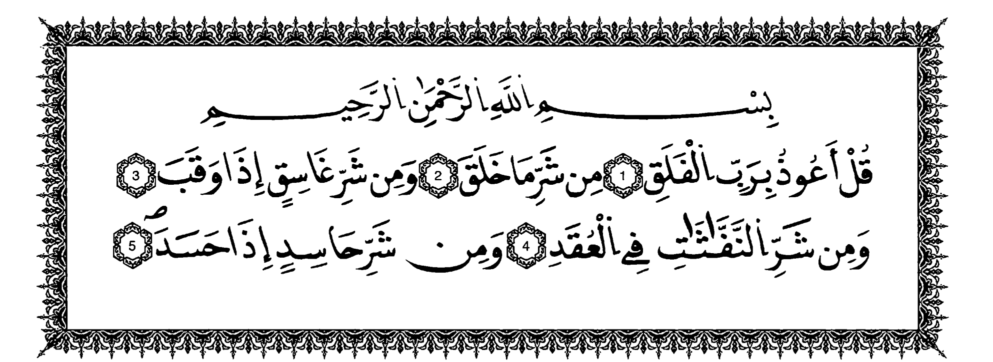
﴿**قل هو الله أحد**. . .﴾ الخ السورة: فهذه السورة جاءت كخاتمة لسور القرآن، وخلاصة لمعانيه ومراميه، وأهم شيء فيه، تحقيق حقيقة التوحيد. وهذه السورة فاصلة المقال، في كل ما يتعلق بما جاء في جميع السور القصار منها والطوال، فكما بدئت سور القرآن بذكر اسم الله وحمده، ختمت بذكر صفات جلاله ومجده!.. قل: هو الله أحد: قل: تدل على قائل، وهو الله سبحانه وتعالى، ومقول له، وهو محمد ﷺ ومقول، وهو هو الله أحد. . . ﴿**الله الصمد**﴾: ولما كانت هذه السورة تتعلق بذات الله وصفاته، وهي الأسماء الحسنى وما فيها من إيجاب وسلب، وهي أحد الأقسام الثلاثة، كانت تعدل ثلث القرآن ؛ كما في الحديث الصحيح، والسر في تصدير الجملة بضمير الشأن ـهو ـ للتنبيه من أول الأمر، على فخامة مضمونه، فإنّ ضمير الشأن لا يفهم منه من أول الأمر، إلا شأن مبهم له خطر جليل، فيبقى الذهن مترقبا لما بعده، مما يفسره ويزيل إبهامه، فيتمكن عند وروده له لفظ تمكن. . . الله الصمد: فصلت هذه الجملة فلم تعطف على ما قبلها، لكمال الاتصال ؛ لأنّها كالنتيجة لما قبلها. ثم صرح السياق ببعض أحكام جزئية متدرجة تحت الأحكام السابقة، فقيل. . . ﴿**لم يلد**﴾: هذا تنصيص على إبطال زعم المفترين من اليهود في قولهم: عزير ابن الله، ومن النصارى في قولهم: المسيح ابن الله، من المشركين في قولهم: الملائكة بنات الله ؛ ولذلك

ورد النفي على صيغة الماضي... ﴿**ولم يولد**﴾: موصول بالعطف على ما قبله زيادة في النفي، نصًّا على المفهوم من قوله: لم يلد... ﴿**ولم يكن له كفؤا أحد**﴾: وصلت الجملة بالعطف على قوله تعالى: لم يلد ولم يولد، زيادة في النفي المثيل والمكافيء، بعد نفي الفرع والأصل عن الله تعالى!. وتقديم له للاهتمام، وتقديم خبر يكن على اسمها مراعاة للفواصل. أحد. الصمد. يولد. أحد. فينسجم اللفظ مع المعنى. فهذا التفصيل لعنوان واحد، وموضوع واحد، دلّ عليه أوله، كما دلّ عليه آخره، فمعنى أنّ الله أحد: أنّه الصمد، وأنّه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، ولكن النص يتوسع في ذكر هذه المتلازمات، لزيادة التقرير والتوضيح، وليست بعد هذا حاجة في تفصيل المعنى والحكم!.

36 ـ أعوذ برب الفلق
من شر ما خلق!..



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**قل: أعوذ برب الفلق**﴾: الفلق: هو كل ما يفلقه الله تعالى، كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن الأمطار، والحب والنوى عمّا يخرج منها، وغير ذلك... ﴿**ومن شر غاسق إذا وقب**﴾: ومن شر ليل معتكر ظلامه، إذا دخل في كل شيء... ﴿**ومن شر النفّاثات في العقد**﴾: أعوذ بك من شر النمّامين والنمّامات، والنساء في هذا أشد ضررا وأقدر، في سعي حلّ المحبّة والمودة بين الأقارب... ﴿**ومن شر حاسد إذا حسد**﴾: إذا ظهر حسده، وعمل بمقتضاه ؛ لأنّه إذا لم يظهر، فلا ضرر يعود منه على من حسده، بل هو الضار لنفسه، لاغتمامه بسرور غيره، وهو الأسف على الخير عند الغير!.

مبحث الإعراب

﴿**قل**﴾ أمر من الله موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. ﴿**أعوذ**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير المتكلم، والجملة مقول قُلْ. ﴿**برب**﴾ متعلق بأعوذ. ﴿**الفلق**﴾ مضاف إلى رب. ﴿**من شرّ**﴾ متعلق بأعوذ. ﴿**ما**﴾ اسم موصول في محل جر مضاف إلى شر. ﴿**خلق**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على رب الفلق، والجملة صلة ما. ﴿**ومن شر غاسق**﴾ مضاف إلى شر، معطوف على من شر ما خلق. ﴿**إذا**﴾ ظرف متعلق بأعوذ. ﴿**وقب**﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير يعود على غاسق، والجملة مضافة إلى الظرف. ﴿**ومن شر النفاثات**﴾ معطوف على قوله من شر ما خلق. ﴿**في العقد**﴾ متعلق بالنفاثات. ﴿**ومن شر حاسد إذا حسد**﴾ مثل إذا وقب.

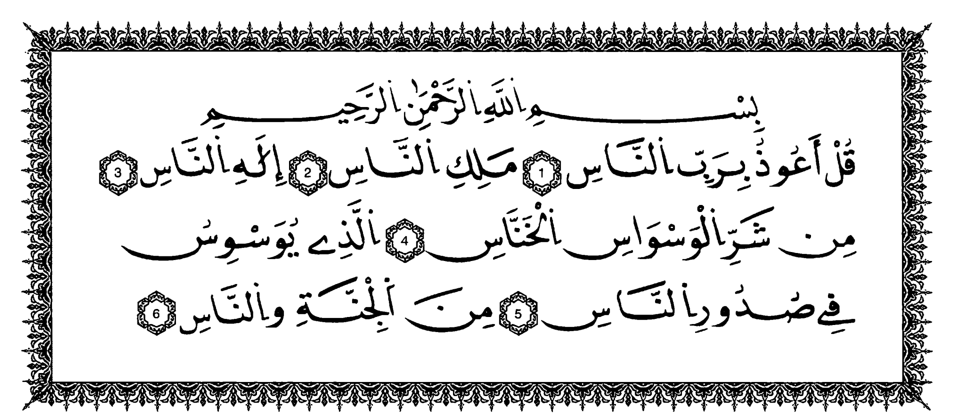
مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق**﴾: فهذه السورة مربوطة بالسورة التي قبلها، من حيث أنّ الله أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، فليس لأحد مفزع إلاّ هو!، وهو الصمد المقصود في كل شيء. فلهذا كانت الإعاذة بالله من كل شر عام من جميع الخلق، أو شر خاص في وقت محدد. . . ﴿**ومن شر غاسق إذا وقب**﴾: أو من نفوس شريرة تنفث الشر، فتحل عقد المحبة والمودّة، التي تربط الناس بعضهم ببعض، أو من نفس يكمن فيها الشر والبغض، فتكره كل خير للغير، وتحاول أن تنفذه من طريق ما يضر المحسود في نفسه، أو فيما يحيط به من أولاد وأموال، فالحسد أخص ما يظهر من النفوس الخبيثة من شر!. وهذا الشر الذي أمر الله رسوله بأن يتعوّذ برب الفلق منه، يأتي من خارج النفس ويلحق بها مما يجري في الكون من شرور. وهذا ما اشتملت عليه سورة الفلق، أما سورة الناس ثاني المعوذتين فتعالج الشر الذي يكمن في داخل الإنسان.

37 ـ أعوذ برب الناس
من شر الوسواس الخناس



النص



البيان

مبحث المفردات اللغويّة

﴿**قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس. من شر الوسواس الخنّاس. الذي يوسوس في صدور الناس. من الجنّة والناس**﴾: كلمات هذه السورة واضحة يفسر بعضها بعضا.

مبحث الإعراب:

﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ إعرابه مثل إعراب قل أعوذ برب الفلق. ﴿**ملك**﴾ عطف بيان لرب الناس. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى ملك. ﴿**إله**﴾ عطف بيان لملك. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى إله. ﴿**من شر**﴾ متعلق بأعوذ﴿. **الوسواس**﴾ مضاف إلى شر. ﴿**الخناس**﴾ نعت للوسواس. ﴿**الذي**﴾ في محل جر عطف بيان للخناس.

﴿**يوسوس**﴾ فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على الذى، والجملة صلته. ﴿**في صدور**﴾ متعلق بيوسوس. ﴿**الناس**﴾ مضاف إلى صدور. ﴿**من الجنّة**﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل يوسوس. ﴿**والناس**﴾ معطوف على الجنّة.

مبحث الأسلوب البلاغي

﴿**قل أعوذ برب الناس. . .**﴾ الخ: فهذه السورة تكملة للسورة التي قبلها، من حيث البدء والموضوع والأسلوب، غير أنّ الإعاذة من شرها ؛ باعتبار ما يكمن داخل الإنسان من وسوسة كل شيطان من إنس وجان. وبهاتين السورتين يختم القرآن. وقد تناسقت سوره، وتأصلت معانيه وعباراته: أوّله وآخره!. حيث بدئت بذكر الله وحمده، وختمت بتوحيده وتمجيده، والعوذ به من شر خلقه ؛ إنسه وجنّه، وشر ما في الكون من خلقه، وهذا الترابط والتوافق والتكامل والتناسق، مما يدل دلالة قاطعة على وحدة مصدره، ووحدة هدفه ومظهره! .﴿**وإنّه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين**﴾.

والحمد لله أولا وآخرا، باطنا وظاهرا على إعانته بإكمال
هذه المباحث في توجيهات كتابه، وقد بقيت في جمع هذه المباحث
ما يقرب من عشرين عاما. . .

أول شهر ربيع الأول من عام ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين
إلى ألف وأربعمائة وثلاثة عشر.
وكان ذلك آخر يوم من شهر ذي الحجة. . .

